ديوان

محمد العيد آل خليفة



دار الهدى
عين مليلة - الجزائر

دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة - الجزائر

الهاتف: 032.44.92.00 // 032.44.95.47 الفاكس: 032.44.94.18

web: www.elhouda.com e-mail: darelhouda@yahoo.fr

الفروع

عين مليلة

طريق باتنة

الهاتف: 030.34.46.85 الفاكس: 030.34.46.84

قسنطينة

حي كوحيل لخضر جنان الزيتون

الهاتف: 031.92.22.08 الفاكس: 031.92.27.08

الجزائر

01 شارع أوراس بشير باب الواد

الهاتف: 021.96.62.20 الفاكس: 021.96.61.11

02 شارع أحمد محمد الحراش

تلفاكس: 021.52.13.07

وهران

05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية

الهاتف: 041.40.46.47/041.40.46.89

الفاكس: 041.41.46.54

عنوان الكتاب: ديوان محمد العيد آل الخليفة

اسم المؤلف: مكتب الدراسات

الحجم: 23.5 X 15.5

عدد الصفحات: 544

عدد الأجزاء: 01

الرقم التسلسلي: 2010 - 17

رقم الإيداع القانوني: 2010 - 779

ردمك: 978 - 9947 - 26 - 238 - 2

سنة الطبع: 2010



(صورة صاحب الديوان)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

للجزائر كما للأمم العريقة في المجد والحضارة تراث أدبي وعلمي يربط حاضرها بماضيها فتبني عليه مستقبلها، وهو ضمان لحفظ كيانها، وتدعيم بنيانها، ولم تتأخر الجزائر عن ركب هذه الأمم في عصر من العصور.

غير أن كثيرا من الأمم ساعدتها الظروف وساعفتها فبقي تراثها محفوظا يتلقاه أبناؤها جيلا بعد جيل، أما الجزائر فقد نسجت عناكب النسيان خيوطها على جل تراثها العلمي والأدبي ولعبت به يد الاستعمار فوضعته في زوايا الخمول، وقد أعان على ذلك ليل الاستعمار الطويل الذي لم ينجل إلا بعد قرن وعشرات من السنين الشداد.

وبعد أن أصبحت الجزائر حرة مستقلة عقدت وزارة التربية الوطنية العزم على بعث تراث الجزائر ونشره، وكان فاتحة ذلك هو نشر ديوان محمد العيد. وطبع ديوان محمد العيد أمنية عز منالها قبلا، ولقد خامرت هذه الأمنية نفوس كثير من رجال العلم والأدب والإصلاح بالجزائر، فمات البعض منهم وفي نفوسهم حرقة وأسى عميق من عدم نشر هذا الديوان لأن شعر محمد العيد ساير نهضة الجزائر الحديثة وواكبها، فهو قلبها الخافق ولسانها الناطق وترجمانها الصادق، وهو مع ما فيه من بلاغة التعبير وصدق التصوير يمثل الإيمان بالدين والوطن، ويدعو إلى الثورة المسلحة على الاستعمار قبل اندلاعها بسنين، ومن الذي ينكر قوله سنة 1937:

فقم يا ابن البلاد اليوم وانهض

بلا مهل فقد طال القعود

وقـل يـا ابـن البـلاد لكـل لـص
تـجلـى الـصبـح وانتـبـه الرقـود
فـخـض يـا ابـن الـجزائـر فـي الـمنـايـا
تـظـلـلـك الـبـنـود أو الـلـحـود

هذا وعسى الله أن يعين وزارة التربية الوطنية على أن تخطو بعد هذه الخطوة خطوات، وتثب في هذا الميدان وثبات بثبات، فبعونه سبحانه تتم الصالحات.

أحـمد طالب الإبراهيمي
وزير التربية الوطنية

التَّقديمُ

لرائد الأدباء ورئيس العلماء
الإمام الشيخ
محمد البشير الإبراهيمي (رحمه الله)
نشرت في مجلة الشهاب عند ختم القرآن الكريم
سنة 1939م

الأستاذ محمد العيد. شاعر الشباب، وشاعر الجزائر الفتاة، بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع.

شاعر مستكمل الأدوات، خصيب الذهن، رحب الخيال، متسع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرق الديباجة، متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ محكم النسج ملتحمه، مترقرق القوافي، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء، فقيه محقق في مفردات اللّغة علما وعملا، وقّاف عند حدود القواعد العلمية، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها، لا تقف في شعره – على كثرته – على شذوذ أو رخصة أو تسمح في قياس، أو تعقيد في تركيب، أو معاظلة في أسلوب. بارع الصنعة في الجناس والطباق وإرسال المثل والترصيع بالنكت الأدبية والقصص التاريخية.

ومن يعرف «محمد العيد» ويعرف إيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية – يعرف أن روح الصدق المتفشية في شعره إنما هي من آثار صدق الإيمان وصحة التخلق، ويعلم أنه من هذه الناحية بدع في الشعراء.

رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها - القصائد الغر، والمقاطع الخالدة، فشعره - لو جمع - سجل صادق لهذه النهضة، وعرض رائع لأطوارها.

وقد سمت نفسه في العهد الأخير إلى الشعر الفلسفي وتظهر فيه عدّة مقطوعات لزومية رائعة نشر القليل منها.

وإذا كان في النهضة العلمية الأدبية بالجزائر، نواحي نقص، فمنها أن يبقى شعر محمد العيد غير مجموع ولا مطبوع.

جنيف في 26 شعبان 1355

البهاء زهير ينشر في هذا العصر![1]

كلما قرأت شعر لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزّة طرب تملك علي جميع مشاعري وأقول: إن كان في هذا العصر شاعر يصح أن يمثل البهاء زهيرا في سلاسة نظمه، وخفة روحه، ودقة شعوره، وجودة سبكه، واستحكام قوافيه التي يعرفها القارئ قبل أن يصل إليها وإن التكلف لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه فيكون محمدًا العيد الذي اقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا أملّ وتمضي الأيام وعذوبتها في فمي. كان يظن أن القطر الجزائري تأخر عن إخوته سائر الأقطار العربية في ميدان الأدب ولا سيما في الشعر، ولعله بعد الآن سيعوض الفرق بل يسبق غيره بمحمد العيد.

شكيب أرسلان

(1) نشرت هذه القطعة بخط الأمير رحمه الله مع صورتين إحداهما له بالزي المغربي، والثانية للشاعر – في مجلة «الشهاب» ج: (1) م: (13) – 1356هـ – 1937م.

فاتحة ثناء وابتهال

حمدتكَ باللسان وبالجنان — وحمدك غرة النِّعم الحسان
وباسمك أبتدي وعليك أثني — بما أثنيتَ في السبع المثاني
بك استعصمت من فتن الأعادي — كما أستحضنتُ من محن الزمان
على عملي أستعنتك يا الاهي — وليس سواك لي من مستعان
فأنت موفقي للخير فضلًا — وأنت معلِّمي قول البَيان
فألهمني السَّداد ولا تُزغني — وجنِّبني بليات اللسان
جعلت الشعر في الدنيا نجيي — فكان لخاطري كالترجمان
ولم أكفف عن استنهاض شعبي — به لأراه في أعلى مكان
لذاك رجوت أن يبقى كذخر — لشعبي رافع للذكر باني
ويجلب لي رضاك وأنت أهل — لبذل رضاك لي دون امتحان
ويجلب لي رضى أزكى نبيٍّ — إلى مرضاتك المُثلى دعاني
اذا روي القريض إليه أصغى — وردَّد منه حِكميَّ المعاني
لقد أصغى إلى إنشاد (كعب) — ومنَّ عليه بالبُرد اليماني
كما أغرى به (حسان) حربا — فكان به المبرِّز في الطعان
فصل عليه أزكى ما تصلي — عليه وأدنِه عن كل داني
وجاز الأهل والاصحاب عنا — بأوفى الأَجر منك والامتنان
لقد نشروا هدى الاسلام قِدما — بما بذلوه من روح التفاني
وأبقَوْه لنا أغلى تراث — له في العالمين أجلُّ شان
إلاهي اننا بحماك لذنا — وعذنا من جناية كل جاني
لقد آتيتنا التحرير حكما — فألهمنا الحفاظ على الكيان
بدأنا الأمر باسمك واختتمنا — فجُد بالعون واختِم بالأَمان

أدبيات وفلسفيات

الإهداء

إلى شعب الجزائر البطل الثائر

تحرَّر من أمسه القاهر وهبَّ إلى غده الزاهر
حليفُ نضال حمى أرضه وحررها بالدم الزاخر
وواصل ثوْراته صامدًا ففاز بتحريره الباهر
هو الشعب فانزل على حكمه وأذْعنّ لاجماعه الباتر
اذ ما أصَرَّ على مطلب فقل أبرمتّه يدُ القادر
لقد بذرَ الشعرُ فيه الفِدى وحسبُك بالشعر من باذر
وما الشعر الاّ شعورٌ سما خيالًا بإيحائه الساحر
يهز النفوسَ بتياره فتسموا إلى الأوج كالطائر
وتسبَح في عالم شامخ على الأرض من إفْكها طاهر
شغفتُ به منذ عهد الصبا فأبتُ بعمر به عامر
أذبت عليه حشَا مُهجتي وما كَلَّ من طرفيَ الساهر
وعرَّضت نفسي لأخطاره بما ليس يَعْرض بالخاطر
وقفتُ على الشعب جهدي به وكرست عمري إلى الآخر
فديوان شعري بمرآته جلا غابرَ الشعب للحاظر
كساني (البشير)[1] بُرودَ المُنى بما صاغَ من عقده الفاخر
تفيأ ظلَّ الرِّضى آمنًا وباء بمغفرة الغافر

(1) إشارة إلى الأستاذ الكبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي يعود إليه الفضل في جمع جل قصائد هذا الديوان والتعليق على أحداثها ومناسباتها الوطنية.

ومن لم يكن للورَىٰ شاكرًا — فما هو لله بالشَّاكر
أقدمه مِشعَلًا ثاقبًا — إلىٰ شعبيَ البطلِ الثائر
ليسعَىٰ علىٰ ضوئه هادفًا — إلىٰ المجد في ركْبه السائر
هديَة من بِهَوَىٰ شعبه — تَتيَّم مذ فطْرة الفاطر
تقرَّب للشعب زُلفَىٰ بها — وحاشاه من وصْمة الناكر
اذا ماجزاه بعِرفانها — أصاب به بُغيةَ الشّاعر

يا دار

قصيدة نظمها الشاعر حوالي سنة 1925م

بيضٌ وَسُودٌ وَأَخْيَارٌ وَأَشْرَارُ ... كم تحتوين علىٰ الأَضْداد يا دارُ!
العَرْشُ وَالفَرْشُ والأَحْدَاثُ بَيْنَهُما ... خيرٌ وشرٌّ فإقلالٌ وإكْثارُ
والليلُ والصُّبْحُ والانسَانُ عندَهما ... نعْسانُ مستيقِظٌ والماءُ والنار
والأنجُم الزُّهر: هذا النَّجم مرتَفِعٌ ... زَاهي الضياء وهذا النجمُ مُنهار
تبدُو علىٰ الأُفقِ أَشْتاتًا ويجمَعُها ... فِي سيْرها فلَكٌ في الأُفْق دَوَّار
قد قِيل في كَوْكَبِ المَرِّيخ أبنيَةٌ ... مشيَّدَاتٌ وجنَّاتٌ وأنهار
وقيلَ في البحر آكامٌ وأَوْديَةٌ ... كما علَىٰ البَرِّ أنجادٌ وأغْوار
أتىٰ علىٰ المَيْزِ حينٌ وهو منتشِر ... فاش إلىٰ أن تأَتَّتْ منه اضرار
كم ذَا أَرَىٰ المِثلَ دُون المِثل محتفلًا ... به لتُقْضَىٰ به حاجٌ وأَوْطار؟
إن كان لِلميْز مقدارٌ يحَدُّ به ... فإن أحداثنا للميْز مِقْدار
ما المِسكُ والقارُ الأَ مَائعٌ لَزِجٌ ... أَحْوَىٰ فكيف تَنَافَىٰ المِسْكُ والقَار؟!
وكيفَ صَحَّتْ من الانسان تفرقةٌ ... بين الحَصا واللئَالِيَ وَهْيَ أحجار؟!
يا دارُ هَلْ فِيكِ من هادٍ ليُرشِدَنِي ... فإنَّني مستريبٌ فِيكِ مُحتار
همي تقسَّم أشطارًا ولن تجدىٰ ... من همُّه مثلَ همِّي فِيكِ أشطار
يعْرُوه خَفْضٌ ورفْعٌ في تَنَقُّله ... كأنَّه كلاٌ يذْرُوه إِعْصار
(أعمَىٰ المَعَرَّة) أهدَىٰ فيك تبْصرةً ... لو لمْ تَشطَّ به في الدِّين أنظارُ
قد كان عنك مُشيحًا وجهَ هِمَّته ... حرًّا وقِدْمًا تجافتْ عنكِ أحرار

كفتْهُ شهْوةَ أكْلِ اللحم أرْغِفَةٌ بسيطةٌ وكفتْه السّترَ أطْمَار
وعاشَ فِيكِ حَصورًا غيرَ متخذ زوْجًا وبعضٌ من الأَزواج آصَار
ولم يزلْ فِيكِ للّذَّات مجْتنِبًا حتَّى استوىٰ منكِ إقبالٌ وإدبار
مضىٰ بمبدئِه السَّامي الغريبِ ولمْ يكنْ لمبْدئِه في الناسِ أنصار
وعنصرُ النَاسِ فَخَّارٌ أَلَمَّ بِهِ كَسْرٌ ومَا الْتَامَ بعْدَ الكسْر فخَّار
يَا كَمْ أَجادَ هَزارُ الصُّبح من نغم ولم يُصِخْ لِهَزار الصُّبح دَيَّار
وواصَلَ الحزنَ بُومُ اللَّيل ملتزِمًا (غاقًا)[1] فحفتْه أَسْماعٌ وأَبصار
وجار سُوء ثوَىٰ أرضِي فضايَقني فيهَا ومنْ دُونِهِ حُجُبٌ وأستار!
فما وعَىٰ قطُّ صوْتي وهو مُرْتفِعٌ وما رأىٰ قَطُّ دَمْعي وهْوَ مِدرار
قلتُ له احفَظْ جِواري وارْعَ منزلتي أولاَ فبارِحْ دِيارِي أيُّها الجَار
وَخِلِّ سُوء تَوَخَّانِي لأَخْلُفَهُ فِي ذَبْح شاء عِجَاف وَهْي إيثَارُ
قَالَ ابْتَدِرْهَا علىٰ اسْم الله قلتُ لَهُ دَعْنِي فَمَا أَنَا يا ابْنَ اللؤْم جَزَّارُ
ومسْرفٍ منكرٍ للبعثِ قلتُ لَهُ هيْهَات يُجديكَ يومَ البعْثِ إنكار
أَأَنت تُنكِرُ حَالاً تستحيلُ إلىٰ حال وخَلْقُكَ رأيَ العيْن أطْوار
تبارَكَ اللهُ هذا الكوْنُ مُعْتَرِفٌ بِأنَّ صانعَه رَحمان قهَّار
قامت بحكمتِهِ الأَرْوَاحُ خاضعةً لَه فهلْ في ذَوي الأَرواح مُختار؟
مات الأَئِمَّةُ أهلُ العِلْم - لا بَلِيتْ أَوْصالُهُمْ - ولهمْ في الكون آثَار
همْ خلَّفوا العِلمَ تَذْكَارًا لأَنفسِهم وما يُؤثِّرُ في السَّالينَ تَذْكار
قد أَفعَموا الكُتُبَ أخبارًا وما لبِثوا أَن أَصْبحوا وهمُ في الكُتُبِ أَخبار

---

(1) (الغاق): صوت الغراب.

أسطر الكون

هذه القصيدة من بواكير شعر الشاعر في شبابه، وهي تدل على ما ينطوي عليه ذلك الجسم الضئيل من مواهب كمينة تدرجت في شعره، وتجلت في شعر الحكمة والمثل والنصيحة، وهي الأنواع التي بلغ فيها القمة.

سئمت على شرخ الشباب حياتي ... فحرت ولم أملك علَيّ ثباتي
أرى حظ أرذال النفوس مواتنا ... وحظَّ كريم النفس غير مواتي
فأوجس في نفسي من الدهر خيفة ... لعلمي بأن الدهر ذو غمرات
أرى الكون قرآنا من الله منزَلاً ... على الروح والأحداث آيُ عِظات
وأقرأ من آيِ الشَّقاوة أسطرا ... على صفحات الكون مرتسمات
فسطر عيابيلٍ أمضَّهم الطَّوى ... عراة على لفح الأثير حفاة
وسطر أيامى يصطرِخْن توجعا ... من البؤس لا يفتَأْن مكتئبات
وسطر يتامى مرهقين تكبهم ... على جُرُف البلوى يد العثرات
وسطر شيوخ كالأهلَّة شُيَّب ... وهل شيْبُهم إلا نذير وفاة
وسطر مشائيم غرار أذلة ... يسامون بالارزاء والنكبات
وفوقهم سطر من الخلق كله ... جناةٌ لعمر الحقِّ فوق جناة
جناة يرى الرائي من اللّيل مسحة ... على سطرهم والظلم كالظلمات؟
فهل كان هذا الكون سيفا مشطبا ... يمثِّل بالأرواح والمهجات؟
وهل كان هذا الكون سوطا مبرِّحا ... يدعّ بني الإنسان بالسنوات؟
فمن سنة جاءت بكلِ ملمة ... إلى سنة جاءت بكل آذاة

سئمت وإن كنت ابن عشرين حجة حوادثَ لا تنفك مستعرات
اردّد طرْفي سابرًا كُنهَ غوْرها فيرجع طرفي خاسئ النظرات
تبارك ربُّ العرش لست بملحِدٍ أحاول طمس الحق بالشبهات
ولكنَّ وجداني ينمُّ بحسرة إلى القلب أو يوحى له بشكاة
فيسكب من مزن الحقيقة سلسلا وينبت في روض النُّهى زهرات
تفتّح عن غض من الشعر محكم طليٍّ شهيٍّ شيقِ النسمات
تروح به الأيام شبهَ هواتف تساجلن فوق الروض بالنغمات
كذلك كان الشعر آليات رقّة على صوَر الابداع منطويات
كلفت به طفلا فكنت أصوغه سبائك تبر أفرغتْ بحصاة
وأنظمُهُ سمطاً نضيدا منسّقا بديع اللئالي محكم الخرزات
وقافِيةٍ أمست تمثّل يوسفا بمَا فيه من يمن وحسن صفات
خلعت عليها من شعوري مطارفا وكلّلتها ما شئت من خطراتي
وقوم رموْها في غياهب جُبّهم ويا كُثْرَ ما في الجبِّ من حشرات
أذقتهم كأسا من السم علقمًا وأوسعتهم طعنا بحدِّ قناتي
وقلت لهم: من يَعْشُ عن نفع قومه أقيِّض له جيشا من الكلمات
كذلك سِفْر الكون وعظٌ وحكمة وزجرٌ وتوبيخٌ وقرعُ بغاة
لو آتعظ القراء منه بختمة لكانت عليهم أيمنَ الختمات

صدى الصحراء

من جريدة صدى الصحراء إلى الشعب الجزائري

نشرت في العدد الأول من جريدة (صدى الصحراء) التي أصدرها السيد أحمد بن العابد العقبي سنة 1924 ونشرت في كتاب (شعراء الجزائر)

صفا العيش لي وامتدَّ ريف ظلالي ... فما لتكاليف الزمان ومالي؟
صفا العيش لي وازدان روض مواهبي ... وأَينع فضلي واستبان كمالي
ولانت لي الأيَّام وهي عَصِيَّة ... فماليَ لا أزهو بنضرة حالي
سلامة أذواق ويمن مطالب ... وعزة أعراق وطيب خلال
وباتت نجوم الليل وهي طوالع ... تزف لي البشرى بنيل سؤالي
وترنو إلى وجهي بإيماض نورها ... فيبهجها منِّي بديعُ جمالي
وتوَّجني المقدور تاج كرامة ... فأنحى على بؤسي وأسعد فالي
كتبت فكان الحق طوعَ أناملي ... وقلت فكان الصدق وسعَ مقالي
وكنت (صدى الصحراء) أُدعى لأنني ... بسطت على الصحراء نورَ هلالي
وواليت بالإرشاد رفع عقيرتي ... عسى أن يهب النَّائمون حيالي
عسى أن يهب النائمون فإنهم ... يغطون من حقب مضَيْنَ طوال
يخالون آيات الحضارة بينهم ... عجائب غيب أو طيوف خيال
وتمضي الليالي السود تجهد سيرها ... وهم بين مَسْلُوبِ الشعور وسالي
وهم بين منْهَدِّ العزيمة خائر ... وآخر من كل المواهب خالي

أَفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم ... تُنازلُه الأحداث شرَّ نزال
تحاول نَكْبَاء الضلالة نسفَهُ ... وترميهِ أشلاء الردى بنبال
فقوموا مقامات الدفاع حياله ... ليَأْمَنَ هذَا الدِّين كلَّ ضلال
ولا تهملوا أمر الحياة فإنها ... حياةُ نشاط بل حياة جدال
فبينكم الغربيُّ وهو أخو العلا ... يجد لا دراك العلى ويوالي
طوى الأرض بالخط الحديديِّ وانبرى ... يجول مع الأرياح كل مجال
وأبدع طيارا بدون محرِّك ... فهل كان هذا يستقرُّ ببال
وشقَّ عباب البحر والبحر مزبد ... بغوَّاصِهِ ينساب غير مبالي
يغوص مع الحيتان في لج بحرها ... فتحسبه الحيتان ضرب وبال
أجلُّوا رجال العلم بين ربوعكم ... فقدِّرُهُمُ وافي الرجاحة عالي
ولا تقبلوا فيهم وشاية خائن ... ونفثة مغتاب وبغضة قالي
فتلك عراقيل يعانون وعرها ... على أنَّهم لا ينثنون بحال
ولا تغفلوا شأنَ الصغار فإنهم ... لمستقبل الأيام خير رجال
وأشبه شيء بالمرايا عقولهم ... فصوغوا لها منكم أَجلَّ مثال
ابينوا لهم طيب الفعال ليقتدوا ... بكم، فحياة الطفل طيب فعال
وهُبُّوا إلى الاصلاح فالله كافل ... لمن هبَّ للاصلاح حسن مَئال

هذه خطوة

ألقاها الشاعر في حفل التكريم الذي أقيم للأستاذ الهادي السنوسي بمناسبة طبع كتابه «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» والقصيدة نشرت في الجزء الثاني من الكتاب.

إرق بالشعر لا عدمت رقيا ... قد عرفناك نابغا عبقريا
قد عرفناك نابغ الفكر حرا ... نابه الذكر مخلصًا وطنيا
قد عرفناك بالجزائر بَرًّا ... يوم أحييت ذكرها الأدبيا
يوم احييت شعرها بعد أن لم ... يكن الشعر في الجزائر شيًّا
كان بالأمس مودع القبر ميْتًا ... كيف اخرجته من القبر حيا؟!
إنها نهضة تحاكي ضُبى الهند ... مضاء وتشبه البرق طيا
أنشاطا أظهرت أم كهرباء ... واعتزاما أشهرت أم سمهريا؟!
أنت هيَّئته كما شئت شعرا ... ماثل الروح قائما فتهيا
وتخيرته أغَضَّ من الرَّوْض ... وازكى من عارض المزن ريسا
وتخيرته ألذ من الوصل ... وَأحلى من العناق شهيا
عجب القوم من صنيعك لمّا ... جئتهم بالكتاب غضا طريا
جئتهم بالكتاب يحوي قريضا ... محكم السبك متقنا عربيا
مِن معان مثل المرايا وضوحا ... ومبان مثل الصبايا حليا
حيث لا يسمع الالبَّاء إلأ ... منطقا صائبا ولحنا خفيا
وسطورا تمثل الحسن للرائي ... فتحكى خيط الغزالة زيا

ورسوما تمثل الصدق والاخـ	ـلاص واليمن والرضى والرقيا
فقفوا خاضعي النفوس صموتا	عندها واضعي الرؤوس مليا
وخذوا في الرجاء حول حماها	أنه كان بالرجاء حريا
إن في تلكم الرسوم شبابًا	ناهضا يمقت الهوان أبيًّا
لا خَنوعا لغيره لا ذليلا	لا قَنوعا بخيره لا دعيا
لا خَمولا لا معرضًا لا بخيلا	لا جَهولا لا معرضا لا دنيا
أودع الله في الشباب قلوبا	ملئت حكمة وعزما قويا
ومضاء موكلا بالجديديـ	ـن وهمًّا معلقا بالثريا
وشعورا مثل الأثير رقيقا	وطهورا مثل النمير زكيا
لا تقولوا غوى الشباب فإني	قد تخليته ملاكا رضيا
وتعالوا حيُّوا (السنوسيَّ) ياقو	مِ فقد كان بالشباب حفيا
يا أسدَّ الشباب رأيا صحيحًا	يا أحدَّ الشباب عقلا ذكيا
أنت أغريتني بحب حياة	كدت فيها أقلد المانويا[1]
أنت أطلقتني وما كنت رهنا	أنت أنطقتني وما كنت عيًّا
إنما لم أجد كمثلك يا خلُّ	سميعا عف الضَّمير بريا
أرسل الشعر إن رضيت رضيًّا	وهو واع وإن شجيت شجيا
اعل دست الآداب يا بن علي	فهنيئا لك الرقي هنيا
هذه خطوة لك اليوم كبرى	فتقبل جزاءها الأبديا

(1) المانوية: هم أصحاب المذهب الفلسفي القائل: أن الخير كله من النور، والشر من الظلمة. وقد أشار لهذا أبو الطيب المتنبي في قوله:

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

وقفة علىٰ بحر الجزائر

(1) نشرت في الجزء التاسع من الشهاب عام 1930م

وقفت علىٰ بحر الجزائر ليلة … وناجيته لو كان يسمعني البحر
فقلت له: يا بحر مالك هائجا … علىٰ البر مغتاظا ولم يذنب البر
ومالك لا تألوه دفعًا وضجةً … وصفعًا بأيدي الموج رقَّ له الصخر
لعلك مغتاظ عليه لأنه … كثير الرضا في النائبات له صبر
تقول: لماذا يمكث البر حاملا … عليه هنات لا ينهنهها زجر
تروح عليه الشائنات وتغتدىٰ … تباعا ولا نهيٌ عليه ولا أمر
وتفشو من العاثين في جنباته … أمور لها وجه الشريعة يحمَر
ويذهب سعي الناس فيه مذاهبا … لكل ابن أنثىٰ منهم فوقه أمر
كسرب من الأغنام أخطأت الحمىٰ … فضلت سواء القصد والجو مغبر
ويأتون أفعالا عليه ذميمةً … مخالفةً، في فعلها يعظم الوِزر
كتجرهم بالغش والكذب والربا … وما كان مسموحًا بهَا لهم التَّجْر
وزرعهم للتبغ وهو لهم أذىٰ … وعصرهم للكرْم وهو لهم خمر
فيوسعهم في كل ذلك بسطة … وتشملهم منه الكرامة والبر
وأعجب من هذا وذلك أنه … لأَحيائهم مهدٌ وأمواتهم قبر
رويدك قد أنديت يا بحر وجهه … بتقريعهِ فارفق به ولك الشكر
كأني (برأس المُول)[1] جاءك باسطا … له العُذر لو يفضىٰ إلىٰ سمعك العُذر
يناديك كن يا بحر بالبر مشفقا … رحيما لعل البر بالخلق مغتر

---

(1) رأس المول: جسر على البحر يحيط بالميناء في العاصمة. وفيه توجد ثكنة ضباط البحرية، وعليه أجهزة الرصد وقلاع المراسة.

عساه رأى خيرا لهمّ فأقلّهم ... لذاك، وأيُّ الخير فارقه الشر
فقد صح أن الخير مازال جاريا ... على أرضه منهم ولو أنه نزر
وقامت عليه اليوم للعلم دعوة ... تطوف بهَا للنشر طائفة غر
تسير على القرآن فهو لها هدى ... وتعتز بالإيمان فهو لها ذخر
على أن هذا البر ما كان ساكنا ... لما فيه من نكر وإن عمَّه النُّكر
فكم ثار بركان وخرَّت بنايةٌ ... وأطبق زلزال به وطغى نهر
نداء احتجاج منه للخلق بالغ ... يعاد على الاستماع لكن بها وقر
ومنذر سوء بالحقيقة صادع ... ينادي على الإنسان قد غلَب الخُسر
حوادث تستدعي من الفكر لفتة ... إليها فيستعصي لدعوتها الفكر
ويخبط في بحر من الوهم تائها ... يغوص، وبحر الوهم ليس له قعر
فيمكث بين البؤس واليأس حائرًا ... كمستعصم بالسحر قد خانه السِّحْرُ
ومستنكر نُطق الجمادات قال لي ... رَويت حديثا لم يعد مثله الدهر
يخالف إجماع الورى ولعله ... إليك من العقل الخيالي مُنجَر
فما حركات البَر ألاَّ تصادم ... بماء ونار منهما البرد والحر
وما حركات البحر ألاَّ تماوجٌ ... على سطحه يقضى به المد والجزر
فصدقته فيها وقلت له اخترق ... ظواهرها بالرأي يظهَرْ لك السر
وأرْع لسان الحال سمعَك منصتا ... فإن لسان الحال يعوزه الجهر
هناك ترى ما لم تكن قبل رائيا ... وتسمع ما للعقل في ذكره ذكر
بواهر آيات من الغيب فُصلت ... على الْكَون لم يجمع حقائقَها سِفر
مجددة بالكون في كل لحظة ... فماذا عسى تحصى اليراعة والحبر
تعاصى على الأفواه نشر عظَاتها ... على أمم الدنيا فمنها لها النشر
برئت من الإِيغال في العد راجعا ... إلى الله مشدوها يحيط بي الذعر
ألا إن هذا الكون أصدق شاهد ... بأن كمال الله ليس له حصر

بين الشك والتشكي

نشرت بمجلة (الشهاب) ج: 8 – و: – 9 – غرة ربيع الأول 1352هـ جوليت 1933م

هل للحقائق في الحياة وجودُ ... كادت على عقلي الشكوكُ تسود
ما في الحياة حقيقةٌ محدودة ... إلاّ اصطلاحاتٌ بها وقيود
تدعو إلى العِرفان وهي جهالة ... وتشيد بالإيمان وهي جُحُود
مثل الدفوف على المسامع رنة ... خلاّبة، وعلى الأكفّ جلود
أوَ كلّما أو شكْتُ أجلو مبحثًا ... ضُربت عليه من الشكوك سدود
لا ريب سر الكون وهو لطيفة ... لا يحتويه اللّفظ وهو جمود
دنيا على الأَعمى التوت أوعارها ... من يرشد الأعمى بها ويقود؟
ظلماتُ أمّك يا جنينُ كثيفة ... شتّى وأمك يا جنينُ وَلود
صبرا على ليل الحياة وطوله ... حتى يشق من الصباح عمود
من مات لا ريب استَهل فلا تخف ... الموت دنيا واللحودُ مهود
يا موت خوّلتَ ابنَ آدم راحةً ... ما بعد جودك لابن آدم جود
في القبر نُزّل طيّبٌ وكرامة ... كبرى وظل وارف ممدود
والناس أطهرُ في القبور جبِلّة ... ولو أنّهُمْ رِمَمٌ هناكَ ودود
كم قدروا فوق التراب خلودهم ... طمَعًا وما فوق الترابِ خلود
ملَكَاتهم هَلَكَاتهتم. وهِبَاتُهم ... هَبَّاتُهم بالعقل وهو مؤود
ضاق الرعاة السّائسُون بعقلِ مَن ... في طبعه مثل البعير ندود
لا تعثُ ويحك يا ابن آدم مفسدًا ... إن الحياة محارمٌ وحدود
تَدرى إلى من أنتَ فيها كادح؟ ... أم أنتَ فيها للإله كنود؟
السعي أروى للنفوس، فقل لمن ... ورد المنى أعلى السّراب ورُود؟

والسعي شتى فالعباد جهودهم ... كجلودِهم بيضٌ تَبينُ وسُود
ويحي على قلبي دهته قوارع ... وعدته دنيا نَضرة وسعود
لا تركنَنَّ إلى السعود فطبعها ... كالغانيات تبرُّمٌ وصدود
كم فاقدٍ فردَوْسه متحسِّرٍ ... وشبابُه فردوسه المفقود
ذوت الخمائل من صباه وصوَّحت ... لم ينجُ من تلك الخمائل عُود
يا دهر عاجلت الصبا بالقطف لَمْ ... يُزهر، ولم يُثمِر به عُنقود
لا تنكر الدعوى عليَّ مُعارِضا ... رأسي عليك وعَارِضَايَ شُهود
فكأنَّ هذا الهمِ منكَ جهنمٌ ... وكأنَّ هذا الشيب منك وقود
أسفى على مسعايَ في ظل الصِّبا ... أيامَ لم تُنهك قوايَ جهود
أيامَ أرتشفُ المُنَى معسولةً ... وأمِيسُ في الرَّغبات وهي بُرود
الحظ واف والغرِيزَةُ خِصبة ... والعيش صافٍ والزمان وَدُود
فعَلَيْكَ يا عهْد الشباب تحيَّة ... فيْحَاء ما تلت العهودَ عهود
في الكأس فضلٌ منكَ فيه لذاذةٌ ... وتعِلَّةٌ مازلتُ عنه أذود
ما كنتُ أوثِرُ أن أذودَ يدَ الأذَى ... لو لا مطامح للعُلا وقصود
وأمانة لله قمتُ بحملها ... جسمي بها متحطِّمٌ مهْدود
وأثارة عظمى وكنزٌ خالد ... ومحلَّة غيداء حينَ أَرود
وطني الذي همُّوا بِهِ ودليلُه ... كدليلِ يوسفَ ثوبه المقدود
لا يأمنوا صبَّ العذاب عليهمو ... فرعون أعْتى منهم وثمود
آليت ما للحادثات مبارِز ... إلاَّ على أعقابه مردود
يا قلب مالك لا تعتِّم خافقا ... يا طرْفُ مالَك بالدموع تجود
الله أوفى الواعدين وكم خلت ... منه بنصر الصابرين وعود
فلعل أيام المَشائم تنتهي ... ولعل أيام السُّعود تعود

الصّحوُ

(انقطعت الثلوج على عاصمة الجزائر برهة من الزمن، ثم هطلت بغزارة حتى غطت المنازل والشوارع. فلما بدأت هذه العاصفة تنقشع، حرك منظرها شاعرنا محمد العيد، فسجل إحساسه في هذه القطعة).
وقد نشرت في مجلة (الشهاب) سنة 1935م

أصحُ قلبًّا فوجدُك اليوم حقُّ … إن وجهَ الطبيعةِ اليومَ طَلْقُ
زانت الجونةُ السَّماء فزالتْ … ظُلُمَاتٌ بها ورَعْدٌ وبَرق
وبدَا النُّور من وراء الغَيابات … فما في خلالها اليومَ وَدْق
وبدَا البحر ساكنًا غير موّجات … علَتها طيرٌ أبابيلُ بُهْق
وأرىٰ الثلج ذاب إلاَّ بقيَّا … ت بها الدورُ تُوِّجت فهي بُلق
خالعاتٍ علىٰ الرُّبىٰ حُلَلًا بيـ … ـضًا بدتْ تحتها غلائلُ زُرْق
وإذا الأرضُ كالسماء رُوَاءً … ليس بين السَّماء والأَرض فرْق
فكأنَّ الثلوجَ في الأرض غيْمٌ … وكأنَّ الرياض في الأَرض أفْق
هكذا كان أولُ الصحْو رَسْم اللـ … ـه، في لَونه جمالٌ وعُمْق
هام طرْفي به وأسلَم قلْبي … مذعنًا أنَّ قُدرةَ الله حَق

لوح الخيال

قصيدة في وصف السينما الناطقة بالعربية، نظمها الشاعر بعد مشاهدته لفيلم (أنشودة الفؤاد). وقد نشرت بمجلة الشهاب ج: (7) م: (8) في ربيع الأول 1350هـ جويلية 1932م

أنت دنيا ما أنت لوح خيال ... ما على العلم غايةٌ بمحال
أنت دُنْيا عريضةٌ من بلاد ... وعبادٍ وأبحرٍ وجبال
بين حاليْ سعادة وشقاء ... وزمانيْ وداعة وقتال
في ملاهيكَ جدَّ للعيْن والأذ ... نِ ضُروب من الرُّؤى والأمالي
آنَ للذَّوق منك والشَّمِّ واللَّـ ... ـمسِ نوالٌ فجدْ لها بالنَّوال
ليس بدْعا أن يُحدث العلم فيها ... بكَ إلمامةً وبعضَ اتِّصال
جُمع الجيلُ فيك والجيلُ حتى ... صرتَ يا لوحُ مجْمَع الأجيال
صُورٌ من ممالكٍ قائماتٍ ... وتقاليدَ من هدًى وضلال
فكأنِّي أرى القيامةَ قامت ... وأرى الخلقَ مُهطعين حِيالي
فكأنِّي أرى شريطك عرْضًا ... فيهِ فُضَّت صحائفُ الأعمال
عِظْ به يا جمادُ من كان حيًّا ... فمقال الجماد فصْلُ المقال
هَوَّنَ الموتَ عالمٌ لك فيه ... كلُّ حيٍّ مخلَّدٌ بمِثال
والتقى حاضرُ الزمان بماضيهِ ... كأنْ لم يكنْ به من زوال
ووعى الناسُ ألسنًا منك شتَّى ... في مغازٍ علمية ذات بال
وتجلَّت فُصحى اللغاتِ كشمسٍ ... فخبا كلُّ كوكب مُتلالي
زانكَ الضَّادُ من لسان بديعٍ ... أيُّها الفَيْلَمُ البديع الجمال

فـهـو وحـيٌ إلـىٰ شـهـودك يـوحـىٰ ... مـن سـمـاء الـحِجىٰ وعرش الجلال
وبـدا الـشـرق فـيكَ للغرب مـرعًىٰ ... لـلـحـضـارات مُـخـصـبـا بـالـرجال
حـيٌّ قـوما أبـوا سوىٰ الكشف عمـا ... أودعَ الـشـرق مـن عـظـات غـوالـي
نـاولـونـا مـن الـكِـنـانـة سـهـمًا ... ومَـعـيـنـا من نِـيـلِـهـا الـسـيَّـال
تـلـك مـصـرٌ مـثوَىٰ الفراعينِ في المـا ... ضِـي ومـأوَىٰ بـنِـيـهـم فـي الـحـال
ضـل «أنـشـودة الـفـؤاد» فـؤادٌ ... لـم يـصـلْـهـا بـعـطـفـه الـمـتـوالي
نـسـم مـن جـوانـب الـنـيـل أفـشىٰ ... نـغـم الـنـيل تـحـت جنح الليالـي
نـمَّ عَـن مـائـه الـنـمـيـر وعـمّـَا ... حـولـه مـن مـآثـرٍ وخـلال
عُـرِفَ الـشـرقُ مُشرقًـا مـن قـديـم ... وجـديـد عـلـىٰ الـفَـلا والـتـلال
وكـأنّـي بـه أطـلَّ عـلـىٰ الـغـر ... ب مـع الـشمس ضاحكًـا عن لآلـي
وكـأنّـي بـالـغـرب أذعَـن لـلـشـر ... قِ اعـتـرافًـا بـمـا لـه مـن كـمـال

عامان مقبل ومدبرْ

نشرت في جريدة السنّة سنة 1933

غشيَ الليل أم جلا؟ ... لستُ أدري بما تلا
قد مضى العام مدبرا ... وأتى العام مقبلا
وهوى العامُ كوكبا ... بشرار مذيلا
ساء مساء في الأخيـ ... ـر، وأن سرَّ أوَّلا
جدَّ كالثوبِ واعترا ... هُ على اللابس البِلى
وسقى الناس غِبَّ حَنْـ ... ـواهُ سُمًّا فجدَّلا
مجمَل القول أنه ... كان حوْلا محوَّلا
أيها العامُ سُؤْتَ فيـ ... ـنَا مَقاما ومرحلا
لم تكن مجملًا فخذ ... عنّيَ العَتْب مجمَلا
أنا بالرغم منكَ لم ... أنوِ إلاَّ التَّحَمُّلا
عَلَّ في عامنا الجد ... يد مفازًا مؤمَّلا
جلَّ من ركَّب ابنَ آ ... دمَ جِسمًا وعدَّلا
بَرَأ العقل جوْهرا ... بالمعاني موَكلا
وطوى الغيبَ دونه ... فتَقَفَّى وأوَّلا
غُمَّ تدبيرُه على ... كلِّ عبدٍ وأشكلا
أيها الزائرُ الذي ... لا أرى عنه مَعدِلا
إن تصُنَّا فمرحبًا ... أوْ تُنَكِّلْ بنا فلَا...

منظر تاعس ناعس

نظمها الشاعر في مشهد من مشاهد البؤس الكثيرة في الجزائر
وقد رأى بعيني رأسه هذا البؤس الذي وصفه في هذه القصيدة

بدَا لعيني تاعسٌ ناعس على الثرىٰ في الصبح بالي الثيابْ
جاثٍ علىٰ الرجلين جاني الحشىٰ والظهرِ هاوي الجسم ذاوي الشباب
فهاج من حزني ومن لوعَتي كما يَهيج النارَ عُودُ الشقاب
ورحت من شعر إلىٰ عبرة والشعر والعبرة جهد المصاب
وقمت أدعوه علىٰ رأسه لعلني أحظىٰ ببعض الجواب
يا أيها الأوي إلىٰ حفرة في سفح طود عند ملْقَىٰ الشعاب
يا أيها الهاوي علىٰ وجهه تحت أديم الجو فوق التراب
يا أيها المُلْتمُّ في طمره كالقنفذ أنهالت عليه الكلاب
هوِّن من الغم عليك فما أحسـ ـب إلاَّ منه هذا الضباب
أَنَومُكَ الآن خِداع لنا أم لكَ أمْ أنَّك صلب الإهَاب؟
لا تفعل الأحجار ما نمت في جنبك والأحجار صم صلاب
هل أنت إلا بشر مثلنا أم أنت جنٌّ زال عنك الحجاب
لا بل فقير لم تجد رحمة عند ذوي (الفيلات) ذات القباب
بطونهم ملأىٰ وأكياسهم وأنت خاوي البطن خالي الوطاب
ونومهم طاب وإحساسهم وأنت مرتاع بقفر يباب
طواك عسف الدهر في حفرة بجانب الطود كطي الكتاب

أقمت فيها سائر اليوم في ضنًى وفقرٍ وعنًا واكتئاب
حتى إذا آن أوان الكرى وصار جنح الليل مثل الغراب
غضضت من عينيك مستغفيا والسهد في عينيك قِطر[1] مذاب
وملت مثل القوس موتورة بنبلها مشهورةً للضراب
منكَّس العنق إلى الأرض من همِّك والهمُّ مُذِلُّ الرقاب
كأنما ليلك عيش امرىء منذر قوم ما لهم من متاب
كأنما عينك في سهدها عيْن علينا راصد كل باب
شاهدتُّ من شخصك ما راعني ونالني منه أسى واضطراب
أبعد ما روَّعتني مصبحا يلذ لي الطعم ويحلو الشراب
أقسمت ما في العيش من راحة سوى منًى خلَّابة كالسراب
والناس ويحَ الناس في وقفة أوجيئة حول المنى أوذهاب
والنفس فيهم حُكِّمت فهي لا تفتأ تدعوهمْ إلى كل عاب
أما إذا أمعَنت في مكرهم فإنه والله شيء عجاب
مكر يحاكي الصدق في وضعه وباطل منهم يحاكي الصواب
لو لا الهدى من بعض أهل الهدى أقسمت ما في الناس إلا الذئاب
هل آن لي الظعن فقد ضاق بي مكثي على رغمي بهذا اليباب؟
كيف يطيب العيش في معشر شدُّوا عن المسكين فَضْلَ النصاب؟
كأنهم ليس لهم ذمة وليس فيهم مؤمن بالحساب
يا أيها المُثْرُونَ هبُّوا إلى إسعاف أهل الفقر فالفقر ناب
ونال من إخوانكم واحتوى عليهمُ والفقر أسُّ الخراب

(1) القطر: النحاس الذائب.

فاستصرخوا الهمة في برِّهم وأيدوا في الخير كل اكتتاب
وأكرموا في الله سبحانه عباده يكرمكم بالثواب
ومن يكن لِلَّه إنفاقُه ينل به الزلفى وحسن المَئاب

نشرت بـ (الشهاب) ج: (11) م: (6) غرة رجب 1349هـ ديسمبر 1930م.

وداد

عرض في عاصمة الجزائر فيلم (وداد) العربي، فنظم الشاعر قصة الفيلم في هذه القصيدة بعد مشاهدته له.
نشرت في جريدة البصائر سنة 1937.

إن رمتَ تُجزى عن يدٍ   بيدٍ جَزاءً لن يَضيعْ
فاشكرْ كما شكرَتْ (وِدا   دُ) فضلَ مالِكها الوديع
إذْ أدْبر العيشُ المُريـ   ـحُ وأقْبل العَيشُ المُريع
وابتاع سيدها الفتى   ما ابتاعَ بالدَّيْنِ الفظيع
وأراد تأمينَ المَبيـ   ـع فعَزَّ تأمينُ المَبيع
قالتْ لهُ: بعْني وهَبْ   ثَمَني وإخلاصي شَفيع
لا أستطيعُ أراك كَـ   ـلاًّ مُفْلِسًا لا أستطيع
بيعت (وِداد) بالمَزا   دِ وقلْبُها دَام وَجيع
ومضت وَراءَ المشْتَري   فَمَضَتْ بألباب الجَميع
يا من رأى الظبْيَ الأغَـ   ـنَّ بغارَةِ الذُّؤْبانِ رِيع
خَلْقٌ بديعٌ كالملا   ك يَزينُه خُلُقٌ بديع
وإذا بسيِّدها الجديـ   ـد أصابه مرضٌ سريع
وبِعتقها أوصى لِمَا   حازتْه مِن أدب رفيع
وقَضى فخفَّ الطيرُ مُنْـ   طلقًا إلى حِصن منيع
وانسلَّت الزَّوْجُ المُطيـ   ـعةُ تَنْشُدَ الزوجَ المطيع
فتلاقَيا بعد الإيا   سِ وهكَذا يُرعَى الصَّنيع

شاعرية الرصافي

وقف الشاعر على كلمة تحت هذا العنوان في مجلة (الصباح) عن سقوط شاعرية (معروف الرصافي) واستنكار شعره في العهد الأخير، وفيها أن صحيفة (بغداد) العراقية نشرت مقالا في الموضوع جاءت فيه هذه الكلمة..

(ما سمعنا بشاعر مات قبل أن يموت إلا الأستاذ الرصافي..)

فاستنكر هذه الكلمة الجافية، وتصور ما يكون لها من الأثر السيئ في قلب الرصافي لو وقف عليها، وأسف كثيرا لنضرب شاعريته الفياضة وتجرؤ محرر (بغداد) عليه بتلك الكلمة الجارحة، ولم يملك نفسه إزاء هذه المأساة القاسية، عن الاندفاع بهذه الأبيات الشعرية.

نشرت في العدد 26 من جريدة البصائر سنة 1936.

جفاك الشعرُ يا (مَعروف) شيخًا ... وطيبَ فتًى به وصلاً وطابا

رأيتُ الشعرَ أشبهَ بالغواني ... يَخصُّ بصادق الحب الشَّبابا

رثيت لشاعرٍ في الشَّرق فحْلٍ ... خَبَا في الشعر طالعُه وخابا

ونَاءَ بِعِبْئِهِ حِمْلاً فأزرى ... شباب الرافدَيْن به عتابا

أقيلوه العثار فكيف يجْزَى ... أبُوكم في عَوَاقِبِهِ عِقابا...

أبٌ بِاسْم (العراق) سَمَا عريقًا ... وفي أفق (السَّواد) نَما شِهابا

أتعرفُهُ العشيرةُ وهو كهلٌ ... وتُنكرهُ العشيرةُ حين شابا

وطَبْعُ الناس نِسيانُ الأيادي ... إذا ما غاضَ مَوْردُها وغابا

فقل للشاعر المزْرَى بعيبٍ ... ستَخلُدُ رغمَ مَن أزرَى وعابا

ومهما لمْ يُثِبك ذووك فاصبر ... ستلقَى عند خالِقكَ الثَّوابا

دمعة على القمر الخاسف

نشرت في العدد 4 من جريدة البصائر سنة 1936.

يـــا لـلـعِـبَـرْ   خَـسَـفَ الـقَـمَـرْ

***

مـــاذا دَهَـــى   زَيْـــنَ الـبـهـا؟
غَـشَّـى الـحَـلَـكْ   وجْـهَ الـفـلـك
وعَـرَا الـكـدر   صـفْـوَ الـبَـشَـر
يـا لَـلـعِـبـر   خـسَـف الـقـمـر

***

مَـن ذا رَمَـى   مَـلِـكَ الـسـمـا؟
الـعـصْـفُ قـامْ   يُـزجِـي الـغـمـام
والـنـجـم خَـر   يَـرمـي الـشَّـرَر
يـا لـلـعـبَـر   خـسـفَ الـقـمـرْ

***

مـا لِـلـسـدم   سـود الأدُم؟
مـا لـلـجِـواء   رُبْـد الـهـواء؟
لـقـي الـبـصَـر   فـيـهـا الـحَـسَـر
يـا لـلـعِـبـر   خـسـف الـقـمـر

كـــــمْ شـــائِـنـــات فـــــي الـــكـــائنات
قـــــــل لـــلعيـــون غُـــضِّـــي الـــجفون
ســـــــامَ الـــعَـــوَر أَسْـــمَـــــى الـــصُور
يـــــــا لـــلعِـــبـــر خـــســـف الـــقـــمـــر

***

جُـــــــارَ الـــمِـــلاكْ مـــــــاذا عَـــــــلاك؟
مـــــــاذا أحَـــــــالْ مِـــنْـــكَ الجمـــال؟
هـــــلا ســـفَـــر ذاك الـــــخَـــفَـــر
يـــــا لـــلعِـــبـــر خـــســـف الـــقـــمـــر

***

مـــــــاذَا جـــــرَىٰ لابـــــنِ الـــسُّـــرىٰ؟
كـــشَـــف الـــشِّـــعـــاب وهــــــدَىٰ الـــرِّكـــاب
وقَـــفَـــا الأثَـــــر حـــتَّـــىٰ عَـــثَـــر
يـــــا لـــلعِـــبـــر خـــســـف الـــقـــمـــر

***

نـــــزل الـــخُـــســـوف بـــــأخِـــي الـــشُّـــفوف
فـــــإذا الـــحِـــدادْ يَـــعـــلـــو الـــبـــلاد
وكـــــذا الـــغِـــيَـــرَ تَـــبْـــلُـــو الـــخـــيـــر
يـــــا لـــلعِـــبـــر خـــســـف الـــقَـــمـــر

***

أمِن التُّراب هذا الحِجاب
كيف أستطال عبْد النعال
أعيِيا النظَر سرُّ القدر
يا للعبر خسف القمر

***

ذاتَ البُروج آنَ العُروج
هل مِن مَقِيلْ يُؤوِي النَّزيل
طال السَّفَرْ فمتَى المَقر؟
يا للعِبر خسف القمر

آفة العين

نشرت في العدد 8 من جريدة البصائر سنة 1936م

مـــا لـطـرْفـي رَنَـا حـولَـهُ فـافْتَتَنْ
سـامـنـي فـي الـدُّنَـا بـالـضَّـنى وامتحَن
يـا مُـذيـقِي الضَّـنى لا طـمـعـتَ الـوَسَن
يـا لِـرام رمَـا نِـي بـقـوْسَيْن
آفَـةُ الـعين مَا آفَـةُ الـعَيْن!

***

رغـبـةُ الـعـين قَـدْ طـوَّحـتْ بـالـنَّاس
جـرَّعـتْـنـا الـكـمَدْ أوْردَتْـنـا الْـيَـاسْ
عِـلـةٌ فـي الجسـدْ بـدَأتْ بِـالـرَّاس
فـسـقـتْ آدمَـا عـلْـقَـمَ الـبَـيْنْ
آفـةُ الـعـيـن مَـا آفـةُ الـعَـيْـنْ؟!

***

نـظـرةٌ عـن سـؤالْ نـظـرةٌ عـن رَجـاء
فـإذا الـرُّشـدُ زالْ وإذَا الـغـيُّ جَـاء
فـافـتـكِـرْ فـي الـمَـالْ إن أردتَ الـنَّـجـاء
لا تُـشِـرْ لِـلـحِـمَـا مِ بِـهُـدْبَـيْـن
آفـةُ الـعـين مـا آفـة الـعـيْن!

***

خَائنات العيون ... رأفةً بالْجَارْ
من وراء الجُفونْ ... أنفسٌ أطهارْ
سُقْتها لِلمُجون ... والخَنَا وَالْعارْ
إنَّ هتْكَ الحِمَى ... ليسَ بِالْهَيْنْ
آفةُ العين ما ... آفةُ العَيْن!

***

يا أخا العين لاَ ... تَغْتَرِرْ بِالصُّوَرْ
إنَّها لِلْبِلَى ... أجَلَتْ والْحُفَرْ
فَادَّرِعْ لِلْمِلاَ ... ح بِغَضِّ البَصَر
ذُدْ وَلَوْ بالعَمَى ... غَارَةَ الزَّيْنْ
آفةُ العين مَا ... آفةُ العَيْن!؟

***

يا فُؤادًا صقَلْ ... لوْحَهُ الصَّقَّالْ
لا تُجارِ المُقَلْ ... إنَّها ضُلاَّلْ
كَاذِبَاتُ الأَمَلْ ... خائِبَاتِ الْفَالْ
عفَّ كيْ تَسْلَمَا ... مِنْ أذَى الرَّيْن[1]
آفةُ العينِ مَا ... آفةُ العَيْنْ!!

***

(1) الرين: كالصدا يغشى القلب. وفي القرآن الكريم: بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

المرء في حقيقته المجردة

نشرت بالعدد (159) من جريدة البصائر في 31 مارس 1936م.

المرءُ ما المرءُ سَليل الثرىٰ ... لاَ غَرْوَ أَنْ يُشبهَ جُلمودَهُ

عالَجهُ الرُّسْلُ بتأديبهمْ ... فلم يُلِن تأديبُهُم عُودَه

لا يخدم المرءُ سوَىٰ نفسه ... ولو حوَىٰ في الخلق مخْودَه

قد يفعل الخيرَ له معلِنًا ... وليسَ فِعلُ الخير مَقصودَه

ويُوسِع الكلَّ بإحسانه ... رِفدًا لِيستَعْبدَ مَرفُودَه

من أَثَرةِ النفسِ ومن حُبِّها ... محبَّةُ الوالِدِ مَوْلودَه

لاَ تحمدِ المرءَ لمشهوده ... فغيْبُهُ يُنْكِرُ مَشهودَه

إذَا أطاعَ المرءُ ذا دَعوة ... فبَأسَهُ يلحَظُ أَوْ جُودَه

لَوْ لَمْ تكن نارٌ ولا جنَّةٌ ... لَمَا أطاع المَرْءُ مَعْبُودَه

أين "ليلاي"

أينَ (ليْلايَ) أينَها
حِيلَ بيْنِي وبيْنَهَا
هل قَضَتْ ديْن مَن قضَى
في المُحبِّين دينها
أصلَتِ القلبَ نارَها
وأذاقتْه حَيْنَها
مذ تعرَّفت سرَّها
وتَعَشَّقْتُ زيْنها
روَّعتني ببيْنِها
لا رَعَى الله بيْنَها
فتعلَّقتُ بالطُّيو
فِ اللواتي حكيْنَها
وتعلَّلْتُ بالمُنى
فتَبَيَّنْتُ ميْنَها
مالِ(لَيْلايَ) لم تَصلْ
مُهَجاتٍ فَدَيْنَها
وقلوبا علقْنَها
وعيونا بَكَيْنَها

ايـــــه يــــا عـــيـــنِــــيَ أذْرِفــــــي
لـــــنْ تَـــــرَيْ بـــعـــدُ عـــيـنَـــهــــا
الـــسَّـــمـــــــــــــاواتُ والأرَا
ضِــــي جـــمـــيـــعًـــــا نَـــفَـــيْـــنَـــهــا
كـــــمْ تـــســـــاءَلـــــتُ ســــالــــكًّــــا
أنـــهُـــجًّـــــــا مـــــــا حَــــويـــــنَـــــهـــــا
لـــم يُـــجـــبْـــنِـــــي سِـــوَىٰ الـــصَّـــدىٰ
أيـــــنَ (لـــيـــــلايَ) أيـــنـــهـــــا؟![1]

(1) نشرت في (الشهاب) ج: (7) و(14) في سبتمبر 1938م بتعليق الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، هذا نصه:

جاء في «الأغاني» ج: 3، ص: 291 مايلي:

«أخبرني عمي، قال حدثنا الحزنبل عن عمرو ابن أبي عمرو وقال.. بلغني أن الحسن بن زيد دعا بابن المولى فاغلظ له وقال: أتشبب بحرم المسلمين، وتنشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأسواق والمحافل ظاهرا؟

فحلف له بالطلاق أنه ما تعرض لمحرم قط ولا شبب بامرأة مسلم ولا معاهدة قط.

قال فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك؟ فقال له.. امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه، سميتها ليلى لأذكرها في شعري. فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال:

إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت.

فمن هي ليلى شاعرنا يا ترى؟ ليست له قوس ولكن له مروحة، فهل يعني هو الآخر مروحته؟ إن محمد العيد الذي يشعر شعور لشعب ويتخيل خيال الشعب، لا تشغله قوس ولا مروحة ولكن لا تفتنه – وهوالبلبل الغريد في قفص...– إلا الحرية فهل يوافق على هذا بعض من ينقصهم شيء من السياسة ليفهموا؟

وقد أيد الشاعر هذا أخيرا في قصيدته الطويلة «ملحمة الثورة والاستقلال» فقال:

لـيـلاي فـيـك تـعـطـفـت بـوصـالـهـا!!   فـشـفـت بـه مـجـنـونـهـا الـمـسـتـهـتـرا

قوسُ قزح

"قوس الله لا قوس قزح" حديث شريف

نشرت في البصائر سنة 1939.

أنظر إلى الأُفُق ضَحا بكلِّ لون وَضَحَا
تفتَّح القلبُ لإشـ ـراق به تفتَّحا
أنظر إلى قَوْسٍ بدا في عَرضه مستملَحا
من نوره قَدَحْتُ زَنْـ ـدَ الفكرِ حتى انقَدحا
وشَّى به ذاتَ البُرو ج ربنا ووشَّحا
لا غرْو أن تزهوَ كالـ ـخود به وتَمْرَحا
كأنَّه أرجوحةٌ فيها السَّحاب ارتجَحا
أو خَنجرٌ به القضا ءُ في الفَضاء طوَّحا
أو صَولَجانٌ في السما ء بالسلام لوَّحا
أو ذيْلُ طاوُوس بها في خُلدها تفسَّحا
أو كمُّ حوْراءَ به تُومي إلى من صَلحا
أو مِحْجَنُ الدهر على الـ ـأرض بِهِ ترنَّحا
أو قوسُ نصر وسِعَ النجْـ ـدَ بها والأَبطَحا
أو فُلكُ بحرٍ معلَم الرأ س إلى الحجِّ انتحى
قوس أغَرُّ جلَّ عن أشباهِه ورجحا
قد أطلق الشاعرُ فيـ ـه طَرْفة وسَرَّحا

لاَ كـــنَّـــهُ سُــرعـــان مـــا لاحَ لـــــه حـتَّـــىٰ أمَّـحَـىٰ
وغـــابَ عـنــه بـارحًــا يـــا لـيـتَـه مـا بـرِحـــا

***

يـا قـوس حيَّـرتَ الـنُّـهـىٰ فـمـن رآك سـبَّـحـا
لـــو وَجـدَ الإفـصاحَ عنــــك واصـفٌ لأفـصـحـا
ســـرُّ الـطـبيعـة اسـتَـوَىٰ فـيـه (إيـاسٌ) و(جـحـا)
سـبـحـانَ مَـن بـكَ جَـلا عـنَّـا الأَسَـىٰ وزَحْـزَحـا
زان بـكَ الأُفـقَ كـمـا زان الـصـباحَ بـالـضُّـحـىٰ
أراك قـــوْسَ الله مــا أراك قَـــوْسَ قُـــزَحـــا

يا ليل

نشرت في العدد 145 من البصائر سنة 1951م

يا ليلُ طُلْتَ جَناحا ... متى تُريني الصَّباحا
أرى الكَرى صدَّ عنِّي ... بوجهه وأشاحا
أمسَى عليَّ حَراما ... ما كان منه مُباحا
قد ضقتُ بالهمِّ ذرعًا ... وما وجدتُ انشراحا
ملَّت فراشِيَ نفسِي ... واستوحشتْ منه ساحا
كأنَّني رهنُ سجن ... لم أرجُ منه سَراحا
كأنَّ تَحتي شوكا ... يشُوكني أوْ رماحا
أبيتُ وسْنان مُضْنًى ... أرجو المنى أن تُتَاحا
ظمآنَ أنشُد ماءً ... يَشفي الغليل قَراحا
أجيل بالرأيِ فكري ... كمن يُجيلُ القِداحا
وانظم الشعر وَرْدًا ... ونرجِسًا وأقَاحَا
تأبَى البَلابلُ إلاَّ ... تَرنُّمًا وصُداحا
وقد أرى الجِدَّ أجْدى ... فأستحبُّ الكِفاحا
وقد أرى الصبر أوْلَى ... فأطمئن ارْتياحا
وقد يَهمُّ فؤادي ... بأن يطيرَ جِماحا
وقد أسرُّ بكائي ... وقد أضِجُّ نُواحا
ولا يقِرُّ قَراري ... إلاَّ إذا الدِّيكُ صاحا

أرىٰ أخا الشعر يسْعىٰ ... ولاَ يُصيبُ نَجاحا
موكَّلاً بخيال ... في جَوِّه الرحْب ساحا
يخطو به خَطوات ... إلىٰ الأمام فِساحا
لكنَّها خائبات ... نِهايةً وٱفتِتاحا
في قلبه نَزَواتٌ ... مثل الزِّنادُ ٱنقِداحا
وفي حَشاه سِهامٌ ... قد أثْخَنتْه جِراحا
أتىٰ السَّرابَ ليَرْوَىٰ ... يا ويْحَه وٱسْتماحا
فلَم يرَ السُّؤْلَ جِدًّا ... حتىٰ اسْتحال مِزاحا
فلا جُناحَ عليه ... في يأسِه لاَ جُنَاحا
أَقْبِحْ بآمال نفسي ... وإن تبَدَّت مِلاحا
قد أوْثقَتْني كتافًا ... فما ٱستطعتُ بَراحا
كَتَمْتُها منذ حين ... لكنْ بها الشِّعرُ بَاحا
إن الشعورَ لَداءٌ ... أضرَّ بي وأطاحا
من لا شعورَ بشيء ... لهُ نَجَا وٱسْتَراحا
يا ليلُ أسرفتَ بَرْدا ... وظُلمةً ورِياحا
أطفىء حُروبَك عنَّا ... ولا تزِدْها لِقاحا
وقِفْ لنعقِدَ حِلْفا ... ما بيْننا وٱصْطِلاحا
إنَّا عليكَ ٱقترحْنا ... فما أجبتَ ٱقتراحا
يا ليلُ ما فيك نجمٌ ... جَلا الدُّجىٰ وأزاحا
إلاَّ كواكبَ حيْرَىٰ ... لم تَتَّضِحْ لي ٱتِّضاحا
بطيئة لستُ أدري ... بِها وَنَىٰ أمْ كُساحا
تحكِي أَدِلاَّءَ قومي ... مَرْضَىٰ تَسُوسُ صِحاحا

مـن غِـلْـمَـةٍ تَـتَـمـارَىٰ — وشِـيـخَـةٍ تَـتَـلاحـىٰ
وذُوا الـنِّـزاعَ فـكـانـوا — مِـثْـلَ الـكِـبـاش نِـطـاحـا
أخـشَـىٰ عـلـىٰ الـشَّعب هلْكـا — يُـبِـيـدُه وَاْجْـتِـيـاحـا
مِـن أَلْـسُـنٍ قـاذفـاتٍ — تَـرْوِىٰ الـقـبـيـحَ فـصـاحـا
وأنـفُـسٍ خـائـنـات — تـهـوَىٰ الـخـنَـىٰ والـسِّـفـاحـا
ومـن قـوانـيـنِ جَـوْر — سُـلَّـتْ عـلـيـهـا صِـفـاحـا
ومِـن شـقـاء مُـلِـحٍّ — غـدَا عـلـيـه وَرَاحَـا
مِـنْ أَيـن يُـفْـلـح شَـعـبٌ — أبـىٰ الـهُـدَىٰ والـصَّـلاحـا
خـاضَ الـمـيـاديـن دَعْـوَىٰ — فـأعـقَـبَـتْـه اَفْـتِـضـاحـا
لأنـه لـمْ يُـهَـيِّء — غـيـرَ الـكَـلام سِـلاحـا
إن كـنـتَ اعـزَلَ فـارْقُـبْ — مـن الـمُـغـيـر اَكْـتِـسَـاحـا
لا تـنـتَـظـرْ مـنـه خـيـرًا — ولا تـرجُ فَـلاحـا
وإن يَـعِـدْكَ بـخـيْـر — يَـكْـذِبْ عـلـيـكَ صُـراحـا
إن قِـسْـتَـه بِـ (سَـجَـاح) — فـي الـكِـذْبِ فـاق (سَـجَـاحـا)
فـايْـأسْ ولا تَـتَـرقَّـب — مـن الـمُـغـيـر سَـمَـاحـا
الـيـأسُ يُـعـقِـبُ رَوْحًـا — لِـلْـيَـائـسـيـن وَرَاحـا
والـيـأس بـالـحـرِّ أَحْـرىٰ — مـن أن يَـؤُمَّ شِـحـاحـا
يـا لـيـلُ كـم فـيـك عـادٍ — داس الْـحِـمىٰ وَاَسْـتَـبَـاحـا
إلـىٰ مـتـىٰ أنـت داج — تـغـشَـىٰ الـرُّبَـىٰ والـبطـاحـا
نـفْـسِـي إلـىٰ الـفَـجْـر تـاقـتْ — مـتَـىٰ أرَىٰ الـفـجـرَ لاحـا؟
مـتـىٰ جـنـاحُـك يُـطْـوىٰ — يـا لَـيـلُ طُـلْـتَ جَـنـاحـا!

يا هزاري

نشرت في العدد 170 من جريدة البصائر سنة 1951

ناجِني نجْوَىٰ أدَّكارِ وأشْدُ لي ليلَ نهار
قد دنا فكُّ الإسارِ يا هَزَاري
عبثا أبكي وتَبكِي شجَنا تارةً سرًّا وطورًا علنا
لم نجدْ في الأَرض من يَرثي لنا غيرَ واهٍ فيَّ مثلَ الزَّندواري
فاصْطَبر مثلَ اصْطباري يا هزاري
أنتَ رَمْزي وشِعاري أنتَ سيفي ذو الفِقَارِ
أنتَ مزمارِي وطَارِي يا هَزاري!
غير أنا فاتَنا نيلُ المُنىٰ فتولاَّنا فُتورٌ وعَنا
خِبْتَ فِي الشَّدْوِ كَما خِبتُ أَنا في حياتي فتمنَّيتُ احْتضاري
وتَبَرَّمْتُ بداري يا هزاري!
عاطِني كأسَ عُقار من عُصارات ابتِكاري
أنتَ ندْمانِي وجَارِي يا هَزاري
عاطِني من خمرةِ الأَمال جاما إن فيها نشوةً تُحيي العظاما
إن فيها لي بَرْدًا وسَلاما من لَظَى اليأسِ ومِن نَار الخَسَار
وادعُ لي ذاتَ الفَخار يا هَزاري!

أشـــرقــتْ مــثـــلَ الـــدَّراري ورنَــــت خــلْـــف الـــسِّـتـــار

تـرتـجـي خـوض الـغِـمـار يــا هَزاري!

إن تـكـن ولـهانَ فـيـهـا مُـسـتـهـاما فاقـتَـحِمْ مـعـقِـلَـها الوعْرَ اقْـتحامـا

أو تُـرد مـنـها الْـتـفـاتًـا وابـتـسـامـا فـتـرنَّـم بـأهـازيـج الـضَّـــواري

وتـهـيَّـــأ لـلـطَّـوارِي يـــا هَـــزاري!!

الشعرُ والأدبُ

أنـا ابـن جدِّي وقومي السادةُ العَربُ ... وحرفتـي ما حييت: الـشعرُ والأَدبُ
أنـفقت وقتِي فـي شـعـرٍ وفـي أدب ... لا شـغـلَ عـندي إِلاَّ: الشعر والأَدب
ولا غـذاءَ بـه أحـيـا بـغـير طَـوىٰ ... مـنعم الـبـال إِلاَّ: الـشعـر والأَدب
أسـالـم الـنـاسِ في عيشي فإن عمِدوا ... إلـىٰ خصامي فسيْفي: الشعر والأَدب
وإن دَعـانـي قـومِـي أن أنـاصرهـم ... فعُدَّتي فـي انتصاري: الشعر والأَدب
قـل لـلـمـلـوك مقـالاً من أخِي ثـقة ... دلـيـلُـه فـي الـحياة: الشعر والأَدب
لا مُـلْـكَ لا عِـزَّ فيمـا تـفْخرون بـه ... مـا الـملكُ والعزُّ إلاَّ: الشعر والأَدب
وقـل لِـمن هـام فـي مـال لـه لُـبَـدٍ ... ما المال ويـحَك إلاَّ: الشعر والأَدب
وقـل لـمن هـامَ فـي حبِّ الجَمال لقد ... أخطـأتَ إن الجمـال: الشعر والأَدب
وقل لـمن هام في رشْف المُدام هَوّىٰ ... ما نـشوةُ الـخلد إلاَّ: الشعر والأَدب
وربَّ عـاتـبـةٍ لـي فـي سـبـيـلهـمـا ... تقولُ لـي قد شجـاك: الشعر والأَدب
تـرجـو بـقـائِي بـلا شِعْـرٍ ولا أدب ... وما حـيـاتـي إلاَّ: الـشعـر والأَدب
فـقلت عـفِّي وكُـفِّي عـن مُـعـاتَـبتي ... مـا نِـعـمة العيش إلاَّ: الشعر والأَدب
لـقـد فَـنِـيـتُ غـرامًـا فيهمـا فهُمَـا ... رُوحي ومـا أنـا إلاَّ: الـشعـر والأَدب

وصف فوارة

(شاهد الشاعر فوارة بديعة الشكل في حديقة عامة بمدينة باتنة فوصفها بهذه القصيدة)!

يـــا حـــبَّـــذا عـــيـــنٌ تَـــفُـــورْ   حَـفَّـــت بـــحـــافـــتـهـــا الـــزهورْ
بـــاتـــت «بـــبـــاتـــنـــة» تُـفِـيـــ   ـــضُ عـلـىٰ سَـرائـرنـا الـــســرور
فـــي روضـــةٍ غـــنَّـــــاء قـــــد   غـــنَّـت بـــســـاحـــتـهـا الـطـيـــور
فـــي حَـــوضـــهـــا مـــاءٌ يَـجـــو   لُ كـــأنَّـــه فَـــلـــــكٌ يـــــدور
وتَـــرَىٰ الـفَـقـاقِـع كـالـكـــوا   كـب فـيـــه تـطـلُـع أو تَـغـور
وتـرىٰ بـــه الأَسـمـاك تـلـمــــ   ـــع كـالـلآلـئي فـي الـنُّـحور
تَـلـهـو وتـمـرَح لا تـحــــ   ـــس بِـحَـبْـسِـهَـا بَـيْـنَ الـصـخور
مـثْـل الـطُّـيـور الـغـاديـــا   تِ الـرَّائـحـات عـلىٰ الـوُكـور
بَـيْـنَـا مـيـاهُ فـي صُـعـو   دٍ إِذْ مـيـاهٌ فِـي حـدور
فـكـأنَّـهـا رُتَـبُ الـعِـبـا   دِ يُـديـرهـا صَـرْفُ الـدهور
أو كـالـرِّيـاح فـمِـن قَـبُـو   لٍ تَـاوحَـتْـكَ ومِـنْ دَبُـور
يـــا حـــبَّـــذا فَـــوَّارةٌ   نـضـحَـتْـك مـن مَـاء طَـهور
فـكـأنَّـهـا قَـارورةٌ   حـوَتِ الـرفـيـعَ مـن الـعـطـور
قـد ضـمَّـخَـتْـكَ وأسـكَـرتْـــ   ـــك ولا كـؤُوس ولا خـمـور
تـركـتْ شُـعـورك بـالـعَـبِـيـــ   ـــرِ يُـطـاوِلُ الـشِّـعـرَىٰ الـعَبور
يـــا عـــيـــنُ جـــدَّدت الـنَّـشا   طَ لـنـا وبـدَّدتِ الـفُـتـور
فـلأنـتِ أجْـمـلُ قَـيْـنَـة   غـنَّـت فـأطْـربـتِ الـحُـضور

هـذا خـريـرُك يـستفِـ زُّ بِـلـحـنِـه أهـلَ الـقُـبـور
صَلَّـتْ مـيـاهُـك لَـلالاَ ه صـلاةَ إشـراق ونُـور
فـكـأنَّهـا داوودُ فـي مِـحْـرابِـه يَـتْـلُـو الـزَّبـور
قـد جـئـتُ ظـلَّـك زائـرًا حَـسـبِي بِظِـلِّك مـن مَـزُور
فـوجـدتُ حُـسـنـا فـيـكِ لا يَـطْـغَـى عَـلـيَّ ولاَ يَـجُـور
مُـتـواضِـعًـا لا بـالـنُّـفـو رِ إذا اقْـتـربـت ولا الـفَـخُـور
الـحُسْـنُ فـيـك كـكَـهْـربا ء قَـويَّـة يُـذكِـي الـشُّـعـور
الـحـسـنُ فـيـك مُـجـدَّد بـيـن الـعـشيَّـة والـبُـكـور
الـحـسـنُ فـيـك مـمَـحَّـضٌ لا ريـب فـيـه ولا غُـرور
ولـربَّ ذِي وجْـهٍ جـمـيـ ـل نَـفْـسـهُ مَـأوَى الـشُّـرور
قـلْ لـلأديـبِ هَـوَى الـطَّـبيـ ـعةِ لا يَـحُـول ولا يَـجُـور
فـاهْـوَ الـطـبـيـعـةَ إنـهـا أمٌّ تَـحـوطُـك بـالـبُـرور
حـبُّ الـطـبـيـعـة طـاهـرٌ لا فِـسـقَ فـيـهِ ولا فـجـور

يا فؤادي

أطلتَ انتِقادي　　　فمهْ يا فُؤَادي
لقد ذُدتَ عنّي　　　لَذيذَ الرُّقاد
بوَخزك جنبِي　　　كوخْز القَتاد
وَوَرْيكَ نفْسي　　　كوَرْي الزِّناد
أفِي كل ليلٍ　　　بوَيْل تُنادي
كَأنَّك ثكْلَى　　　غَلَتْ في الحِدادِ
أبَى اللهُ إلاَّ　　　بَلاءَ العباد
بخلْفِ التَّمنّي　　　وعكْسِ المُراد
فمَا باخْتِياري　　　ضَيَاعُ اجْتهادي
وثقتُ بدهْري　　　لسُخفِ اعتِقادي
ومن فرْط حُمْقي　　　سَخائي بزَادي
وقصْدي صلاحًا　　　بأرض الفَساد
وعَرضِي نفيسًا　　　بسُوق الكَسَاد
هي الأَرضُ مهدٌ　　　لشَتَّى العَوادي
أرى ضُرَّ زيْدٍ　　　بها مِن زياد
وتفكيرَ سعْد　　　بها فِي سُعاد
أرى الغَيَّ يَفْشُو　　　بها في ازديَاد
وفي الدِّين داع　　　إلى الرُّشد هادي

ولـلّـــــه لـطـفَـــــا نِ خـــــافٍ وبَـــــادي
فمـــا خـــابَ مُـلْــقِ لـــــه بـالـقِيـــــاد
لـــك اللهُ فـــاصْـبـــــر بـــــدار الـــنــكـــــاد
فــكــــلُّ مـتــــــاع بــهــــا لـلـنَّــفــــاد
زمـــانُـــــك حـــــرْبٌ لـحُــــــرٍّ الــمــبـــــادي
وجِـيـلـــــكَ مُـغـــرًى بـجَـحْـــد الأيـــــادي
خَـفِ اللَّـــــهَ وارْقُــــبْ ثَـــوابَ الـمَـعَــــــاد

جمال الريف

في هذه القصيدة تظهر براعة الشاعر وقدرته على
الوصف بالرغم من أنه لم يكثر منه في شعره

هــزَّك للشعـر حـنات وأشـواقُ   وعـاودتـك حَـسـاسـات وأذواقُ
اليـوم صـدرُك لـلأفـراح مـنشـرِحٌ   فـمـا عـليـه مـن الأتـراح أغـلاق
أَقـمْ هـنيئًا فمـا فـي الـقلب موجِدة   ونـمْ قـريـرًا فـمـا بـالـعيـن إرّاق
حيَّتـك فـي البَدْوِ كـلُّ الكائنات به   الـريـحُ عـازفـةٌ والـروْض صـفَّـاق
والـحقْل مـحتفلُ الأشْجار من طرَب   تَـشِـدو وتَـهفـو بـه وُرْقٌ وأوراق
والـنهرُ في جـنَبات السَّفح منبَسطٌ   والـمـاء فـي جَـنبـات الـنَّهر رَقْراق
وفـي الـكـروم عنـاقيدٌ تـحفُّ بـهَا   كـأنـهـا فـي نُـحـور الغِـيـد أطواق
وفـي الـمـزارع قِـطـعـانٌ مـنـوَّعَـة   ضـأنٌ ومـعْـز وأبـقـار وأنـيـاق
تَـشْـدُو الـرُّعاة بسـوق للغنـاء بـهـا   ولـلـغـنـاء كَـمَـا لِـلـشِّـعـر أسـواق
لـهـم مـزامـيـرُ بـالألـحـان صَـادحة   كـأنـهـا فـي صَـدَىٰ الـوِديـان أبـواق
والوحْشُ سـلْوان في الغابات مُنطلقٌ   والـطـيـرُ جَـذلانُ في الأوكار زَقْزاق
والـشمـسُ زاهـرةٌ فـي كـل آوِنـةٍ   كـأن إمْـسَـاءَهَـا فـي العيـن إشـراق
والـبَـدرُ فـي الليـل يَبْدُوا زَاهِدًا وَرعًا   لـهُ إلـىٰ الله إخْـبَـاتٌ وإطـراق
أو عـاشـقًا سَـاهـرًا في الحيِّ مُنْفَردًا   وقـد غَـفَـتْ مـن رُعاة الحَيِّ أَحداق
يا سـاهـرَ الليل لا خَـانـتْـك بـاصِـرة   ولا عـدَاك عـلـىٰ الـغـافـين إشفاق
إنـزل إلـيـنـا قـلـيـلًا نـصْحبْ زمنًا   فـكلُّـنـا لـجَمـال الـبَدْوِ عُـشَّـاق

الكوخ أبهى من الأفلاك نيِّرة والقصر يعلو طاقٌ فوقه طاق

فقل لمن هو في نُشدان راحته إلى الحواضرِ بالجدان مُنْسَاق

دع الحواضرِ لا يَغْرُرْكَ زُخرُفُها فجوُّها قاتِمٌ كالغازِ خَنَّاق

واغْشَ البَواديَ تنْعَمْ في مَرابعِها عيْشًا ويُخْطِئْكَ إعْسَارٌ وإمْلاق

عيشُ البَوادِي نضيرٌ لا نظيرَ لَه وجوُّها لعُضال الدَّاء تِرْيَاق

فما كأوْدية البَادين أودِيةٌ ولا كآفاقِهِمْ في الأرض آفاق

أنظُر تجدْ خَلَلَ الأكواخ مائدَةً تَميد مِن فوقها بالرِّزْق أطْباق

مبسوطةً لبني الإنسان مُطلقةً على يدٍ كلُّها بسْط وإطلاق

يا ربِّ شُكْرُكَ حقٌّ لستُ أجحَده فَما سِواك لهذا الخير خَلاَّق

صوت من الغيب

نشرت في العدد (159) من جريدة البصائر 31 مارس 1936.

قــم هنّــئ الــعَــشَــائــرَا وأعْــلــن الــبــشَــائــرَا
وبــالــمنى فحدِّثِ النَّفْــ ـسَ وسَلِّ الخَــاطِــرا
فَيَوْمُنَــا الحاضــرُ لا يُشبــه أمْــس الــدَّابــرا
وعصرنــا الآتــي حَــر يٌّ أن يَــفــوقَ الــحَــاضِــرا
أرَى عــلى الأفقِ مــن الــ ـشَّــرقِ سَحــابًــا مــاطِــرا
يُوشــكُ أن يُنبتَ في الــ ـشَّــرْقِ نَبَاتًــا نــاضِــرا
أرَى أمــامِــي نهضــةً كُــبْــرَى وعــصــرًا زاهــرا
قــفْ بِــي أحدِّثْــكَ حديــ ـثًــا لِــي طريفًــا نــادرا
أتَــى رئــيٌّ الجِــنِّ فــي بعض اللّيالي شاعرا
كــأنّمــا هــو (شــصــا رٌ) إذْ أتَــى (خُــنــافِــرا)[1]
حــفَّ بــه فــي عالم النَّــ ـوْم ورَفَّ طــائــرا
ومــلأَ البيتَ على الــ ـشاعِــر طيبًــا عــاطــرا
فحدَّق الشاعــرُ فــي وجــه الــرَّئــيِّ حــائِــرا
مــاذَا أرَى؟ أرَى مُــحَــيّــ ـيًّــا كــالــصَّباح سافــرا
أرَى جــبــينًــا مُشرِق اللَّــ ـوْنِ وطَرْفــا فَــاتــرَا

(1) خنافر اسم كاهن من كهان العرب وشصار اسم رئي من الجن كان يأتيه بالأخبار في زعمهم.

أرىٰ قــوامًــا كــالـقَـضـــ ـــيبِ ســـادلاً غَـدَائِــرا
أرىٰ فتًـىٰ مـن فـتيـة الـغـــ ـــيْـبِ ســـادلاً غَـدَائِـرا
أرىٰ فـتًــىٰ مـن فـتيـة الـغـــ ـــيْبِ جـمـيــلاً ساحــرا
أرىٰ فـتًــىٰ يَـبْـسِـمُ عـــن ثَـغْـــر جَــلاَ الـدَّيَـاجِــرا
كـأنــه حـــقٌّ عَـقيــــ ـــقٍ مُـفْـعَـمٌ جَـواهِــــرا
يـحمِـل فـي أحضـانـــه الأَ غْـــرافَ والأَزَاهِــــرا
مــحْـنـيَــةً أهـــلَّـــةً مـثـنـيَــةً ضَـفَــائِـــرا
عـلـيـــه هـالــةٌ مِـن الـنـــ ـــور تَـسرُّ الـنَّــاظـــرا
يـا عـجبًـا تُـراهُ جِـنٌّـــ ـــنًـا أَمْ مَـلاكًـا طاهــرا؟
سبـحــان مَـن صَـوَّرَ لـــي هـــذا الـجـمــال الـبــاهـرا
يـــا زائـــرًا لـــم أرَ أبــــ ـــهَـىٰ قَــطُّ مِـنـــه زائــرا
يـــا مـالـكًــا عـواطِـفــي عـلـــيَّ والـمَـشَــاعِــرا
أراكَ أوتـيـــتَ مِـــن الـــ ـــنَّعْـمَـــة حـظًّـــا وافِـــرا
أرىٰ عـلـيـــكَ أثَـــرَ الـــ ـــيـمْـــن يـلــوح ظَـاهِــــرا
عـــساكَ مـعـلِـنًــا بـأنْـبَـ ـاء الـسَّـمـــاء جَـاهــــرا
قـــال.. أتـسمـعْ لـكَ مُـطـــ ـــيعًــا وأجِـبْــكَ شـاكــرا
قـــال .. طـويـــت عـــالَـمَ الـــ ـغَـيـب إلـيــكَ سـائــرا
مُـغـــــادرًا مـراتِـــعَ الـــ ـأرواح والـحَظــائــــرا
وحـامـــلًا إلـيـــكَ سِـــ ـــرًّا يـشـرَح الـسَّـرائـــرا
فـكـــن إذًا لِـمـــا سَـأُلْـــ ـــقيـهِ عـلـيــكَ ذاكـــرا
وكـــن إذًا لـــهُ مُــذِ يـعًــا فِـي الـبـلادِ نَـاشِـرا

سمعتُ صوتًا من غيا | باتِ الغُيوب صادرًا
قد آن لِلمُسْلِم أنْ | يَسْتَمْرِئَ الْمَصَائِرا
إنَّ له في صفحة الأرْ | ضِ لَرَسْمًا فاخِرا
يأبَى له الالاهُ أنْ | يبْقَى ذَلِيلاً صاغرًا
كونِي له يا أرضُ فِرْ | دَوْسًا كأمْسِ زَاخرا
كُونِي له أسِرَّةً | كُونِي له مَنابرا
غدًا يُذلُّ اللّه مَن | يطغَى عليك جَائِرا
غدًا يصيرُ كلُّ مَقْـ | ـهُور عليكَ قاعرا
وهاتفًا من قِبَلِ الْـ | ـعَرْشِ يَقول آمِرا
يا رُوحُ رُحْ إلى بني الْـ | ـأرْضِ وسِرْ مُبادرا
واْختر لهذا الشَّأن في | الأَرضِ سفيرًا ماهِرا
فلم أجد غيرَك لِلْـ | ـكَشْفِ عليه قادرا
ألستَ آسِيًا لأَهْـ | ـوَاء القُلوب آسِرا؟
إنَّ من الشعر لَوَحْـ | ـيًا يكشفُ الضَمائر!
فاستيقظَ الشاعرُ جَذْ | لاَنَ وقامَ بَاكرا
ولمْ يزَلْ يَدعو القُرى | لليُمْن والحواضرا
حتى نفى الشُّؤمَ من الأَ | رضِ وعادَ ظافِرا
ومن وعَى قاسَ على الـ | ـنَّظَائرِ النَظائِرا
يا شعبُ قمْ على الهُمو | م والشُّؤوم ثائرا
يا شعب جَدَّ الجِدُّ فَانْـ | ـهَضْ واكْسِبِ المَفَاخِرا
يا شعْبُ رض بالصَّالِحا | تِ أرْضَكَ الجَزائِرا

واتَّبَعْ بها معالمَ الأَ — جْداد والمَآثِرا
قد أنجَبَتْ وتنجِبُ الأَ — حْرار والحَرائرا
ما بَرَّ أمَّهُ الوَلو — دَ مَنْ يَراها عاقِرا
قل للأُلَى هَبُّوا إلى — داعِي العُلى نوافِرا
سيرُوا على ضوْء اليَقـ — ين تأمنُوا المَعاثِرا
فالله خيْرٌ حافظًا — واللَّه خيرٌ ناصِرا
عسى الاله أن يكو — نَ لِلْكَسيرِ جَابرا
وأن يكونَ لحِمَا — هُ المُسْتَباح غَائِرا
فهو المعزُّ أوّلاً — وهْو المعزُّ آخِرا

اقتران أضداد

رأى الشاعر ذات مرة فتاة تضحك وتمسك بحمار لها فقال متسائلا:

فتاة ضحوك أمسكت بحمارها
أحُسْنٌ وقبح؟! كيف يجتمعان؟
إذا اختلفا في الحسن والقبح صورة
فما اختلفا في وحدة الحيوان
وكيف تمِيزُ الشيء إلاّ بضده
لذاك ترى الضدين يقترنان
تأمل ترَ الأضداد في كل كائن
فكم من قباحٍ قورنت بحسان
يشاهدها الانسان في كل حادث
وفي كل مرئي بكل مكان
فسلّم لمن أجرى – كما شاء – سنّةً
بديعة ضع من قديم زمان

يا بحرُ

يَا بحْرُ أفديك بَحرًا ملكتَ قلبيَ سحرا
بهرتني بصُنُوف من المفاتن كُبرىٰ
أرىٰ عليك مآت من المناظر تترىٰ
تبدو ميَاهك زُرقًا للناظرين وخُضرا
فليس لونَك ليلا كمثل لونِك فجرا
وليس لونك صُبْحًا كمثل لونكَ ظهرا
حاولت حَصرَكَ وصفا فلم أطق لك حصرا
يا بحر أنت أنيسي إن ضقتُ بالهم صدرا
حسبي جوارك إنِّي أرىٰ جوارك ذُخرا
أطريتُ حسنك مدحا يا بحر والحسنُ يُطرىٰ
أغريتَني بكَ حسنا فلم أزل بك مغرىٰ
من فيك يسبح جسمًا ففيك أسبحُ فكرا
مهما عَجبت لأمرٍ فأنتَ أعجب أمرا
يا أبيض العرض جرَّت لك الشواطئُ وزرا
على الشواطئ سَيْلٌ من الفضائح أزرىٰ
تلقىٰ الفتاة فتاها كلاهما فيك مُغْرىٰ
يكاشفانك فُحْشا ويُسمعانك هُجْرا

فالقلب من ذاك آس والعين من ذاك عبّري
أراك كَالنِّمر وثبا أراك كالليث زأرا
هل أنت ترقص لهوا أم أنت تطفح سُكرا
قد رقَّ جَوُّكَ لطفا وراق ماؤكَ طهرا
تَنوعت فيك فلكٌ بالنار والريح تُجرىٰ
فَفي الْمراسي قُصور قصر يشارفُ قصرا
وإن تغُصْ فأفَاع يَهَابُها الحُوت ذُعرا
سَريعة فيك سَبْحا ذَريعةٌ فيك مَخْرا
كأنها قَافلات تجْتَاز صَحْرَاء قفرا
فلم تَدع لك مرسىٰ لَمْ تَجر فيه وَمَسْرىٰ
ولم تدع لكَ جزءا لم تمتلكَهُ وشطرا
ولم تدع لك سطحا لم تَمْتَلكَه وقَعرا
فكنت للبعض حصنا وكنت للبعض قبرا
أخشىٰ غدًا فيه تغدو ازبادُك البيض حمرا
أخشىٰ وَغىٰ فيك تَحْمَىٰ فَتَقلب الماءَ جمرا
أمست مَراسيك ترعىٰ مَراصِدَ الشُّهْب سهْرىٰ
فيها دَوَارعُ غبرٌ تحوِي دوارع غُبّرا
ويلٌ لمن جاز حدا أو من تقدم شبرا
وكلُّ من رام حربا فإنما رام خسرا
يا أبيض الوجه نَالَتْ إفريقيا بك فخرا

نالت بفضلك خيرا ... من الجزيرة وَفْرا
فكم من الْعُرب غاز ... لها تخَطَّاك جسْرا
فقام بالدين فيها ... وبالفضيلة نشرا
وقائد فيك حُرٌّ ... سَاقَ الأعاجم أسْرى
والحُرُّ إنْ ثار يطْغى ... كالَّليث إنْ جاع يضْرى
أحب فيك ثباتًا ... على الخُطُوب وصَبرًا
أحبُّ فيك هُزُوءًا ... بالأقوياء وسُخرا
أحب فيك جَمالا ... من الطبيعة نضرا
أحب فيك أديما ... صفَا وأشْرقَ بشْرا
لأَنت بالحب أوْلَى ... من الحِسان وأَحْرى
فلست تخلف وعدا ... ولست تضمر غدرا
ولست تهتك عرضا ... ولست تكشف سترا
حب الطبيعة دأبٌ ... لكل من قال شعرا
أرى بك المَوج جُندًا ... أرى الشَّواطئ ثغْرا
ما أنشَبَ الموج حربا ... إلا تغلَّب نصرا
كم زنت بالحَلْي كفا ... وزنت بالحلي نحرا
من شم منك نسيما ... كأنما شمَّ عطرا
أوليتني منك فَضْلا ... فجئتُ أوليك شكرا
فَهَلْ إلى خير أرضٍ ... تُقِلُّنِي منك ظهرا
عساي أطْرح ذَنْبًا ... عَنِّي وأربح أجرا
عساي أقْرَى بدار ... في ظلها الحرُّ يُقْرَى

هَبَبتُ لو كنت ريحا وطِرتُ لو كنت نسْرا
إلى حمًى عربيٍّ يسمو به الحرُّ قدرا
بَرَاكَ باريكَ جَدْوَى للعالمين وذكرا
فكنتَ للرسم لَوْحًا وللطَّبيعه سفرا
يقلب الدهر صُحفا لديك يُمْنى ويُسْرا
نطالع الغيب فيها كمن يطالع جفْرا
أراك بالموج ترمِي صَخرا وتجذبُ صخرا
هل أنت للبرِّ خصم أو طالب منه وترا
كأن سطحك أفق يبدي كوَاكبَ زُهرا
البدر في الليل يجري أنواره فيك نهرا
والشمس في الصبح تُذْري فيك الأشعة تِبْرَا
هل الطبيعة صارت طبيعة فيكَ أخرى
كم ليلة بتَّ حولي كالفحل تَهْدِرُ هَدْرَا
دَويُّ موجك أحلَى منَ الْمَعَازف نَبْرَا
أعزَّ حولك شعبا يساق للذل قهرا
وأغن حَوْلَك قَوْمًا يشكون بؤسا وفقرا
هذا وداع محب ينْوي فِراقك دهرا
ما عنده رأس مال إلا أماني حسرى
يا بحر إن ضاق أمر قد يحدث اللّه أمرا
لا بد من بعد عُسر أن يجعل الله يُسرا

زلزلة الأصنام

نشرت بجريدة البصائر عدد 288 سنة 1954م.

ويح الجزائر ما دهاها مالها تدعو دراك وتستغيث رجالها
ويح الجزائر أصبحت مكروبة ولهى تئن فمن يكون ثمالها
مفجوعة ثكلت فتاة برة حسناء شوهت المنون جمالها
تذري على الأصنام صيب دمعها وتردد الزفرات مما نالها
أسفي على الأصنام رجت دورها تحت الظلام وزلزلت زلزالها
مارجها الزلزال حتى ردها بعد الأناقة دمنة وأحالها
تجتاح أرواح الشقاء ديارها وتجوس أشباح الفناء خلالها
تقف الوفود بها صوامت تجتلي آثارها وترى بها أطلالها
تسدى العزاء إلى بقايا أهلها بعد المصاب وتشكر استبسالها
وتناول الجرحى وسائل برئها عطفا وتجزل للجياع نوالها
بدع أصاب من الزلزال أرضها فأزاح بهجة عيشها وأزالها
ودهى جميع قلاعها ورباعها وضياعها ودهى البلاد حيالها
أخلى أواهلها وخلى حولها سبعين ألفا تطلب المأوى لها
تتجاذب الخبراء حبل حديثه وعلى حقيقته تطيل جدالها
هل كان بعض صواعق جوية الله قدر وحده إنزالها
أم كان هزة تربة نارية طغت المياه فسببت إشعالها
أم كان بعض تجارب ذرية بعض المخابر دبر استعمالها

لم نكتشف سبباً له متيقنا إلا افتراضات نحُوك خيالها
ما في خرائبه لشاهدها سوى عبر تفك عن العقول عقالها
فترى الديار على الديار أكبها وترى الجبال على الجبال أمالها
خرت مطأطئة الرؤوس فبددت حول السفوح صخورها ورمالها
فكأنها سفن ببحر هائج صخب تميل يمينها وشمالها
ولرب دار هزها من أسها وأدارها مثل الرحى واجالها
ولرب دار زجها في هوة فمحا مبانيها وأقبر آلها
وترى أعاصير الرياح أثارها حربا تسدد للكبود نبالها
وترى الكواكب في سواد قاتم مثل الثكالى استشعرت اسمالها
وترى أخاديد الشقوق رهيبة في العمق توغل في الثرى ايغالها
فكأنها أحناء أودية بدت لكن بنيران البخار أسالها
وترى بها القتلى هنا وهناك قد طمس التراب على الثرى أشكالها
بينا قضوا في النوم زلفة ليلهم في دورهم متفيئين ظلالها
إذ طاف بالبلوى عليهم طائف خسف الديار وعجل استئصالها
عجبا لها من رجة أرضية ما شاهد الجيل الحديث مثالها
دوت دوي الرعد ثم تدكدكت بالآهلين وأخرجت اثقالها
وتتابعت رجّاتها وتكررت أنكالها فتجرعوا أنكالها
أردت قبيلة (راشد) وتذيلت فاشهد (تنس) تجد بها أذيالها
وبوادي (شلف) ألم و(فضة) تبصر إلى (مجانة) استرسالها
أودت بأعلاق التلاد وأزهقت مهج العباد ومزقت أوصالها
وجرت حوادث قبلها لم تجر من قبل الزّلازل ضاعفت أهوالها

عوت الكلاب وخارت الأبقار في ... هلع كأنْ قد ألهمت اقبالها
ولعل فيها عبرة لذوي النهى ... وهدي يقي النفس اللجوج ضلالها
فالنفس لم تترك غرائز خبثها ... والآدمية لم تدع صلصالها
وبنو الجزائر في سفاسف عيشهم ... خلف اللذائذ ينشدون وصالها
ترجو الجزائر أن تناضل حرة ... عن حقها فيعرقلون نضالها
وتحولت حكامها ظلامها ... وتبدلت انصارها خذالها
فلذاك أنذرنا الإله برجة ... في كل يوم نسمع استفحالها
كم كرمة ألوت بها وحديقة ... عصفت بها ومن استغل غلالها
وسراية قد زينت بأسرَّة ... تؤوي عرائس لا تحد دلالها
خسفت بها فتقوضت وتعوضت ... من يمنها شؤما يقبح فالها
لم تبق ربات الحجال بها كما ... لم تبق إلا في الحضيض حجالها
كم أسرة في عزها وجلالها ... نشأت أضاعت عزها وجلالها
امست مشرَّدة تهيم فقيرة ... تبكي سعادتها وتندُب مالها
كم مرضع صاد الحمام وحيدها ... كالنسر صاد حمامة فاغتالها
فتحرَّقت حزنا عليه وأعولت ... ترجو إغاثة من يعي اعوالها
وخريدة في الآنسات فريدة ... نزل البلاء بها فحيَّر بالها
صرخت من الانقاض تسأل نجدةً ... عجلى فلبَّى المنقذون سؤالها
خَفُّوا اليها كالوُعول تسابقت ... نحو المكانس كي تجير غزالها
واستنقذوها من مخالب موتها ... والخوف يوشك أن يثير خبالها
فنجت وصحَّت بالعلاج وأصبحت ... برعاية الاسعاف تحمد حالها
إن الجزائر بالجميل مدينة ... لمن افتدى الأسر الضياع وعالها

شكرا لمن أولى الضحايا منةً ترضَى ومدَّ يدا لها فأطالها
شكرا لكل مكفن أمواتها شكرا لكل مكفل أطفالها
شكرا لمن آوى اليتامى وأعتنى بحياتها فاسترجعت آمالها
شكرا لمن أسدى إلى الجرحى يدا بالمسعفات فأدركت ابلالها
شكرا لمصر وللعراق وسوريا ولمن أسا أجراحنا ورثى لها
من كل جامعة سخت بإغاثة وحكومة أبدت لنا أفضالها
أما الفئات المهملات فقل لها أن الجزائر سجلت إهمالها
من قام بالحسنات فَلْيكُ مكملا إن الشرائع تبتغي إكمالها
واللّه ارحم راحم سبحانه وسع الخلائق رحمةً وأنالها
حد الحدود لها ولكن أجرمت وتجرأت فاذاقها اعمالها
غفرانك اللَّهُم إنا أمة رزحى يحملها الهوى أحمالها
ناءت بها أغلالها فتقاعست عن واجباتك فاكفها أغلالها
أشهدتنا قبل القيامة صورةً منها تنزيل عن النهى أسدالها
وترى نفوسَ الجاحدين حقيقة هزئت بها وتعمدت إغفالها
إن القيامة بالوبال نذيرة عفوا فانا لا نطيق وبالها
لم نتخذ ذخرا لفصل قضائها إلا شفاعة من يقول أنا لها
فارفق بأمة مصطفاك محمد واجعل إلى كنف السلام مآلها

إسلاميات وقوميات

ذكرى المولد النبوي

أنشدت هذه القصيدة في احتفال بالمولد النبوي أقامته جمعية الشبيبة الإسلامية بنادي الترقي على عادتها.
ونشرت في جريدة البصائر سنة 1937م.

ألا أنعَم أيُّها النادي ... بذكرَىٰ مولد الهادي
لقد جئناك وُرَّادًا ... على آثار ورَّاد
وقُمنا في مسرات ... وأفراح وأعياد
نحيِّي خيرَ مولود ... بَدا في خير ميلاد
نحيِّي سيِّدًا في الخَلْـ ... ـق متبوعًا بأسياد
نحيِّي مُرشدًا لم يَبـ ... ـغ منهمْ أجرَ إرشاد
نحيِّي داعِيَ الحسنَىٰ ... نحيِّي راعيَ الضاد
نحيِّي المصطفَىٰ المختا ... ر آبَاءٌ لأجداد
نحيِّي منه أخلاقًا ... زكيات كأوراد
نحيِّي منه أمجادًا ... مَنوطات بأمجاد
نحيِّي شرعه الوضَّا ... حَ مثل الشمس في الرَّاد
نحيي عصرَهُ المُمْتا ... زَ في يُمن وإسعاد
بحفل حفَّ في جنْبَيْـ ... ـه أجوادٌ بأجواد
وركب مُمْعنِ الأشوا ... قِ فيها رائحٌ غادي
سقاكَ الله من ركْب ... مَشوق للهُدىٰ صاد

به الأمالُ والأَعما ... لُ رَحّلٌ والهَوىٰ حاد
تلاقت فيه أكبادٌ ... شجيّاتٌ بأكباد
ورنّت فيه أصواتٌ ... رخيماتٌ كأعواد
ورُحْنا منه في ذِكر ... وتطريبٍ وإنشاد
كسربٍ من كِرام الطيْـ ... ـر فوقَ الدَّوح غرَّاد
رحَلْنا رحلةً فيها ... خرقنا كل مُعتاد
طوينا الأَرض والأَجيا ... لَ أَبعادًا لأَبعاد
وجئنا مكةَ الفُضلىٰ ... فجسْناها كرُواد
ألا يا واديَ الكعبـ ... ـةِ لاَ أقْفرْت من واد
قد ازدادتْ بك النُّعمىٰ ... لطفلٍ فيك مزداد
كريم طبعه سمحٍ ... كمثل الغُصن ميَّاد
من الآثام معصوم ... إلىٰ الطاعاتِ مُنقاد
عن الأَحساب والأنسا ... ب والأَعراض ذَوَّاد
نفَىٰ ما ساد فوقَ الأَر ... ضِ من شِرك والحاد
سما ذكرا أبوه عنـ ... ـدَ أعْراب وأكْراد
ونالت أمُّه ما لم ... تنلْه أمُّ أولاد
وفخرٌ النَّسل فخر الأَصـ ... ـلِ في محص وتَنقاد
وهل تُفرَدُ أسيافٌ ... بحملٍ دون أغماد
ألا يا حبَّذا ذكرَىٰ ... أقمناها لمِيعاد
بها نستعرضُ التاريـ ... ـخ من خافٍ ومن باد
سلُوا التاريخ عن بَرّ ... رحيم للورىٰ فادي

سلُوا التاريخ عن طود تعالى فوق أطواد
سلُوا التاريخ عن أرض حَماها مِن يدِ العادي
سلُوا عن دَوْلة الإسـ ـلام كم باهت بأجناد
فكم فيهم من الخيل جَوَادٌ تحت جَوَّاد
وكم فيهم من الرَّجْل رِجالاتٌ كأسَاد
وكم سادوا بإحسان وَكَمْ جادوا بأرْفاد
وكم ردَّدت الدنيا صَداهم أيَّ تَرداد
سلُوا عن دولة الشَّام سَلُوا عن مُلْك بغداد
حضاراتٌ فَواشٍ في جماعاتِ وأفراد
وسلطانٌ شديدُ البأ سِ لم يُمنح لشدَّاد
وحكمٌ ضاربٌ كالسيـ ـل أسدادًا بأسداد
وأفراحٌ لنا في الدَّهـ ـر ما شيبَت بأنكاد
وأعراسٌ لنا في الأر ض لا تُحصى بتَعداد
سحاها الدهر كَالبحر بأمواج وأزباد
فأودى شاطئ الخُلْد وأوْدى طيرهُ الشَّادي
وخرَّ الروض أعوادًا على أنقاضِ أعواد
تعالى الله كم أعقَـ ـبَ إعدامًا بإيجاد
فردُّوا مجدَ ماضيكم وحُوطوه بأرصاد
وقُوا أنفسكمْ نا رَ عَداواتٍ وأحقاد
يزيد الخصمُ أيقادًا لَها من بعْد إيقاد
أتنشقُّون أضدادًا وما أنتمْ بأضداد؟

فلستم غير أعضاء		على الإصلاح أعضاد
أجيبوا كلَّ إبراق		من الباغي بإرعاد
ولا تَعْنُوا لظَلاَّم		ولا تحنوا لجَلاَّد
بغتْ واسْتكبَرت عادٌ		ولم تغلِبْ أخا عاد
دعا اللهَ فلَبَّاهُ		بإنجاء وإنجاد
وكفوا الفكر عن ميْل		إلى الفوضى واخلاد
وقيسوا الأَمرَ إصدارا		من الدنيا بإيراد
أَعِدُّوا نشأكمْ للخيـ		ـرِ فيها خيرَ إعداد
أَنِطْ يا شعبُ من ديـ		ـنِكَ أطْنابًا بأوتاد
وهيِّءْ مثل ما هَيَّـ		ـأ حزبُ الله مِن زاد
وسرْ في إثرهم سيرا		قويمًا غير مُنآد
ألا فليحي حزبُ اللـ		ـه في نصْر وإمداد
ألا فليحي دين اللـ		ـه آمادًا لأمَاد

تحية دار الحديث

أنشد الشاعر هذه القصيدة، يوم الاحتفال العظيم بافتتاح مدرسة (دار الحديث) بتلمسان وكان الاحتفال مشهودا، حضره أعضاء جمعية العلماء كلهم، وجميع الهيآت العاملة في الجمعية من مدرسين وشعب، وتمثلت فيه جمعية العلماء بصورتها الحقيقية، وقدرتها الإنشائية. وحضرها نحو عشرين ألفا من أتباعها، ووفود من تونس ومراكش وذلك في خريف سنة 1937م.

أحيِّي بالرِّضى حَرَمًا يُزارُ ... ودارًا تستظلُّ بها الديارُ
وروضًا مستجدَّ الغرْسِ نضْرا ... أريضًا زَهْرُهُ الأدبُ النُّضار
وميدانا سترتبعُ المَهارِي ... بساحتِه وتستبقُ المِهار[1]
وعينًا ما لمنْبعها مَغَاضٌ ... وأفقًا ما لأَنجُمه مَغَار
أحيِّي خيرَ مدرسةٍ بناها ... خيارٌ في مَعونتهم خيار
(تلمسانُ) احْتَفَتْ بالعلم جارًا ... وما كالعلم للبُلدان جار
لقد لبست من الإصلاح تاجًا ... يحقُّ به لأَهليها الفَخار
فكان له بها نصرٌ وفتْحٌ ... وكان له ذُيوعٌ واشْتهارُ
لقد بُعث (البشيرُ) لها بشيرًا[2] ... بمجد كالرِّكاز بها يُثار

(1) المهارى. الجمال المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن وهي مشهورة بسرعتها والمهاري، جميع مهر: ولد الفرس

(2) يريد الأستاذ العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي كان المؤسس لمدرسة (دار الحديث) والمشرف بنفسه على تشييدها.

وفي (دَاْرِ الحديث) له صوان بديعُ الصُّنع مصقُولٌ مُنار
به عَرَضَ (البشيرُ) فنونَ علم وآداب ليَجْلُوها الصغار
فيا (دارَ الحديث) عِمي نهَارًا وعُمْرُك كلُّه أبدًا نهار
ويا (دَارَ الحديث) عليك تُلقَى مُهمَّات لنا ومُنًى كبار
وفي (بلَد الجِدار) كُنوزُ دِينٍ وعلم لا يليق بها ادِّخار
(تلمسانُ) ابتغي أبدًا مَدارا فأختُك في السماء لها مدار
ضَعِي عن قرنك الضَّافي خِمارًا فقرنُ الشمس ليسَ له خِمار
(تلمسان) اكْشِفي عن رائعاتٍ من الأَثار جلَّلها الغُبار
وبُقْيَا عبقريات غِزارٍ نمتها عبقريَّات غِزار
إلى (إدريس)[1] أوْ (زيان)[2] يُومِي ويُومِضُ تحتها نورٌ ونار
(تلمسانُ) احفَظي ذكرَ ازدهارٍ لملْك فيك كَان له ازْدِهار
ففي هذا الثَّرى الزَّاكي قديمًا لنا ازدَهرتْ حضارات كِبار
وفي هذا الثَّرَى الزَّاكي قديمًا تفشَّى العدلُ وانتشر اليَسار
وفي هذا الثَّرى الزاكي قديمًا سمَا (مازيغ)[3] واستعلَى (نِزار)
عليكَ تآخَيَا أدبًا ودينًا وحولَك ضمَّ شمْلَها الجوار
هما حَمَيَا ذِمَارَكَ بالعَوالي قُرونًا فاحْتَمَى بهما الذِّمار
وحاصَرَ تُرْكُكِ الإسبَانَ حينًا فعادَ عليكِ بالأمن الحِصار
مضَوا لم يتركُوا غير ادِّكارٍ لنَا في قلبِ لو يُجدِي ادكار

(1) إدريس الأصغر بن إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسية بالمغرب وقد كانت تلمسان ضمن المملكة الإدريسية في بعض الأحيان.

(2) زيان: جد ملوك تلمسان الزيانيين، وقد بقيت بقاياهم إلى ما بعد المائة العاشرة للهجرة وهم من بني الواد، قبيلة من زناتة.

(3) مازيغ: أحد الأجداد الذين يرجع إليهم معظم القبائل البربرية.

فقل لِبَنِيهم ٱبْنُوا من جديدٍ … بناءً لا يهدِّدُهُ ٱنهيار
وصغْ لبني تلمسانَ التَّحايا … كطاقات يرفُّ بها العمار
ووفِّ بني تلمسان ٱعْتبارًا … وأدنى ما جَزيت به ٱعتِبار
لقد حنَّت جوانحُها إليهمْ … وأشرافٌ وشوقٌ وانتظار
وسرْنا بينهم جنْبًا لجنبٍ … كمثل الزَّند يكْنُفُه السوار
يكبِّر حولنَا منهم جهارًا … رجالٌ كلُّ دعْوتهم جهار
ألم تَرَ صُورةَ الأَجْداد فيهمْ … عليها من ملامحهمْ إطار
فقفْ تَرَ غَرْسَهُمْ يَنْمو بِدارًا … بدارِ نحوَها ٱشتدَّ البدار
بها (دارُ الحديث) لها يُنادي … وفيها (ٱبنُ الصَّلاح) له يُشار
وليس ابن الصَّلاح سوى (بشير) … لنا انتشرتْ معارفُه الكثار
حمَى أكنافَها لله جُنْدٌ … وجنْدُ الله ليس له ٱنكسار
وجاءتْها المواكبُ خاشعاتٍ … عليها الطُّهر يبْدُو وَالوَقار
ومن وحي السماء لها دليلٌ … ومن وحي السماء لها مَنار
ونحن بَنو السَّماء لها ٱنسبُونا … فليسَ سِوى السماء لنا نِجار
تَخذْنا الدينَ في الدنيا شعارًا … وما كالدِّين في الدنيا شِعار
لنا للعلم تثْويبٌ وحفزٌ … وتنقيبٌ وكشْف وٱبْتكار
وفي (دارِ الحديث) رياض علْم … عليها نَضْرةٌ ولها ٱخْضرار
بدت منها ثمارٌ طيِّبات … شهيَّاتٌ فأرضَتْنَا الثِّمار
على طُلاَّبها ومُعلِّميها … من البَركات دِيماتٌ ثِرار
وطاب جنابُها الحاني قرارًا … لهم ما طابَ في الخُلد القرار

بَراكَ اللهُ للذكرى حُساماً

نشرت بمجلة الشهاب ج (5) م (11) سنة 1936م وعليها هذا التعليق:
ألقى هذه القصيدة البليغة شاعر الشباب الأستاذ محمد العيد في الحفلة التي أقامها نادي الترقي لجمعية العلماء بمناسبة ما قرره مجلس إدارتها من خروج وفودها للوعظ والإرشاد في نواحي القطر وقد كان أول مجلس افتتح للوعظ والإرشاد مساء الجمعة الأخيرة من ربيع (1) بنادي الترقي وافتتحه رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس بالتذكير بقوله تعالى: (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، وكفى بالله حسيبا) ثم تلاه الأستاذ العربي التبسي، ثم الأستاذ الطيب العقبي.

أقِمْ ما شئتَ في دَعة ورزقِ ... فإنكَ قد حَلَلْتَ محَلَّ صِدقِ
تصاخُ إليكَ آذانٌ لسَمْعٍ ... وترجعُ فيك أبصارٌ لرمْقِ
وتُكرم حولَ مائدةٍ عليها ... يرِفُّ الحُسن من خَلْقٍ وخُلْق
رأيتُ بكَ الوجوهَ تحِفُّ بشرًا ... بها وتصِفُّ طلْقًا عند طلق
يطوفُ عليك شُبَّان بشتّى ... مِن الألوان في أدب وحِذق
وجاءوا بالفناجن مترعاتٍ ... ببنتِ البُنِّ ما جاءُوا بمَذْق
أقمْ يا وفد ضيفَ ندًى ورِفْدٍ ... وسرْ يا ضيفُ وفدَ هُدًى ورفق
بَراكَ اللهُ للذكرى حُساماً ... وهل يبقى حسامٌ دون مشق؟
فبشرْ بالهُدى في الأرض بشْرًا ... وطُفْ جنباتها غرْبًا لشرق
ومَنْ رُزق الهدى لم يخشَ شيئًا ... فليس لغير خالقه برِق
ألستَ ترى نفوس القوم حيرى ... وتأبى الرُّشدَ من سَفهٍ وحُمْق؟؟
ألستَ ترى سلوكَ القوم فوضى ... من الإخلال يَفقِدُ كلَّ نَسق؟

فعالجْ كلَّ ذي كسْرٍ بجَبْرٍ وعالجْ كلَّ ذي فَتقٍ بِرَتْقِ
يكادُ الخُلْقُ في الملَكاتِ يَبْلَىٰ فأبْقِ عليه بالبرَكاتِ أبْقِ
أرَىٰ داءَ الشِّقاقِ بنا تفَشَّىٰ فكيفَ يكونُ منه لنا التَّوَقِّي؟
بنِي الإسلام خَلُّوا الخُلْفَ إنا إلىٰ الإسلام نُعزَىٰ دون فرْق
عدِمنا الرُّشدَ في الدنيا كأنَّا فُلولُ معاركٍ وغُواةُ طُرْقِ
ولو أنَّا علىٰ الحق اتَّفقْنا لَكُنَّا قادةَ الدنيا بحق
أتسبقنا الشعوبُ إلىٰ المعالي ألسنا قبلَهُمْ أحرَىٰ بسبق؟
ألسنَا بينهم خيْرَ البرايا سماحةَ مِلَّةٍ وزَكاءَ عِرق؟
أرَىٰ الأنفاس مرهَقةً بجوٍّ كمثل الغاز يُوسِعُها بِخَنْق
يُدوِّي بالوعيد دَويَّ رعد ويُومض بالرَّدَىٰ إيماضَ بَرْق
أيوثَقُ بالأداهِم كلُّ كَفٍّ ويُوطأ بالمَناسِمِ كلُّ عُنْق؟
فمهلاً يا زمان البغْي مهْلاً لقد أعيَا كواهلَنا التَّلَقِّي
رَحَىٰ المُهَجاتِ أنتَ فكم تُقاسي بكَ المُهَجَاتُ مِن سَحْقٍ ومَحْق
ورفقًا منك بالإنسان رفقًا فما هو للهوان بمستَحِق
لماذا تُوضَعُ الأسدادُ ضرْبًا علىٰ فمِه ألم يُخلَقْ لِنُطْق؟
رجالَ العلم مَعْذِرَةً فمَن ذَا اليه سِواكمُ بالبَثِّ ألْقِي؟
ورُوحُوا بيننا بالخيْر واغْدوا كمثل السُّحب جَائِدَةً بِوَدْق
ألا فلْينعَم العلماءُ بالاً وحالاً وليَدُمْ نادِي التَّرَقِّي

هذيان آشيل

«آشيل» أحد الإستعماريين الغلاة في الجزائر، وقد كتب عدة مقالات في إحدى الجرائد المتعصبة، تحامل فيها على الإسلام والمسلمين، وادعى أن القرآن كتاب مثير للحروب وعنوان على الهمجية والكراهية، وقد أثار هذا الموقف الشاعر، فقال هذه القصيدة الجيدة:

هيهات لا يعتري القرآن تبديلُ ... وان تبدل توراة وانجيلُ
قل للذين رموا هذا الكتاب بما ... لم يتفق معه شرحُ وتأويل
هل تُشبهون ذوي الألباب في خلق ... إلا كما تشبه الناسَ التماثل
فاعزوا الأباطيل للقرآن وابتدعوا ... في القول هيهات لا تجدي الأباطيل
وازرُوا عليه كما شاءت حلومكم ... فإنه فوق هام الحق إكليل
ماذا تقولون في آي مفصَّلة ... يَزينها من فم الأيام ترتيل؟
ماذا تقولون في سفر صحائفه ... هدْيٌ من الله مُمَّحض فيه جبريل؟
آياته بهُدَىٰ الإسلام ما برحت ... تهدي الممالك جيلا بعده جيل
فأيَة ملؤها ذكرىٰ وتبصرة ... وآية ملؤها حُكم وتفصيل
كلامه الصدق لا ميْنٌ ولا كذبٌ ... وحكمه الحق لا ميْزٌ وتفضيل
فليس فيه لأَعلىٰ الناس منزلة ... (عدن) وفيه لأَدنىٰ الناس (سجِّيل)
ولا احتيال ولا غمصٌ ولا مطْلٌ ... ولا اغتيال ولا نغْص وتنكيل
(الإشتراكيةُ) السمحاء مذهبُه ... في الحكم لو لم تطل فيها الأَقاويل
إن هو إلا هدًىٰ للناس منبلج ... ضاحي المسمَّىٰ أَغر الاسم تنزيل

لـئـن مـضـت عـنـه أَجـيـال وأَزمـنة   تترىٰ فـهـل سـامَـه نـقـضٌ وتـحـويل
قد كـان أَعـدل قـانـون يـسـاس بـه   أَمـرُ (الشعوبِ) ففيم القال والقيـل؟
مـا بال «آشيل» في «الديبَّش» يسخر من   ءايـات مُـحكمهِ. لا كـان آشيـل!؟
مـا بـال آشيـل يـهـذي فـي مقالتـه   كحـاكـم راعـه فـي الـنوم تـخييل؟
مـا بـال آشيـل يزري المسلمين وهـم   غُـرُّ الـعرائـك أنـجـاب بـهـالـيـل؟
أفـكـارهـم بـهـدَىٰ الـقـرآن ثـاقـبـة   فـلا يـخـامرهـا فـي الـرأي تضليـل
وأَمْـرُهـم بَـيـنَـهـمْ شـورىٰ ودينهـم   فـتـح مـن الله لا قـتـل وتـمـثـيـل
كـيـف الـتعصـب من قـوم شعـارهم   رغم الـكوارث إِغـضـاء وتـسـهـيـل
لا يـعـدِم الـحق أنصارا تـحيط به   سـورا ولـو كـثـرت فـيـنـا الأَضـالـيـل
هـذا (ابن باديس) يـحمي الحق متّئدًا   كـذاك يـتّـئـذ الـشـم الأَمـاثـيـل
إِنـي أَرىٰ (عـبـده) الـمرحوم مندفعا   ينحي علىٰ الرغم (هانوتو)[2] وبرتيلو[3]
(عـبد الحميـد)[4] رعاك الله من بطـل   مـا ضـي الـشكيمة لا يَـلويك تهويل
دمغـتَ أَقـوالَ آشيـل كـمـا دمغتْ   أَبـطـالَ أَبـرهـةِ الـطيرُ الأَبـابـيـل
عـليك مني وإِن قـصرت فـي كلمي   تـحـيـة ملـؤهـا بـشـر وتـهـلـيـل

نشرت في مجلة الشهاب كما نشرت في الجزء الأول من كتاب (شعراء الجزائر) سنة 1926.

(2) هانوتو (1953 - 1944) مؤرخ فرنسي؟ ورجل سياسة؟ يشير الشاعر إلى الموقف التاريخي الذي وقف الأستاذ الإمام محمد عبده؟ في وجه التهجمات المسمومة التي كان يشنها (هما نوتو) على الإسلام.

(3) برتيلو فليب (1866 - 1934) سياسي فرنسي؟ وله مواقف مع الأستاذ الإمام.

(4) سبع مقالات متسلسلة كتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس ردا على (آشيل). هذا وقد نشرت بـ (الشهاب) الأسبوعي.

تحية "الشهاب" للشباب

نشرت في مجلة الشهاب سنة 1926
ونشرت بكتاب (شعراء الجزائر)

خليا عنكما حديث احتجابي ... عرِّجا بي على العلَى عرِّجا بي
إِركبابي متن النجاح وخوضا ... بي عباب الإصلاح فهو عبابي
واطلبا بي رغائب الشعب إني ... في سبيل العلَى وقفت طلابي
إن أكن قد سكتُّ قبل مليًّا ... فلانَّ السكوت فصل خطابي
إن تقولا كيف احتجبت علَينا ... ففمُ الكون كافل بالجواب
هذه الشمس وهي آية ربي ... تتوارى عشية بالحجاب
ذلك البدر صنوها وأخوها ... يتغشى بمكفهر السحاب
سنة الله في الكواكب مثلي ... أفأمسي من أجلها في اكتئاب؟
كذب المفتري وجاء ببِدْع ... سوف يلقى جزاءه في الحساب
صاحَ ما شاء أن يصيح ولكن ... ما على الحر من عواء الذئاب
سرَّه أنني انقلبت ولمَّا ... يدْرِ أنَّ استقامتي في انقلابي
سره أنني انقلبت من اللـ ... ـه بفضل ونعمة وثواب
فلئن رُحت غيلة الافتراء ... ات فاني قد أبت خير مآب
كأبى زيد السروجي لما ... صادمته حوادث الاغتراب
لم يسمه الشقاء قط ولكن ... استعدته قوالب الانتساب
فغدى الحارث بن همَّام يروي ... من أحاديثه عجيب العجاب

يا شباب العلىٰ اعتصم بالتآخي زانك الله في العلي من شباب

أنشر السنة الكريمة واعمل بهداها وخذ بحد الكتاب

إن تكن قد بنيت في الناس مجدًا فاحرُس المجد من دواعي الخراب

وإذا ما أردت تثقيف نشء فارق بالنشء سلَّم الاكتساب

ثم لا تبتئس إذا قيل إنا طوحتنا طوائح الاضطراب

في زمان كأنه فم واش يتعايا بشائنات السباب

لا وَرَبِّ السماء من يجهل السيـ ـل إذا كان آخذا في انسياب؟

إنما نحنُ نقتفي أثر (المنـ ـتقدٌ) الحر تحت هذا (الشهاب)

يا معشر الطلاب

ألقاها في ختم درس كتاب (القطر) لابن هشام سنة 1928 حيث كان معلما إذ ذاك ببسكرة نشرت بـ (الشهاب) سنة 1928

فاز المجدُّ المُعْتنِي بمرامه ... فتنافس الأَمجاد في إكرامه
قد هيأت خُضْرُ الرياض طيورَها ... لكلامه وزهورَها لسلامه
ودنتْ له كلُّ المنىٰ وأطاعه ... حتَّىٰ الزمان فعاد من خُدَّامه
الله راعَىٰ صدقَه في سعيه ... معه فلم يحرمه من أنعامه
وهو الذي أدنىٰ إليه مقامه ... شكرًا فمن ذا يزدرِي بمقامه
قد أدرك ابن العِلم غايتَه التي ... يصبو إليها منذ عهد فِطامه
مازال في طلب الحقائق هائمًا ... حتىٰ شفَىٰ منهَا غليلَ هيامه
والفوز للمِقدام ضرْبةُ لازب ... ما استعملَ التدبيرَ في إقدامه
يا معشر الطلاب هل من مُنصِتٍ ... منكمْ لوحيِ الشعر في إلهامه
أسديه منِّي حكمةً مملوءةً ... عظةً يردِّدها مَدىٰ أيامه
فالقلب مثلُ الارض أو كأناسها ... والوعْظ مثلُ القَطْر أو كغمامه
العلمُ صَرْحُ مجادة وسعادة ... ومن التَّعلُّم شِيدَ ركنُ قِوامه
والعلم لما تنْحصِرْ أفهامُه ... فتنافسوا يا قومُ في أفهامه
العلم أعمالٌ تزاولُ لا منًّىٰ ... تُنوَىٰ فسيروا في هدَىٰ أعلامه
ولربَّ غِرٍّ ظلَّ يرقب ليله ... يرجو استقَاء العلم من أَحلامه
وافاه وقتُ منامِه فانسلَّ من ... بُرديْه معتبطًا بوقت منامه

وانـهـال والإغـضـاء مـلءُ جـفـونـه   فـي الفرش والاعيـاءُ مـلءُ عظامـه
فَـرأىٰ الـمَـرَائِـيَ مُـعْـجِـمًـا فِيها بِما   لا يُـعجِـمُ الـمَلْـمومُ فـي إِلـمـامـه
حـتـىٰ إذا طـلـع الـنـهَـار وأشرقَـتْ   شمسُ الـنهـار وحـان حِينُ قيـامـه
نـفـضَ الإزارَ وقـام يـخطب مُسهِبا   يـفتـنُّ فـي الإِعـراب عـن إِعجـامـه
فـخـذوا بأسـبـاب الـعـلـوم حـقـيقـةً   وذروا أخـا الأوهـام فـي أوهـامـه

* *

يـا مـعشـر الـطلاب هل مـن آخـذ   بـالـذكـر أو مـتـمسِّـك بـعِـصـامـه
فـتـشرَّفـوا بـالأخـذ مـن آدابـه   وتـعـرَّفـوا بـحَـلالـه وحَـرامـه
ولـكـل شـيء فـي الـحـيـاة أذيـةٌ   وأذيَّـةُ الـقـرآن مـن أقـوامـه
عـمِـلـوا عـلـىٰ الـتَّحذير من تفهيمه   فـكـأنَّـهـم عـمِـلـوا عـلـىٰ إعـدامـه
هـجـروا مـبـادئَـه الـعـلـىٰ وتنـكَّبوا   أَحـكـامَـه والـخـيـرُ فـي أحـكـامه
زعـمـوا بـأن صـوابَـه خـطـأ وفـي   مـا يـزعـمـون زِرايـةٌ بـكـلامـه
أسـطـورةٌ إِن الـذي قـد قـالـهـا   قَـمِـنٌ بـأنْ يُـرتَـاب فـي اسلامـه
يـا معـشـرَ الـطلاَّب هل من نـاهِـضٍ   بـالـشَّـعـب حـرٌّ حـافـظٍ لـذمـامـه
أو بـاعـث فـي الـشعب روحَ إِبـايـةٍ   مـنـكمْ فـموتُ الشعب في اسْتسلامه
مـا عـاثـت الـذُّؤبـان فـي أغـنـامِـه   لـو كـانـتِ الأسـادُ فـي آجـامـه
مَـن مـنـكـمُ لابنِ الـجـزائـرِ مُدركٌ؟   فـابـنُ الـجـزائـر فـي سِـيـاق حمامه
أسـقـامـه شـتَّـىٰ وأنـواع الأذىٰ   مِـن حـاكِـمِـيـه تـزيـدُ فـي أسـقـامـه
فـأخـو الـرئـاسـة مُـولـعٌ بـعـذابـه   وأخـو الـسـيـاسـة مُـولَـعٌ بخِصامـه
لـكـمُ اللسانُ الـفَـذُّ فـي إِيـضـاحـه   رَغْـمًـا عـلـىٰ الـسَّاعيـن فـي إِبـهامـه
لا تُـهـمـلـوا هـذا اللسـانَ ففقدكُمْ   فـي فـقـدِه ودوامُـكـم بِـدوامـه

فكأنما هو عِقْدُ دُرٍّ فائقٌ رصْفًا وعلمُ النحو سِلكُ نظامه
وكفاكمُ في النحوِ قدْرا أنكم راوُونَ علمَ النحوِ عن عَلاَّمه
شهدَ (ابْنُ خَلْدونٍ) له بتفوُّق في النَّحو تحظيظاً على إعظامه
فارعَوْا (لعبد الله)[1] ما أسدَى لكمْ (في القَطر) واغتبِطوا بحُسن ختامه

(1) عبد الله بن هشام صاحب المؤلفات المتداولة في القواعد العربية، ومنها كتاب «القطر».

تحية أيها النادي

ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفلة نادي التقدم بمدينة البليدة.
ونشرت في مجلة الشهاب سنة 1935

نـداء سـرىٰ في مسْمَعي ما سَرىٰ دمي ... فـلبيتُ من قلبـي صَـداهُ ومن فَمـي
نـداء سـرَىٰ كـالـكـهْربـاء فـهـزَّنـي ... ومـا هـزَّنـي إلاَّ لـحـفــل مـكـرَّم
ومـا هـزَّنــي إلا لـنــاد مُـبـارَكٍ ... يُـقـلُّ كَـأفـقٍ أَوْجُـهًـا مـثْـلَ أنـجـم
مـنَـارٌ بـه صـوتُ الـعـروبـة يـعْتِـلي ... وكـهْفٌ به نشْءُ (الـبليـدة)[1] يحتمي
وغِـيـلٌ مَـنـيـعٌ فـانـزلـوه وأقبـلـوا ... عـلـيـه تـبـاعًـا ضَيْغمًـا إثْـرَ ضَيْـغَـمِ
وركـن ركـيــنٌ فـأَبـتْـنوه وأدْعـمـوا ... وَلاَ خيـر فـيـمـا يُـبْـتَـنَىٰ غيـر مُدعم
أقِـيـموه تحت الشَّمس فوقَ رُؤُوسِكم ... لـواءً وكُـفُّـوا عـنـه كـفَّ الـمُـحَـطِّم
وأبـقــوه لـلإصــلاح أبـهَـر آيَــةٍ ... وأَظـهَـر عُـنـوانٍ وأَزْهَـرَ مـيـسـم
أَعـيـدوا بـه لـلـدِّين عهد طُلوعـه ... عـلىٰ الأَرض فجرًا جاليًّا كلَّ مظلم
ولا تـنـسَـوُا الـدنـيـا فـإن مَـتـاعـهـا ... مـشـاعٌ لـكـم فـي الكَسب غيرُ محرَّم
لـقـد مـرَّ عصـرُ السَعْيِ للرُّوح وحده ... بِبَعْثِ بْـنِ عَـبْـدِ الله بَعْد ابـنِ مَـرْيـمَ
تـنـاجَوْا ببـرٍّ واتْـركـوا الإثـمَ جـانـبًا ... ولا تـهـتِـكـوا أعْـراضَكـم بـالتَّهـجُّم
أعـيـذكُـم بـالله أن تَـتَـقَـسَّـمُـوا ... هـوًىٰ فـذَهاب الرِّيح عُقبَىٰ التَّقَسُّم
تـوالَوْا فمـا اسْتغـنـت يدٌ قطُّ عن يد ... ومـا بَـطَـشَـتْ إلاَّ بـكـفٍّ ومِعْصَم

---

(1) البليدة. مدينة تبعد عن العاصمة الجزائرية بحوالي خمسين كلم.

ولا تبخلُوا بالمالِ فالمالُ مَعْرَجٌ ... إلى كلِّ مُعْلٍ في المَنَازِلِ مُعلِم

أرى أنَّ حاجاتِ الشعوبِ جراحُها ... وليس لها من مرْهَم غير درْهم

لكلِّ امْرئ عهدٌ بفرْض محتَّم ... يقوم به في جنب حقٍّ محتَّم

ومِنْ فرْضِ أهلِ المال إسْعافُ عُجَّزِ ... وتكريمُ إخوان وإيوَاءُ هُيَّم

ومن فرضِ أهل العلم إرشادُ حُيَّرٍ ... وتعليمُ جُهَّال وإيقاظُ نُوَم

ألا أيها النادي تحيةَ شاعر ... ولوع بإعلان المفاخر مُغرَم

ويا فِتية النادي سلامٌ ورحمة ... وبشرى فهذا اليومُ أعظمُ موْسم

رفعتُم به رأس العروبة عاليًا ... وعدتُم على الإسلام فيه بأنعُم

وبيضتُمُ وجهَ (البلَيْدَةِ) بالَّذي ... زَفَفْتُمْ إليها من فَلاح ومَغْنم

فدُمتُم لها كالجند عِزا ومَنْعَةً ... ودَام لكم كالحصنِ (نادي التَّقَدُّم)

يا قوم

ألقى الشاعر هذه القصيدة في افتتاح «نادي النهضة» بمدينة البليدة ونشرت في جريدة المرصاد سنة 1932

نَشْءَ (البليدة) لا عداك وفاقُ ... بشرى على بشرى إليك تساقُ
بُوئت بالنادي المبارك جنة ... طابت بها الأنفاس والأذواق
ناديك أُفقٌ أنت بدر نجومه ... حاذر عليك الخلف فهو مَحَاق!
قل للخطيب به دعوت ملبيا ... وعنت لك الآذان والأحداق
(نادي البليدة) محتويك وطيرها ... مصغ إليك وماؤها صفاق
نور به الغبراءَ فهو منارة ... وأصعد به الخضراء فهو بُراق
واجمع به شتّى الرفاق فإنه ... كنف عليه من الرفاق رواق
يا فتية النادي ومعشَرهُ الألى ... ساقوا إليه به القلوب وشاقوا
داووا به مرض الهوى كمصحة ... فيها لكل وجيعة ترياق
واحموا به الأخلاق من إخلاقها ... يَعْظُمْ لكم في الصالحات خَلاق
البحث سبل فاسلكوها رشَدا ... بالعقل فهو دليلها السَّبَّاق
فكُّوا به الأعناقَ من أطواقها ... فلَطالما قعدت به الأَطواق
وعليكم القرآنَ فهو من الهوى ... حام وليس كَنُوره إشراق
والبذل للأعمال ضَرْبَةُ لازب ... فاكْسُوا به الأعمال فهو رتاق
وهبته أيدي المحسنين فأذعنت ... لهمُ الرؤوس وذلّت الأعناق

لا ترضخُ[1] الأفكار من أرزاقها ... حتىٰ تدر بجنْبها الأَرزاق
يا قوم شعبكم أحاط به الأذىٰ ... وسطا عليه الجهل والاملاق
والوهم عشَّش في الرؤوس فأطرقت ... والوهم شر بلائه الإطراق
خطَبَ الجمادُ الحيَّ فاضطربت له ... وتموجت بخطابه الآفاق
وبنو الجزائر مخْلدون إلىٰ الكرىٰ ... وكأنني بهم الغداةَ أفاقوا
واستأنفوها نهضة جدِّية ... لا الْوَهْن يدركها ولا الاخفاق
رست النوادي والمدارس بينهم ... أُسُسًا عليها شيدت الأَخلاق
يا برق غِثْ لا كنت فينا خلَّبًا ... يا غيث جدْ لاخانك الإغدَاق
ومن البداية بالنهاية مخبرٌ ... وَعَدَ الفُروع بأنهم أعراق
يا قوم هل لكم بها من ضارب ... فيها له بالرابحين لحاق
يا قوم لا تَرِدُوا الموارِدَ عزَّلا ... ومن الخمول علىٰ العقول نطاق
فكوا النفوس من الجهالة والهوىٰ ... والوَهْم فهي علىٰ النفوسِ وَثاق
يا فتيةَ النادي تحية فتية ... منكم كما حيَّ الرفاقَ رفاق
ووصية لكم بأن تتكاتفوا ... وتُسارعوا في الخير فهو سِباق
آواكم للخير «نادي نهضة» ... فيه أغنموا فُرَصَ الحياة ولاقوا
دامت لكم حجراته ولضيفكم ... نـزُلاً وخلَّد عمرَه الخلاق

(1) العطاء القليل.

تحية جريدة السُّنة

قال الشاعر هذه القصيدة تحية لجريدة (السنة) إحدى جرائد جمعية العلماء.
نشرت فيها سنة 1933.

تحرَّ أساس العدل إن كنت شائدًا ... فما كان طاغ قائم الركن سائدا
تنفس فجر الحق حولك صادقًا ... أغرَّ فما غرَّ العيونَ الرواقدا؟
وما بال أفناء الحضارة أقفرت ... من الانس واكتضت وحوشًا أوابدا
وما بال ورقاء الحمى مستطارةً ... يطاردها نيّفٌ وسبعون صائدا؟
على أنها بين النِّبال سليمة ... فما عدِمت عنها من الله ذائدا
أرى غِلْمَةً تُذكي من النار فتنةً ... وتُسدى شِباكا للأذى ومكائدا
وجوًّا من الغارات أغبرَ عاصفا ... بكل جَناح بارقَ السحب راعدا
وفي كل مغنًى رنَّةٌ ومناحة ... وشكوى بلا جدوى تُذيب الجلامدا
وأفجرُ أعداء البلاد خصومةً ... أقاربُ تستَعْدِي عليها الأباعدا
عذيري من ذي عادة وثنية ... يُحيلُ على الإسلام فيها الشواهدا
هلمَّ إلينا أيها الخصم نحتكِمْ ... إليه ونستعرِضْ عليه العوائدا
فما كان منها سنةً كان صالحا ... وما كان منها بدعةً كان فاسدا
أضلَّك ليل من هوًى بتَّ ترتمي ... مصادرَ في ظلمائه وموارِدا
ولا صبحَ إلا سنةٌ نبويَّةٌ ... فمحِّصْ بها الآراءَ واجْلُ المقاصدا
وحولك أسيافٌ لها وأسنَّةٌ ... تقارع عنها المحدَثات الزوائدا

رجالاتُ إِخلاص لها ومبَرَّةٍ ... بها وذوو عزْم يدُكُّ الشدائدا
يريدون وجهَ الله فيما تسنَّنوا ... به لا يريدون الرُّشى والفوائدا
وما الناس إلا كالنُّقود فزِنْهُمُ ... بنيَّاتِهم إِن كنتَ للناس ناقدا
وحسبك من سعى ابْنَ آدم كاشفٌ ... عن القصد مهما كان لِلقصدِ جاحدا
أفدْني فما تعيى الحقيقة جاهلا ... يحاولُ تمْحِيصَ الحقيقةِ جاهدا
أفدني برأي في النِّيابات هَلْ حَوت ... أسَاوِدَ في قاعاتِها أمْ وَسَائدا؟
وإلا فما تلك السمومُ التي سَرت ... فمن ذاق منها طأطأ الرأس هامدا؟
ألم يأتِها أن المعابد حُجِّرَتْ ... على الذاكرين العامرينَ المعابدا؟
وكم من مثاوٍ أوْ مكاتِبِ عُطِّلت ... على أنها تهدى البنينَ المراشدا
فيا نائبًا نابَ البلادَ بحادث ... وخلَّف شعبًا قائما فيه قاعدًا
على أي ظهر كنتَ سوَّطَكَ مُنَزلاً ... وفي أي نحر كنتَ سيفَك غامدا
ومالك تُرْغِي في النيابة مُوعِدًا ... ألم تك من قبلِ النيابةِ واعدا
ويا مجلس النواب إنك قاطعٌ ... يدًا كنت منها لو تبيَّنْتَ ساعدا
فويحَك ما هذا الجَفَاءُ الذِي طغَى ... عليك فلم تنفكَّ كالصخر جامدا
تلمس فيك العونَ شعبُك حائرا ... ولمَّا تزلْ عن عون شعبِك حائدا
دعا واستعان ابن البلاد فليته ... دعا مستجيبًا واستعان مساعدا
ويا دولةً سادت على الأرض حِقبةً ... وشادَتْ على أسِّ الاخاء المحامدا
عهدناكَ قِدْمًا دولة - لائكية ... فكيف حَرَمْتِ المسلمين المساجدا؟
ولا تنكري حولَ الإدارات أنَّةً ... وعتبًا وشعبًا بين ذلك واجدا
ورُدِّي علينا الذِّكرَ في كلِ مسْجِدٍ ... فَمَا زال فرضًا في المساجد آكدا
ثقي أن بيتَ الله مادام معبَدًا ... لنا تحت حكم الله مادام واحدا

ويـا أيـهـا الـدَّاعـي إلـى الله لا تـهِن   ولاَ يَـكُ فـي البأسـاء صبرُك نافِدَا
تـعـز بِـوَفـدِ الـيُـسـرِ بـعـدُ فـإننـي   أرى اليسرَ بعد العسـر لا شكَّ وافدا
وفـي سُبُـلِ الـدنـيـا زُبًـى ومصـاعـدٌ   فـسـرْ حـيثُ لا تلقى الزُّبَى والمصائدا
تـصـادف إقـبـالا من الـشعب رائجا   وتـصـحـب تـوفـيـقًـا مـن الله زائـدا
ويـا أيـهـا الـشعب اتّـخذْ لـك أعيُنًا   مـن الحزم واستَشْرِفْ حُقوقَك ناشدا
ومِـن أخـذل الـخِذلان أنـك فـاقـد   ولاءَك مـزهـوٌّ بـكـونـك فـاقـدا
تـنـاسَ أوِ انْـسَ الـحِقد وامشِ سويةً   عـلـى الـمَهْلِ لا تعتَصْ عليه معانـدا
وكـن حـيـث كان الـحقُّ تخلدْ خلودَه   وما كان غيـرُ الـحق في الأَرض خالدا

عيد الحرم

هذه إحدى حوليات الشاعر التي إعتاد إلقاءها في كل سنة على إثر إنتخابات المجلس الإداري لجمعية العلماء.
وقد ألقيت في الاجتماع العام لجمعية العلماء بنادي الترقي في 16 جمادى الثانية سنة 1354هـ

اليوم عيدُك لاجرَمْ فاهنأْ بعيدك يا حَرَمْ
لبَّاك وفدُ المصلحينَ وطافَ حولكَ والْتَزَم
ودعا فأمَّنَتِ السَّماءُ وفاض ركنُكَ بالنِّعم
صُفَّتْ بساحتِكَ الوُجوهُ ورُدِّدَتْ فيكَ الحكم
فرأيتُ ما يَجْلو العَمَى وسمعتُ ما يجلو الصَّمَم
ودَخَلْتُ ظِلَّك أسْتَجِير به وأنعَمُ مِنْ أَمَم
فعزَوْتُ آيَ الصَّالِحاتِ به إلى رُسْلِ الهِمَم
مِن مَظْهَرٍ يُحظِي العيونَ ومَخْبَرٍ يُرْضِي الشِّيَم
وأتيتُ ميدانَ اللِّسانِ بهِ وميدانِ القلم
فخَبَبْتُ في صفِّ الجيادِ عَسَايَ أَلحَقُ من قَدَم
يا وفدُ وُقِّيتَ المَكائدَ والمَكَارِهَ والإزَم
ان الجزائرَ ترتَجِي فصلا وأنتَ لها الحَكَم
أو ما تُشَاهِدُ دهْرَها كالفُرْنِ يقذِفُ بالحُمَم
أو ما تُشَاهِدُ ما يُصَبُّ على الجزائر من نِقَم

أخشى من الأجيال أنْ يَصموك فيها بالتُّهَمْ
أخْشى لِلينكَ أنْ يُقال ظلمتَها فيمنْ ظَلم
أخشى لَهونكَ أن تُنادَىٰ في الحواضِرِ والخِيَم
يا راعيًا والشاةُ تحْتَ الذِّئبِ بينَ يدٍ وفَم
يا وفدُ إنك في رِبَاطٍ بالمعارِفِ مُقتَحَم
يا وفدُ لا تنَم الليالي في رِباطِكَ لا تَنَم
أجِدِ المعارفَ فهْيَ في الدُّنيا مَوازِينُ القِيَم
وأشِدْ على الإسلام أرْكانَ الفخامَة والعِظَم
دينُ السَّماحةِ في الفرائِضِ والعدالةِ في القِسَم
دينُ اشْتراع الصَّالحاتِ ودينُ إيفاء الذِّمم
دين المرافق والمَراشد والمكارم والعِصَم
فَامْنَعْهُ من كلِّ الأذىٰ منْعَ الضَراغِم لِلأَجَم
وارفعْهُ باسمك هاديًا رفعَ المنارة للعَلم
وعليك بالإخلاصِ فهو - هُديتَ - إكْسيرُ الخِدَم
إنْبذْ قُصُودَ السُّوء ظِهْريًا ودُسْها بالقَدم
واذا دعوتكَ للرَّشادِ فلاَ تقل لِم لي وَعَم؟؟
اعملْ كما عَمِلَ الرجال الصالحون بلاَ سَأم
واعْرِفْ لأمتكَ الكريمة حقَّها بَيْن الأمم
ابعث بها شمَمَ النُّفوسِ ووَلِّ أوجُهَها القِمم
شَمَمُ النُّفوس حياة قومِكَ فَابْكِ من فَقَدَ الشَّمَم
والعزُّ مَنْشودُ الأوَاخِرِ والأوائلِ مِن قِدَم

يا عِزُّ ذِكْرُكَ في فَمي وهَواك في قلبي ارْتَسَم
يا عِزُّ دان لكَ الوُجُودُ وقدَّسَتْكَ به النَّسَم
قسمًا بفخرِك في الحياةِ وإنَّه فَخْرُ القَسَم
خيرُ الوجود – وأنتَ عنهُ بمَعْزِلٍ – شَرُّ العَدم
يا قومُ طال بنا الهَوانُ وساءَنا سَفْعُ اللَّمم
وغدتْ تخافُ نفوسُنا حتَّى الذُّبابَ اذا وَنَم
خوفُ الورى شِرْكٌ بخالقهِمْ وَصَوْلَتُهم صَنَم
حثُّوا إلى العِزِّ الخُطَا ودعوا المذلةَ لِلخَدَم
لا تيْأسوا فالله جلَّ جلالُه مُحيي الرِّمَم
حامِي الهُداةِ ببأسِه ومُثيبُهُمْ دارَ الكَرَم
يا وفد لُقِّيتَ الرِّضى ووُقِيتَ في العُقبَى النَّدَم
لازلتَ تشرقُ في الجَزائِرِ كالكوَاكِبِ في الظُّلَمِ
وعليكَ شُؤْبُوبٌ مِن الرَّحَمَاتِ والبَرَكَاتِ عَمَّ
ولكَ الهُدىٰ ما بالهُدَىٰ بَدَأَ امْرُؤٌ وبِهِ خَتم

دُعاة إلى الحسنى

(0) هذه القصيدة من حوليات الشاعر التي اعتاد إلقاءها بنادي الترقي في كل سنة على أثر انتخاب المجلس الإداري لجمعية العلماء الجزائريين.
ونشرت بالعدد (13) سنة أولى من جريدة الشريعة في 3 جويلية سنة 1933

ضَفِ الجزائر فيما شئت من كرم ولذْ بها حرمًا ناهيك من حرَم
ألَمَّ ركبك فاهتزت له وربت كالأرض غبَّ نزول الهاطلِ العَمم
غَنَّاءُ أغنى عن الترحيب منظرُها وفي المناظر ما يُغني عن الكلَم
البَرُّ والبحر في أكنافها أعتنقا وواصلا قُبَلاً فيها فمًا بفم
والقاطرات بها الفلك زاخرةٌ بمعجزات من الآلات والنُّظم
والطير كاسية فيها وعارية صُفَّت بأجنحة من فوقها دُهُم
من ذي قوادمَ بالأرياش منتفض أوْ ذِي لَوالِبَ بالفُولاذ ملتَحِم
والسحبُ غاديةٌ في الأفق رائحةٌ ما بين منسَجِر منها ومنسَجم
والشعب ريَّان والأزهار يانعة ما بين منتثر منها ومنتظِم
والريح تجري رُخاءَ حول أفنية أوْ حولَ أبنيةٍ شمَّاءَ كالقمم
اللهُ أكبر هذا مرتع خضِل يهفو به نسم من أطيبِ النسم
أهلا بأهلٍ حوتْ أعلاقُ نسبتِهِمْ أعلاقَ قيِّمَةٍ جلَّت عن القِيم
حُلُّوا القلوبَ فقد شِيدَتْ لكم أطُمًا يا ذائِدين عن الحسنى بلا أُطُم
استغفرُ الله هذا الحِزْبُ تحرسه عينٌ من الله لم تغفل ولم تنم

أمضوا على الصبر فالعقبى لكم سلفًا ... ما جزتُمُ نعمةً إلاَّ إلى نِعَم
في الأمر بعضُ التواء غيرُ ذي خطَر ... فعالجُوا الأَمْرَ بالآراء يَسْتَقِم
سُوقوا البراهين ما خفَّتْ بكم تُهَمٌ ... إن البراهين لا تُبقِي على التهم
نحنُ الدعاة إلى الحُسْنى فما أحدٌ ... منَّا بمجترِح للشرِّ مجترم
ألا فقلْ للذي بالحرب فاجأنا ... لا تَلْقَ بالحرب من يَلقاك بالسَّلَم
وقل لمن نالنا بالظُّلم منتقمًا ... حذارِ مِن نائلٍ بالعدل منتقم
يا أيها الشعب لُذْ بالحقِّ معتصما ... واركَن إلى لائذٍ بالحق معتصم
لا تَفْتِنَنَّكَ ألحانٌ مزخرَفة ... غنَّى بها القوم أوضاعًا من النَّغم
تمحَّلوا بينات مالها صِلة ... بهمْ سوى صِلةِ الأنوارِ بالظُّلم
وكيف يطمع في إيجَادِ بيِّنة ... قومٌ وجودُهُمُ ضربٌ من العدم؟
ويح الجزائرِ كم يصلَى الهداةُ بها؟ ... من قومهم ضَرَمًا يورى على ضَرَم
يا من تلمَّسَ من عاداته حَكَمًا ... أخطأتَ ليس سوَى القرآن من حَكَم
الصلحُ خيرٌ وأحرَى أن يُلاذَ به ... ما لَم تُدَسْ حُرُمَاتُ الله بالقَدَم
طال الشِّقاق بنا يا قوم وافترقت ... منازعُ الهمِّ فاستَعْصَت عن الهمم
هيَّا بنا نبتهلْ يا قوم قاطبةً ... ونرْفَع الصوتَ بالشكوَى ونحتكم
يا ربِّ مَن كانَ في الإسلام مبتدعًا ... منَّا فوفِّقه للإقلاع والنَّدَم
أولاً فعَاجِلْه واكْفِ الشعْبَ فِتنَتَه ... بما تشاءُ من الآياتِ والنِّقَم
يا وَيْحَ أنفُسنا من كلِّ طاغية ... يَسومها ألَمًا مرًّا على ألم
يفِح كالحيَّة الرقْطاء متعِضا ... منها ويقذِفُ كالبركان بالحُمم
بالأمسِ (كولُنْبُو) أوْرَاها كمثل لظًى ... واليوم (بيشير)[1] أجراها كمثل دم

(1) شخصيتان فرنسيتان استعماريتان كانت لهما مواقف غير محدودة ضد الحركة التحريرية في البلاد، وقد وجه إليهما الشاعر نقده وإنكاره وذكرهما بالصلات القديمة التي كانت بين الخليفة هارون الرشيد وشارلمان ملك فرنسا.

شنُّوا على أمَّة الإسلام غارتَهم ... فما جنتْ أمةُ الإسلام في الأُمم؟
أهمْ يريدون أن يُنسُوا (الفرنجة) ما ... (لِلْغول) بالعرَب الماضينَ من رحم؟
(للسين) منَّا وإن ضنُّوا بمورده ... مقامُ (شارل) من (هارون) في القدم
يا قومنا كلُّ ساع مُدركٌ سَعَة ... في كلِّ ضائقةٍ فاسْعَوْا بلا سأم
من يَعْشُ عن سُنَنِ الدُّنيا يعشْ هَمَلاً ... ومنْ يُجاوِزْ حدودَ العقْل يَرْتَطِم
والعلمُ أحْصَنُ ما لاذَ الرجالُ به ... مَن فاتَهُ العلمُ دِيسَت أرضُهُ ورُمي
يا نازلين على الأرحام في كنَف ... من الأَخُوَّةِ سامِي القَدْرِ والعظم
هُبُّوا على العلم أنفاسًا مباركةً ... ورفرفوا فيه أعلامًا على علَم
واستقبلوا الفوْزَ في العُقْبَى على عمل ... بالمِسكِ مفتَتح بالمسكِ مختَتم

تحية مجلة "نور الإسلام"

حكم اللهُ للهدىٰ بالظهور رغم حربِ الهوىٰ وحربِ الفجور
وألانَ الصدور للدِّين حتَّىٰ أصبحَ الدين راحةً للصدور
فطوىٰ الأرض ساريًا في النواحي سَرَيَانَ الضِّياء عند البُكور
وعنتْ بعد آسِيَا أمريكا وأُربَّا لهدْيه المَنْشور
لست أخْشَىٰ علَيه كيْدَ الأعادي بعد إيغاله وراءَ البحور
فلَه من إلاهِهِ خيرُ واق وعليه مِن قومه خيرُ سور
بشِّر المسلم الحنيفَ بما في أفْقِ مَصْرٍ من نهضة وشعور
وأحِطْهُ علمًا بما شَع فيه مِن شموس مُنيرةٍ وبدور
شيخةٌ من أئمةِ الدِّين جَدُّوا في التَّداعي إلىٰ الهُدَىٰ والبُرور
وبِـ (نور الإسْلام) شَقُّوا دُجىٰ الكُفـ ـر ونور الإسلام أسطعُ نُور
أخرجوها للناس نشرةَ جِدٍّ في بيان مِن أنفسِ المأثور
أخرجوها للناس نشرةَ لبٍّ وتجافَوْا عن خَلطِها بالقشور
نشرة لا ترىٰ بها غيرَ بحثٍ مستفيض في صالحات الأُمور
حيِّ مصرًا وحيِّ أعلام مصرٍ بتحايَا كاللؤلُؤِ المنْثور
من فؤادٍ متيَّم بهَواهم متفان في (الأزهر) المعْمور
قل لهم إن في الجزائر نشئًا يتخطَّىٰ إلىٰ العلىٰ في وعور
فوْق أرضٍ من عزةِ الدِّين قفْر بين قوْم غُفلٍ من الدِّين بور
تحت ليل يمرُّ فيه مُجدًّا خائفًا من تكاثُف الدَّيجور

مـا لــه غـيـرُ عـزمـه مـن دلـيـلِ يـتـوخّـى بـه الـهـدىٰ فـي الـمـرور
قـل لـمـن ظـلَّ فـي الـجـزائـر يبكي عـصـرَهـا الـمستنيـرَ بيـن الـعصور
لا تـكـن ذاهـبًـا إلـىٰ الـيـأس منهـا كـلُّ مـيـت مُـفـاجَـأ بـالـنـشـور
جـدَّ جِـدُّ الإسـلام فـي كـل أرضٍ وانـجـلَـىٰ عـن بَـنـيـه داءُ الـفـتـور
هـذه مِـصْـرُ تُوسـع الـشـرقَ نصحًـا بـنـداءٍ كـأنــه نـفـخُ صــور
وبـنـو الـشـرق مُـنـصـتـونَ وعـاةٌ مُـسـتـجـيـبـون فـي رضًـىٰ وحـبـور
مـذهـب مـن مـذاهـب الـخير يفشو فـي حـمـاهـم مـسـتـأصِـلاً لـلشـرور
قـد تـخـطَّـوْا رغـم الـعـراقـيـل فِـيـه خـطـواتٍ لـم تـتَّـصـف بـالـقـصـور
والـكـريـم الـكـريـمُ مـن مَـدَّ جِـسـرا لـلـبَـواقـي واحْـتَـثَّـهُـمْ لـلـعـبـور
إنـمـا هــذه الـحـيــاة مَـجــال لاكـتِـسـاب الـعُـلـىٰ وذخـرُ الأَجـور
لـيـس فـيـهـا مـن بـعـدِ هـذا وهـذا مـن مَـتـاع سـوَىٰ مـتــاع الـغـرور
يـا بـنِـي الـشَّـرق عـصـمـةٌ بـالتآخِـي فَـالـتَّـآخـي مَـذَبّـة لـلـنـفـور
حكِّموا الـديـن فـي الـطـوائف وابنُوا دُورَكـم بـالـرجـال لا بـالـصـخـور
ودَعُـونـا مــن الـتَّـشـاؤم وامْـضُـوا فـي الـمـسـاعِـي بـغـبـطـةٍ وسـرور
أفـمَـهـمَـا الـتـوَىٰ عـلَـىٰ الـحُـرِّ أمْـرٌ قـام يـدعـو بـالـوَيْـل أو بـالثبور؟؟
أوَ مَـهـمـا أتَـىٰ علـىٰ الـحرِّ طـاري طـار عـقــلاً وضـاق بـالْـمَـقْـدور؟
يـحـدقُ الـشَّـوْكُ بـالـزهـور ولـكـن هـل يـكف الأَكُـفَّ شَـوْكُ الـزهور؟
فـلـيـجـاهـد فـي الـحـق كـل مـحِـقٍّ ولْـيُـدافِـعْ بـالـصـبـر كـلُّ صـبــور
يـا بـنـي الـشـرق زاوِلـوا العلمَ حَيًّـا ودَعـونــا مـن نَـبـش مـا فـي القبور
لا تَـخـافـوا الـعِـثَـارَ فـي البحثِ وامْضُوا قـدْ يـكـون الـعِـثـارُ بـابَ الـعُـثـور
فـبَـنـوا الـغـرب أشـرَفـوا فـي الـتَّفادِي لـلـمـبـادئ فـأشْـرَفُــوا كـالـطـيــور

كلُّ موتٍ في جانبِ العزِّ يحلو لِلمفَادي من أجْله والغَيور
أمْعَنوا في مناكبِ الأَرض سعْيًا فاحتَوُوهَا واستفْحَلوا في الثُّغور
واستبدُّوا بها فنحن إليها كالأيامَىٰ نحِنُّ خلْف الستور
يا بنِي الشرق حَرُّكوا العزْمَ فيكم وَثِبُوا في الحياة وَثْبَ النُّمور
واستَميتوا في جانب العزِّ تحيَوْا خالِدي الذِّكر رغم كرَّ الدهور!

تحية الشبيبة

ألقيت هذه القصيدة الخالدة في الحفلة السنوية لمدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة والتي اعتادت إقامتها ليلة السابع والعشرين من رمضان.
ونشرت في مجلة الشهاب جزء (2) مجلد (9) مارس عام 1933م

حيِّ حفلا كزُخْرف الرَّوْضِ عنِّي بتحايا كالْعارضِ المرجَحِنِّ
وتنزَّلْ عليه يا شعرُ رُوحًا مطمئنا في روعِه المطمَئن
إقتبلْ أوجُهَ الوَجاهة بيضًا مُشْرقاتِ السَّنا طوالعَ يُمْن
وقلوبَ الولاء منشَرحاتٍ طاهرات من كل ختْل وضِغن
وأكفَّ السخاء لم تتعقب بأذاة ولم تُكدَّر بمَن
ومزايا علويةً من ذِمامٍ في سلام وعزةٍ في تأني
ثريتْ في ثرى النفوس كنوزًا وجلَتْها السِّنون من بعد دفن
بوركتْ في رياضكم من فروع دانيات القُطوف نضْراء لُدْن
مرحبًا بالنفوس نشوى بِخَمرِ بنتِ أُنس لا بنت كأس ودَن
مرحبًا بالقلوب صُفَّت كُروما والتقتْ في النمُوِّ غُصْنًا بغُصن
ألَّف الله شملَها بعد شَتٍّ وتلافَى غاراتها بعد شَنِّ
أيها المحْتفون بالضَّاد هذا حرَمُ الضاد في سُمُوٍّ وأمْن
أشرفت منه نحوَكم شُرفاتٌ قائماتٌ على قواعدَ رُزن
من كهول به دُهاة هُداة وشبابٍ به أعاريبَ لُسْن
يَتناجَوْن حولَ برٍّ وتقْوَى بين فصلٍ من الخطاب ولَحْن

ويُهـيبُـون بـالـنفـوس إلى مـا ... يـهب الْجِدُّ مـن نَبَاهـة شـأن
سـاءهـمْ أنَّ شعبَهم مستكينٌ ... لـفتـورٍ في جِسمِهِ مستكنِّ
مقفَصٌ كالهزار جادَ لُحونا ... ليس يُدرى أنائحٌ أم مُغَنِّي
أو غَلَتْ فيه - والأدلَّة شتَّى - ... رادةٌ قلَّبته ظهرًا لبطن
فأعاضت ثراه جَدبا بخِصب ... وجزَتْه على النوال بضَن
والعوادِي تهُد بعد العوادي ... منه هدَّ الفؤوسِ من كل مَبنى
يا حماةَ البلاد يا فتيةَ الضا ... د تُرى هل لكمْ من الرأي مغنى؟
سارَ جيرانُكُمْ مع العصر شوْطًا ... ووقفْتمْ ما بينَ وهم ووهْن
تحت شتَّى القوى تُقاسون منها ... ما تُقاسون من أذى وتجنِّي؟
أين منكم مهابةٌ وانتصافٌ؟ ... أم سكنتم إلى احتقارٍ وغبن؟
لا تقولوا.. هان الجدودُ فهُنَّا ... سَاءَ نَشْءٍ له بهم سُوءُ ظن
في «تلمسانَ» في «بجايةَ» في (تِيهَرْ ... تَ) في «القَلْعَة» ازْدَهَى كلُّ فن[1]
يَوْم كانت مُهاجِرَ الشرْقِ والغَرْ ... بِ مَثَابًا كَمَعْهَدٍ وكَحِصْن
وعليها من الملوك ذوي العِزْ ... ةِ والبأسِ، كُل سهْرَانَ فَطْن
دعَّموا البَرَّ دعَّموا البحرَ بالأعـ ... ـلام مِن مُنشَئاتِ مُدْنٍ وسُفْن
ومشوا في مناكِبِ الأرض صِيدًا ... بين جرَّارة ملائك جن
يزَعون الشعوبَ رأيًا ورعْيًا ... ويسُوسونها بحُكْم وإذْن
ثم نِيطوا من الظُّروف بمُخز ... وأحيطوا من الصُّروف بمُخْنى
وطوتهم يدُ الزمان كما تطـ ... ـوِي يد الكاتب الكتابَ وتَثني
فإذا العيشُ حالكٌ مثل ليل ... وإذا الرَّبْعُ مُوحشٌ مثل سجن
وإذا الأرض قفرةٌ وإذا الجو مُعَـ ... ـمًّى تُظِلُّه سُحْب حُزن

---

(1) (تلمسان. بجاية. تيهرت. قلعة بن حماد) مدن كانت عواصم وحواضر للعلم والملك في الجزائر.

وتَقَضَّى مُلكُ الجُدود فلم يَبـ ـقَ بأيدي البَنين غيرُ التَّمَنِّي
يا لَمجدٍ مضيَّع غيْرُ مُجْد عَضُّ كَفٌّ عليه أوْ قَرْعُ سِن
قف معي بالجزائر اليومَ واسبُرْ غَوْرَ أحوالها بعين وأذن
تجد الطفلَ في الأزقَّةِ يلْهو والفتَى يشربُ الخُمورَ ويَزْني
تجد الطفلة اليتيمةَ تشقَى تحت خدرٍ تنوءُ أو تحتَ خِدْن
أوْ لَدَى البِيضِ[1] نصَّروها وقالوا أكرمَتْهَا يدُ المسيح بحَضن
ولوَ أنَّ الرجال منَّا رجال لم يفتها تزَوُّجٌ وتبَني
ما على خُرَّدِ الجزائر غيرا نُ ولا بالحُدود والاي مَعْنَى
والنياباتُ أسفرتْ عن مآس بل مَوَاسٍ تحدُّها كالمِسَنّ
كاذبات البروق من كل خَبٍّ يعِدُ الناسَ باطلاً ويُمَني
والمشاريع، والشرائع، والا داب، والكتْب، والنُّهى، في تَعنِّي
ومن اللُّسن في المَجامع والأقْـ ـلام في الصُّحْف شرُّ طعْمٍ وطَعْن
وفشا الدَّجلُ فالولاية دعوَى كلُّ ذي سُبحةٍ تَطولُ وذَقن
وغلا القومُ في الوليِّ فظَنُّوا أنَّهُ كالإله يُغْنِي وَيُقْنِي
وأبَوْا كَوْثرَ العلوم عِطاشًا طَمعا في وُرُودِ علم لَدُنِي
ضاق موسى بعلم صاحبِ مُوسَى بَلْهَ بُلْهٍ أتوا بإفْكٍ وأفْن
وتنادَوْا فبدَّعوا مُصلحِيهم ومتَى كان مصْلحٌ غيرَ سُنِّي؟
أيها المسلمون طال بنا الكرْ ب فهل لانفراجه من تَسَنِّي؟
حاشَ لله أن يغرَّ بشعب مستجير بلطفه مستجِن
أرقُبُوا اللهَ فيه وَاهدُوا حَيَارَى منه ضلوا سبيلَ جنَّةِ عَدْن
واعزموا عُقدة العقيدة في الدِّ ينِ تَقُوها من كلِّ فتْقٍ وفَتْن

[1] (البيض) الآباء البيض المعروفون باستدراج الأطفال السذج من الرجال والنساء إلى اعتناق المسيحية بواسطة أنواع الإحسان.

نعْمَ أجرُ الجهادِ بالنفس والما ... ل وقلْ للغنيِّ: إيَّاكَ أعني
إنما راحةُ الجزائر في راحة حرٍّ ... يُسْدِي العطاءَ ويُسْنِي
وذَروا الحيف في التشكِّي من الحيـ ... ـف فعهدي به انقضى أوْ كأنِّي
وابتغُوا حقَّكم من العيش عدلاً ... لا تميلوا لقَسوَةٍ أو لجُبن
ارفعوا صوتَكُمْ به واستميتوا ... فيه لا تيْأسوا ولو ألْفَ قَرْن
صرخةُ الحق في المسامع تنقضْ ... ضُ، كَسَهْم مِلْءَ الفضاء مُرِنٍّ
فسلامٌ إلى سلام على الحقْـ ... ـقِ، ولاَ ذلكٌ من مَنَار وَرُكْن
وسلامٌ على السلامِ على الصفْو ... على البشرِ والرِّضى والتَّدَنِّي
وسلام عليكمُوا وعلى الحفـ ... ـل وما ضَمَّ من جَلال وحسن

هيهات يُخزى المسلمون

ألقيت هذه القصيدة في مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة وفي حفلتها السنوية، ونشرت في ج (3)م (10) سنة 1352هـ – 1934م من مجلة الشهاب.

حمدًا لمن في الحق غاث وغارا ... ولوجهه عنَتِ الوجوه صغارا
سبْحانه زجر القَوِيَّ عنِ الأذَىٰ ... وحَمَىٰ الضعيفَ مِن الأذَىٰ وأجارا
الغالبُ القهار فوق عباده ... مَن ذا يكيد الغالبَ القهارا؟
من ذا يعقب حكم من سوَّىٰ القُوَىٰ ... ودرَىٰ الغيوبَ وقدَّر الأقدارا
جعل الشَّرائعَ أنهُجًا مرضية ... والأنبياءَ أدلَّةً أبرارا
واختَصَّ بالمِنح العِظام محمَّدا ... منهم فكان الخاتمَ المُختارا
آتاهُ قرآنا يحُضُّ على الهدىٰ ... ويفصِّل الأحكام والأخبارا
وشريعةً تُعطِي الحقوق سويةً ... للناس لا مَيْزًا ولا اُسْتِئْثَارا
شمسٌ من الأُفق المقدَّس أشرقت ... فارتدَّ ليل العالَمين نهارا
ومحجةٌ بيضاءُ من لم يعتصِم ... بِسَوائها ضلَّ السلوكَ وحارا
كم سارَ حزبُ الله فيها آمِنًا ... يَهدي العباد ويفتَح الأمصارا
حتَّىٰ انضوَىٰ المعمورُ تحتَ لوائه ... وغدًا حمًىٰ للمسلمين ودارا
هيهاتَ يُخْزىٰ المسلمون ودينهم ... علم الخلود يظلِّل الأقطارا
قولوا لمن راشَ النِّبال لصيْده ... ألْق النبالَ فإنَّ صيدَك طارا
يا غارةَ الله السَّريعَ غِياثُها ... خِفِّي إلينا و اُرفعِي الأكدارا
كلُّ الأراضي في النعيم رضيةٌ ... إلاَّ الجزائرَ فهْيَ تصلَىٰ النارا

وتنازَع الإخوان هذا بالأذىٰ ... يَسطو وذاك يريد منه الثّارا
والفقرُ فاشٍ فالنساء سوافرٌ ... يكدَحْن في طلب المعاش حَيارَىٰ
يبذُلن حتىٰ العرضَ في تحصيله ... لِيَقتْنَ أبناءً لهم صغارا
يا لَلرِّجال لحُرْمة مهتوكةٍ ... أفَشاعرونَ أم الرجالُ سُكارىٰ؟
أجدادُكم خطُّوا لكم خِططَ العلا ... ما بالكم لم تقتفُوا الآثارا؟
ما بالكم لم تُقلعوا عن وهْمكم ... وتُحرِّروا من قيْده الأفكارا
كونوا علىٰ المتعززِينَ أعزَّةً ... كونوا علىٰ المتكبِّرين كِبارا
كونوا الجبالَ الراسياتِ مَناعةً ... كونوا الْحصونَ الحاميات ذِمارا
أولادُكم خلفاؤُكم من بعدكُم ... فلِدوا الكرامَ وأخلفوا الأخيارا
لا تتركوهمْ شُرَّدًا واكْفوهُمُ ... مُؤَنَ الحياة وقُوهُمُ الأشرارا
ضاقت بهم حِيَلُ المعاشِ وأحدقت ... بهمُ المخازي يَمْنَةً ويَسارا
وأرىٰ رجالَ المال منَّا آلةً ... للشرِّ فلاَّحين أو تُجَّارا
لا يَعرفون من اقتصاد المال ما ... يُنميهِ إلاَّ البُخْلَ والإقتارا
أشْقَىٰ عباد الله من جَحَدَ الغِنىٰ ... وأذَلُّهم من قدَّس الدِّينارا
يا قوم هل بعدَ الرقاد إفاقَةٌ ... كم نائم سمع النداءَ فثَارا
لا تيْأسوا فالله قد جعل العلا ... دُوَلاً كما خلق الورَىٰ أطْوارا
فلعلَّ من بعد المهانة عزةً ... ولعل من بعد العسار يَسارا

أيها السامرُ

ألقيت في مأدبة بمناسبة الاجتماع السنوي العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك سنة 1934م ونشرت بمجلة الشهاب، ج 9م 1934/10م

أي عِقد حوىٰ الرؤوسَ نظامهْ ... أيُّ أفْق سقَىٰ النفوسَ غمامهْ
أيُّ ركن من الولاء ركين ... مؤنس جِلُّه مجير حَرامه
أيُّ ظلٍّ من الهناء ظليلِ ... لم يُكدَّر بالمزعجات لِمامه
أيُّ روضٍ من جنة الخلد ريَّا ... ه وكهف من السَّماء ذِمامه
وحمًىٰ بالفصاح بالعرَب الغُرّ ... باء بالصِّيد بالسَّراةِ ازدحامُه
ومجالٍ يخبُّ فيه رعيل ... يتجلَّىٰ عن البيان قَتامه
كلما جال فارسٌ قلت هذا ... حائزُ السبق فيه هذا إمامه
ما أراني شهدتُّ إلاَّ عُكاظا ... هذه أرضُهُ وتلك خِيامه
خطب اللُّسْنُ فاسْتَخَفَّ نُهىٰ القوْ ... م من القول فيضُه وانسجامه
بين راو من البلاغة نَشْوا ... ن وساقٍ على النُّهىٰ طافَ جَامه
أيها السامرُ الشهيةُ نجوا ... هُ لحُضَّاره البليغُ كلامه
مستوىٰ القول فيك والفعل والإد ... راك سامي العروج عالٍ سَنامه
حارِب الذُّل والخنوعَ وأنقذْ ... شعبَك المبتلَىٰ فأنتَ (عصامه)
واعتصم بالإله من كان عاد ... عزَّ مَنْ كان بالإله اعتصامه
حُبِّب الموتُ للمجاهد في اللـ ... ـه وآياته ولذَّ اقتحامه
ابنِ بالرأي والمَشُورَة ما شِئْتَ ... بنَاءً فليس يخشَىٰ انهدامه

وإذا شُــلَّ فـي الـجـمـاعـة عـضـوٌ فـمـن الـرأي فـضّمُـه لا خِـصـامـه
أيـهـا الإخـوةُ الـكرام ابسطوا الـعُذْ رَ لـشـعـري فـقـد تـعَاصَـى زِمَامُـه
لـيـس هـذا وصِـيَّـــة إنَّـمـــا هـــذا رضَـى مـعـجَـب بـكـمْ وسـلامــه
وأَعْـفُ عَنِّي – هُـديتَ للعفْو عَنِّي أيـهـا الـصـاحـب الـمـلـحُّ مَـلامـه
فـتْـرَة الـشِّعْرِ أشْبَهَتْ فَتْـرَةَ الـوحْيِ وإن كـان لـلـرَّســول مَـقَـامُـــه
تِـهْ فَـخـارا يـا مـعـشـرَ العلم قـد دَا نَ لَـــكَ الـشَـعـبُ شـيـخُـه وغُـلامه
حـفـظ الله مـعـشــر الـعـلـم مَـاطَـا بَ لـــه بــذْوه وطــاب خِـتــامــه

في أذن الشّرق

هذه القصيدة كلها نداء جهير للعلم، وتثويب للجزائر بأن تجد في السير حتى تلحق بالناهضين به، وكلها حفز للهمم الخامدة إن تتحرك، وللنفوس الراكدة أن تنطلق وللأيدي الجامدة أن تتبارى في البذل، وفيها تصوير بديع لحالة إفريقيا والشرق، ونعي عليهما في القعود عن مجاراة السابقين.

وبالجملة، فهي مجموعة زواجر لإفريقيا والشرق كله تصلح أن تكون دستورا عمليا للإفريقيين والشرقيين، وهي كمطولات محمد العيد تفاجئ القارئ بسلسلة من المفاجآت العميقة الأثر وأن قارئها ليذهل عندما يسمعها فيجد الشاعر ملما فيها بكل ما يعتلج في النفوس، ويختلج في الضمائر من أنواع الداء وأشكال الدواء. وأن في هذه الطريقة التي يسوقها شاعرنا — خصوصا في هذه القصيدة — لروعة لا تدري أهي روعة جلال أو روعة جمال. ثم تفيء إلى نفسك فتجدهما معا.

وأنشدت في إحدى حفلات الشعب التي كانت تقيمها مدرسة الشبيبة الإسلامية في كل سنة عند نهاية الموسم الدراسي. ونشرت في العدد الأول من جريدة البصائر سنة 1935 وبالجزء (11) مجلد (11) من (الشهاب) 1936 وفيها إهداء من الشاعر إلى الأستاذ الشيخ الطيب العقبي رحمه الله.

(محمد لبشير الإبراهيمي) رحمه الله

أَحدقتْ بالشبيبة الاعضادُ ... وفشا الذِّكْرُ حولها والضَّاد

صافح الغرَّ يوم حفلتها الغـ ... ـرُّ وصافَى به الجيادَ الجيادُ

كلَّ عام لنا به حفَلاتٌ ... زاهراتٌ كأنها أعياد

تسحَر الأنفُسَ الأناقة والرَّوْ ... عةُ فيها والذِّكْرُ والانشاد

يا وجوهًا مثل الأهلَّةِ لاحتْ ... لأَخَبْا منك نورك الوقّاد

مرحبًا شرِّفي القلوبَ وحلِّي ... ما لدَيْنا غيرَ القلوب مهاد

نحن قومٌ لنا قلوب على الصدْ ... قِ رَوَاس كأنها أطْواد

ما رَسَمْنا خُطًا إلى المجد إلاَّ ... وعليها أساسُنا والعماد

فَبِها لانتِ الصِّعابُ العواتي ... وبها هانتِ الخطوبُ الشداد

وبهـا دب في الجزائر إبـلا ... لٌ وإن لم يثق به العوّاد
وبها أمستِ (الشبيبة) كالأُ ... مِّ يغذِّي بدَرِّهـا الأولاد
وغدا مسرحُ (الأُبيرا) لنا سو ... قَ عُكاظٍ تؤمه الورّاد
نتواصَى بالحق والصبر فيه ... والتواصِي تضامنٌ وجهاد
ربمّا تنجلي الشدائد عنّا ... بالتّواصي وتنقضي الأنكاد
ومن الشرق أمةٌ غلبَ الصمتُ ... عليها فعمَّ فيها الفساد
ساد فيها الهوَى ولو لم تفرط ... في التواصي لَساد فيها السَّداد
إن في العصر آيةً لبني الشرْ ... قِ ولكنهمْ عن الذكر حَادوا
أعلن الصُّور بالقِيامة في الأر ... ض وقامتْ من القبور العِباد
وفشا العلم في السموات والأر ... ضِ وردَّت دَويَّـهُ الأبعاد
أيها الصارخ المُهيبُ بنا لَبَّـ ... ـاك في الكائنات حتّى الجماد
هتَفَ البرقُ باسمك الخالدِ السَّـ ... ـامي وحيَّاك بالغناء (الـرّاد)
وغزا (الغازُ) تحت بُنْدك وانطـ ... ـادَ إلى أوج خُلدك المِنْطاد
واشترى الناهضون منك وباعوا ... وغدَوْا رابحينَ فيك وعادوا
وعَنَا الناسُ لإسمِهمْ وأطاعوا ... وأشادوا بذكرهمْ ما أشادو
وقعدْنا مع الخوالف نُخزَى ... بضروب من الأذى ونُكاد
إن أفكارَنا تُحاكُ الغِشَاوا ... تُ عليها وتُضربُ الأسداد
فمِن البغْي فوقنا مرهَفاتٌ ... ومن الوهم حولنَا أصفاد
ومن الخُلف دوننا عقَبات ... يَنفَدُ الجُهدُ عندها والزاد
قد وقعنا يا علمُ في هُوَّةِ الجهـ ... ـل ولَمَّا يُتَحْ لنا الإنجاد
وانقطعنا يا علمُ عنكَ وعن كُـ ... ـلِّ تُراثٍ أبقتْ لنا الأجداد

حرتُ في عَزْوِنَا إلى الغُرْبِ لَوْلا فِكَرٌ خِصْبَةٌ ولُسْنٌ حِداد
ونفوسٌ لَنَا تُهِيبُ إلى المَجْـ ـدِ بنَا ما لَها سِواه مُراد
إن لِلْعُرب في الحضارة قِدْمًا قَدَمًا للورَى عليها أستِناد
كم وعَوْا في الحِجَاز مِن قَبْلِ رُومَا وأثِينا من حِكمةٍ وأفادوا
وعَتِ الأرضُ كلَّ ما عَادَ مِنْ عَا دٍ عليها وشادَهُ شَدَّاد
وأضعنَا الآثارَ فامَّحَتِ الطُّرْ قُ وضلَّت من بينها الرواد؟
أيها المُشْرِقون في ظُلِم التاريـ ـخ هل عصْرُكُمْ علينا يُعاد؟
ذابت الأنفسُ اشتياقًا لمرْآ كُمْ وحنَّتْ إليكُمُ الأكباد
كلُّ ما شِدْتُمْ على الأرض من مجْـ ـد تليدٍ أضاعه الأحْفاد
شُغِفَ القوْمُ بالمطامع حبًّا واستهانتْ بالأمةِ الأفراد
وتفشَّى في الخَلْف خُلْفٌ فذَلوا لسواهم حتى فَنَوْا أو كادوا
كل ذي إمرةٍ على الأرضِ (سَابو رُ)[1] وكُلُّ الشعوب فيها (إياد)
وَيْحَ (إفريقيا) تفرَّق فيها مُسلموها فكلُّهم أضْداد
وتدلَّتْ بهمْ إلى الهوْن حينًا فتدلَّوْا بها ومادتْ فمادوا
إغنمُوا من منافع الأرض واغزوا يا بَنِيهَا فإنكم أجناد
وأصِيبي من السيادةِ حظًّا يا بلادًا سَادتْ عليها البلاد
يا بلَادًا يُخزَى الكِرام عليها ويُعَزُّ الأسافلُ الأوغاد
يا بلادًا يُطوَى الجميلُ وينسى الـ ـعهدُ فيها ويُخلَف الميعاد
يا بلادًا لا يثبتُ الرأيُ في شـ ـيء عليها ولا يَدوم الوِداد
يا بلادًا يلْقَى النبوغُ بها الشُؤْ مَ ويَسعَى في قتله الحُسَّاد

---

(1) سابور بن هرمز ذو الأكتاف من ملوك بني ساسان، كانت له وقائع مشهورة مع قبيلة (إياد) العربية.

يـا بـلادًا مـا لـلـزعـامـة فـيـهـا ... قـوّةٌ أَوْ لِـزاعِـمـيـهـا اتِّـحـاد
الـنـيـابـاتُ كـلُّـهـا نـائـبـاتُ ... والـقـيـادَاتُ كُـلُّـهـا أَقْـيـاد
أُرْغِم الـمُرشدون فـيك على الصَّمْـ ... ـتِ وَبُثَّتْ عـليهم الأرصـاد
وأُجِـيـزوا مـن قـومهـم بظُنـون ... سَيِّـئَـاتٍ يـبثُّـهـا الـمُـرَّاد
كـم يـلاقِـي مـن الـعقوبـات حُـرٌّ ... ذنـبـه الـوعـظُ فـيـكِ والإرشـاد
لا تَـسـومـي آسـادَكِ الـغُـلْبَ ضَيمًا ... فـمِـن الـضَّـيْـم تـأنَـفُ الأسَـاد
لـيس إلاَّ مـن اخـتـلافِ الـمزايـا ... والـسَّـجِـيَّـاتِ تَـنـشَـأ الأحـقـاد
أبـت الـبـومـةُ الـهَـزارَ رفـيـقًـا ... وجَـفَـتْـه لأنَّـه غَـرَّاد
إن فـي الـمـوتِ والـحياة مـدًى أوْ ... سـعَ فـيـه تَـفـاوُتَ الأنـداد
يُـدركُ الـمرشـدَ الـمـماتُ فـيَبْلَى ... وتـغـنِّـي بـذكـرِه الأبـاد
إكْـتَـفِـي فـي الـبـرور مِـنِّـيَ يـا أرْ ... ضُ بـشِـعـر بـه يَـجـيـشُ الـفُـؤاد
ذي مـعـانٍ أبـيُّـهـا مُـسْتجـيـبٌ ... وقـوافٍ عـصـيُّـهـا مُـنـقـاد
كـل جـهـدِي عـلـيـك قـولٌ مُقَفًّى ... كُـلُّ مَـالـي يَـراعَـةٌ ومِـداد
أنـا مـهْـمَـا بـكـاكِ مِـنِّي (امْرُؤُ الـقَيْـ ... ـسِ) وحـيًّـا حِـمـاكِ مِـنِّي زِيـاد
لـسـتُ أجـدى عليكِ يا أرض ما يُجْدِ ... ي عـلـيـكِ الـنَّـجَّـارُ والـحـدَّاد
غـيْـرُ حـيٍّ عـلى الـبسيطـة شعـبٌ ... لـيـس فـيـه صـنـاعـةٌ واقْـتِـصـاد
أيـهـا الـشـعـبُ قـدِّم الـكَسْبَ ذُخرا ... لـيـس كـالـكَسْـب لـلـشـعـوب عَـتاد
شـاع فـيكَ الإهمال والـجـهل والغفـ ... ـلـةُ والـفـقـر والـضَّـنَى والـكَـسـاد
فـإذا قـمـتَ بـالـفِـلاحـةِ أثْـرَى ... في الأُلى أعدَمـوا الأُلَى فـيـكَ سادوا
وإذا قـمـتَ بـالـتِّـجـارةِ أَزْرَى ... بـالأُلَى أسْـلَـمـوا الأُلَى فـيـكَ هَـادُوا
وتـفـشَّـى الـرِّبـا بِـسـوقـك حـتَّى ... لـيـس عـنـه لـلْـكـاسـبـيـن حِـياد

كم مُمَدٌّ به ليحْمِيَ أرضًا ... لم تدمْ أرضهُ ولاَ الإمْداد
أثقلت ظهرَه الديونُ فبيعَتْ ... أرضُهُ مُعلَنًا عليها المزاد
أيها الشعبُ فيم توسع قهْرا ... ليت شِعري لأيِّ أمْر تُقاد؟
ليتَ شعري متى تُمَدُّ لك الأيـ ... ـدِي وتُغرَى بحبك الأكباد؟
ليت شعْري متى تصير عتيدًا ... ولأهليكَ بالنُّفوس اعْتداد؟
إن خيرَ البلاد في وُسْع أهليـ ... ـها إذا أبدَؤوا بها وأعَادوا
ومن العلْم للمواطن تاجٌ ... ماجدٌ يحتفِي به الأمْجاد
أيها الشعبُ خذ من العلم حَظا ... لم يشُبْهُ زَيْغٌ ولا إلحاد!
واجعل الدِّين للبنين دليلاً ... يسهُل الطبعُ منهم والقياد
وإذا اشتدَّ حادثٌ فتحمَّل ... وتجمَّل فمَا يَدوم اشْتداد
يخلُدُ الله ذو الجلاَل ويبقَى ... وسِوَى الله مُنتهاهُ النَّفاد

حمتك يد المولى

حمتك يد المولى وكنت بها أولَى ... فيالك من شيخ حمته يد المولَى
وأخطأك الموتُ الزؤامُ يقوده ... إليك امرؤٌ أملى له الغيُّ ما أملى
فيا لوضيع النفس كيف تطاولت ... به نفسه حتى أسرَّ لك القتلا
ونالَك في جُنح الدُّجى بهراوة ... فأدماك بل أدمى الكرامةَ والفضلا
وأدمى البرور المحض والرفق والهدى ... وأدمى الشعور الغضَّ والحذق والنبلا
وأهوى إلى نصل بكف لئيمة ... تجرأ أن ينضى بها ذلك النصلا
فأوسعتها وهنًا وأوسعها قوى ... وأجهدْتَها عقدًا وأجهدها حلا
وكادت يد الجاني «المسخَّر» تعتلي ... يد الشيخ لولا الله أدركه لولا
فوافتك بالنصر العزيز طلائع ... مباركة تترى من الملا الأعلى
وحفت بروح القدس شخصَك فانثنت ... مصيبتُك الجلَّى كرامتَك المثلى
وغادرك الجاني الشقيُّ مولِّيًا ... وهل يسلم الجاني الشقي إذا وَلَّى
وإن أنس لا أنس الذين تظافروا ... على الفتك بالجاني فقلتَ لهم مهلا
أليس من الآيات أنك بيننا ... تعامل بالعدل الذي أغضب العدلا
وترضى ولو عمَّن تبرم بالرضا ... وتسلَى ولو عمَّنْ أبي منك أن تسلى
وتحفظ حتى من أراد بك الأذى ... وتنصُر حتى من أراد لك الخَذلا
لك الله من داع إلى الله لم يشق ... بغير كتاب الله والسنَّة الفضلى
سعى لبني الإسلام بالخير ما سعى ... فأبلى – رعاه الله – في الخير ما أبلى
ولم يلبث الأشرار حتى تآمروا ... عليه فلم يألوه من شرهم خبلا
أرادوا به الفتك الذريع شماتةً ... وما كان للفتك المراد به أهلا
فهل كان هذا شأن من يدَّعي التقى؟ ... وهل كان هذا شأن من يدَّعي الوصلا؟!
أما كان ازهاق النفوس محرَّما ... على القوم أم ظنوا النفوس لهم حلا

إذا كنتمُ يا قوم بالحق قادة ... فأدلوا ببرهان إليه كما أدلى
تنحَّلتمُ يا قوم فعلَ محمَّدٍ ... وما فيكمُ من كان يشبهه فعلا
وحمَّلتمُ يا قوم هديَ محمد ... من الزَّيغ أقوالا ينوء بها حملا
فصوَّرتم الإسلام كالليل قاتمًا ... من الزيغ والإسلام كالصبح أو أجلى
فوا عظم صبري أين عهد محمد ... تراه يتيح الله رجعته أم لا؟
ووَا عظم صبري أين عهد صحابة ... أقاموا هدى القرآن بينهم فصلا
تعالَ (أبا حفص) تر العدل ذاهبًا ... كما شاءت الدنيا تر الظلم محتلا
تر الغيَّ مرفوع المعالم محكمًا ... تر الرشدَ مدفوع المعالم مختلا
تغيَّرت الآثار بعدك وانطوت ... رسومُ الهدى واخلَولَق الدين أن يَبْلى
وجاء على الإسلام بعدك معشرٌ ... تعدَّوْا حمى الإسلام وافترقوا سبلا
فلم يحفظوا لله حصنا ولا حمًى ... ولم يرقبوا في الله عهدا ولا إِلاًّ
غرار لهم في الحق دعوى عريضةٌ ... وإن سمعوا الحق استخفوا به جهلا
فهل كان دين الحق دين جهالة؟ ... وهل كان أهلوه زعانفة غفلا؟
فدم يا «ابن باديسٍ» كما كنتَ راشدا ... فإني رأيت الرشد يستأصِلُ الدَّجلا
وخذ بيمين الحق تعلُ عليهم ... فإني رأيت الحق يعلو ولا يُعلى
وإن تك قد مسَّتك منهم بليةٌ ... لذلك فالداعي جدير بأن يُبلى
جنايتك لا تأخذ بها الشعب إنها ... جنايةُ أفراد ذوي هِمم سُفلى
ولا تأسَ فالتاريخ - يا شيخ - حافظٌ ... لأعمالك الكبرى وآمالك الجُلّى
سيتلو على الأجيال شكرَك مؤمنًا ... إليك وأنباء الورى سوَرٌ تُتلى!

---

(1) هذه القصيدة تسجل قصة الإعتداء الشنيع المدبر على حياة الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة، وخلاصة القصة: أن «مريدا» من مريدي طريقة صوفية معروفة، اعترض سبيل الأستاذ الإمام ليلا، فانقض عليه بالعصا ثم جرد خنجرًا أراد أن يأتي به على حياة الشيخ، ولكن الشيخ استطاع – بإرادة الله وقوته – أن يأخذ بتلابيب المعتدي ويديه، ويحول دونه وبين تنفيذ الجريمة التي انتدب إليها، إلى أن وصل بعض المارة فأنقذوا الشيخ وسلموا المعتدي للسلطات ثم عفى عنه الشيخ وأعلن عفوه عنه أمام مسئولي العدالة آنذاك.

تحية ووصية

ألقى الشاعر هذه القصيدة في أحد احتفالات مدرسة «الشبيبة الإسلامية» بالجزائر.

سلام عليكم روّحوا الشعب بالفال ... فقد كاد يحظَى بالسلامة في الحال
سَلام عليكمْ أيها القوم سقتُه ... إليكم كبسْم الله في الأمرِ ذي البال
تحيةَ إسلام وعنوانَ أُلفة ... ودعوةَ إكرام وبرهانَ إجلال
سلام عليكم طبتُم اليومَ فادخلوا ... على اليمن مفضالاً إلى جَنْب مفضال
سلام عليكم آل فضْل ونجْدة ... ونُبل فبوركتم على الشعب من آل
سلام عليكم عصرُكم عصرُ نهضة ... خذوا حظكم منها بجِد وإقبال
خذوا حظكم منها بكل جدارة ... فأنتم ذوو حسنى سلائل أبطال
إذا قيل نبراس الهدى فهو دينكم ... متى قَرَّ في الأَرواح فهو لها جال
وإن قيل آساد الشرى فجددوكم ... فكونوا لآساد الشرى خير أشبال
ولا تحسبوا العلياءَ وقْفًا عليهمُ ... فكم خلَّف المَتْلُوُّ علياء للتالي
وفي الزمن الحالي وجدتم لعونكم ... قُوَى لم يجدها الناس في الزمن الخالي
مصانع من يقصد لها يلق عندها ... من الصنعة المثلى غرائب أشكال
أرى درسها فرضا عليكم فواصلوا ... مدى العمر ترحالا إليها بترحال
خذوا حظكم منها كبيرا فإنكم ... كبار وأمثال لها جد أمثال
خذوا فانهضوها نهضة عملية ... ولا تحصروها في زخارف أقوال
وأشبه شيء بالخيالات في الرُّؤَى ... إشادة آمال على غير أعمال

على السعي فابنوا لأعلى الوهم مجدَكم ... ولله فاسعوا لا لقيل ولا قال
وبثوا فنون العلم والحكم بينكم ... ولا تُؤْثِرُوا منها الجديد على البالي
اقلُّوهما عِدلين فوق جهودكم ... وسيروا بها للقصد أسرع شِملال
بني وطني أن الحياة مفازةٌ ... لكم قد كساها الليل أسبغ سربال
فمن يقتحم فيها السُّرى يحمد السرى ... صباحا بايغال بها بعد ايغال
ومن يتهاون في السرى الليل أويهن ... فَضُلَّ بن ضُلٍّ أو فريسة مغتال
بني وطني كم دونكم من بضائعٍ ... نفائسَ تشرى في غُدُوٍّ وآصال
يفوز بها في الشرق والغرب صفقةً ... ذوو الكد والتمحيص والنظر العالي
أكبُّوا عليها طالبين ولا تنوا ... فإن الونى كالموت حاصد آجال
وضحوا ببذل النفس والمال دونها ... فليس لها سعرٌ سوى النفس والمال
وما قِيَمُ الأَشياء عِنْد ذوي الحِجى ... بشيء إذا ما عومل البخس بالغالي
بني وطني أشكو إليكم تفرقا ... قطعتم به للشعب عِدَّةَ أوصال
وحكَّمتم الاهواء فيه فلم يزل ... لَقًى بين أهواء تجيش وأهوال
أناشدكم يا قوم بالخالق الذي ... توحد في ذات ووصف وأفعال
وبالملة الحسنى التي جمعتكمُ ... بقاعدة التوحيد من منذ أجيال
وبالوطن الباقي على الدهر وَحده ... لكم وحدكم ذكرى سَراة وأقيال
وبالأنفس اللائي تمتُّون اخوة ... وأبناء أعمام إليها وأخوال
بأن تَدْرؤُوا بالصلح كل تفرق ... عراكم وتحملوا الشعب من كل زلزال
ولا ترتجوا للشعب نصرة غيركم ... فما غيركم يا قوم للشعب من والي
بني وطني علم الحياة حِمًى لكم ... حصين علام اجتزتموه باهمال؟
بني وطني جيرانكم سبقوكم ... إلى قصبات السبق فيه بأميال

فكم لهمُ فيه مدارس جمة تُقلُّ ألوفًا من شباب وأطفال
بَنَوْا بيد الشُّورىٰ مناهج سيرها وحاكوا قضاياها علىٰ خيْر منوال
بني وطني أعْلُوا المدارس تُعلِكمْ بتعليم جهَّال وارشاد ضُلاَّل
وصونوا بها الفصحىٰ التي بكتابِكم اشادت ببرهان وساغت كسلسال
وهزوا مشاريع الجزائر إِنها تنوء بمرأىٰ منكم تحت أثقال
بني وطني لا خير في كل معرِضٍ عن الشعب منكم واهن النفس بطَّال
بني وطني من كان للشعب فاديًا فَكِيلوا له البشرىٰ بأعظم مكيال
وقولوا لمن يطغىٰ أمامك خالق بشرٌ وخير منك يَجْري بمثقال
محضتكم جمَّ النصائح تحفةً مباركة في ضِمنها جمُّ آمال
ووصمي بأني نابني اليأس، سبة أراها علىٰ ضعفي محالا علىٰ حالي
فيا أيها اليأس الذي قيل نابني بحق المعالي ما خطرت علىٰ بالي
وكم غُلَّ من حر ليصلَىٰ تشفِّيًا فحفَّ بلطف بين نار وأغلال
ويا حَادثات الدهران نفوسَنا حرائر تأبىٰ أن تُسام بإِذلال
ويا وطني روحي فداك وراحتي وعيشي وذودي فيك عنك وتسآلي
وفيك اهتمامي وانشراحي وشدتي ولِيني وإِعلالِي عليك وإِبلالي
وبسطي وقبضي في هواك ومنطقي وصمتي وهَوْني في رضاك وإِعجالي
ليسلُك أبناء العقوق فما أنَا لفضل أب الاحسان مثلك بالسالي
ويا قوم إني ما نطقت تطاولاً عليكم بفضل أوزهوًّا بادلال
ولكن بُرورًا بالاخاء وصلتكم بخير الهدايا من عظات وأمثال
فإِن طبتم نفسا بها فبفضلكم وإلا ففضل الله أزكىٰ وأبقَىٰ لي
وفزتم باكمال النعيم عليكم كما فاز دين الله منه باكمال

حزبٌ مُصلح

نشرت بـ (الشهاب) ج: – 8 – و – 12 – نوفمبر 1936م
وفي العدد – 38 – من جريدة البصائر سنة 1936م
ذعر المستعمر للمؤتمر الإسلامي الذي عقد بعاصمة الجزائر سنة 1936. الذي جمع أبناء الشعب على صعيد واحد، ووحّد جهودهم في خدمة الوطن. فعمد إلى تحطيمه بتدبير حادثة إغتيال المفتي ابن دالي محمود كحول، الذي كان مناوئا لجمعية العلماء. فألصقت تهمة الاغتيال بأحد أعضاء الجمعية، وهو (الشيخ الطيب العقبي) رحمه الله فزج به ظلما في سجن بربروس مع السيد (عباس التركي) أحد أعضاء الجمعية المخلصين.
وتحت تأثير هذه الحادثة وملابساتها. ألقى الشاعر هذه القصيدة في مأدبة أقامتها (جمعية العلماء) (بنادي الترقي).

سر مع التوفيقِ فهو الدَّليلْ ... حَصْحَص الحق وبانَ السبيلْ
عاطني السَّرَّاء كأسًا بكأس ... واسْقِنيها إنها سلْسَبيل
زالَ عن مَوقفنا كلُّ ريْب ... فهو كالمرآةِ صافٍ صقيل
ان قومًا بالدَّم اتَّهمونا ... وزْرُهمْ يوم الحساب ثقيل
أوْرَدُونا موردًا مُستَرابا ... طعْمهُ مرُّ المَذاق وبيل
وابتلَوْنا بالأذَىٰ فصمَدْنا ... لِلأذىٰ والصَّامدون قليل
ما شَعرنا – يعلم الله – حتَّىٰ ... جاءنا أنَّ (ابن دالي) قَتيل
فإذا (العُقْبي) وهُو وحيد ... موثَقٌ في (برْبروس) عليل
مَن رَأىٰ (التُّركي) فيه رهينا ... وهو (للعُقبي) فيه زميل
من رأىٰ (النادي) لم يبق إلاَّ ... لِسوىٰ الظلماء فيه مَقيل

والكناريـن يَموتـان جوعًـا ... وَمُـواء الهِـرِّ فيـه عَويـل[1]

كـلُّ شـيء فيه بـاكٍ حَزيـن ... مُوحِشٌ مِمَّا عَراهُ مَحيـل

مَن رأى الأَشياخَ تُملِي وتُمضي ... وتجِيل الرأي فيما تُجيل

مَن رأى الشُّبَّان هَاجوا وماجوا ... وانْبَرَوْا كالأُسْد إن غيل غِيل

مَن رأى الشعبَ يَروح ويَغدو ... وَلَه مِثل الحَمام هَديل

ومن الأَبصار شَزْرٌ وخَزْرٌ ... ومن الأفواهِ قالٌ وقِيل

يا لها من تُهمة مُفتراة ... ما لها في الحادِثات مثيل

لو تركنا الحزمَ فيها لكانت ... فتْنَةٌ فيها الدماء تَسيل

لمْ يدمْ كيْد ولم يبق ظلم ... إن كيْد الظالمين ضئيل

كل ما شادوا له من بناء ... محكم للكيد فهْو مَهيل

قُل لقاضِي البحْث (فايان) أوْ من ... هُو في التَّحقيق عنهُ بديل

ظهر الجاني فما أنتَ قاض ... أمقيمٌ حَدَّهُ أم مُقيل

نحن حِزبٌ مصلحٌ سَلَفيٌّ ... مُعوقٌ في المؤمنينَ أَصيل

طوعَ أمرِ الله ما جَدَّ جِد ... في التصاريف وجلَّ جليل

ان تكن نعمَى فحمْد كثيرٌ ... أو تكن بَلْوَى فصبْرٌ جميل

أيها النادي لكَ الأمنُ فانعَم ... كلُّ ظِل في حِماك ظليل

اخصبَ الوادِي بأرضك مرعَى ... وشدَا الشَّادي ومالَ الخميل

فكأنَّ الأَرضَ حولَك خُلْدٌ ... فيضُه بالمكرُمات جزيل

وكأنَّ النصر فوقك تاجٌ ... قدُسيٌّ صاغه جِبرئيل

---

(1) كان بالنادي كناران كل منهما في قفص خاص وهو صغير، فلما وقعت حادثة الإغلاق مات الكناران جوعا، ولبث الهر يموء من ألم الجوع فانتبه بعض الجيران له فكانوا يلقون إليه القوت من نوافذ منازلهم وهو رهين النادي لا يجد إلى الخروج سبيلا، حتى جاء نصر الله والفتح...

أيها النادي لكَ الخير فابْشِرْ — إن وفدَ العلم فيك نزيل
أيها الحامُون بالعلم أرضًا — حرَّةً ساد عليها الدَّخيل
أنا منكم في شهودي وغَيْبي — لستُ عنكم ما حَييتُ أميل
لم يقفْ بي موقفَ القول إلاّ — أمَلٌ سامٍ وقصْدٌ نبيل
هو حظِّي أن يَفتنِي حَظ — وخَليلي إن يَخُنِّي خليل
لا أرى الألقاب إلاّ بروقًا — راجعات الطرف وهو كليل
هذه آياتنا شاهداتٌ — سوف يتْلوهنَّ جيل فجيل
نحن للصدرِ وإن خلَّفونا — فلَنا فِي الأوَّلين رعيل
لا تخفْ في جانبِ المَجْدِ موتًا — فهْوَ موتٌ بالحياةِ كفيل
من يعش حرا على الأرض يوما — فَلَهُ في النَّاسِ عمْرٌ طويل
قد رفعنا رايةَ المجْد عليا — وبنا للمجدِ جَدَّ الرحيل
من يَقل لا تأمنوا الغدْرَ قُلنا — حسْبنا الله ونعم الوكيل

رفاق الخير

من حوليات الشاعر التي تعود إلقائها في كل سنة بمناسبة الحفل الذي تقيمه إدارة نادي الترقي. بعد انتخاب المجلس الجديد لجمعية العلماء
نشرت في العدد (3) من «البصائر» سنة 1936.

طابَ في ظلكَ السَّمرْ ... فازْدَهِرْ يا أخَا القَمَرْ
وجهكَ اليوم مُشرقٌ ... لم يَحُمْ حولَه كدَر
فأزح كلَّ حالك ... بينَ أحيائنا انتشَر
وأزلْ كُلَّ لمعة ... مِن قَذَى تَخدِش البصرْ
إنَّ للنَّاس أنفُسًا ... ضَارياتٍ على الضرر
وعُيونًا رقيبةً ... شرَّةً تَقذِف الشَّرر
كلما سَارَ سَائرٌ ... قلَّبتْ بعده الأثر
فانجُ من كيدها وكُنْ ... مِن أذاها على حذر
قد بلاَ اللهُ مَنْ بلا ... فيكَ بالسَّعْي واختبر
فتخلَّى الذي أبى ... وتحلَّى الذي صبر
أخسرُ الناس صفقةً ... نفَرٌ منكَ قد نفر
قد نوَيْنَا له الهُدى ... ما نوَيْنا له الغَرر
قَسَمًا بالذي كفَى ... حزبَهُ غارةَ الغَير
علم اللهُ لم نُردْ ... بشرًا غافلاً بشَر
نحن في الخير رُفقةٌ ... ما لنا غَيره وطَر

احتملنا له الأذى واقتحمنا له الخَطَر
وبلونا بكشبه كلَّ ما ساءَنا وسَرّ
ومِن الخير مَعْبَرٌ شائِكٌ راعَ مَن عَبَر
ومن الشر معثَرٌ لم يَقُمْ مَن بِه عَثَر
ومن الناس أنجُمٌ في الملمَّات أَوْ حُفَر
ولأَعمالهمْ بها مثل أشكالهم صُور
ان للخير صورةً نضرةً تفْتنُ النظر
أيها الدَّهر إنما أنتَ لَوحٌ من الذِّكر
راسم الخير فيكَ لمْ يبْق في الحُسن أَوْ يَذَر
أيها الغُرُّ شرِّفوا نُزلَ ناديكمُ الأغر
رحُبتْ ساحه بكمْ والمقاصير والحُجر
وأقيمتْ لكمْ به سُفْرَةٌ حُسْنُها سَفَر
سُمُطُ الأكلِ روْضَةٌ بيننا رقَّة الزَّهَر
والخطاباتُ أقْوُسٌ حولنا والنُّهَى أكَر
أيُّ نادٍ به ازدَهَى جانبُ الخير وازدَهَر
لا تضِنُّوا بنَصْرِه فِي مهمَّاتِه الكُبَر
لا تَبثُّوا به قِلَى إنه للرِّضَى مَقَر
لا تَخافوا به أذًى فهْو مِن حوْلكم وَزَرْ
ويحَ قوم لم يحْذروا نقمةَ الله في سَقَر
لا يبالون في الهوى ما نهى الله أَوْ أمَر
قد تحدَّتهمُ (البَصائِرُ) بالآي والعِبر

سـوفَ نَهـدِي بنـورهـا كـلَّ مَـن زاغ أو كَـفَـر
ونـبـاهـي بسـيْـرنـا تحتَـهـا أنجُـمَ السَّحـر
قـد حَثَثْنـا لهـا الخُطَى وشحذْنـا لهـا الفِـكَر
أيـهـا المسلمـون لاَ تـخفِـروا عهْـدَ مَـن خَـفَـر
سالـمـوا كـلَّ مـن طـغـى فِـي الخُصـومـات أوْ فَجَر
حسْبُنـا فـي جِهـادِنـا أنَّ مـن جُنـدِنـا القَـدَر
كـنتـمُ خيـرَ أمـة أخـرَجَ الله لـلـبـشـر
لا تـخـافُـوا لا تـحْـزَنـوا إِنَّ عـقـبـاكُـمُ الظَّفَـر

بلادي

ألقى الشاعر هذه القصيدة في إحدى حفلات مدرسة الشبيبة بالجزائر في قاعة «لاليرة» بالعاصمة ونشرت في جريدة البصائر سنة 1937م

بلادِي فِداكِ الرُّوح والله عالمُ   عليك سَلامٌ خالصُ القصدِ سالمُ
يحيِّيك مشتاقٌ على القرب مشفقٌ   من البعد مشغوف بحبِك هائم
له فيك ألوان من الرَّأي عدةٌ   فأبيضُ وضَّاح وأسوَدُ قاتم
تُباكرُه في صُبْحِه غيرَ نائم   وتطرُقُه في ليله وهْو نائم
فآونةً فيما يَرى متفائل   وآونةً فيما يرى متشائم
على أنَّ رَأي الفال أقوَى علائمًا   وتقوى الأَماني حيث تقْوَى العلائم
فهذا بحمدِ الله للضَّاد موْسم   كريمٌ وعيدٌ للعروبة بَاسِم
وحفلٌ بَهِيٌّ للشَّبيبة زاهرُ   كروضٍ نَديٍّ باكرتْه النَسائم
تلاقَى به أنصارها وحماتُها   كما تتلاقَى في السماء الغمائم
وطرَّب فيه الناشئون وغرَّدوا   كما غرَّدت فوق الغصون الحمائم
فكلُّ لياليها وأيَّامها لنا   ولائمُ لم تَبرح تليها ولائم
تَلاءَمَ في الدين الحنيفي شملنا   فبات قريرا شملُنا المتلائم
أبَى الله إلاَّ أن يضمَّ قلوبَنا   إليه وأنفُ الكُفر خَزيانُ راغم
عطاءٌ لنا من واسع المُلك واسع   وفضلٌ لنا من دائم المُلك دائم
لقد شدَّ بالإيمان عَقد قلوبنا   وليس لعقد شدّه الله فاصم
وبوأنا في العالمين مباءةً   مباركةً كالخلد لولا المُزاحم

رياضٌ دنت للطامعين قطوفُها   فلم يَمْتنع منهم عن القطف طاعم
هلَّم نذُدْ عنها جوائح جمَّةً   تهدّدها من حولنا وتهاجم
هلُّم نذدْ عنها نُسورا حوائما   عسى تنجلي عنها النسورُ الحوائم
سخوّنا فسامتنا بكل إذاية   سوائم بالمكروه فينا سوائم
مراتعُنا للناجعين خصيبةٌ   وأكنافنا للنازلين نواعم
حوت أعظمًا للأوّلين رميمةً   أثارَاتها في الأخرين عظائم
حوت أمّة ذانتْ بدين محمد   وسارت على البيضاء والليل فاحم
لقد كانت الأجداد أسدًا ضراغما   بها، فهل الأحفادُ أُسْد ضراغم؟
إلى الحق ولُّوا أيُّها القوم وجهَكم   إلى الحقِّ لا يأخذكمُ فيه لائم
فما ضاع حقٌّ للمحامين واجدٌ   ولا ذاع حق للمحامين عادم
هلم نُبن عن حقنا في بلادنا   فكم فيه مرتابٌ وكم فيه واهم
علام بغَى الباغي بها غَمْطَ حقنا   أنحن جماداتٌ بها أمْ بهائم؟!
وما الحقُّ إلا كهرباءٌ خفية   لها القول سِلك والعقول قوائم
فقُل لضريرِ القلب لاتكُ واجمًا   فليس يَقيكَ الضرَّ أنك واجم
ومن أين يَدري الناسُ ضرَّك بينهمْ   وأنتَ له في جانب الصدر كاتم
وقل لبني قوْمي: دعوا الجُبن وانهضوا   لفكِّ رقاب أثقلتها الأداهم
وقولوا لآتي العدل إنّك عادلٌ   وقولوا لآتِي الظُّلم إنك ظالم
هلمَّ نُعارك فالحياةُ مَعاركٌ   هلمَّ نُقاحمْ فالحياة مَقاحم
هلم نُثِرْ في المؤمنين جميعِهم   دويًّا له مثل الرعود دَمادم
هلم نَبعْ لله ما ابتاع منهم   ففي البَيْع أرباح لنا غنائم
هلمَّ بني قومي إلى المجد نُعْلِه   فنحن له منذ القديم دَعائم

هلم بني قومي إلى الذِكْر نمله ... ففي الذكر أخلاقٌ سمت ومكارم
ولست أرى القرآن الا مناجمًا ... أتدرون ما تحوي عليه المناجم
علىٰ الدين والدنيا وعلميهما معًا ... شُهودًا وغيبًا فهو بالكفل قائم
فربُّوا عليه الناشئين تَلُحْ لهم ... به طرُقٌ مشروعة ومعالم
وفي سبُل التمكين جِدُّوا وزاحموا ... سواكمْ فما خاب المجِدُّ المزاحم
وفي سبُل التعليم أعطوا دراهمًا ... ففي سبُل التعليم تُعطى الدراهم
ومن يوقَ شحَّ النفس لربك آثمًا ... ولا خاسرًا إنَّ باء بالخُسر آثم
أحيِّي نفوسًا بالسخاء طوافحًا ... عليهن من صدقِ الاخاء خواتم
سقىٰ الله حزبَ المصلحين سواجمًا ... من النِّعَم العُظمىٰ علَتْها سواجم
رغبنا بهم عن حاتم وحديثه ... ففي كلِّ فرْدٍ منهم اليوم حاتم
ألا في سبيل البرِّ أيدٍ كريمةٌ ... لهمْ ونُهَىٰ مشحوذة وعزائم
هنيئًا لكم أهل التبرع والنَّدىٰ ... مغانم أجْر لم تَشُبها مغارم
سيشهد شهرُ الصوم خيرَ شَهادة ... لكمْ وتزكِّيه الشهور القوادم
فلاتكُ يا ابن الدِّين بالصوم هازئًا ... ففيه حدودٌ جمة ومحارم
تَصَرَّمَ شهرُ الصَّوم إلا أقلَّه ... وأَوْشَك أن ينأىٰ الأنيسُ المنادم
فهل أنتَ ساع بالهواجر دائبٌ ... وهل أنت سارٍ في الدياجير حازم؟
وهل أنتَ راج في أجورك راغبٌ ... وهل أنتَ باك من ذنوبك نادم
وهل صُمتَ هذا الشهرَ لله مؤمنًا ... ومحتسبًا تَعفو به وتُسالم
وقلتَ لمن ناجاك بالبر ناجني ... وقلتَ لمن هاجَاك إنِّيَ صائم؟
ألا هل لنا يا شهرُ فيك مراشدٌ ... ألا هل لنا يا شهر فيك مراحم؟
تَروح وتغدو في الجزائر كلِّها ... أوازمُ للصَّبر الجَميلِ هوازِمُ

فمِن مُحدَق بالجند ما هو ثائرٌ … إلى مودَع في السجن ما هو جارم
وفي تُونسَ الخضراء شملٌ مبدَّد … وفي المعرب الأَقصَى أذًى متفاقم
وفي المقدِسِ الباكِي الحزين فَضَائع … توالتْ وأنكادٌ طغت ومآثم
فيا شهرُ هل في الأَرض يُكشف كربُنا … ويُبْعَث فيها مجدنا المتقادم؟
وهل يَبْسُط الإِسلام في الأَرض ظله … وتَنْتَشِرُ الفُصحى وتعلو العمائم؟
ويا شهرُ هل تعطى الجزائر حقَّها … ويُفرجُ عنها ضيقُها المتلاحم؟
وهل تلتَقِي فيها القلوب على الرضى … وتُخطئُها أحقادها والسَّخائم
وهل ترتقِي فيها العقُولُ وتنتَقِي … من العِلمِ حظًّا للعقول يلائم؟
بلَى سوف يُحيي الله كلَّ ربوعها … فتزكو بوَاديها وتَزهو العواصم
ومنَّا لها في الخوفِ حَام وحارسٌ … ومنَّا لها في الحَيْف كافٍ وناقم
ومنَّا لواءٌ في الميامين خافقٌ … ومنَّا شهابٌ للشياطين راجم
ومنا جبالٌ في الحُلوم شوامخٌ … ومنَّا بحارٌ في العلوم خَضَارم
وهبْتُكِ روحي يا جزائر فأمري … كما شئت إِني خاضعٌ لك خادم
حماكِ ربيع لي وإن كان جاحمًا … عليَّ وهل يُصلِي خليلَك جاحم؟
وقرباكِ هم قُرباي لست مباليًا … أعاريبٌ هم في جِنسهم أم أعاجم؟
فخذْ من دمي يا أبن الجزائر إِنني … أخٌ لك في كلِّ الحظوظ مُقَاسِم
ويَشْهَدُ لي بالصِّدق قلبي فإِنني … عليه لو أستكشفت لاسمك راسم
وجِسمي ففيما يبتنيك هشمتُه … بكَدِّي وإِن لم تدر أنيَ هاشم
فكن واثقًا بالصدق مني فأنني … زعيمٌ بقول الصدق ما أنا زاعم
وكن راجيًا للخير منِّي فما أنا … على فعل شيء من سوى الخير عَازِمُ
فإِنْ تلتمس عفْوي فإِني باذلٌ … وان تستثر غيْظي فإِنِّيَ كاظم

نـمـتـنـا أصولٌ فـي الـحـيـاة وثيقـةٌ فلا تـصـر مـنَّـا بـالظنـون الـصوارم
أعـيـذك من دُنـيـا الـغرور وشـرِّهـا ومـا شـرُّهـا إلاَّ عـن الـظلم نـاجـم
فـطِـب واستقـمْ كالعود إن تَكُ صـاليا بـنـار وإن يَعْجِمْـك بـالـغَمْر عـاجم
إذا كـان حـظُّ الـنفس للنـاس نـاثِرًا فـإنَّ لـهـم حـقَّ الأخـوَّة نـاظـم
أصـرِّح أحـيـانًـا بـقـصـديَ واضحًا وألْـحَن أحيـانًـا فهل أنـتَ فـاهـم؟
أراك أخِـي مـازلـتَ وسـنـان حـالمًا تـيـقَّـظ إلـى كـمْ أنـتَ وسنانُ حالِم؟
تيقَّـظْ فـفـي دنـيـاك أعـظـمُ نـهضة تـضِيـق بمعنـاهـا الـلُّـغَى والتـراجم
وجـاهـدْ فـإن الـحـرَّ فـيـهـا مجاهدٌ وقـاوِمْ فـإن الـحُـرَّ فيهـا مُـقـاوم
وقـمْ فـابن ذكْـرًا عاليَ الصِّيت ماجدا كـريـمًـا أُواسِـيـه الـرِّجـالُ الأكـارم
ولا تأسَ أن صـادفتَ في الناس هادمًا لـه فـسـيـبْـنِـي اللهُ مـا هـو هـادم
سيُغنيـك حكمُ الله عن حُكم غيـره وحـسـبـكَ أنَّ الله بالـحـقِّ حـاكـم

كلمة في الرسالة

شرعَ الالهُ الدينَ للأتباعِ ودعا إليه الخلقَ بالإقناعِ
فإليهِ بادِرْ بالرُّجوع مُلبِّيًا قبل القضاء عليكَ بالإرْجاع
وله تضرعْ راغبًا أو راهبًا فهو الحفيظُ عليك وهو الرّاعِي
الله عزَّ وَجل ربُّك فادْعُه فهو المجيب لكل عبْدٍ داعي
وعليه في كلّ الرّغائب فاعتمد لا تَعْتَمِدْ أبدًا على الأشفَاع
سبحانَهُ جَلَّى الفسادَ بِنُورِه وأَمدَّ منه الكونَ بالإشعاع
المُلك والمَلكوتُ قامَا باسْمه وتسامَيا في النُّظم والأوضاع
وحّدْهُ في ذات وفي وصْفٍ وفي فِعْلٍ وفي خَلْقٍ وفِي إبداع
واحذر شِراك الشِّركِ فهيَ كثيرةٌ شتَّى المظاهر جمَّة الأنواع
كم واقع فيها ويحسَب أنه في الدِّين حرُّ العَقد رحْب الباع
الشرك داءٌ في البرية كامنٌ مستفحِل الأضرار والأوجاع
الشرك سِتْرٌ حيكَ مِنْ نسج الهَوى غَطّى على الأبصار والأسماع
فاقبسْ من التَّوحيد أعظم جذْوة وتمشَّ تحت ضِيائها اللَّمَّاع
يا عَبْدُ ثق بالله يكْفِكَ وحْده يا عبْدُ سَلْهُ يُجِبْك بالإسراع
واصبر بباب الله نفسك ضارعًا يفتَحْه مِصراعًا على مِصراع
واليه بالطَّاعات كن متوسلاً لا بالمُنى وكواذِب الأطْماع
وبآيِهِ المُتلَى فكن متهَجِّدا لا بالأغاني العذبةِ الإيقاع

***

يا أمة جهلت حقيقةَ دِينها فتفرَّقت فيها إلى أشياع
العاصفُ الزعزاع من أهوائها يشتدُّ إثر العاصِفِ الزَّعْزاع
في القاع ماءٌ كيف شئت مبارَكٌ فرِديه وأطَّرِحي سَراب القاع
هذا الأخ (الميليُّ) فيكِ مثوِّب لله بالذِّكرىٰ فهل من واع؟
يجلو وجوه الشرك وهي خفية للنَاس شان العالم النَّفَّاع
اليوم من أفكاره تجتنين ما تَجنين من عِلم ومن إمتاع
فأوِي من التَّوحيد خُلدًا طيِّبا وتنشَّقي من عَرفهِ الضَّواع
ودعىٰ الفئامَ المارقين عن الهُدىٰ الخَارقين حظيرةَ الإجماع
وعلىٰ السُّلوك المُستقيم فقوِّمي عاداتك المُعْوَجَّة الأَضلاع
ولعل جهلك واقتِحامك للرَّدي وهواك قد آذنَّ بالإقْلاع
فترقَّبي حُسن المَثابة في الورىٰ وارجي شيوع الذكر في الأَصْقاع
واحيَىٰ وحيِّي بالرِّضى مستقبَلا كالروض خِصبًا كامِلَ الإمراع

رسالة الشرك ومظاهره لمؤلفها الأستاذ الكبير الشيخ مبارك الميلي رحمه الله وقد نشرت في مصدر الكتاب المطبوع في 1356هـ 1937م وقد تحلى هذا الكتاب بصورة المؤلف وعليها من الشاعر هذه الأبيات:

إلى الشعب أهدى صورتي ورسالتي كذكرى للإخلاص له وجهادي
وأسدى له العالمين نصيحة أريد رضى ربي بها وبلادي
وأن قبل الشعب الكريم هديتي ونصحي فقد أدركت كل مرادي

كما أن على القصيدة كلمة بقلم مؤلف الرسالة. وهي لقب من ألقاب الشاعر الفخرية والكلمة هي: «حسان الدعوة الإصلاحية». و «كميت» الفرقة الناجية شاعر الجزائر الفتاة مدير مدرسة الشبيبة بالجزائر الأستاذ محمد العيد آل خليفة.

استوح شعرك

إسْتَوْحِ شعْرك من حَنايا الأَضْلُع واسْتَجْل في القَسَمَات حُسنَ المَطْلع
وصُغ التَّحيَّة نَضْرةً رقّافةً كالوَرْدِ وأرفعها لهذا المَجْمَع
مِن باحثٍ مُتفنِّن أو واعِظ متسنِّنٍ أو قارئ مُتَخَشِّع
ما ينتَهي منهمْ بليغٌ مصْقَعٌ إلاَّ يُحيل على بَليغ مِصْقع
والقومُ كالأَسْد الرَّوابض جُثَّم من حَوْلِهمْ أو كالنُّسور الوُقَّع
قُلْ لِلجزائر وهْيَ أمٌّ مُرضعٌ مثْلُ اللَّبوْة أيُّ أمٍّ مَرضع!!
أبناؤك الأَشبال فيك تَزاوَروا وتَزاءرُوا في الغِيل منك بمسمع
قد خانهم فيكِ الشريكُ فلم يُبحْ طِيبَ المَناخ لهُمْ وحُسنَ المَوقِع
أطعمْتِ مُكْثِرةً فأطمعتِ العِدىٰ لا تُكثِري الإِطْعامَ كيْلاَ تُطْمِعي
إن القريبَ الحَقَّ أوْلَى بالقِرىٰ بينَ الضُّيوفِ من القَصِيِّ المُدَّعي
إن الجزائر مرتَعٌ معْشَوْشِبٌ مُغْدَوْدِقٌ مَا مِثْلُهُ من مَرْتَع
قلْ للنَّزيل بهَا سلامٌ طيِّبٌ مُتَضَوِّعٌ كأرِيجِها المُتضَوِّع
إنْزل على الحَرَمِ الأَمين بظِلِّها ضيْفًا وحُلَّ على الجَنابِ المُمْرع
تلقَ الرِّضىٰ ما دُمتَ تسعَىٰ للرِّضى في كلِّ ناحية تحُل ومَوْضِع
تأبَىٰ الجزائر أن تَعُمَّ بنفْعِها من ليسَ يسعَىٰ للأَعَمِّ الأَنفَع
ولكلِّ ساعٍ في المَواطِنِ ما سَعَىٰ مَنْ خَانَ خِينَ ومَنْ رَعَىٰ فيها رُعِي
ولَرُبَّما كان الجزاءُ مؤَخَّرًا أجَلاً فضاقتْ حِيلةُ المُتَسَرِّع
قلَّبتُ أنواعَ الجِهاد فلم أجِدْ كجِهادِ محْتَسِبٍ به مُتَطَوِّع

يا موْطنًا لي خِصبُه ونَعِيمُه ... ولـه هَوايَ علىٰ المَدىٰ وتَشَيُّعِي
مصطافي الباهِي الظليل ومَخرفي ... الزَّهي ومَشْتاي الجَميل ومَرْبَعي
مازال حبُّك ناشئًا مترعْرِعًا ... في ناشئ بجوانِحي مُتَرَعْرِع
أقسمتُ لو خيَّرتنِي في مصْرع ... ما اخْترتُ إلاَّ في سبيلك مَصْرَعي
إسأَلْ أجِبْ وأمُرْ أطِعْ و اصْرُخْ أغِثْ ... واصْفَحْ أنِبْ واسْمع أقل وانْصح أَعِ!
مَضَتِ الدهُور وأنتَ حيٌّ سالمٌ ... من عهدِ (عُقبة) والغُزاةِ التُّبَّع
ها أنتَ في وسَطِ الزَّعَازِع ثابتٌ ... باق علىٰ الإسلام لم تَتزعْزَع
بوركتَ منْ وطَن تسَامَىٰ فالْتَقىٰ ... بالمُنتَهَىٰ في مُسْتواهُ الأَرفَع
يحْميه شيبٌ كالملائك طيبةً ... وشبيبةٌ مثلُ النُّجوم اللُّمَّع
شمِلوا ببرِّهم (الشمال) وأجمعوا ... أن يَجْمَعوا من شمْله المتصَدِّع
(افريقيا) دارٌ ثَوَوْهَا حِقبةً ... وتوارثوهسا أرْوَعًا عن أرْوع
(افريقيا) أختُ الحِجاز ديانةً ... وربيبةُ البيتِ الحَرام الأمْنَع
قِفْ بِي عليها بُرهةً نَنْصَحْ لها ... أن تستَعِدَّ ليَوْمِهَا المتَوَقَّع!
العِلمُ سلطانُ الوجود فسُدْ به ... مَن شئتَ أوْذُدْ عن حياضِكَ وادْفَع
والْجأْ لهُ بدَلَ الحُصون فلا أرَىٰ ... حِصنًا كمَدرسَةٍ سَمَتْ أو مَصْنَع
قلْ للجزائر انْشِئي كُلِّيَّة ... تَمحُو جَهالَة شعْبكِ المُتَسَكِّع
الجهل أشبه بالغراب فمَا له ... من مَنزِلٍ غيْر الخراب البَلْقَع
الجهلُ غيمٌ فوق أرضِكِ ضاربٌ ... غطَّىٰ علىٰ أحْيائها والأَرْبُع
لن يخرقَ ابنُك حجْبَه ما لمْ يَكنْ ... بمنَقِّبٍ في الكُتْب أو مُستَطْلِع
الفجر يُؤذِنُ بالطلوع فرَحِّبِي ... بالنُّور غِبَّ ظلامِكِ المتَقَشِّع
فرْدَوْسُك المفقودُ سوف يَرُدُّه ... من ردَّ قرنَ الشمْس قبْلُ لِيوشَع

يا ليت لي من بعدِ موتي مَرجعًا — إنْ آذَنَ الفِردوسُ فيكِ بِمَرجع
وأتى الإلهَ بأمّة لا تَنْحَني — أبدًا لِسَوْطٍ فوقَها أوْ مِقْمَع
تأبى سِوى الإسْلام فيها مَهْيَعًا — لِسُلوكها أعْظِمْ به من مِهْيَع
حتّى أرى فيك المُسيْطِر عادلاً — وأرَى لديْه الحقَّ غيْرَ مُضيَّع
وأرى على الأقطار عرشك سائدًا — مِن تحت تاج بالقلوب مُرَصع
فأزيح عن نفسي مرارةَ بُؤْسِها — وأريحُ عيْني من حَرارةِ أدْمُعي
يا نفس مَا أخْلفْتِ للوطن الذي — غذّاك مِن أخْلاف شتّى الأضْرُع
بَرِّيهِ عاملةً فليس بنافع — انْ تهْتفي مِثلَ الحَمام وتسْجَعي
ويحي رجعتُ القولَ رجْعًا عاليا — ونَزَعْتُ في الامال أبعدَ مَنْزَع
ونصحتُ غير العاملين مُقرّعًا — وأنا الفقيرُ لناصِح ومُقَرِّع
قد كدتُ أجْفو الشعرَ لو لا أنَّ لي — بالشِّعر بَعْض تعلُّل وتمَتُّع
الشعرُ من خَيْل الخَيال فوثْبُهُ — وثْبُ البُراق أو البُرُوق السُّرَّع
لا يقتضِي الاَّ مجالاً مُوسعًا — منِّي ومَن لِي بِالمَجال المُوسَع
في كلِّ ركْنٍ راصِدٌ متَسَمِّعٌ — عنِّي بجانِبِ راصدٍ مُتسَمِّع
لا ذُخرَ كالأَعمال عندَ صَلاحها — فاجعَلْ من الأعمال ذُخْرَك أوْدَع
واذا عزَوْتَ صنيعةً محمودةً — في أمةٍ فإلَى الصَّناع المُبْدِع
كم من مُحقٍّ قام يطلُب حقَّه — بالقول باءَ بالإنتِهار المُقْذع
ومن المُرُوءة أنْ تؤمِّنَ فُزَّعًا — ظنُّوكَ خيرَ مُؤمِّنٍ للفُزّع
يا دولةً عنَّا تجافَى جَنْبُها — رِقِّي لنا وعنِ التَّجافِي أقْلِعي
نَنْعِي عليك المَيْز جهرًا بيْن من — ترْعَيْنَهُمْ والمَيْزُ مِن قِدَم نُعي
ما بال بعض النَّاس منكِ مشجَّعًا — فينَا وبعض الناسِ غيْرَ مُشَجَّع

يــا أمَّــة يــرجــو الــخُصوم هُجوعَـهــا مــن بَعْــدِ نــهضَتِها أحْذَري ان تَهْجَعي
الأَمــنُ لــلأَيــقَــاظِ فــاحْــذِي حذْوَهُم وسـعِـي بجـدِّك كـلَّ واجِـبِهمْ سَعىٰ
تـركـتْـكِ جـارتُـكِ الـمجدَّةُ خلْفَهـا فـأنـوِي بجـارَتِكِ اللَّحـاق وأزْمِعِـي
وعَـلاكِ فـي الـدُّنـيـا عُبـاب مُحيطها فـتـدفَّـعِـي تَـعْـلِـي الـعُبـابَ تَدَفَّعي
وتـكتلـي كـالـنحـل حـوْل كـرامــةٍ لـك كَـالـخليَّـة أن تُـمَـسَّ بِإِصْـبع
حكْمُ الـمَمـالِـكِ بالعَدالـة والرِّضَـىٰ مـا حكْمُهـا بـالسَّيـف أو بِالـمِدْفَـع
مـا بـالُ مـن تَـرجـيـن قُرْبَ وفَـائهم يَـتَـمَـنَّـعُـونَ ولاتَ حِـيـنَ تَـمَـنُّـع
لابـدَّ مـن عـدْل الـقـضـاء وفصلـه فـتَـتَـبَّـعـي سَـيْـرَ الْـقـضَـاء تَـتَبَّعي
لــن يـعـدم الـتَّـوفـيـق طـالـب حَقِّه الـمُـبْـتَـغـيـه بـحـكْـمـة وتَـضـلُّـع
بيـنَ الـمَـشـارق والـمَغارب إِخـوةٌ لـكِ عُـصـبَـةٌ بقـلـوبـهـمْ والأَذْرُع
مَـدُّوا الـيـك بِـهـا حِـبـالَ إِخـائـهـم فـصِـلِـي حِبـالَ إِخـائهم لا تقْطَعـي
هـلاَّ اغـتْـت الـقُـدسَ منكِ بـلفْـتـةٍ غـيْـري عـلـىٰ شـعْـب هُـنـاكِ مُـروَّع
القـبـلــة الأُولـىٰ تـضِـجُّ وتَشْتكـي مِـــن قِـسْـمَـةِ الـمُسْـتَـأثِـر الـمستَنْفِع
ضُـمِّـي أحْتجاجَـكِ لاحْتجاج حُماتها وأسـتـنـكِري تـقْـسِـيـمـهُ وأسْتَفْظِعي
أيـه فلسطيـن الـشَّـقـيـقـة لا تـنـسـي عـن رد عـدوان الـيـهـود الأَشْـنَـع
ويـحَ الـقُـلـوب فكلُّ قـلـبٍ شـاعـرٍ مـتـقـطِّـع لأنِـيـنـكِ الـمُـتـقَـطِّـع
ويْـحَ الْـعَدَالَـةِ والـسَّلام فـلا أرىٰ غـيْـرَ الـعَـدَالَـةِ والـسـلام بـمُـوجَع
بـاسميهمـا تـقَـعُ الـمَظالِـمُ جَهْـرةً مِـن كـــلِّ منتسِـبٍ لأَصلِـهـا دَعِـي
قد يُشْبعُ ابـنَ الوحْش شِلْـوُ فَـريـسـةٍ الاَّ ابْـنَ آدمَ مـا لـه مـن مُـشْـبِـع
ورث ابـن آدم مـن أخـيـه الـمعتـدِي فيـمـا مَضَـىٰ ظُـلْـمَ الأَخِ الـمُتَورِّع
ضَعْ فـي يَديْك عَصًا أَو احْمِلْ مِبْضَعًا يـرْهَـبْـكَ كلُّ اخِـي عصًا أوْ مِـبْضَـع

لا أستــفُـزكَ لـلـتَّـعـدِّي والأَذَىٰ ... لـيـس الـتَّـعـدِّي والأَذَىٰ بـالـمُنْجِـع
الـحــرُّ لا يُـجـري دمًـا لـم يُستَبـح ... والـبَـرُّ لا يـذكـىٰ وغَـىٰ لـم تُشـرع
الآدمــيـــةُ ركـنُـهــا مـتـضـعْـضـعٌ ... فاشْـدُد دَعائـمَ رُكْـنـهـا الـمتضَعْضِع
ومـنـابـتُ الأَخـلاق لـم تُنْبِتْ سِوىٰ ... حسَـكٍ لِـراجِي نـبْـعها أوْ خَـرْوَع
أسفِي علىٰ الأَخلاق صَوَّحَ زَهْرُهـا ... فـيـنَـا وغَـوَّرَ مـا لـهـا مـن مَنْبَـع
أيـن الأَمـانـةُ والـوفـاءُ ومَـن يَـلِـي ... غـرْسَ الأَمـانــة والـوفــاء ويَرْتَعـي
هـل فـي الأَمـانـة والـوفـاء مـجـدِّد ... ذكـرَىٰ الـسَّـمــوءل وأبـنـه والأَذْرُع
لـولا الـتـحـرُّجُ قـلـتُ غيْـرَ مُبـالِـغ ... لـم يـبـقَ إلاَّ الأَوْكَـعُ أبـنُ الأَوْكَـع
مـن تَـسْـتـعِـنْـهُ يُعنْ عـلـيـكَ شمَـاتَـةً ... اوْ تـأتَـمِـنه يـمـنّ عـلـيك ويَـخْدَع
قَـفْ بالـجزائر وألْـح فـيـهـا أمَّــةً ... يلهـو الـشَّـبـاعُ بـهـا بجنْب الـجُوَّع
شـطَّ الغلاءُ فمـا تـرىٰ من مُسلـم ... بميسَّـرٍ فـيـهـا عـلـيْـه مُـوسَّـع
لـم يلْتحق بـالـقُوت غيـرَ مَقتَّـر ... أو يـلْـتـحـفْ بـالثّوب غيـرَ مـرقَّـع
وتـرىٰ الأَديـبَ الأَلْـمَعِـيَّ مـؤخَّـرًا ... ومُـحَـقَّـرًا وهْـوَ الأَديـبُ الأَلْـمَعِـي
يـدعــوه لِـلأخـلادِ جنْــبٌ طيَّــع ... فـيَـثُـورُ جنْـبٌ مـنـهُ لـيس بِـطَـيِّـع
ارْبَـأ بـنَـفْـسـك ان تـعـيـشَ ببِيئةٍ ... مـوْبـوَةِ الأَنـفـاسِ كـالـمُـسْتَـنْـقَـع
قـل لـلأَديـبِ أعْمَـلْ وكُـنْ مـتـدرِّعًا ... بـالصَّبـر نِـعْـمَ الـصَّبْـرُ للمُـتَـدَرِّع
دنـيــاك ضِــدٌّ لِـلـعـبــاقِـرة الآلَىٰ ... لا يـحْـفِـلـون بـحُـسْـنـهـا الـمُتصَنِّع
هـيَ كـالـبَـغِـيِّ فـنِصفُ وجْـهٍ سافـرٌ ... يُرضِـي إلىٰ نـصـفٍ يُـعـافُ مُـقَـنَّـع
والـشـرُّ فـي الإنـسـان طـبْـعٌ ثـابـتٌ ... والـخَـيْـرُ فـي الإنـسـان مـحْـضُ تَطَبُّع
بـالله قـبــلُ وبـالـنَّـبـيِّـيـــن ازدُرِي ... والقـانـتِـيـن الـسَّـاجـدِيـنَ الـرُّكَّـع
مـارد كـيـدَ الـنـاس عـنـكَ تـضـرُّعٌ ... فـاصْـرِفْ لـربِّ الـنـاس كـلَّ تَـضَرُّع

ولَعَلَّ ذنْبَك انَّ قلبَك مولَعٌ بهوًى به الجَمهورُ ليسَ بمُولع
ولَعَلَّ ذنبك إبرةٌ تَرْفُو بِها للناسِ كلَّ مُوشَّح ومُوَشَّع
ولَعلَّ ذنبك ريشةٌ أوتيتَها أصباغها لم تُشرَ مِن مُسْتَوَدَع
ولعله قيثارةٌ تَسلو بها في جوٍّ لحْنٍ من لهاك مُرَجَّع
ولعله ذَوْب الرَّحيق تُديرُه صِرْفًا على الإخوان غيْرَ مُشَعْشَع
ولعل مَن حاذيْتَه آذيْتَه فارْبَعْ عليك مِن المحاذاةِ ارْبَع
وتَبَوَّإِ الخُلد الذي أعطيتَه متنقِّلاً في دَوْحِهِ المُتفَرِّع
أومضْ ببرْقك من بعيدٍ يستَبن واحْرِقْ بَخُورِكَ من جديدٍ يسْطع
لابدَّ ان تعِيَ البلادُ نصيحةً مصحوبةً لك بالدَّليل المُقْنِع
أوَ مَا تَرَاها استشْرَفت مثلَ الرُّبَى لِحقُوقها وتَدَفَّقَتْ كالمَشْرَع
المُهتدِي فيها بجنْبِ المُهْتَدَى واللَّوْذَعِيُّ بها بجَنْبِ اللَّوْذَعي
دعت البلادُ شبابها فأجابتها عجلاً وحسبُكَ بالشَّباب إذا دُعِي
أهلاً وسهْلاً بالفِدَا ورجالِه الطَّامحين اليه غيْرُ القُنَّع
أذَوِي العِمَائم والعمامَةُ شارةٌ لِليعرُبي وزينة للأَصْمَع
من فيكُمُ يُحيي خلالاً أربعًا يُحيي الجزائر بالخِلال الأَرْبَع
صدقُ (العَتيق) وعَزَّةُ (الفاروق) فِي حِلْم (ابنِ عفَّان) وعِلْم (الأصلَع)
أذَوِي العَمائم سايروا قُرآنَكُم وتتبَّعوا هَدْيَ الرَّسول الأشفع
أذَوِي العمائم راجعُوا تارِيخَكمْ من منذُ عهْد (الدَّاي) حتَّى تُبَّع
أذوي العَمائم علِّمُوا وتَعَهَّدوا بالوعظِ والذِّكْرَى ذَواتِ البُرقُع
آتوا النساءَ نصِيبَهُنَّ من الهُدى يُخرجْن نَشْئًا كالرِّماح الشُّرَّع
وأبنُوا المدارسَ نضْرةً مزدَانة تحْكي المَغَارس في الرَّبيع المُونع

وأبنُوا المساجدَ حُرَّةً ليستْ إلى مُتَحكِّم تُعزَى ولا مُتَبدِّع
واكْفوا مشاريعَ البلاد تبرُّعًا ما قام مشروعٌ بدون تَبَرُّع
يا شعبُ إن الكونَ حقْلُك فاحْرِثْ وأزرع فَحقل الكون أَخْصب مزرع
لكَ غايةٌ ذُو العرش بارَكَ أهلَها كنْ آمنا من كلِّ سوء مُفْجِع
ثق بالإلاهِ تعِشْ عزيزَ القَدْرِ لا بمُرغَّم انْفًا ولا بِمُجَدَّع
فبإِذْنِهِ في البَدْء قد حُزتَ الرِّضى وبإذْنه ستَحوزُهُ في المَقْطَع

إعتاد الشاعر أن ينظم قصيدة حولية يلقيها في الاجتماع العام لجمعية العلماء الذي ينعقد كل سنة بالعاصمة لتجديد هيئة الأعضاء الإداريين للجمعية. وقد ألقى هذه القصيدة بقاعة المجاستيك أمام حفل حاشد. فحرك بها أوتار القلوب. وهز بها مشاعر المستمعين. وقد نشرت لجريدة «البصائر» عام 1937م وهي من عيون الديوان.

شهر الصّيام

نشرت في جريدة البصائر سنة 1937

أطِلَّ على البريَّة بالسّلامِ ولُحْ باليمْن يا شهْر الصيامِ
وحلَّ على بني الإسلام ضيفًا كريمًا بين رعْيي واحْترام
وعيدًا باللطائف والهدايا تعود عليهمُ في كلِّ عام
ألمْ يُنزَلْ اليهمّ فيك قِدْما كلامُ الله بُورك مِن كلام؟
نفحتَ المسلمينَ بمثل وَرْد مِن القرآن مُفتَرّ الكِمام
هزَزْتَ قلوبهم هزَّ الرَّوابي وسُقْتَ لها الهُدى سَوْقَ الغمام
فهم مهمَا قررتَ عينًا ببرِّ الشيخ منْهُمْ والغُلام
وأمَّنْتَ الخليقةَ وهيَ غَرْقى تُكابِدُ كلَّ دفْع واصطدام
حملت لها من الزيتون غُصنًا كما حَمَلَتْه سالِفة الحمام
ويسَّرتَ التَّراضي للبرايا فما لهمُ تمادَوْا في الخِصام؟
سبَرتَ سقامَ أنفسهم عِلاجًا فما أجدى علاجُك في السقام
فتحتَ لهم سَمَاء الله بابًا فصَدُّوا مُخلِدِين إلى الرَّغام
فيالك داعيًا للخير يأبى إجابةَ صوتِه غيرُ الكرام
لقد قطعوا نهارَك بالتحرّي لصومِهمُ وليلَك بالقيام
وقد صَاموا عنِ الشُّبهات لاعن شرابهمُ فحَسْبُ أوِ الطَّعام
فعَفُّوا عن مقاربَة التَّعدِّي وكَفُّوا عن مقارفَة الأَثام
نوَوْا لله صومَهم فطابوا وطابَ خُلُوقُهُمْ طيبَ البَشَام
أولائك صومُهم بالأَجْر يَحظَى وترفَعه الملائكُ باهتمام

رأوا نعم الفناء الى بلايا ... تؤول فآثروا نعم الدوام
وصاموا شهرَ ربهم احْتسابًا ... له فأثابهم دارَ السلام
أعدَّ لهم بها (الرَّيَّان) بابا ... ليُدخلهم به دونَ الأنام
فقل لأخي الأُوَام اليومَ أبشِرْ ... ستحمد في غدٍ غِبَّ الأُوام
ستُسقاها مشعشعةً وصِرفا ... مُداماً لذَّةً لاَ كالمُدام
فليس تضر شاربها بغَوْل ... وليس تجرُّ شاربَها لِذام
يطاف عليك مِن وقتٍ لوقتٍ ... بها بيْن اَحْتفاء واحْتشام
يشعُّ بكل إبريق سَناها ... ويعْبَقُ طيبها من كلِّ جام
وبين يديك خيراتٌ حِسان ... قُصِرْنَ عليك في أبهى الخيام
فقل ما شئتَ في طيب وأنس ... وتفكِهةٍ وبشرٍ وابتسام
وقل ما شئتَ في أجرٍ عظيم ... يفوز بهِ ذَوُو الهمم العِظام
مقاماتُ الرجال هناك شتَّى ... فلا تختَرْ سِوى أعلَى مقام
ولو همَّ الهمام بمُسْتَحيل ... لما استَعصَى على همِّ الهُمام
فمُدَّ الطرفَ فوقك تلْق قصرا ... كمثل النَّجم يلمع في الغمام
على الأَقدار عُلِّيَ لا الرَّوَابي ... وبالأَنوارِ حُلِّيَ لاَ الرُّخَام
فمِلْ وانزَعْ اليه هوًى وسعْيا ... عساكَ اليه تحظى باسْتِنام
وراقبْ ليلَة القدر اَغتِناما ... لفُرصتها الجديرةِ باغتنام
فكم لله فيها من عَطَايا ... عظيماتٍ ومِنْ مِنَنٍ جِسام
مفضَّلة النوافِل مُصْطفاةٌ ... مقدَّسة مبارَكة النِّسام
وخَيْرٌ يوْمُها من ألفِ شهْر ... وأمنٌ كلُّها حَتَّى التمام
تيَمَّمْ موْرِدًا لله فيها ... عساكَ اليه تَخلُص في الزحام
وقل للنفس ويحَك لا تكِلِّي ... وقلْ للعيْن ويْحك لا تنامي

وداع إِن أتَىٰ رمضانُ يدعو ... به فوقَ النَّواميس النَّوامي
يقول به لباغِي الشَّر أقصِرْ ... وباغِي الخير أقبِلْ للأَمام
فبشْرىٰ للذي لبَّاه بُشرَىٰ ... بهطَّال من الرحَمات هامي
ويا من صدَّ عنه شَقِيتَ حظًّا ... وبُؤْتَ بكل خِزْي وانتقام
أراك تبعْتَ في الدنيا فِئامًا ... خوالفَ بِئْسَماهمْ مِن فِئام
وكم من مُفْطِرٍ في القوم سرًّا ... عديم الدِّين منهَتِكِ الذِّمام
يوارِي وجهَه في ركْن بيت ... ويزْدَرِدُ المآكِل بالْتهام
ألم يعلمْ بأن الله يدري ... دبيبَ النمل في جُنْح الظلام؟
قضَىٰ ما شاء في الخلق احْتكاما ... فلم يُجحِفْ بحقٍّ في احْتكام
وأتقنَ كلَّ شيء منه صُنعًا ... وقدَّر كلَّ شيء بانتِظام
فلم يستكمل الإنسان خلْقا ... ليتركَه سُدًىٰ طلْقَ الزِّمام
فصُمْ صوم الكرام يُثِبْك أجرا ... كريمًا لا تَصُمْ صَوْمَ اللِّئام
اذا ما جاءهُم رمضان خَرُّوا ... علىٰ شَهَواتهم صرعَىٰ غَرام
وكان صيامُهم سببَ اتِّحاد ... فصار بخُلْفهم سببَ انقسام
فرهطٌ صام يومًا قبل رهْط ... وظَلُّوا في جِدالٍ واحْتِدام
رأوْا أيام صومِهِمُ طِوالاً ... فأفنَوْها بلَغْوٍ أوْ مَنام
قِوامُ صِيامهمْ ظَمَأ وجُوعٌ ... لهم ما غيرُ ذلك من قِوام
وكم من طاعم رَيَّانَ منهم ... يئِنُّ بِجَنْبِهِ جَوْعانُ ظامي
فيا ويْحَ الفقير يَضيعُ جُوعا ... وليسَ له من الأَقْوامِ حامي
يطوف علىٰ المزابل حيثُ يَرجو ... فُتاتَ الخُبز أو قِطعَ العِظام
ولولا الجوع لم يَنْبِشْ قُمامًا ... ولم يَشْتَقْ الىٰ مَا في القُمام
وقد يطْوىٰ الأزقةَ مسْتميحا ... فيَحْرِمُه الحُطامَ ذَوُو الحُطام

وقد يأتِي البيوتَ بها فتخشىٰ ذَرارِيها وتُجْفَلُ كالنَّعام
وقد يُعطَىٰ الإدامَ بلا رغيفٍ وقد يُعطَىٰ الرَّغيفَ بلا ادام
مآس كالسِّهام رمتْ فأصْمَتْ بلادًا مثلَ أهْداف السِّهام
وبؤسٌ يَتركُ الأَحْشاءَ منَّا جَوائشَ في اضْطرابٍ واضْطرام
تعالَوا للنَّدىٰ قَوْمِي تعالَوْا تَنالُوا بالنَّدىٰ أقصَىٰ المَرام
تعالَوْا نأسُ مُطَّرِحًا جريحا لعلَّ لجُرحه وشكَ التِئام
تلافَوا بالنَّدىٰ حيًّا كمَيِّتٍ كأنَّ محلَّه بعْض الرِّجام
ألا فتدَرَّعُوا من كلِّ بلْوىٰ بإسعافِ الفقير أسدَّ لام
أخا الإِسلام قد آخيتَ دينًا صيامُك فيه رابعة الدِّعام
أتَىٰ رمضانُ وهو أجلُّ شهْر أقِمهُ لكبْح نفْسك كاللِّجام
تَحامَ الفِّسْقَ فيه فليسَ يُرْجَىٰ قَبولُ الصَّوم الاَّ بالتَّحامي
اذا راماك ذو سُوء بسُوء لإِضرام العِداء فلا تُرام
ولا تظلم فقيرًا بانتهارٍ ولا تَظلم حقيرًا باتِّهام
رأيت أذَىٰ احْتقارِ الناس أقسَىٰ عليهمْ من أذَىٰ المَوْتِ الزُّؤام
فكُن هَيْنًا لكلِّ الناس لَيْنًا وديعًا لا تكن صَلْبَ العُرام
وقابِلْ بالتجمل كلَّ قذْفٍ وطعْنٍ من لسان كالحُسام
سَتَنْجَابُ الضَّغائن بعد حين وتشتاقُ القلوبُ الىٰ الوِئام
وكيف يميلُ للهجران جمعٌ يُهدِّد بالنَّوىٰ أو الحِمام؟
تمهَّل برهةً واصْبر قليلا فكلُّ النائباتِ الىٰ آنهزام
وما الدُّنيا سوىٰ مَهْد آبتلاء لأَنفسنا وميدانِ اقْتحام
ونحن المؤمنين بها رماةٌ الىٰ قاصٍ من الأَهْدافِ سَامي
مُهمَّتُنا التماسُ البر فيها وغايتُنا بها حسْنُ الخِتام

ختمت كتاب الله

نشرت في مجلة الشهاب (العدد الخاص
بختم تفسير القرآن الكريم) سنة 1938

بِمثلكَ تعتَزُّ البلاد وتفتَخَرُ وتزهر بالعلم المنير وتَزخرُ
طَبعتَ على العلم النفوسَ نواشئًا بمخبر صِدق لا يُدانيه مِخبر
نهجتَ لها في العلم (نهج بلاغة) ونهج مُفاداةٍ كأنّك (حيّدر)
حبتّك عَمالاتُ الجزائر حُرمةً مشرفةً عُظمَى بها أنت أجدر
فَفِي كلِّ وفدٍ راشدٍ لك دعوةٌ وفي كل حفلٍ حاشد لك مِنبَر
يراعُك في التحرير أمضَى من الظبَى وأقضَى من الاحكام أيّان يُشهر
ودرسُك في التفسير أشهى من الجَنَى وأبهَى من الروض النضيرِ وأبهَر
ختمتَ كتاب الله ختمةَ دارس بصيرٍ له حلُّ العَويص ميسَّر
فكم لكَ في القرآن فهمٌ موَفقٌ وكَمْ لك في القرآن قولٌ محرَّر
قبستَ من القرآن مِشعل حكمةٍ يُنار به السرُّ اللطيف ويُبصَر
وبينتَ بالقرآن فَضْلَ حضارةٍ أقرَّ لها كسرَى وأذْعن قيْصر
حكيتَ (جمالَ الدِّين)[1] في نظَراته كأنَّ (جمالَ الدين) فيك مُصوَّر
وأشبَهْت في فقه الشريعة (عبدَه)[2] فهل كنتَه أم (عبدُه) فيك يُنشر
أعدْ يا ابن باديسَ الحديثَ وأبدِه بأنعُمك اللاتي بها أنت تؤثر
(قسنطينةُ) اعتزَّت بأنَّ وَفدوهَا على الخير فيها والهُدَى تتجَمْهَر

(1) جمال الدين الأفغاني.

(2) الإمام محمد عبده إمام المصلحين الدينيين.

وفودُ سلام لا وفودُ خُصومة — تبشِّر فيها بالرضىٰ وتُبشَّر
وتُهدىٰ إلىٰ (عبد الحميد) تحيةً — كزهر الرُّبىٰ أو أنها منه أعطر
وتهنئةً منها بختْم مفسَّرٍ — من القول لا يسمو عليه مفسَّر
فواصلُ غُرٌّ كالنُّجوم مطالعا — بها يَهتَدي للحق من يتحير
وصحْفٌ مِن الله الكريم كريمةٌ — مطهرةٌ فيها كلامٌ مطهَّر
أقام لنا (عبدُ الحميد) أدلةً — علىٰ عِلمها الجمِّ الذي ليس يُحصر
أبان الهُدىٰ فيها لمن يبتغي الهُدىٰ — وسَاق بها الذكرىٰ لمن يتذكَّر
لقد ناهزَ الخمسين في العُمر دائبًا — علىٰ الجِد لا يشكو ولا يتضجَّر
قضَىٰ ربْع قرن ينشُر العلم صابرًا — علىٰ عقباتِ ما عليهن يُصبَر
ورُبِّيَ في ظل السعادة مقبلاً — علىٰ العِلم يُرْعَىٰ شخصُه ويُقدَّر
بدوحة عزِّ «للمعزِّ» رفيعة — علىٰ الدَّوح صلبٌ فرعها ليس يكسر
قسنطينة اهتَزِّي سرورًا وغبطةً — بأنك ثغرٌ للصناديد يُثغر
وانكِ مَنْحَىٰ للمكارم يُنتَحَىٰ — وانك دارٌ للعلوم تديَّر
وإنك مجلًىٰ للطبيعة يُجتَلَىٰ — ومَنظرةٌ منها الىٰ الكون يُنظر
نباتُك ريْحان وأرضُك جنةٌ — وصخرُك مَرجان وماؤُكِ كوثر
علىٰ طودك الأَسمَىٰ قناطرُ ضخمةٌ — بها يُقطع الوادي اليك ويُعبَر
وفي دورك العظمىٰ مآثر جمة — اذا هُدَّ منها مأثَرٌ جد مأثر
وفي ظلك الأَحمىٰ معابدُ فخمةٌ — معظَّمةٌ فيها الشعائر تُكْبَر
فيا جامعًا مثل المنارة لامعًا — تنوَّر فيه الحقَّ من يتنوَّر
ويا مسجدًا للعلم أسِّس والتقىٰ — وبالوعظ والإِرشاد مازال يُعمَر

(1) المعز بن باديس الصنهجي أحد مؤسسي الدولة الباديسية بالقيروان وهو من أجداد الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس.

وبيتًا يُعزُّ الله مَن بفنائه ... يَذلُّ ويُخزِي اللهُ من يتكبر
أبن عن جُمانٍ فيك يُنظم خالصا ... ودرٌّ كريم في رحابك يُنشر
همَىٰ بك غيثٌ (لابن باديس) هاطل ... فأنتَ به ريّان كاسمك (أخضرُ)
أرَىٰ (الأزهرَ) المعمورَ فيك مجدّدًا ... كما كان يحميه (المُعزُّ) وجوْهر
كأنك يومَ الختم في الأرض جنةٌ ... مفتَّحة أنهارُها تتفجَّر
سلامٌ علىٰ العلم الذي فيك يُبتَغىٰ ... سلام علىٰ المجد الذي فيك يُذكر
سلام علىٰ الدرّس الذي فيك يُغتدىٰ ... اليه من الفجِّ العميق ويُحضر
سلام علىٰ الناس الذين بِهِ اهتدَوْا ... الىٰ آية (الناس) التي فيه تظهر
سلام علىٰ ثانِي الربيعيّن انه ... كأوّله في أشهر العام أنور
سلام علىٰ (كلية الشعب) إنها ... تُحَفُّ بأنصار السَّلام وتُخفَر
سلام علىٰ شِيبٍ علىٰ الخير تلتقىٰ ... بهَا وشباب للمَبرة يسهر
فيا محفِلا ما مثله اليوم محفل ... حوَىٰ معشرًا ما مثلُه اليوم معشر
به حُلل بيضٌ وسود كثيرة ... وفيه رؤُوس كاسياتٌ وحُسَّر
نظيركَ يرقىٰ بالبلاد ويعتَلِىٰ ... ومثلُك يحظىٰ بالمراد ويظفر
أفيدك بالقول الذي ليس يُفتَرىٰ ... وأمحَظك النصحَ الذِي ليس ينكر
صِل العَربَ العرْبَاءَ واحْم لسانهم ... فإنك من أصْلابهم تَتَحَدَّر
وسرْ في طريق الراشدين علىٰ الهُدىٰ ... فكلُّ طريق غيرها لكَ مَعثَر
فهمْ أسوة الخَلْق التي يُهتدىٰ بها ... وهم صَفوة الله التي لا تكدَّر
وهم مُثُلِي العُليا الذين بفضلهم ... أتيهُ علىٰ كل الأنام وأفخر

هو «الجامع الأخضر» الذي اتخذه الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس (قدس الله روحه) معهدا طوى في التدريس به كل شبابه، وفيه ختم تفسير القرآن الكريم، ومات في سنة 1940م وهو يعج بمئات من تلامذته.

كلية الشعب: اسم لقاعة عمومية فسيحة بمدينة قسنطينة وكان الاحتفالان الواقعان بعد يوم الختم فيها.

تدبرّ كتاب الله ان كنت أهلَه فأهلُ كتاب الله من يتدبر
تغنَّ به واجلب به الأُنس مزهرا من الخُلد لا يحكيه في الأرض مزهر
تعاهدْ مع القرآن وأبَ تغيرّا ألستَ ترىٰ القرآن لا يتغير
فأعرِض عن الخُلق الذي فيه يُزدرىٰ وأقبل علىٰ الخلق الذي فيه يُشكر
وأقدِمْ علىٰ خير المساعِي مضحِّيا ولا تكُ فيها خائفا تتحذر
اذا كنتَ حزبَ الله سرًّا وجهْرة فثِقْ أنَّ حزب الله لابد يُنصر
وثقْ أن للإسلام غابًا كثيرة اذا غاب منها قِسْوَرٌ ناب قسور
وثقْ أن في أرض الجزائر أمة تُيسَّر سعيًا للُعلىٰ وتسَيَّر
وثقْ أن للتاريخ حكمًا مؤخرا وكم نسخ الأَحكام حكم مؤخر
وثق أن مُلك الأَرض غيرُ مُمَهَّد لمن بات فيها بالهَوىٰ يتأمَّر
فمن سامها بالجوْر هاج عبادَها ولم يحمِه منهم سلاحٌ وعسكر!
ومن ساسها بالعدْل ساد بلادها كما ساد ذُو القرنين أو بُختنصَّر
فيا شعبُ لا يحزنك أنك تُبتلىٰ وانك تُقصَىٰ عن علاك وتقصَر
فنحن الأَساطينُ التي بك تعتلي ونحْن الأَساطيلُ التي بك تمخر
ونحن الرجال الثابتون عقيدة علىٰ المبدإ الأسمىٰ الىٰ حين نُقبَر
تَقودك مأمون المسالك سالمًا الىٰ حيثُ لا تشقىٰ ولا تتضرَّر

---

(1) ختم الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس رضي الله عنه دروس تفسير القرآن الكريم في خمس وعشرين سنة، تكونت في أثنائها جمعية العلماء. وفي السنة السابقة لسنة الختم تداعى العلماء والأدباء وأفاضل الأمة ووجهاؤها واتفقوا على أن تحتفل الأمة كلها بيوم الختم إحتفالا عظيما بعظمة القرآن في صدر الأمة، وبعظمة الإمام بن باديس في نفوسها.

وشكلت لجان من العلماء والتلامذة ومديري المدارس وأساتذتها وأصحاب الفكر والرأي لتدبير وتنظيم المهرجان القرآني حتى تكون تلك العظمة في إطار من النظام الكامل الذي يمس كل دقيقة وجليلة، ويفيض على كل كبيرة وصغيرة، وتم ذلك كله على وفق ما قدر، وفوق ما أمل.

ونـطـلـب بالقـول الصريـح حقوقَنـا ولـكـنـنـا فـي الـقـول لا نـتَـهـوَّر
ونـرضَـى بحكم الله فـي كـلِّ موقف فـلا نـكـثـرُ الـشَّـكـوى ولا نتطيَّـر
فـثـابـر على الـحق الذي أنتَ طالـبٌ فـإنـك فـي تـضـييعـه لـسـتَ تُـعـذر
ولا تـؤذ مـن آذاكَ فـالـحِلـم مـورِدٌ هَـنِـيـيءٌ مَـرِيءٌ لـم يَسُؤْ منه مَصـدر
وكـنْ مـستمـيـتًـا فـي جـهـادك ثابتًا وان كـنـتَ بـالـجُـلَّـى الرصيدة تُنْذَرُ
وان تـكـن الـجُلَّـى علـيـك كبيـرة فـحـسـبُـك فـيـهـا الله والله أكـبَـرُ!

ولما جاء الموعد المقرر، وتكاملت الوفود الزاحفة على مدينة قسنطينة لشهود ذلك الاحتفال، وسماع درس ذلك الإمام الذي ختم به دروس تفسير القرآن في تفسير المعوذتين – قررت الهيئة المشرفة على نظام ذلك المهرجان القرآني العظيم، أن يقتصر اليوم الأول على درس الختم من الإمام المفسر لتبقى روعته وجلاله يفعلان به فعلهما، وأذنت في الوفود الحاشدة أن يقضوا بقية اليوف في النعارف والتناجي بأثار ذلك الدرس العظيم في نفوسهم، وأن يكون اليوم الثاني خاصا بالشعراء والخطباء، واليوم الثالث خاصا بحفلة تكريم تقيمها الأمة للمفسر العظيم، ولما جاء اليوم الثاني وقف الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء آنذاك، وألقى هذه القصيدة بنفسه نيابة عن الشاعر إجلالا لها ولقائلها.

وداع الحجاج

نشرت في جريدة البصائر سنة 1938م.

استقبلوا وجهَ الحجاز وَسيمَا ... واستنشقوا روح الاله نَسيمَا
البحرُ رهْوٌ كالخميلة منظَرا ... والجوُّ صحو كالزجاج أديما
والمسلمون يُودِّعون بأنفسٍ ... مشتاقةٍ ركْبًا أبرَّ كريما
والرُّوح تحتَ العرْشِ يسأل ربه ... للرَّكب حِفظًا أو يؤوبَ سليما
والبيتُ يرتقب الحجيج مرحِّبا ... ويُعدُّ نُزلاً للحجيج عظيما
يا موكبًا لبَّىٰ نداءَ إلاهِهِ ... ومحمدٍ وابيه إبراهيما
ستَحُج في كنَف الالاه وظلِّه ... بيتًا عزيزًا في البيوت قديما
الرُّسل والأَملاك طافُوا حوله ... والطيِّبون من البرية خِيما
منه اَستهلَّ هُدَىٰ الاله مباركًا ... وعليه حَلَّ رضىٰ الاله عميما
أحرمْ له قبل النُّزول ملبيًّا ... فلكم حمَىٰ عند النزول مَضيما
واستقْ اليه الهَدْيَ دونك مشْعرا ... واقصِدْ به التكبير والتعظيما
واذا وصلت لذي طُوىٰ قمْ فاغتسل ... وادخل ذليلاً من كَداءَ حشيما
فهنالك البيتُ الذي لجلاله ... عنتِ الخلائق سيدًا وخديما
كبِّرْ وطفْ بالبيت مستلمًا وقف ... خلْفَ المقام لركعتيْه مُقيما
والىٰ الصَّفا والمَرْوَةِ أغدُ مجشِّما ... في السَّعىٰ نفسَك جَهْدها تجشيما
واخبُبْ كهاجِر يومَ خلَّفت اَبنها ... مُلْقَىٰ من الظمإِ الشديد سقيما
فاذا الاله يُدِرُّ عيْنًا ثرَّة ... لِابنِ الخليل وزوجِهِ تكريما

واحضُر اذا خطبَ الامام فكُن لما ... يُلقىٰ الامام من العظات فهيما
وانزِل مِنًىٰ وارحَل لتشهَدَ موْقفا ... للخَلق يبدُو الحجُّ فيه فخيما
عرفاتُ مِيعادُ الدعاء فسلْ بها ... ربًّا بتَلْبيةِ الدُّعاء زعيما
نادَىٰ العبادَ لها لنيل هِباته ... من لم يُجبْ حُرمَ الهِباتِ وَلِيما
فاذا ازدلَفْتَ فرُمْ هنالك مَشْعَرا ... لوقُوف مثلك فيه قبلك رِيما
واعمد الىٰ السَّاحات فالتقطِ الحَصىٰ ... وبها أرْم شيْطانًا هناكَ رجيما
حتَّىٰ اذا أتمَمْت حجَّك ناحرًا ... ومحلِّقا طفْ تَحمَدِ التَّتميما
وانهَل بزمزمَ نَهلة عدنية ... كالشَّهد كان مزاجُها تسنيما
ثم ارتحلْ صوْبَ المدينةِ إنها ... لمحمَّدٍ كانت حمًىٰ وحريما
فزُر الرسولَ وصاحبيْه بمسجدٍ ... كالروْضِ رَفَّ نَضارةً ونعيما
تتنزَّل الرحمات في ساحاته ... غَدَقًا وتنْتَشِرُ الطُّيوب شَميما
قل للمريدين المدينَة مَنهلا ... المُوردين بها نفوسا هيما
حيُّوا بها الأنصارَ في أجداثهم ... وعلىٰ الرَّسول فسلموا تسليما
وعلىٰ الأُلىٰ معَه إليها هَاجروا ... من بعد ما سِيموا الهوانَ وسيما
وتجرعوا البَلوىٰ بمكة والأذىٰ ... وتحمَّلوا التجويع والتأويما
لا يُهْمِل اللهُ الصنيع فذكْرُهم ... دانٍ وأن نأتِ الجسوم قديما
سلْ عنهم البيت الحرام فإنه ... ببَلائهم في الفتح كان عليما
عادُوا اليه فعاد مظهر حجِّهِ ... محْضًا من الدِّين الحنيف صميما
من للقصيِّ بأن يَطوف به وأن ... يَرِد المدينة زائرًا فيُقيما
نبذَتْه أمواج القضاء بموطن ... مثل العراء فعاش فيه مُليما
الشوقُ جنح قلبَه فسما به ... والضُّرُّ حطم جسمَه تحطيما

يا مَكَّ واسمُك خيرُ أَسماء القُرىٰ ... عند النِّدا وألذها تَرْخيما
هل يعلم الحُجاج فيك لِمَ التَقَوْا ... وعلامَ جاءوا ينسِلون وفِيما؟
إن الذي فرَض الفروض عليهمُ ... بالحق كان ولن يزالَ حكيما
الحجُّ عنوان الاخاء مكبَّرا ... الحج منهاجُ الولاء قويما
الحجُّ مدرسةُ التعارف شادَها ... ربُّ الورىٰ وأدارها تعليما
قل للذين من الجزائر حزَّموا ... صوْبَ الحجاز رحالَهم تحزيما
الراكبين له الحديدَ بهيمةً ... والخائضين له الظلام بهيما
أدُّوا الىٰ أهل الحجاز تحيةً ... واَقْرَوا سلاما زاكيَيْن رقيما
الله بالإسلام ألَّف بيننا ... قِدْمًا ووحَّد أرضنا إقليما
بالأَمس كنا ظاهرين علىَ العِدىٰ ... ومرَغِّمين أنوفهم ترغيما
واليوم نَسعَىٰ بعد فقد فَخارنا ... أن نستعيد فَخارنا ونُديما
واذا رَغبتَ الىٰ جسيم في المُنىٰ ... فاركبْ اليه من الأُمور جسيما
حُثَّ الخُطىٰ للعز واسلُك نهجه ... ولو اَنَّ نهج العز كان جحيما
لو خاف موسَىٰ أن يحُلَّ به ردًىٰ ... في الطُّور لم يَكُ للإلاَه كليما
يا أمةً شقيت ببعض رُعاتها ... وتحمَّلت منه العذابَ أليما
إبغِي التحرر وانشُدي الاصلاحَ لا ... تَبغي (الوظيفَ) وتَنشُدي التوسيما
ما سادَ من فلَحَ الوجوهَ بكفِّه ... لطْمًا ولو نفعَ الأُنوف لطيما
الأَمن أن تتقي بربك نيةً ... وتشايعي قرآنه تحكيما
فهو الذي يزع الشعوبَ مساعدا ... وهو الذي يسع الذنوبَ حليما

أنشودة الوليد

طبعت هذه القصيدة وحدها بهذا العنوان بالجزائر سنة 1938 بكتاب صغير وهي من مولديات الشاعر الكثيرة، وطبع الكتب خصيصا لتلامذة المدارس العربية

بمحمد أتعلَّقُ وبخُلقه أتخلَّقُ
وعلى البنينَ جميعِهم في حبَّه اتفوَّق
نفسي الفتيَّة دائمًا من حبه تتحرق
وجوانحي مهتاجةٌ ومدامِعي تترقرق
مالي ولِلعَبِ التي تُختار لي وتنسق
ان التعلق بالرسو ل ودِينه بيَ ألْيق
أنا مسلم أهوىٰ الهدىٰ بسواه لا أتحقَّق
بخلال أحمدَ أرتدي وبحبِّه أتمَنْطق
في مثل هذا الشهر لا حَ كبدْرِهِ يتألق
اليوم ألسنة العَوا لِم بالبشائر تُطلق
فعلى الوجود نَضارة ملءَ العيون ورَونق
لا يومَ أشرفُ فيه من يوم الرسول وأسرَق
أهلا بشهر بالقلو بِ وبالنَّواظر يرمق
أنا منذ غبتَ اليك من حَر الهوىٰ أتشوق
عَرْف النبي محمد يُشتَمُّ منك ويُنشق
مازلتُ فيه ولن أزا ل بعهْده أتوثَّق

يا خيرَ منِ تعنَّى اليـ ـه الهاديات وتعنق
ذكراك أسمَى ذكريات الخالدين وأسمَق
أنا أسرع الفِتيان في ما ترتضيه وأسبق
جنديُّك الغازي بأمـ ـرِك يوم يَغزو الفيلق
قسَما بربك إنني من غيرِه لا أفرَق
اني على البيضاء معـ ـتَدل الخُطا لا أزلق
لا أنثني عنْها ولو أصلَى الجحيم وأشنق
هي ملةٌ يمحى بها ريْبُ القلوب ويمحق
والعقل منها بالعلو م وبالمعارف يُرزق
أنفقت وقتِي في هدَى فيه النفائس تُنفق
أتذوق القرآن قُو تَ الروح ما أتذوق
أتلُو الكتابَ مُصدِّقًا إن الكتابَ مُصدَّق
لا سِفْرَ أعْمَرُ منه في شَتَّى العلوم وأعْمَق
لم لا أزاول درسه وأنا اللبيب الأَحذق؟
يا قائدًا في الحرب صَـ ـفُّ جنوده لا يخرق
لي أسوة بك في دِفَا عِك يومَ خُطَّ الخَندق
والصَّحب بالأَحزاب تُغْـ ـزَى والمدينةُ تُحدق
مازلتَ تُرفد بالمُدو دِ من السماء وتُرفق
حتى رأيت القومَ يُهـ ـزَم جمعُهم ويُمَزَّق
يا شعبُ أنداء الرَّبيـ ـع على رُبوعك تُهْرق
السَّوسَنُ ٱلتحَفَتْ بهِ أكْنافها والزَّنْبَق

أنـــا زهـــرةٌ فيـهــا تـنـمّــــ ـــى حـــــــرَّةً وتُـنـمـــق
أنـــا نـبـعـــةٌ يُــرمـــى بـهـــا صـــدرُ الـعـــــدو ويُـرشـــق
أنـــا صـــــارمٌ فـــي وجـــه مـــن يـنــــوِي ابـتـــلاعـــك يـمـشـق
إن الـــذي يـبّـغِـــي (انـدِمَــــا جَـــكَ) فــــي سِـــواك لأحْـمـق!
لا يـنـمَـحـــى شـعـــبٌ بـشـــا راتِ الـــرَّســــول مُـطَــــوَّق
لا تـخـــشَ إيـبَـــاقًـــا فـأنَـــــ ـــتَ بـــوَعــــده لا تُـــوبـــق
لازلـــتَ فـــــي درج الـمـعـــا رِف والـعُـلـــى تـتـسَـلـــق
أنـــت الـحـنـيـــف فـلا تـخـفْ إن الـحـنـيـــفَ مُـوَفَّـــق

بشرى البراءة

نشرت القصيدة في جريدة البصائر سنة 1939

أعلنوا البشرى فرادى وثُبين جاء نصرُ الله والفتح المبينْ
إطرَحُوا عنكم تباريحَ الجوى وافرحوا، فاليوم عيد المُصْلحين
خرجَ الإصلاحُ من مِحنته وهو عالي الرأس وضَّاحُ الجبين
ونجا (العُقبيُّ) و(التركيُّ) مِن غمراتٍ ناهزتْ بضعَ سنين
حلَّق النسران في جوِّهما وانثنتْ حسرَى قلوبُ الصائدين
وخطا اللَّيْثان أخطارَ الزُّبَى مستقلَّين ولاذا بالعرين
أيها الخِلَّان قد آواكُما حَرَمٌ من جانب الشرع أمين
حكم الشرع بِتنْزِيهكما ونفَى بالحق دعْوَى المُبطلين
من عظيم الفخر أنْ زكَّاكما في حِمَى الشرع عِظام الشاهدين
ومُحامون بصدقٍ عنكما وقَفوا للخصْم كالسَّد الحصين
(لادْمِرَالُ)[1] الحرُّ حامٍ جنبَهم ثابتُ العزْمة كالطوْد الركين
النصارى واليهودُ استبْشَروا عندما بُرِّئْتما كَالْمُسلمين
وإذا الله تولَّى عبدَه أقبل الخلقُ عليه طائعين
فهنيئًا لكما ما أعقبَتْ هذه البلْوى من النصر المكين
سنةُ الله انْتِشالُ المبتَلى من يد البَلْوى ولوْ من بعد حِين

(1) «لادميرال» اسم للمحامي الفرنسي الذي تولى الدفاع عن الشيخ العقبي ورفيقه السيد عباس تركي.

والبليَّات جسورُ المجد لا بُدَّ منها لعبور الماجدين
كيف لا نلقَى أذاها بالرضَى وهْيَ من أسباب فوز المرسلين
فاز موسَى بالمناجاة بها وبتسخير العصا في طُورِ سِين
وارتقَى عيسَى الى الله بها وشفى العُمْيَ وأحيا المَيِّتين
وتلقَّى أحمدُ النصر بها فغَزا الأَرض وساد العالمين
في سبيل الله ضرٌّ مسنا فيكما دونَ جميع المؤمنين
ولعلَّ اللهَ ما اختاركُما دوننا الا لرُجحان كَمين
ما جنَى (الطَّيِّبُ) الا طيِّبًا كيف يرضَى حشَّه للمجرمين؟
كيف يرضَى القتل بَرٌّ مثلُه إن قتل النفس إجرام مَشين؟
هو في (الملْعب)[1] هادٍ هادئٌ فيه، والمفْتي (بلالير)[2] طَعين
ما خلا الملعبُ حتى قيلَ قد قتل المفتي فسِرْنا وَاجِمين
وسعى السَّاعون بُهتانًا بنا وفشا في الشعب قولُ المرجفين
ادخَلونا مأزِقا مستهدِفا للرَّدى فيه وقفنا حائرين
قل لهم مُوتوا بغيظ واذهبوا حسرةً إنَّا خرجنا سالمين
هي مأساةٌ ومَسلاةٌ معا دُبِّرت أدوارها للاعبين
وشريط سينمائي حوَى صوَرًا مدهشة للناظرين
سجل التاريخ منها صحُفا بِيمين الصِّدق فيها لا يَمِين
ان فيها عِبَرًا ملموسةً وعظاتٍ جمةً للقارئين

---

(1) الملعب: يقصد «الملعب الرياضي» الذي يوجد بحي العناصر، بالعاصمة وفيه اجتمع أعضاء «حزب المؤتمر».

(2) لالير: اسم النهج الذي أغتيل فيه المفتي كحول.

أيها (العقبيُّ) أقدم ظافرًا ... أنت اليومَ إمام الظافرين
وتعزَّز بشيوخٍ عِلْيةٍ ... وشبابٍ للبطولات خَدين
لم يزل طولَ المَدَىٰ مستحكمًا ... بيننا حبلٌ من الودِّ متين
لك إلفٌ ليس ينسَىٰ إلفه ... (وخليلٌ) لا يحب الآفلين
عنده مثلك بالصدق هوًىٰ ... وله مثلك للشَّرق حنين
كلما مسَّك ضُرٌّ مسَّه ... وطَغَىٰ الدمعُ عليه والانين
صحِب الشعرَ صبيًّا يافعا ... وفتًىٰ كهْلا يداني الأربعين
يزعم الغاوُون عنه أنَّه ... في بُحور الشعر رُبَّان السفين
جاءك اليوم بشعر صادق ... عاطفيِّ الوحيِ قُدْسِيِّ الرنين
لا يبالي بعد هذا الشِعر أن ... لا يقول الشعرَ دهر الداهرين
قد عَرفناك عزيزَ النفس لا ... ترتضِي في موقِف أنْ تستكين
كيف لا يعتزُّ حرٌّ يعتزِي ... لبلاد (عقبةٌ) فيها دفين؟
لم تكن في مجلسِ الشرع سوىٰ ... ثابت مستبسَل القلب رزين
تنقُض الدعوَىٰ بقوْل فيْصل ... وتردُّ الشك منها باليقين
كنت فردًا فيه حلتْ أمَّةٌ ... وسجينًا معه الشعبُ سجين
وحَباك الله نصرًا باهرا ... أصبح اليومَ حديثَ السائرين
فانتصب فينا زعيمًا وانتهجْ ... للمعالي كلَّ نهج مستبين
إنما أنت زعيم خالد ... بارزٌ في الزعماء الخالدين

***

أيها (التركيُّ) أبشر بالمنَىٰ ... واغتبطْ انك فخرُ المحسنين
فلَكم أسعفتَ بالمعروف مِن ... مُعْدِم في قبضة البؤس حزين

كل مَنْ نَحوَكَ ضُرٌّ ساقه شاقه ما فيكَ من عطف ولين
لا أسمِّيك بعباس فقد كنتَ بسَّاما لكل الوافدين
جلَّ صنع الله في تصويره للبرايا عن أسامِي الواضعين
لا عدِمناك رفيقًا صادقا كاسبا وُدَّ الرفاق الصادقين

***

أيها الشعبُ وكل أسم سما فهو بعد الله للشعب مَدين
لك مني الشكرُ جزْلا خالصا بعد شكر الله خيرِ الشاكرين
قد تبرَّعت بوفْر لا ترَى فيه مَنًّا من ألوف ومئين
ولقِيتَ الخطْبَ جَلْدًا صابرا فانعَم اليوم بِعُقْبَى الصابرين
نزِّه العَدل ولا ترْتَب بما أسلف الشرعُ وثق بالحاكمين
لست أعني حاكمين استظهَروا بالقوانين علينا جائرين
أنكَروا مؤتمرًا قُمنا به نبتغِي عدلَ فرنسا هادئين
زَعمُونَا فيه أضدادًا لها وخصومًا بئس زعْمُ الزاعمين
إن اضدادَ فرنسا معشر حكَموا باسم فرنسا ظالمين
كلَّما قلنا اقربوا قَالُوا ابعُدوا لا نسَوِّي بالفِرَنْج (الأنْدِجِينْ)[1]
لن تَنالوا البِرَّ حتى ترفضوا ما لكُم من عُنصُرٍ باقٍ ودِين
مالهُم يزهون كبرًا هل لهم عنصرٌ يعزَى لِطِيب لا لِطِين؟
سوف يَدرُون وإن طال المَدى أنَّ هذا الشعب بالمجد قرين
يشهد التاريخ في أسفاره أنه من قبلُ للمجد قرين
من بقايا أمةٍ (عَادِيةٍ)[2] وسُلالات غُزاة فاتِحين[3]

---

(1) لاندجين: لقب أطلقه المستعمرون على الجزائريين للتفرقة بينهم وبين المحتلين لبلادهم.

(2) عادية: قديمة، نسبة إلى عاد القبيلة اليمنية البائدة.

(3) إشارة على الشيخ (الطيب العقبي) فهو ينتمي لبلدة (سيدي عقبة)، التي سميت باسم الفاتح العربي العظيم الذي يوجد بها ضريحه، وتقع قريبا من (بسكرة النخيل).

عن بَواديهم وعن أمْصارهم   روتِ الحكمةَ (رُومَا) و(أثين)
أيها القوم تحلَّوا بالرضى   وتحفوا بالرجال المكرَمين
اعمَلوا قد فَسَحَ اللهُ لكم   كيْ يرَىٰ آثارَكم في العالمين
واحمدُوا الله علىٰ نَعمائه   أنه أهلٌ لحمْد الحامدين
واجعلوا الخيرَ قُصارىٰ قصْدكم   حُزتم الخير وفُزتم أجمعين

على أثر الحادثة التي أعدها الاستعمار فأوحى بقتل الشيخ محمد كحول ليلصق التهمة بجمعية العلماء، ويتذرع بذلك إلى قتل الحركة التي قام بها المؤتمر الإسلامي في باريس، وقد بدأ باتهام الشيخ الطيب العقبي أحد أعضاء المجلس الإداري للجمعية وعباس التركي أحد العاملين المحسنين فاعتقلهما، ثم فضح الله الإستعمار، فظهرت براءتهما كفلق الصبح..

يا أمة الخير

(1) نشرت في جريدة البصائر سنة 1939.

حيَّاك شهر ربيع ... بكل حسْن بديع
مذكِّرا برسول ... للعالَمين شفيع
مبارَك حلَّ فيه ... حُلولَ غيث برِيع
أهلَّ فيه بصوت ... عذبٍ وسمْت وديع
فكان أذكى وليدٍ ... وكان أزكى رَضيع
وكان خير رسول ... للمشركين قريع
أسدى الينا صَنيعًا ... ما مثله من صَنيع
فجاءنا بكتابٍ ... من الاله رفيع
ما أنفكَّ يأسر منا ... فؤاد كلِّ سميع
يا أمة الخير لبِّي ... دعاءه وأطيعي
ولا تُهيني كنوزًا ... من آيهِ أو تُضيعي
محمدٌ ليس يرضى ... أن تُوصَمِي بشَنيع
محمدٌ ليس يرضى ... أن تُخلِدِي لوَضِيع
فأوى الى الله تأوي ... الى الجناب المنيع
بيعي له كلَّ غال ... بجنةِ الخُلد بيعي
وآزري حزبَ طَهَ ... بجُهدك المستطيع
إن الشقاق فظيعٌ ... يدعو لكل فظيع

والشاة للذئب سهمٌ ... إن فرَّطت في القطيع
يا أمة الخير هبِّي ... إلى المَتاب السريع
قُومي بدينك قُومي ... قويةً لا تَميعي
فليس رِخْوٌ كصُلب ... وظَالعٌ كظليع
كوني لطهَ كجُنْد ... مِن صحْب طَهَ شَجيع
فدَوْا منَ الضَّيْم طهَ ... ودينه بالنجيع
أزكى رِضَى الله عنهمٌ ... من صارع وصريع
مجندلٍ في الفَيافِي ... أو مُلحَدٍ في البَقيع
فاقْفِيهمُ تحتَ ضوء ... من الرجاء سَطِيع
وتابعِي هدْيَ طهَ ... وشَايِعي وأذِيعي
فما لَه من ضَريب ... في هدْيه أو ضَريع
هو المشفَّع فينا ... يوم الحساب المُريع
فلا عدمْناه نُورًا ... ورحمةً للجميع

ويخلد الإسلام

(1) نشرت بمجلة «الشهاب» ج: (6) م: (5) – 1939
وعليها تعليق يأتي في ذيل القصيدة.

أشرِقي كالضُّحى عداكِ الظلامُ يا وجوه الرضى عليكِ السلامُ
وأنيري حفلَ الشبيبة بُشرَى فهْوَ حفْل للمهتدين يُقام
طاب فيه السَّماع للمنصِتِ الوا عِي كما طابَ للبليغ الكلام
وتجلَّى فيه الهُدَى وسما الذَّو قُ وعمَّ الرضَى وسادَ النظام
والتقتْ في رضَى الاله نفوسٌ ما لها في رضَى سواه مَرام
جاثماتٌ كأنها لبُؤاتٌ في جسوم كأنَّها آجام
اشتَراها منَّا الاله بفِرْدَوْ سِ كريم يثْويه قومٌ كرام
نحن جندُ الاله في السرِّ والجهـ رِ وجندُ الاله ليس يُضام
حولنا منه في البَلاء حصونٌ وعلينا منه لدَى البأس لاَمْ
نبتغي نصرَ دينه الحقِّ نحْدُو نَا ولاء لِدِينه وذِمام
باهتمامٍ كأنَّه سَمْهَرِيٌّ واعتزامٍ كأنه صَمْصَام
ونُوالي فيه النِّذارَة بالحـ ـقِّ وان أبغَضَ النذيرَ الأنام
رُبَّما لا يُفيدُ في الأنفسِ الإغْـ ـضاء والصفحُ ما يُفيد المَلام
فرَّط الناس في الحُدود فأمسَتْ تتَبَارَى فِي دوْسِها الاقدام
نشرَ الكُفْر في حمَى الدِّن ذكرًا هُ وأحيتْ عهودَها الأَصنام
وغدا البغيُ ظافرًا حولَه الجُنـ ـدُ عزيزا تُظِلُّه الأعلام

وفشَا الزُّور والقِمارُ على الار ... ض وراجَ الخَنا بها والمُدام
واستطَار الفَساد واستفحل الشَّـ ... ـرُّ وعم الاذَىٰ وطَمَّ الخصام
هذه الأَرض للقويِّ سِمَاطٌ ... ليس فيها غيْر الضعيف طَعام
أكثَرُ النَّاسِ يُوزَعُونَ عليها ... بالهَراوي كأَنَّهمْ أنعام
هذه أنفُسُ البرايا مَرَايا ... أصدأتها الذنوبُ والآثام
حلَّ فيها من الخَطيئات رَانٌ ... وعلاها من المَعاصي غمام
ملؤها شهْوة وكبْرٌ ومكْرٌ ... وغُرور وفتنةٌ واْغتمام
واحاط الهَوىٰ بها فاصيبتْ ... بسقام الهَوَىٰ وبئس السقام
هذه الدُّورُ جلُّها تُهتك الاعـ ... ـراضُ فيها وتُقطع الارحام
ويُشيعُ المُغتاب فيها الاقاويـ ... ـلَ فيغْنَىٰ بنقْلها النمَّام
ألسُنٌ تحتوي على السّم كالحيَّـ ... ـات فيها لُيُونة وعُرام
لاذعاتٌ كأنها جمراتٌ ... قاطعاتٌ كأنَّها أجْلام
كم اصابتْ بإِفْكها مِن بَرِيء ... لم يحُمْ حوله مَدَىٰ العُمر ذام
هذه الطُّرقُ للمناكر سُوقٌ ... وعليها من العُصاة آزْدحام
تُبصر العينُ كلَّ ما يُؤلم القلـ ... ـبَ فكم في قُلوبنا آلام
يُنهَر السائلون فيها وتُستبـ ... ـكَىٰ الايامَىٰ وتُقهر الأَيتام
ويساق الأَجير كالعَيْر للشُّغـ ... ـل علىٰ وجْهه الحزين قَتام
ويتيهُ الثُّراةُ كبرًا على النا ... س وتقسُو عليهم الحكام
والمَلاهِي مذاعةٌ تُعلِن الافـ ... ـواهُ عنها وتَكتُب الاقلام
والمشاريع صعبةٌ يندُرُ البَـ ... ـنَّاءُ فيها ويَكثُر الهَدَّام
ويناَدَىٰ لها الغنيُّ ويُرجىٰ ... وهْو لاهٍ بماله مُستهام

واثِقٌ بالحياة وَهْيَ غُرور ... مُستَعزٌ بالمال وهو حُطام
والبَغايَا طليقةٌ يُفتَن الشيـ ... ـخُ بإغوائها ويُغْرَى الغلام
آهِ من عِشرة القصور ففيها ... مُوبقاتٌ من الأُمور جسام
آهِ من عِشْرة القصورِ فَفِيها ... ليس يُنجِي مِن الشرور اعتصام
ليتني كنتُ سائحا موطني البِيـ ... ـدُ ولُبْسِي المسوحُ والأَهدام
وطَعامي النباتُ من كل نوع ... ومَبيتي الكهوفُ والآكام
وسميري النجومُ والطَّير فيها ... وعَشيرى الوُعُول والآرام
وجهتي للذي هداني وقصْدي ... وصَلاتي لوَجهه والصِّيام
والبَراري مثل الفَراديس يَصفو الـ ... ـمُكثُ في ظلِّها ويَسمو المقام
ليس فيها خطيئةٌ وانتِقَاصٌ ... ليس فيها قطيعةٌ وانتقام
ما بِها حرم الحلالُ بلا خَو ... فٍ من الله أو أحِل الحرام
فأقيموا شعائرَ الله واخشَوا ... جانب الله أيُّها الاقوام
علِّموا أهلَكم من العلم حظًّا ... نَافعًا تستغلُّه الافهام
علموا الطفل ما به يتزَكى ... قبلَ أن يستبين منه احتلام
علِّموا البنت ما به تحصِن النفـ ... ـسَ لينكفَّ عن أذاها اللئام
علموا المرءَ كل ما فيه مجدٌ ... وشُفوفٌ لقَدْرِهِ واحترام
علِّموا المرأةَ الحقائقَ في الدِّيـ ... ـنِ فقد طوحت بها الاوهام
علِّموها كيفَ النظام وكيف السَّـ ... ـعْيُ في بيتها وكيفَ القيام
علموها كيف الرِّعاية للطِّفـ ... ـلِ وكيف التلْقين والإلهام
علموها كيف التودُّد للزوْ ... ج وكيف التقديرُ والإعظام
علموها كيف الوِقاية ممَّا ... هاجمتها بشرِّه الايام

لا تَغُرَّنَّها بضاعةُ نخَّا — سِينَ كانتْ بها الإماءُ تُسام
كيف تنجُو مِن الشُّرور نِساء — لا يُوارِي وجُوهَهُنَّ لثام؟
صار خلق العفافِ أندَرَ خلْق — وتفشَّى الفسوقُ والاجرام
عصمةُ المرأة احتِجَابٌ وصوْن — وإباء وعفَّة واحتشام
علِّموا أمَّة الجزائر فالْعِلْـ — ـمُ دليلٌ لسخيْرها وزِمام
علِّموها دينًا من الله سمْحًا — ليسَ فيه إصرٌ ولا إرْغام
بثَّه في الورَى رسولٌ أمينٌ — منقذٌ للورَى رَؤُوفٌ هُمام
جاء والناسُ في ضلال وزيْغ — فهداهم صراطَه فاستقاموا
ولسانًا حُروفُه نبراتٌ — مُطرباتٌ كأنَّها أنغام
أبديًّا لا يعتريه فناء — عربيًّا مَا شابَهُ إعجام
صالحًا في اللُّغات للدرْس كالعَسْـ — ـجَدِ تُجلَى شذورُه وهو خَام
باهتِ البِيدُ زخْرُفَ الرَّوْضِ بِالْفُصْـ — ـحَى وتاهتْ على القُصور الخِيام
واحرُسوا حقَّكم فقد سِيم نهْبًا — لا تَناموا عن حقكم لا تَناموا
وجِّهوا وجهَ شعبكم للمعالي — فهيَ أهدافه ونحن السِّهام
واجعَلوا الدِّين رائدًا وإمامًا — ليس كالدِّين رائدٌ وإمام
كل ما يَشرع ابن آدم يفنَى — ولِمَا يشرَع الاله الدوام
سوف تهوِي مبادئُ الكفْر صرعَى — فانِياتٍ ويَخلُدُ الإسلام!!

ألقى الشاعر الكبير هذه القصيدة البليغة في الحفلة التي أقامتها جمعية مدرسة الشبيبة بالعاصمة. وقد كان – ولا شك – متأثرا بما يرى ويسمع من المفاسد والمظالم فتمنى أن لو فارق هذه المدينة بادية لا أنيس فيها وقد أبدع شاعرنا في تصوير تلك المفاسد والمظالم غير أن نفسه في تصوير الأولى كان أطول منه في تصوير الثانية، ولماذا؟ لأنه يعيش في وطن الجزائر.. !

فتح جديد

أنشدت في مدرسة (الهدى) بمدينة القنطرة، بمناسبة افتتاحها يوم الخميس 16 صفر عام 1366هـ.
ونشرت في مجلة (العبقرية) العدد الأول سنة 1366هـ

فتح جديدٌ قد بدا ... في فتح (مدرسة الهُدىٰ)
بُشرىٰ لِقَنطَرةٍ سمَت ... ونمَت شبابا رُشَّدا
دكُّوا الىٰ العَلياء وَعْـ ... ـرَ طريقها فتمَهَّدا
بعزيمَةٍ تُدلي الأَشَـ ... ـمَّ لهم وتُدني الأَبعدا
مجّدْ صنائعَ سادة ... ما ضاعَ ما صنعوا سُدىٰ
قد لاحَ مَخطوطًا علىٰ ... لَوحِ الزمان مخلَّدا
من شأنهم ولِنَشْئهم ... جئنا نُدشِّن معْهدا
(عبد اللطيف) بأُفقِهِ الـ ... ـوَضَّاء أمْسىٰ فَرْقدا
أورَىٰ الذكاءَ القَنطَر ... يَّ بعِلمه فتوَقَّدا
وسقَا وحَاط بغَرْسه ... نبْع الصّبا فتصعَّدا
صان البنينَ هدًىٰ وبالـ ... ـصِّنو (الأَمين) اسْتَنجدا
مَا خاب من جَعل (الأَمينـ ... ـنَ) له يَدًا وبه اقتدىٰ[1]
حيِّ البنين بمعْهد ... حرٍّ تمثَّل مأسَدا
فهمُ الشُّبول اليومَ فيـ ... ـه وهمْ ضَراغمةٌ غدا

(1) الأستاذ عبد اللطيف والأستاذ محمد الأمين أخوان عالمان مصلحان كانت لهما اليد الأولى في الدعوة إلى تأسيس هذه المدرسة والإشراف عليها.

ولهم بإذنِ الله أخبـ ـارٌ تَفوق المُبْتدا
عَرضَتْ (بقنْطرة)[1] الطَّبيـ ـعةُ حُسْنَها متجَرِّدَا
لوحٌ من الرَّسْم القديم بهِ القديرُ تفرَّدا
أنفاسُها تُذكي العَبيـ ـرَ بها فتُحيي المُلْحَدا
فكأنما نفسُ ابن مريـ ـمَ راحَ فيها واغتَدى
وتَرى الحياة تبسَّطت فيها فلَن تَتَعقَّدا
والقنطريُّ ابن الطبيـ ـعة يبْتغي أن يسْعَدا
فلذلك استرعى الطبيـ ـعة كاسبًا واسْتَرفَدا
وترى الحدائقَ نَضْرةً خضراءَ بلَّلهَا النَّدى
وترى الغصون بها ثَنى مُتَأَوِّدٌ مُتأوِّدا
رقصتْ على نغَم الصَّبا رقصًا يهُز الجُلمُدا
وترى الجداولَ حولَها تجْري على طُول المَدى
الماءُ يصبح فِضَّةً فيها ويسمِي عسْجدا
وكأنَّ صوتَ خَريره صوتُ الهَزار اذا شدا
صوتُ المياه اذا جرَتْ يسْلي الشجيَّ المُكْمَدا
ولعله واتى لِدا وُود الزَّبورَ فأنشَدَا
ولعلَّه دلَّ الغَر يضَ على الغِناء ومعبدا
وتَرى النخيل مُبعثَرًا مِن حَولها ومُنَضَّدا
فكأنَّه جيشٌ بشغْـ ـر للعدُوِّ ترَصَّدا
وترَى الجبال بأسها من عهْد آدم شُهَّدا

(1) القنطرة: بلدة تقع شرق الجزائر بين باتنة وبسكرة.

نحن الجِبالُ بَنو الجبا ل صدىٰ الجِبال بِنَا حَدا
ركبٌ الىٰ العرفان أتـ ـهَمَ في سرَاه وأنجدا
مَن سَامَنَا بإذاية فعلَىٰ الجِبال قد أعْتَدىٰ
ومَن أستهان بنا أستها ن بها فحلَّ به الرَّدىٰ
لا خوف من ظُلم الطَّر يق فقد جلَوْنا المَقْصِدا
جاءَ (البشيرُ) فبشَّر الأَعْـ ـمَىٰ فأبْصَرَ وأهْتَدَىٰ
شعبُ الجزائر بِالقلو بِ إلىٰ (البشير) تَوَدَّدا
مَن كان للوطن العَزيـ ـز فِدّىٰ فنحن له الْفِدىٰ
يا أيُّها الشعبُ أسْتبقْ للصالحات وطُلْ يدا
إنـي أراك مُنكَّرًا بين الشعوب مُنكَّدا
أحْثُثْ خُطاك فمَن يعش وَكلاً يعِشْ مُسْتَعْبَدا
وَدَع الفِراقَ فإنه أقصَىٰ الرِّفاقَ وبَدَّدا
ودع الهوىٰ إن الهَوىٰ لكَ فِي العِدَا شَر العدا!
حكِّم هُدىٰ الإسلام تُر ضِ الله تُرْضِ مُحَمّدا
وأقْفُ الهُداةَ الرَّاشديـ ـنَ الرَّكعينَ السُّجَّدا
صوتُ السَّماواتِ العُلىٰ صوْتُ الهُداة لهُ صَدىٰ
فمَنِ أستجابَ لصوْتهم نالَ النَّعيم السَّرْمَدا

رعد البشائر

هذا لحن عبقري من ألحان محمد العيد، جاشت به قريحته على اثر أعمال ودروس قام بها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الجزائريين، في مدينة باتنة.

ولكي نتيح القارئ فرصة الاستمتاع بالقصيدة، نستغني بما جاء فيها من إشارات ونكت وأعلام.

وقد نشرت في العدد 3 من البصائر سنة 1947

بباتنة رَعْدُ ٱلبشائر لعْلَعا ... فأطربَ (أَوْرَاسًا) بها (والشَّلَعْلَعَا)[1]

وجادت غيوثُ البرِّ كلَّ رحابها ... فجادَت وعادتْ للمبرَّات مرتَعا

وأخصبت الآمالُ فيها وأينَعت ... كما أَخْصبَ الروضُ الجديبُ وأينعا

فلا غرْوَ أن تُزهَى بعَهْد مبارك ... لها وتَهزَّ الرأس فيه وتَرفعا

بمدرسة دينيةٍ عربيةٍ ... أعِدَّت لإِرْواء المدارك مَنبعا

نمتْ ونمَى النشئُ الصغير على الهُدى ... بها ووعَى فيها من العِلم ما وَعى

وشبَّت فأمست للشباب كَقَلْعة ... محصَّنة فيها الشباب تَمنَّعا

الى جامع لاذَ الهداة بظلِّهِ ... وفَاؤوا اليه قَانِتين وخُشَّعا

ونادٍ بدِيع لو ينادى شَبابُه ... الى المُثُل العليا لَلَبَّى وأسرعا

وجوٌّ عجيبٍ ينثُر الثلجَ ناصعا ... كذَوْب لُجيْن أو يُرَى منه أنصعا

وشمسٍ خلالَ السُّحب تبْدُو وتختفي ... حياءً ويَرْجوها النباتُ لِتَسْطعا

ودورٍ لإِكرام الضُّيوف تفتَّحت ... وشعْبٍ الى صَوْتِ (البَشير) تطَلَّعا

---

(1) (أوراس) و(الشلعلع) جبلان من جبال الشرق الجزائري.

فأهلاً وسهلاً بالبشير متوّجا بتاج تحلّى بالنّهى وترصّعا
إمارةُ عِرفانٍ يَسوس أمورَها أميرٌ على دَسْتِ البَيانِ تربّعا
يُواليه شعبٌ للعروبة ينتمي ويصْبُو كما وَالَى اليَمانُونُ تُبَّعَا
يُبايعُ قلْبي قبلَ كَفّيَ عالمًا على الملك أرْبَى قدْرُهُ وترفّعا
تَغذّى من الفُصحى بِمَحْضِ لبانِها وشبَّ على آدابها وترَعْرَعا
أدْرَك من فِقْه الشَّريعة سؤْلَه وأصَّل في شتّى العلوم وفرَّعا
وسار الى السّتين يحْملُ عِبْئها وعِبْءَ المَعالي مَا وَنَى أو تزَعْزَعا
لقد عنَّ لي من دَرْسه أن عقلَه بفَلْسفَةٍ دِينيةٍ قد تشَبّعا
أراهُ بها يَرقَى المَراقيَ فكرةً وينزع فيها (لِلْغزَالِيِّ) منزعا
ويكشفُ عن صُوفية سلفيةٍ الى وِرْدِها الصّافي (القُشَيريُّ) ألْمعا
وقد عنَّ لي من لطفه أن قَلْبَه كمِسكٍ تَزَكّى طيبةً وتضَوّعا
أشاهدُ منه العطفَ مهما لَقِيتُه وألمَس فيه الرفق بي والرِّضَى معا
ويرْجُزُ (كالعجّاج) لي أوْ كَرُؤْبة وذاكرةً في حِفظ ما شئتَ أطْوعا
فلو شئتَ شأوَ (الشَّنفَرَى) لبَلَغْتَه ولم تقْتنع حتى تبزَّ (المُقَنَّعا)
ولو شئتَ إحصاءً لما قد حفظتَه لفاخَرتَ (حمَّادًا) به (وابْن أصْمَعا)
رحلتَ الينا فاحِصًا متفقّدًا ضَنانًا وأحكمتَ الدَّواء لينجَعا
فيا ليتنَا نرْمِي الدَّسائس جانبًا ويا ليْتنا ننْفي الخسائسَ أجْمعا
وجزتَ إلى (أرض النَّخيل)[1] مبادرًا لها لِتَحل المُشْكِلاتِ وتَدْفعا
فهل نَخَلَتْ أرضُ النخيل شُؤنها وهل شَرَعَتْ مشروعهَا المُتَوَقعا
رفيقكَ معْمَار عرفناهُ ماهرًا[2] تفنَّن في دار (الحَديث)[3] وأبدَعا

---

(1) أرض لنخيل: مدينة بسكرة وضواحيها.

(2) هو السيد عبد الرحمن بوشامة المهندس وقد كان مرافقا للأستاذ في هذه المرحلة.

(3) دار الحديث: مدرسة حرة شادها المحسنون بتلمسان تحت إشراف الأستاذ الرئيس الشيخ الإبراهيمي رحمه الله.

كـأنَّـك فـي أستصْحابـه لـك عارضٌ ... عـلـى نشْـئـنـا أعْلَـى مِـثـالٍ لِيُتْبَعا
ومـا نَال مـجـدًا غيـرَ من كـان دُونـه ... تـجـرَّع مُـرًّا راضـيًـا مـا تـجـرَّعـا
ولا يلحقُ الأحرار مَن لم يَكُن إلى ... مَـنـازلـهم بـالـصَّـالـحات تَـذَرَّعـا
ومـا الـحُـرُّ إلاَّ مـن تَـيَـمَّـم مـعْهـدًا ... لـيقْتبس العلمَ الـصـحـيـح فـينْفَعـا
وإلاَّ مَن أعْـلَـوْلَـى عـنِ النَّفسِ هِـمَّةً ... وأعْـرَضَ عـنْ أغْـراضـهـا وتَـوَرَّعـا
وإلاَّ مـن اخْـتـاضَ الوَغَى في كَتيبَةٍ ... لـيـفْـتـحَ مـصْـرًا أو يُـلاقِـيَ مَصْرَعا
فـيَـا أيُّـهـا الـشعبُ الـذَّليل أمَا تَـرَى ... لِـجـارِكَ هـمًّـا بـالـسِّـيـادَة مُـولـعَـا
بَـنُـو الـغَرْب حازُوا عالَمَ الأرضِ كله ... وإنَّ لَـهـمْ فـي عـالَـم النَّجْم مَطْمَعا!
فهل حُزتَ في الأرض التي أنتَ نَجْلُها ... مِن الـحُكْم شِبْرًا أو مِن المُلك إصْبَعا
بِـلادُك فـي الـدُّنـيـا تِـلادُك فـارْعَـهَـا ... وحـاذِرْ عـلـى أكْـنـافِـهـا أنْ تُـرَوَّعـا
وأرضُـك فـي الأَوْطـان أمُّـك فـاحْبُها ... بـبـرٍّ فـفِـي أخـلافـهـا عِشْتَ مُرضَعـا
وديـنُـك فـي الأَدْيـان كـنـزُك فاحْتفِظْ ... بـه إنَّـه مـا انْـفَـكَّ مـنـكَ مُـضَـيَّـعـا
حـيـاتُـكَ حـرْبٌ للضَّعيـف فكُنْ بـها ... قـويًّـا أبـيًّـا أَن تَـذِلَّ وتـخْـضَـعـا
ولـمْ أرَ فـيـهـا كـالـمَـصَـانِعِ عُـدَّةً ... فـيـا وَيْـحَ شعب ليسَ يمْلِكُ مَصْنَعـا
وحسِّنْ بـأهْـل الـعـلـم ظَـنَّـك إنهُمْ ... عِـطاشٌ لكي تُـرْوَى جِـيـاعٌ لِتَشْبَعـا
معـاذَ الـهُدَى أنْ يستطيبَ أخُو الـهُدى ... خَبيثًـا وحـاشَـا أن يَـخُـونَ ويَـخْدَعا
يُـهـدِّدنـا ريْـبُ الـزَّمـان بـخَـطـبـه ... ولَـمْ نَـكُ من رَيْـبِ الـزَّمـان لنُفجَعـا
سـلِ الـدهْـرَ عـنَّـا كَـمْ صمَدنا لشِدَّة ... بـهـا شـنَّ غـاراتٍ عـلـيـنَـا وشـنَّـعـا
فـلـم نـتَـصَـنَّـعْ غيـرَ ما في قُـلـوبـنَـا ... ويـأبَـى لـنـا الإسـلامُ أن نـتـصـنَّـعـا
وبـشِّـرْ أخـا يـخـشَى الوعـيـدَ بمـا بـهِ ... عِـلـمْـنـا (جَرِيرًا) قَبْلُ بَشَّرَ (مِرْبَعَا)[1]

(1) يشير إلى قول جرير: زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ❊ أبشر بطول سلامة يا مربع

رَأَيْنَا ولمْ نَعْذِلْ مُخالِفَ رأينا … فَمَن كانَ ذَا رأْيٍ إلَيهِ تَشَيَّعا
لقد خلَقَ اللهُ النفوس عنيدةً … وفاضَلَ ما بينَ العُقول ونوَّعا
وكيفَ يَرُومُ الناسُ للطَّبع وحْدةً … وقد جعَلَ اللهُ الطَّبائع أرْبعا
جزَىٰ اللهُ عنَّا مَن سَعىٰ لِصلاحنا … ومَن كان عوْنًا في الصَّلاح لِمن سَعَىٰ
لقد رضِيَ الاسْلامُ عن كلِّ فاضلٍ … (ببـاتِنَة) ٱسْتَدْعَىٰ الضُّيوفَ فأمْتَعا
وعن مُحْسن في المُسلمين بدارِهِ … علىٰ العُلمَاء المسلمين تبرَّعا
وعن أيِّ حرٍّ كانَ منْ أيِّ فِرقة … أعان علىٰ نشر العُلوم وشجَّعا
وما نحنُ الا امَّةٌ ذاتُ نِسبةٍ … سَماويةِ الأَسباب لنْ تَتَقطَّعا
وذريةٌ للأَطْلس الفَخْم لَوْ بِهِ … تصدَّت لنا ذَرِّيةٌ ما تَصدَّعا
اذا ما دَعا (تُوقَّر) ٱبنٌ أجابَهُ … (بِجَرْجَرة)[1] ٱبْنٌ ليسَ يخْذُلُ مَنْ دَعا
وعفوًا اذَا عِفْنا القَريضَ فلم نُجب … صديقًا دَعانا لِلقريض فأسْمَعا
فيَا أسفًا يُدْعَىٰ الحمَامُ عشيةً … ليسْجَع لَكِنْ لاَ يميلُ ليسْجَعا
تُرىٰ؟ خافَ بعضَ الصَّائدين يُصيبه … فيسْقُطَ مكْسور الجَناح مضَعْضَعا
أَم ٱلْتاثَ من بعْض الزَّوابع لوْثَةً … بها لم يَعُدْ يدْرِي الهدِيل المُرجَّعا
لقد صدَّنا عن قالَةِ الشِّعْرِ أنَّنا … نَرىٰ جلَّهم قد خاب في جلِّ ما ٱدَّعىٰ
وما الشعرُ إلاَّ محْنَةٌ طيَّ مِنْحةٍ … لذَا قلَّ مَن بالشِّعْر فينا تَمتَّعا
فقد جرَّ قِدْما (لامرئِ القَيْس) حَتفَه … وشتَّت فكرَ (ٱبنِ الحُسين) ووزَّعا
وأعْرىٰ من الأُنس (المَعَرِّيَّ) فامْترىٰ … الىٰ أن نَعَىٰ حينًا علىٰ الإنْس ما نَعىٰ
وعذرًا اذَا طالَ القصيدُ فإننا … وجدْنا مجالاً للتَّسابُقِ أوْسَعا
خبَبْنا وأوْضعْنا علىٰ مَتن ضَامِرٍ … ومن دَخَل المِضْمارَ خَبَّ وأوْضعا

(1) توقر، وجرجرة: الأول بالقاف المعقودة جبل بناحية (أوراس) الأشم، والثاني جبل عظيم ببلاد القبائل الكبرى.

وأجدرُ خلْقِ الله بالفَوْز مُؤْمنٌ إلى الله أدّى فرْضه وتطَوَّعا
ويا أيُّها الوفْدُ الموَفَّق رِحلةً أراك من الجَوْزاء أبهَجَ مَطْلَعا
وأَقِمْ في حِمانا باللَّطائف مكْرَمًا وغادِرْ حمانا بالقُلوب مشيَّعا

أعزم السّير

قيلت في حفلة تدشين المعهد الكتاني بقسنطينة ونشرت في جريدة النجاح سنة 1947.

وقَف العلمُ داعيا ومُجيبا فسمعنا له دويًّا عجيبا
هذه حفلة الى العلم آوتْ غُرَّ أنصاره شبابًا وشيبا
(يا قسنطينة) أحمدي سعْي حرّ ذكِرُه فِي البلاد يعبَق طيبا
أوتَر القوس لاقتناصِ المعالي ورَمَى سَهْمَهُ فكان مصيبا
كمْ له منةٌ على العلم كُبرى ويد تجعَلُ البعيد قريبا
(عمر)[1] البَر عامرٌ فيك دارًا أصبحت للعقول مرعًى خصيبا
أثمرتْ طيِّب الثمار وآتت أكلها بيننا شهيًّا رطيبا
جمعتْنا على الهُدى جمْع تصحيـ ـح فلم نخْش في الهُدى مستريبا
نحن في الدِّين اخوةٌ والأَماني لا ترى بيننا قصيًّا غريبا
أفبعْدَ الرِّضى وعهد التآخي يتَسَنَّى لعائبٍ أن يَعيبا
هذه فرصةُ الاخاء تجلَّت من سعَى للإخاء فيها أثيبا
فأحيِّي بها شيوخًا عِظاما فسحَوا للنُّهى مجالا رحيبا
وأحيِّي بها احْتِفَالاً عظيما باهرًا يأسِرُ القلوبَ رهيبا
أيُّها الشعب خُذْ من المجد حظًّا لكَ واكْسِبْ من كلِ علم نصيبا

(1) الشيخ عمر الحملاوي مؤسس المعهد المذكور.

لا تـكـن يائـسـا مـن الـخيـر واعملْ   انَّ لـلـشـمـس مـطـلَـعـا ومَـغـيـبـا
إِن تُـردْ عـيشـكَ الـهـنـيَّ فـكـافـحْ   واعْـزِمِ الـسَّـيـر لا تـدبَّ دبـيـبـا
أَوْ تـردْ فـوزَكَ الـعـظـيـم فـاخْـلِـص   كلُّ من كان مـخـلِـصًا لـنْ يـخـيـبـا

وداع الحجاج

نشرت في العدد 53 من جريدة البصائر سنة 1948

شيِّعوا بالقُلوب وفدَ العتِيقِ[1] وأذْرِفُوا الدمع منْ دمٍ كالعَقيقِ
هذِه وقفةُ الوَداع لرَكْبٍ خُلُقيٌّ بكلِّ أجْرٍ خَليق
قاصِدٍ بيتَ ربه مُستجير بحماه من كلِّ كَرْب وضِيق
عظم الكعبة الحرامَ ففيها كلُّ معنًى من الكمال عريق
حَرَمٌ حجَّه النبيُّون قبْلا والبرَايا من كلِّ فجٍّ عميق
حيثُ نادىٰ له الخليل نداءً واضحَ الحق واجب التصديق
فأجِبْ إن تكنْ مُطيقًا وذُب شوقًا إليه إن كنتَ غيرَ مطيق
وأرِقْ مدْمَع الاسَىٰ ربَّ عطْفٍ جرَّه مدْمَعُ الاسَىٰ للمريق
حبَّذا منظرُ الحجيج تنادَوْا فِي زفِير لحَجِّهم وشهيق
وطَوَوْا جانبًا من الكوْن رحْبًا يتَبارَوْن خشْية التعويق
ترَكوا الأَهلَ والبَنِين وسَاحوا فيه كالطير فِي الفضاء الطليق
كلُّهم إخوة أشقَّاء يسْعَوْن شقيقًا مُساعدًا لشقيق
أيها الرَّاحلون شوَّقتم القلبَ لما لا يُنالُ بالتَّشويق
غايةٌ دونها ركوبُ مطايا ذاتِ مَخْرٍ في السَّير أوْ تَحْليق
واحتمالٍ لكلِّ مُضْن من الجهد وطَيٍّ لكل بُعْد سحيق
إننا أصدقاؤكم فاذْكُرونا فمِن الواجبات ذكْرُ الصديق

(1) (العتيق) القديم، وهو صفة لموصوف محذوف، يقصد البيت العتيق.

أُذكرونا عند الوقوف بطَوْدٍ ... قُدُسِيٍّ بالذِّكريات أنيق
أُذكرونا عند المَقام وفي البيـ ... ـتِ وعند الرَّسول والصِّديق
بدعاء مؤكَّد صادِق العز ... م من الله بالقَبول حَقيق
اسألوا اللهَ راحةً للمُعنَّى ... واسألوا اللهَ عِصمةً للغريق
واسألوا الله عزةً ورشادًا ... وسدادًا لشعبنا الإفريقي
ويح (إفريقيا) تقضَّتْ عهودٌ ... وهيَ رهنٌ للأسْر والتَّطويق
أين اسلافُها الذين بهم قبْـ ... ـلُ غزا (طارقٌ) حِمَى (لُذريق)
لم نجدْ بعدهم بها غيرَ خَلْف ... نكبتْه الأغراضُ بالتَّفريق
ليس أهلاً ان يستقلَّ ويَرقَى ... غير شعْب من الهَوى مسْتفيق
ثابتٍ في نظَالِه مستميتٍ ... وغيورٍ على حماه شَفِيق
لا يطف طائفُ الإياس بقوْمي ... قد يُتاحُ الرَّحيقُ بعدَ الحريق
قلْ لوفْد العتيق نلتُم مُناكم ... من طواف به ومن تَحْديق
حقق الله حجَّكم ووَقاكم ... كلَ خطبٍ مُعَوِّقٍ في الطريق
كلُّ من حجَّ نالَ ما يترجَّى ... منْ صلاح وفاز بالتَّوفيق
وَغَدَا لابسًا من الأمْن ثوبًا ... سابغًا سالمًا من التَّمزيق
فهو عند الإله دُنيا وأخرى ... في حمًى آمن وعهْد وثيق

الترحيب بالحجاج

نشرت في العدد (94) من جريدة البصائر سنة 1949.

حَبَاكــمْ بحــجِّ البيت أكرمُ من حَبـا فـأهـلاً وسـهـلا بالـحَجيج ومرحبـا
حبـاكـم بـحجِّ الـبيت جاعلُ ركـنـه قيـامًـا لمن بـالـحــجِّ فـيـه تـقـريـبـا
حبـاكـم بحـجِّ الـبـيـت باسطُ ظلِّه أمَانًا لـمن خـاف الـرَّدىٰ حيـن أذنبـا
ذهـبتـمْ وجـئـتـمْ ظافريـن بمأرَبٍ شريـف وجُـل النـاس يـنـحطُّ مأرَبا
طـويـتـمْ لـه الابعـادَ فوق مسخَّـر من الـنـارِ والـفُـولاذ هُـيِّـئ مَركـبـا
فمِـن سـاربٍ فـي الـبـحـر يدفع لجَّةً ومـن ضَـاربٍ في الـبَـرِّ يقطع سَبْسَبَا
ومـن سـابـح فـوق الأثـيـر بـركْـبـه عن الـرِّيـش مستغـنٍ بسبعيـنَ لوْلبـا
أشـارَ إلـيـه اللهُ فـي الـذِّكر قـائلاً (ويَـخـلـق مـالا تعلمونَ) لـيُـطلَبـا
ولـكنْ أبـيْـنـا أن نُـجـيـل عـقـولَـنـا لـنكشفَ عمَّا ظَـلَّ عـنَّـا مُـحَـجَّـبَـا
ولم نسعَ سعْي الغرْب للكشفِ بِالحِجى عليـهِ فلم نكسبْ مع الغرب مكسبَـا
اذا مـا رأيـنـا الـغـربَ أبـدَىٰ بدائـعًـا فـغـايـةُ مـا نُـبـديـه أن نـتـعـجَّـبـا
حـيـاةُ الـورىٰ حـربٌ لـهم دون هُدنة تَـغـلَّـب فـيـهـا بـالـحِجَـىٰ من تغلبـا
لـذاكَ أبىٰ التمكيـنُ في الأَرض وصلنـا وراوَدَهُ الـمـسـتـعـمـرونَ فمـا أبَـا
نـقـول عـلـىٰ الله اتَّـكـلـنـا بزعْمنـا ومنْ يـتَّـكـل حـقًّـا عـلـيـه تَـسـبَّـبـا
لـنـا وطـنٌ مـثـلُ الـفـراديس بَـهجة فـكـيـف رضِـيـنـا أن يُـداس ويُنهَبـا
وكـيـف رضـيـنـا أن نَـعـيـش أذلَّــةً ضعـافًـا يَـرانـا الغيـر أحْقَرَ مِنْ هَبـا؟
حـيـارَىٰ كـقُـطـعـان جَفتْهـا رُعـاتُـها فـأغـرَت بـهـا خصميـن ذئبًا وثعلبا

ألسْنا من الأَجناس أفصحَهم فمَا وأسْمحَهم دِينًا وأصْلحهمْ أبا؟
بنا دَرَّت الدُّنيا عليهم بخيْرها وأخصَبَ منها كلُّ ما كان أجْدبا
ولَدْنا وأنجبنا ففُزنَا عليهمُ وَمَن ولَدَ الصِّيدَ المَناجيد أنجبا
فهلْ أنجَبوا فيها (عليًّا) و(خالدًا) و(عَمْرًا) و(معْنًا) و(ابن قيسٍ) و(مُصْعبًا)
وهل أنجبوا مثل (الغزَاليِّ) باحثا ومثلَ (ابْن خَلدون) خبيرًا مُدرَّبا؟
وهل أنجبوا مثلَ (ابن حَيَّانَ جَابرًا) وهل جرَّبوا من قبلُ مَا كان جَربا
وهل نَشروا في الكوْن عدلاً ورحمةً كأجدادنا أمْ صيَّروهُ مُخربا؟
يقاسِي من الأرزاء شرًّا منظَّما ويلقَىٰ من الأهواء ظُلما مرتَّبا
اذا لم يكنْ للعلم دينٌ يَقودُه تحرَّف عن مهج الهُدىٰ وتنكَّبا
وان لم يكن للمرء دينٌ مسيْطِرٌ عليه تعدَّىٰ طورَه وتَرَبَّبا
فيا معْشر الحُجاج فُزتم برِحلة مقدَّسةٍ تجلو عن القلب غيْهَبا
حَجَجْتُم بها البيت الحرام وزرتُمُ علىٰ إثره القبر الشريفَ المحبَّبا
فطوبَىٰ لعبدٍ زارَ قبرَ محمَّدٍ وطوبَىٰ لعبدٍ من شذاه تَطيَّبا
وطوبَىٰ لعبدٍ صادق الدّين صادعٍ به لا يبالي أن يُقال تعَصَّبا
ويا معشرَ الحُجاج لا ريبَ أنكمْ كشفتُم بحج البيْت سرًّا مُغيَّبا
وسرتُم فأفْضيتُم الىٰ باب عالم من النورِ مَن أفضَىٰ اليه تكهْربا
عرفتُم شعوبَ المسلمين بمَعْرِضٍ عظيم لهمْ هالَ النفوسَ وأرهبا
قضَىٰ بوَلاء المسلمين جميعِهم ووحدَتِهمْ في الأَرض شرقًا ومغربا
ولو أذْعنوا لا ستَرْهبوا الغربَ شَوْكةً وكانَ لهمْ في كل مُؤتَمَرٍ نَبَا
ولو آثروا الفُصْحَىٰ علىٰ لَهَجَاتِهم لَرَدُّوا إلىٰ أحضانها مَن تغَرَّبا!
فإن لسانَ الضَّاد لم يُعْزَ أصلُهُ (ليَعْرُبَ) بين اللُّسن إلاَّ ليُعْربا

ألا إن حجَّ البيت عنوانُ وحدةٍ — من الله خُطَّتْ للحنيفيِّ مذهبا
ألا انَّ حج البيت ريعانُ دَوْحَةٍ — تضُم إلى أفيائِها كلَّ مُجْتَبَى
أرَى غاية الأبرار في الأمر كلّه — ثوابًا إليه الله في الذكر ثوَّبا
فيا أيُّها الإنسانُ دنياكَ صعْبةٌ — فكنْ أنتَ منها في كفاحك أصعبا
ويا أيُّها الإنسان إنك كادِحٌ — إلى الله كدْحًا ما خُلقتَ لتَلْعَبا
فإن طبتَ سعيًا تلْقَهُ عنكَ راضيًا — وان سُؤتَ سعيًا تلقَه عنك مُغضَبا
وحولكَ آفاتٌ مِن الخلْق جَمَّةٌ — تَنُوشُكَ فاحْذر أَن تُصاب وتُعْطبا
ومن فرَّ من بعضِ العِبَاد لبعضهم — فقدْ فرَّ من أفعَى ليقْرُبَ عقْربا
فكنْ هاربًا منهم الى الله وحدَه — ولمْ أر غيرَ الله للمرء مَهْربا

صدر القصيدة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بهذه المقدمة فآثرنا نشرها نقلا عن جريدة البصائر التي نشرت القصيدة ومقدمتها قال رحمه الله:

«تلم بشاعر الشمال الإفريقي محمد العيد آل خليفة، في هذا العهد الأخير نوبة نفسية غريبة عن شعراء المادة، وما هو منهم، ولا هم منه، وكان من آثار هذه النوبة في نفسه إيثاره للعزلة عن الناس، وهجره لقول الشعر، وكان من ثمراتها المرة للأمة حرمانها من صوت ذلك الطائر الغريد، وهي تخشى أن تحتد هذه النوبة وتشتد، فتنعكس إلى نزعة صوفية جارفة تقضي على تلك الشاعرية الجياشة بكل شاردة من الحكم، الفياضة بكل بديع من القول — حرام أن تحرم الجزائر من نفثات شاعرها الفذ وحرام أن يبقى شعر ذلك الشاعر الفحل غير مدون ولا مطبوع ولكن من المسؤول عن ذلك؟ المسؤول الأول هو الشاعر نفسه فقد أردناه على جمع شعره، وكفيناه مؤنة التصحيح والتعليق والإنفاق، فأبى وتصعب، وتفشى العذر منه وتشعب، وما ذلك في نظرنا إلا أثر من آثار تلك الحالة النفسية التي أشرنا إليها. وهذه القصيدة جديدة مملوءة بالحكم، ترسلها قريحة الشاعر العبقري في الوقت الذي يرجع فيه الحجاج من الحجاز، يهنئ فيها المستحقين بقبول التوبة، وسلامة الأوبة، ويتخلص إلى أفانين من الحكمة والوصف، وليس كل الحجاج يستحقون هذه التهنئة، فمنهم من حج زورا، وعمل منزورا، ورجع موزورا، وأهدى بدنة فكأنما قرب زرزورا. ولكن التجليات التي غمرت الشاعر، ففاضت قريحته بهذه القصيدة هي التجليات الزمنية. فهذا الوقت هو زمن رجوع الحجاج إلى مواطنهم بلا فرق بين المشرق والمغرب، ولا فرق بين البار والفاجر، يهنئ الحجاج ولم يهنئ العير، ونوى أصحاب الجنة ولم ينو أصحاب السعير. والدعوات المرسلة تطير إلى أهليها، والصفات المطلقة تتوزع على مستحقيها، ولا جناح على الداعي، ولا على الواصف. وأن عسى أن تنجلي هذه النوبة فيعود محمد العيد إلى عهد استوح شعرك من حنايا الأضلع.. وإلى عهد:

(حي حفلا كزخرف الروض عني...) فمتى تعود تلك العهود؟

سلوا التاريخ

نشرت في العدد (114) من جريدة البصائر 1950

هجدتُ فضاع حظِّي في هُجودي ... ولم أقضِ اللُّبانة من وجودي
رقدْت فضاع في الأَحلام عُمْري ... كذَاك تضيعُ أعمارُ الرقود
أؤمل أن أرَىٰ حظِّي كبيرا ... من الحُسْنىٰ ونجْمي في صعود
وتنآىٰ بِي عن الآمال نفسٌ ... تَنوءُ بوِزرها تحت القيود
فيا نفسي عنِ الكُدرات عفِّي ... وعُودي للصفاء المحْضِ عودي
ولا تَدَعِىٰ هموم الدَّهر تطغَىٰ ... عليكِ فقد أتَىٰ شهرُ السعود
ألم تنفَس بمكةَ في ربيع ... بأزكَىٰ ناشئ أزكىٰ وَلود؟
ألم تنفسْ به طفلا يتيمًا ... يتيهُ علىٰ اليتائم في العقود
ألم تخضَعُ لليلتِه اللَّيالي ... وتَعْنُ لمهْده شُم المهود
فديت محمدًا طفلا يُربَّىٰ ... بأحضان العوارف والرُّفود
ومقتَبل الشَّباب يضئُ وجهًا ... ويزكو في الخَلائق والقصود
وكهلاً داعيًا لله حرًّا ... يَدين بدينه شتَّىٰ الوفود
وشيخًا عابدًا لله بَرًّا ... وسيمَ الوجه من أثَر السجود
يواصل دعوةً لله عظمىٰ ... ويُنذرُ باسمِها أهل الجحود
ويسنِدها الىٰ عيسَىٰ وموسَىٰ ... وإبراهيمَ قبلَهما وهُود
فما قعدت به السِّتُّون عنها ... وذو السِّتين يُعذر في القعود
ولم تُخمِدْ عزيمتَه خطوبٌ ... تصابُ لها العزائمُ بالخمود

ولما تمَّ دينُ الله لبَّى ... نداءَ الله ينعَمُ بالمجود
وخلَّف بعده دينًا قويمًا ... وسلطانًا يجِلُّ عنِ الحدود
وجندًا يفتح الدنيا ويغْزو ... كمثل السَّيل فاضَ على السدود
ومجتمَعًا إخائيًّا تساوت ... به الأَجناس من بيض وسود
وأحفادًا توارثتِ المعالي ... عن الأَجداد صادقةَ الوعود
فبُورك عمْرُه من عمْر برٍّ ... وبُورك لحدُه بين اللحود
عليك أبا البَتول سلامُ عبد ... قصيٍّ عنك يطمَح للشهود
يناشدُك الشفاعةَ وهي كنزٌ ... نفيسٌ لا يُقَوَّمُ بالنُّقود
ويَرجو منك إقبالاً وحاشَا ... لوجهكَ إن تُعاقِب بالصدود
ألم تكُ يوم تاب اليك كعْبٌ ... خلعتَ عليه خالدةَ البرود؟
عليك سلامُ شعب فيك يؤذَى ... ويُرْمَى بالتعصُّب والجمود
ضعيفٌ ماله في العيش حظٌّ ... سِوَى دمْع يسيل على الخُدود
يَشِحُّ عليه بالتَّحرير دهْرٌ ... سخَا بالمُلك حتَّى لليهود
فكاد يبُوءُ بالخُسران ممَّا ... يُلاقي اليوم من فشَل الجهود
وكيف يَبُوءُ بالخسران شعبٌ ... يُكِنُّ ولاءَهُ لكَ في الكُبود؟

***

بنِي الإسلام هذا يومُ ذكرى ... معطرةٍ على مرِّ العهود
سَلوا التاريخَ عن أزكَى رسولٍ ... رؤوفٍ في الكتاب بكُمْ وَدُود
وعن دين أقام العدْلَ ركنًا ... وأعلى بُندَه فوق البنود
وأنصَف فِي حُكومته فسوَّى ... بدعْوَى سيِّد دعوَى مَسُود
فشَا بينَ الورَى في رُبْع قرْن ... وعَمَّ على البَسائط والنُّجود

سَلُوا إفريقيا عمَّا أتاها ... معَ الإسلام من بِرٍّ وجود
سلوا عن (عقبَة) الغَازي وعمَّنْ ... تَلاه من السَرايا والمُدود
سلوا (أوراسَ)[1] عن (حسَّان) قدمًا ... وعن غَزْو الهُداة من الجُنود
وعن اخفاقِ «كاهِنة» تولَّت ... وأصْلت ملْكَها نارَ الوَقود
فهل للمسلمين اليوْم عَودٌ ... الى ما ضَاع من شَرف الجُدود
وهل لرجالهمْ عزماتُ صدق ... إلى الأَهْداف تُقْدَحُ كالزنود؟
وهل شعبُ الجزائر مسْتفيق ... من الأَحلام مطَّرح الركود؟
وهل هو بالتحرر سوف يحظَى ... كأمَّة (ليبيا) أو (كالهنود)؟
ولا يُعطَى التحرُّرَ غيرُ شعب ... يُجيبُ إلى المعامع حيْثُ نُودى
سخَيٍّ بالفِدى ان سِيم ضيْمًا ... وخوصم في مطالِبه وعُودى
فليس يَهابُ زمزَمَةَ العوادي ... وليسَ يَخاف دَمدمةَ الرُّعود
أحقًّا أن الاستعمارَ أوْدَى ... بهِ عُدْوانُهُ أو كادَ يُسودى
اذًا فمَشيئَةُ المولَى تعالى ... قضت بنُشورنا بعد الهمُود

***

بنِي الإسلام أحيُوا الدين أحيوا ... شعائرَه وأوفُوا بالعُقود
فدين محمد دينُ الترقِّي ... ومجدُ محمدٍ مجدُ الخلود

---

(1) أوراس.. مجموعة قمم شامخة من سلسلة جبال الأطلسي، تقع في جنوب قسنطينة، وتشرف شناخبها على الصحراء. وفي سفوحه الصحراوية مات عقبة بن نافع، وفيها تقع القرية المنسوبة إليه، والشاعر العظيم طالما تغنى بهذا الجبل العظيم. أنشد الشاعر هذه القصيدة في ذكرى المولد النبوي الشريف وهي قصيدة جامعة استطرد فيها الشاعر من لون إلى لون كعادته في مطولاته. فمن تحضيض على النهوض، إلى صرخات مستفزة، إلى وصف شائق، إلى تذكير بأمجاد التاريخ الإسلامي، ليخط الأسوة لهذه الأجيال النائمة.

إلى العلم

أنشدت هذه القصيدة في الاحتفال العظيم بتشييد مدرسة التربية والتعليم بمدينة بسكرة، وفي القصيدة من التذكير بالأمجاد، والإلماح إلى الكتب التاريخية ما يحرك الشاعر. وقد قال الأستاذ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي في آخر خطبته التي افتتح بها الإحتفال ما لفظه: «ولعلكم في هذا المجلس سترتفعون بالذكريات إلى الماضي الخالد، حين تسمعون من الشعر ما يمثل لكم زهيرا والنابغة في الأولين، وأبا العتاهية والمتنبي في المحدثين، حين تسمعون الوصية ممزوجة بالحكمة مدغمة في النصيحة، معجونة بالفخر من شاعر الجزائر، بل شاعر العروبة والإسلام: محمد العيد».

أراكَ بلا جَدوى تَضِجُّ من الظُّلمِ … الى العِلم إن رُمتَ النجاةَ الى العلمِ
أراكَ بلا جدْوَى تَضِّجُّ وتشتكِي … من الخَصْم فِي كلِّ الأُمور إلى الخَصْم
فخُض فِي مَيَادين الحَياة مُكافحًا … بما لَكَ من عزْم ومَا لَكَ من حَزْم
ولا تدَّرِع الاَّ المعارفَ إنها … سوابغ ينْبو الطعنُ عنها فلا يُدْمى
رعَى اللهُ في أرضِ الجزائر نهضَةً … مباركةً في العِلْم تَسْمو الى النَّجم
وترمي الى أهدافها بقُصودها … موفَّقةَ الأنظار صائبةَ السَّهم
وتنشئ للفُصحَى مدارسَ عدَّةً … مشيَّدةَ البُنيان محكمَة الدَّعْم
قف اليوم بالزِّيبان وانْزل بها على … مَليكَتِها واحْضُر بمَحْفلها الفخْم
تجدْ داعيًا للعلْم في الصُّور نافخًا … وبعْثًا من الأشهَاد يزْخَرُ كاليَمِّ
و(بِسْكَرة الزَّهْراء)[1] تَقْري جُموعهم … بكلِّ لذيذ مُستطاب من الطَّعم

(1) أراد الشاعر «الزهراء» بسكرة الجديدة و«الغبراء» بعدها بسكرة القديمة، وهي مجموعة قرى عريقة في القدم غريقة في النخل، وفي إحداها أقام ابن خلدون في كنف أمرائها بني مزنى.

وتُؤويهم في دُورها وقُصورها مُحاطينَ بالترحيب فيها وبالنُّعم
و(بسْكرَةُ الغَبْراء) تَروي عليهم احاديثَ من إسناد أطلالها البكْم
تحيِّيهمُ بالذِّكريات شذيةً وتُوحيْ اليْهم بالجَلال وبالعُظم
وتُملي عليْهم من قديم عِظاتها دروسًا وما المُمْلِي سِوىْ دارس الرَّسم
أقام (ابنُ خلدونٍ) بها غير مَرَّة وحرَّر فيها بعض تاريخه الضَّخم
وصادَف فيها للعروبة دَولَةً وللعِلم سُوقا في الرَّواج وفي الغُنْم
وكانتْ له مشتّىْ جميلاً وملجأ حصينًا من القهر المُبيَّت والهَضم
ولم يزَل الأحرارُ في كلِّ أمَّة يُطارِدُهم قَهْرَ الوُلاة بلا جُرم
فهل ترجعُ الأيام سالفَ عهدِها وتَنفُضُ عنها ما عَلاها من الهدم
وتَجلو لنا آثارَها وديارَها واخْبارَها الأولَىْ يقينًا بلا رَجْم
أرَىْ من حَواليْها مَخايلَ جمَّةً مبشِّرةً دلَّت علىْ وابل سَجْم
أُحيِّي السَّراةَ المحسنين صنيعة ببسكرةَ السَّاخين بالنَّائل الجمِّ
وأدعُوهُم للبذل والبذلُ عِصْمَةٌ لهمْ ولِما شادُوه من كلِّ ما يُصْمِي
ألم ترَ ما قاموا به من مَبَرَّة تُبَشِّر في العقبَىْ بفوزهم الحَتْم
بمدرسة كالطوْد أعلَوْا بناءَها فكانتْ حمىْ للطِّفل والجاهِل الأُمِّي
وأُمًّا حَنونًا أوْ أَبًا متعطِّفا لكلِّ يَتِيم يستجيرُ من اليُتْم
جلَوْها علىْ الانظَار مرْصوصَة البِنا مقوَّمةَ الهِنْدام مُوشيَّة الرقْم
وجَادوا بوَسْميِّ السَّخاء فهل نرَىْ وليَّ سَخاء منهم عقبَ الوَسْمي
هلالٌ بدَا فِي الأُفقِ نرقُب أنَّه يَؤُول علىْ قُربٍ الىْ قمرٍ تِمِّ
وطيرٌ بديعٌ لو يضَمُّ جَناحُه إليه لَحازَ الحُسْنَ اجمعَ بالضَّم[1]

(1) يشير الشاعر إلى أن الذي تم بناؤه إنما هو جناح واحد، ويقابله جناح آخر لم يتم، وقد أبدع في التمثيل بالطير، وفي ذكر الجناحين مع لفظ الضم: إحسان في التصريف وتصوير شعري جميل.!

تعالَوا بَني الإسلام للبذل كلما ... دُعيتم إليه في اليسار وفي العُدْم
ولا تجعَلوا الآفات للشُّحِّ حجَّةً ... فذلكَ عُنوانُ التَّسَخُّط والشُّؤْم
اذا دامتِ الأعمال أسفرَ صدقُها ... وان لم تدمْ لمْ تنكشفْ عن سِوَى الزَّعم
تعالَوا بني الإسلام للحقِّ إنَّه ... به قامتِ الأكوان مَسنونةَ النُّظم
أقيموا حدودَ الحق في السُّخط والرِّضى ... اقيموا حدودَ الحقِّ في الحرْب والسلم
وَرُوضُوا على خُلْق الثَّبات نفوسَكم ... فقد كان خُلْقَ المرسلين أولي العزم
وخُطُّوا على الإخلاص أسَّ أموركم ... وسيروا على نهْج السَّداد إلى القُدُم
وكُونوا مع القرآن يَهد قلوبَكم ... وخلُّوا هَواكم جانبًا فالهَوى يُعْمِي
ولا توقدوا نارَ العَداوة بينكمْ ... وما فحْمُها غيرُ الوقيعة والشَّتْم
وما ماؤُها المُطْفِي لِكلِّ لهيبها ... ويَحْمومِها غيْر الرَّزانة والحِلم
ولا تجزموا فيما تظنُّ نفوسُكم ... فأكثرُ ظَنِّ النفْس يُفضِي إلى الاثم
ولم أرَ مثلَ الصَّبر للحرِّ حِكمةً ... مجرَّبةً تجلو له كل طِلَّسْم
فقد تُسفر الأيامُ عن كل غاية ... وتكشف بالأحداث ما حِيط بالكَتْم
هنالك يحضَى المُخلصون بغُنْمهم ... ولا يسْتفيد الخائنون سِوَى الغُرْم
تعالَوْا بني الإسلام نأسُ قلوبَنا ... فقد شفَّها ما لا يطاق من السُّقم
وقَلَّ دُعاة الحقِّ فينا فلمْ نجدْ ... أساة يداوُون النفوسَ من الوَهْم
تطاوَلَ اربابُ الغَواية واعتَدَوْا ... حدودَ الهُدى تحميهم سَطوة الحُكْم
واصبحَ اربابُ الهُدى دونَ عاصِم ... غَريبينَ في الدُّنيا كعقبانها العصْم
لقد طال ليلُ النائبات عليهمُ ... فخاضوا طويلاً في دَياجيرِه الدُّهْم
وممَّا شجَى قلبي وأحزَن مُهجتي ... جِماحُ نفوسٍ للعلا رُدَّ باللُّجم
تحن الى نيل الحقوق نفوسُنا ... وتأبَى علينا نيْلَها قوةُ الغَشْم

ونُقْصَى عَن الفُصحىٰ ونُلهَىٰ بغيْرِها   ولَيْسَ سوَىٰ الفُصحىٰ لسانٌ لنا (رَسْمِي)
وما نحنُ إلاَّ مِن سُلالة يعرُبٍ   فمَن رامَ عنها فصْلها باءَ بالرَّغم
سلامٌ كأزهار الرُّبىٰ طيِّب الشَّذىٰ   علىٰ كل قُحٍّ فِي عُروبته شهْم
علىٰ الْعَرب الأحرار مَن كان عاربًا   ومن بَاد قِدْمًا من جَديسٍ ومن (طَسْم)
ومن كان في آستِعرابه لاحقًا بهمْ   نُزوعًا إليهم في الفَصاحة والفَهْم
ومن أتقنوا الفُصحَىٰ ورَضوا علومَها   بحِذقٍ فكانوا مِنْ صَوارمها الخذم
ومن نَشروها كاللِّواء وأكثروا   بكلِّ مكان مِن مَعاقلها الشُّمِّ
لقد رفَعوا رأس العروبة عاليًا   سلامٌ عليهمْ في البداءة والخَتْم

تهنئة الأزهر بشيخه الجديد

قيلت هذه القصيدة في تهنئة الأزهر بمشيخة الشيخ الخضر بن الحسيني الجزائري الأصل، ونشرت في العدد 208 من جريدة البصائر سنة 1952

بارقٌ من بَوارق الرُّشد لاحا — جرَّ للشرق غبْطةً وفلاحا

حركاتُ التَّطهير فيه توالتْ — فنفتْ عنه ضُرَّهُ فاسْتراحا

أكسَبَتْه بعد المهانة عِزًّا — واسْتعاضتْ عن الفسَادِ صَلاحا

هذه مصرُ أنكرت ما دَهاها — فدعت جيشها فخاضَ الكفاحا

لم يُرق قَطرةً من الدم فيها — أوْ يُثِرْ غارةً ويُشْهِرْ سلاحا

طهَّر الجيشُ نيلَ مصرَ فما أبـ — ـقَى به غيْلَمًا[1] ولا تمْساحا

واذا الجيشُ قام بالحكم عدلاً — ردَّ للشعب حقَّه المُستَباحا

واذا نال حقَّه كلُّ جان — عرَفَ الشعبُ جِدَّهُ والمزاحا

نصرَ الله جَيْشَ مصر وأبقـ — ـاه وأعلى (لواءَه) اللَّوَّاحا

انجبت مصرُ وهي أزكى وَلود — للمَعالي (نجيبَها) الطَّمَّاحا

مثلَما انجبَتْ بَنيها الغَيوريـ — ـن على مجْدها الطُّهورين سَاحا

مصْطفاها سَليلُ (كاملها) الذا — ئِع صِيتًا و(سَعْدَها) النَّضَّاحا

و(عُرابيَّها) الجرئَ الذي شَـ — ـقَّ على الجَوْر غارةً مِلْحاحا

رفعتْ مصرُ رأسَها (بنجيب) — عاليًا يومَ بالرؤوس أطاحا

(1) الغيلم: السلحفاة، أو الضفدع.

قد أسا داءها القديم فأمست كل اعضائها المراض صحاحا
واذا ما الطبيب بالمبضع المر هف أدمى فآلم الأشباحا
فاعذل المذنف المفرط في التط بيب قبلاً لا تعذل الجراحا
صوت حق دعا المليك فلبى مسرعا والوزير والفلاحا
والإدارات والمعاهد والأحـ ـزاب طرا فعمها إصلاحا
وحبا الازهر الشريف رئيسا عبقريا ومصلحا مسماحا
واماما مجددا مغربيا رفع المغرب المهيض جناحا
هنئ الازهر الشريف بشيخ طاب أنسا به وزاد انشراحا
رأس الأزهر الشريف فخلنا سادن البيت أوتي المفتاحا
وجلا الحق (بالهداية) حينا فنفى عنه غيمه وأزاحا
حارب الجهل والتعصب والإلـ ـحاد والدجل والخنا والسفاحا
بيراع يفري المشاكل عضبا وحجى يكشف الدجى لماحا
حاز آل الحسين (بالخضر) الحـ ـر مدى فخرهم وفازوا قداحا
أورث الله منه (طولقة)[1] العر ق وأورى بنفطة المصباحا
(تونس) تقبل التهاني نشوى وتهادي (الجزائر) الأفراحا
ان كلتا الأختين من خمرة البشـ ـرى تعاطت على الصفا أقداحا
قد طوى سبعة وسبعين عاما ناشرا نور علمه وضاحا[2]

(1) طولقة (بالقاف المعقودة) واحه ثرية المياه تابعة لبسكرة عاصمة الصحراء في جنوب قسنطينة. وأصل عائلة الشيخ الحسين من هذه الواحة، ودارهم بها معروف إلى الآن، وهاجر أبوه بعد سنوات من الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى الجريد في الجنوب التونسي.

(2) ولد فضيلة الأستاذ محمد الخضر بن الحسين شيخ الأزهر في سنة 1293هـ 1875م ببلدة (نفطة) من عمل الجريد بالقطر التونسي، واصل عائلته من بلدة طولقة بجنوب عمالة قسنطينة من القطر الجزائري فهو حفظه الله تونسي النشأة جزائري الأسرة.

رائِع الـمُنشَآت يـفـتَنُّ كـالرسـ ... ـام فـيـهَـا ويَـعْـرِضُ الألْـواحـا
طـيِّـب الـخُـلـق طيِّب الذِّكر كالرَّيْـ ... ـحـان يـذكـي أَريـجَـه نـفَّـاحـا
مـدَّ فـي عـمـره الالـهُ وأبـقـا ... هُ مـنـارًا لـنـا وبـدْرًا لـيـاحـا
يـا بَـنِـي الأزهـر الـمُـبـارك طلتُمْ ... أَيـديًـا عـمَّـت الـرُّبَـى والـبطاحـا
انـمـا الازهـرُ الـمـبـارَك رَوْضٌ ... بـثَّ فـي الـكـوْن طيرَه صـدَّاحـا
فـاسـتـطـيـبـوا بـطـيـبـه واستظِلُّوا ... دوحـةً فـيـه فـاقـت الأَدْواحـا
قـدْ رَمَـى شيخُكم بكُمْ مَطْلعَ النَّجْـ ... ـم فـسـيـروا خـطًـا إِلـيه فِساحـا
يـا بَـنِـي الأَزهـر الـمـبـارك انـتُـم ... أَلْـسُـنُ الـدِّيـن فـانْـشُـرُوه فِصاحا
ان لـلأزهـر الـشَّـريـف رسـالا ... ت أراكـم لـمَـتْـنـهـا شُـرَّاحـا
واذَانًـا عـلـى الأَقـالـيـمِ غـدًّا ... ءً بـأصـوات وعَـضـكـم رَوَّاحـا
أَنـتُـمْ ذَادَةُ الـهُـدى مَـن رَمـيـتُـمْ ... مـن عداكـم أثـخـنـتـمُـوهُ جـراحـا
قـد ظـهـرتُـم بـسُـنـة لاسِـنـان ... وشـهـرْتُـم صـحـائـفًـا لا صِـفـاحـا
وكـفَـى بالـبَـيـان والـحُـجَـج الـغَـرَّ ... اء مـنـكـمْ صَـوَارمًـا ورمـاحـا
أذْكُـرونـا فـي الـزَّاحـفـيـن فـإِنَّـا ... قـدْ شـهـدْنـا صُـفـوفَـكـم أرواحـا
يـا بَـنِـي الـشـرق أكْرعُونا من العلـ ... ـم فـقـد درَّ فـي ثَـراكـمْ قَـراحـا
قـد بـعَـثْـنـا البعوثَ من فِتية القُطْـ ... ـر الـى الـشَّـرق رادةً نُـزَّاحـا
وبـعثْـنـا الـبـعـوثَ من ساسة الـقُطـ ... ـر يُـنـيـرون حقَّـه إِيـضـاحـا
وبعثْنـا (الـفُـضـيـل)[1] أجـرَأنـا قلْـ ... ـبًـا وأَقْـوى دُعـاتِـنـا إفْـصَـاحـا
كـم بـه طـوَّحَ الـزَّمـان طَـويـلا ... فـتـحـدَّى زمـانَـه الـطَّـوَّاحـا
وتـصـدَّى لـه الـعـدُوُّ ولـكـنْ ... كان اقـسَـى على الـعـدُو جِـمَـاحا!

(1) الأستاذ الداعية الإسلامي الكبير الشيخ الفضيل الورتلاني (رحمه الله وطيب ثراه).

وبعثنا (البَشيرَ)[1] مِدْرَهنا النَّدْ — بَ وسخباتنا لكمْ سوَّاحا
سافرا عن مُنَى البلاد سفيرًا — بخفيَّاتنا لكمْ قد بَاحا
مُعْربا عن مَعارفٍ واسعات — قلَّدته من الثَّناء وشاحا
واجدًا حيث حَلَّ نُزْلاً كريما — ورِفاقًا تُمُدُّ للوُدِّ راحا
وعيُونًا تَرْنو إِليه جَلالا — وقلوبًا تهْفوا إِليه ارْتياحا
وبعثنا سلائلَ المغرِب الأقـ — ـصَى وفتيانَ تُونسَ النُّصَّاحا
يَنشُدون الحُقوقَ في الشرق لـمَّا — وجَدوا الغربَ لا يُجيب اقتراحا
إن في الغرب بالمواعيدِ قوْمًا — أَسخياءَ وبالحقوق شحاحا
انكر الغربُ حقَّنا وهو يَبدو — كسَنا الزَّند في الدُّجى قدَّاحا
كلما لاح حقُّنا من بعيد — قطَّب الغربُ وجهَه وأشاحا
قد رأينا الشعوبَ بالقيْد تُمنى — ثم يُسمي لها الفَكاكُ مُتاحا
ورأينا السُّجون تُعمر بالاسرَ — ى وتُخلَى فينْعَمونَ سَراحا
ورأينا الذِين باللَّيل ناموا — فأطَالوا يستَيقِظُون صَباحا
وعجِبْنا لربَّةِ الدِّيك تَلْحَى — مَنْ صَحا منْ كَرَاهُ والدِّيكُ صَاحا
من يقُلْ بالبَراح من أيِّ قُطر — رازح تحتَها تَقُلْ لاَ بَراحا
كل يوم تُبدى اشْتدادًا وعُنفًا — فمتى تُظهِرُ الرضى والسَّماحا
ربِّ قد سارَ فُلْكُنا يمخَر البَحـ — ـرَ إِلى قصْدنا ويَشْأو الرِّياحا
فاحفَظِ الفُلْكَ من مُداهَمَة المَوْ — جِ وأَرشِدْ الى الهُدى المَلاَّحا
أنتَ أوْدَعْتَ في الهُدى كلَّ خير — من أصابَ الهُدَى أصاب النَّجاحا

(1) الأستاذ الكبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء (طيب الله ثراه).

بشرى للجزائر

نشرت بالعدد 249 من جريدة البصائر سنة 1953م

هات البشائرَ للجزائر هاتِهَا	إن الجزائر أبصرتْ غاياتها
عقدت لها عزَماتها فمَن الذي	غيّرَ الاله يحُل من عزماتها؟
وتدفَّقت كالسَّيل ليس يَردُّها	خذْلان قُرباها وظُلم عُداتها
لولا كوارثُ بين جنبيْها جرتْ	لعددتُ هذا اليومَ عيدَ حياتها
مرَّاكش أمْتُحنَتْ وتُونِسُ رُوِّعَت	وهما المقَرَّبتان من أخواتها
الله اكبرُ هؤلاء جنودُها	لبُّوا لنجْدتها نداءَ دُعاتها
نفَروا الى المَيْدان ليسَ سلاحهم	الا عزَائمهم بحدِّ شباتها
ميْدان بذْل بالمَكَارمِ زاخِرٌ	تتسارَع الأَيدي به لهباتها
اليومَ يوْمُ المُحسنين فمرحبًا	بوجُوههم والغُرِّ من قَسَماتها
اليوم يوم المُحسنين فمنهمُ	نرجو من الآلاف بَذْلَ مآتها
أين الذين يُجاهدون بمالِهم	في نفْع أمَّتهم ودفْع أذاتها
المال قبل النفس واقرأ إنْ تشأ	سُوَرَ الكتاب تجدْه في آياتها
دارُ التلاميذ البَهيجَةُ أصبحتْ	تستقبل الضيفَانَ في غُرُفَاتها
وتهيَّأتْ لتضُم نحوَ الألف من	أبناء معْهدِهَا الى حُجُراتها
فغدًا ستُطلعهم بَرائق أفقها	مثْلَ البُدور تُنير في هَالاَتها
ونَرى بها الأشبالَ وهْيَ قريرةٌ	في الأمن تنعم تحت حِضنِ لباتها

مَن سرَّه أن يطمئنَّ مَثَابةً ويصِحَّ من أبنائنا فلْيَأتها
يا ابن الجزائر خلِّ بؤسك واغْتبط رَشُدَتْ بلادُك فاسْعَ في مَرْضاتها
أَسَفي عليك تنازَعَتْك عَوامل شتَّى اراك تئِنُّ من إعناتها
واستأثرتْ بك نَوْبةٌ حزبية جنَتَ الكَبائِرَ تحْت تأثيراتها
سامِحْ بلادَك واْعفُ عن أحزابها واْقبَل طوائفَها على علاَّتها
مَن كان مَشغوفًا بحبِّ بلاده لم يكشِف الأستَارَ عن عَوْراتها
فادْعُ الجميعَ لوَحْدة شعبيَّة نفْيُ المَصائب عنْك في إثباتها
لا تُحْص لِي الأَشياءَ تسْتكْثِرُ بها في أمَّة قَطعت حبالَ صلاتها
أَجدَى الحِسابِ لأُمَّة مَغلوبة في طَرح فُرْقَتها وجَمْع شَتاتها
حسب الجزائر نهضةٌ فكريةٌ كالكهرباء سرَت بكلِّ جهاتها
واشكرْ مَساعي هيْئَة علمية نُوَّامُنا أنتَبَهوا على أصواتها
سَقت المغاربَ من مناهِل علمها وإلى المشارق أرسلت بِعْثاتها
سيحصِّلون من المعارف لُبَّها كالنَّحل تجني الحلو من ثمراتها
ويُبادرون إلى الرجوعِ لأَرْضهم لعلاج مَرْضاهَا ونذْر غُواتها
ماردَّ للأوطان سابقَ برِّها من سلَّحتَه فلم يَخُف غَمَراتها
يا معشرَ السَّروات هذا محْفلٌ نهضَتْ به الآمال من عثَراتها
فتبرَّعوا بالمال فيه لمَعْهد حرٌّ ودار أسندتَه بذاتها
وتسابقوا في الصَّالحات فإنكم اهلٌ لنيْل السَّبق في حَلَباتها
(وَقُلِ اعْمَلوا) اوصَى الإلهُ بها فمَن يعمَلْ له حُسْنَى يَنَلْ حَسَناتها
انتمْ صَناديدُ الجزائر فابْعَثوا مجْدَ الجزائر واْهتفوا بحَياتها!

كتب الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على هذه القصيدة – هذا التعليق – احتفلت جمعية العلماء الجزائريين يوم 8 نوفمبر 1953 بافتتاح إحدى مؤسساتها العظيمة، «دار الطلبة» التابعة لمعهد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة، المخصصة لسكنى طلبة المعهد، وقد تم تشييدها على نمط عصري صحي في موقع عظيم من مواقع قسنطينة التاريخية، وقد جهزت تلك الدار بجميع اللوازم المريحة للطالب، من أسِرَّة ودواليب ومطابخ ومسخنات للتدفئة، وتيسير المطالعة على الطالب، وكان يوم الإحتفال يوما مشهودا تمثلت فيه الجزائر العربية المسلمة بمقاطعاتها الثلاثة، كما اشتركت فيه الوفود من تونس وغيرها. وتجلت فيه عظمة جمعية العلماء، وعظمة الشعب المستجيب لدعائها.

وفي هذا الاحتفال المؤثر المهيب الذي هو إرهاص لما بعده من أحداث وطليعة من طلائع الثورة الحالية وقف الشاعر فألقى هذه القصيدة في جو فياض بالإحساسات الجياشة.

القاهرة: محمد البشير الإبراهيمي.

تحية المسلم الجديد "بنوا علي سليمان"

نشرت في العدد 266 جريدة البصائر سنة 1954م

زُفَّتْ إِلـيـكَ عَـرائسُ الإِلـهـامِ ... فـطـرحْـت عـنْـكَ بَـوَالـيَ الأَوْهـامِ
وبـحـثْـتَ فـي الأَديان بحثًا منصفًـا ... فـجَـنَـحْـتَ بـعـدَ البَحْث للإِسـلام
هـذا هـو الكَـنْـزُ الدَّفيـنُ كَـشَفْـتَه ... بِبَـصـيـرة نـفَـذَتْ وفـكْـرٍ سـامـي
(بِنْوَا) لقدْ أَبليْتَ فـي حَرْب الـهَوَىٰ ... حـسـنًـا ومـا بَـالـيْـتَ بـالـلُّـوَّام
ونَـصَـرْتَ فـي بـاريـسَ دينَ مُـحَمَّد ... بـصـرَاحـة بَـرِئَـتْ مـنَ الإِبْـهـام
لـو كـانَ لـلاسْلام فـيـهـا دولَـةٌ ... مَـرْعـيَّـةٌ رفـعـتْـك فـوقَ الْـهـام
بَـهـرَتْـكَ (ظَـاهـرَةٌ) بدتْ من (مَالِك) ... فـجَـلَـتْ دُجَاكَ بِـبَـرْقـهـا الـبَـسَّام[1]
إِنـي أرَاك عَـلَـوْتَ قَـوْمَـكَ رُتْـبَـةً ... و(سَـلَـمْـتَ) من شِـرْك ومِنْ إِجرام[2]
فـالْـحَـقُّ بِـ (إِتْيَانِ) وَ(جُونْسُو) رفْعَةٌ ... وكـرَامَـةٌ وَاْخـلُـدْ عـلـىٰ الأَيَّـام[3]
هـذا هـدَىٰ مَـن قَـام مُضْطَـلعًـا بـه ... أمَّ الـرِّجـال وشـمَّ كـالأَعْـلام
(سَلْمَـان) فـاقَ الـفُـرْسَ أجمعَهُمْ بِهِ ... وَ(صُـهَـيْـبُ) فـازَ بـه عـلـىٰ الأَرْوام
وبـلاَلَ سَـادَ بِـهِ علـىٰ الأَحبـاش مَـا ... دَوَّىٰ الأَذان بـمُـطـرب الأَنـغـام
(بِنْـوَا) بَـنُـو الإِسـلام من أقْطارهم ... حـيَّـوْكَ بـالـتَّـرحـيـب والإِعـظـام

---

(1) إشارة إلى كتاب (الظاهرة القرآنية) الذي ألَّفه الأستاذ مالك بن نبي واستعان به هذا المسلم الجديد على تحقيق مباحثه الإسلامية.

(2) إشارة إلى اسمه الجديد: (علي سليمان).

(3) هما المسلمان الفرنسيان: نصر الدين أتيان ديني، وعبد الكريم جُونْسُو.

أنتَ الفرنسِيُّ الحَنيفُ فمَرحبًا … بكَ من شقيق واجب الإِكرام
الدِّين إذْعانٌ لربٍّ واحد … سبُحانه هو غافرُ الآثام
ولكل قوْم شرعَة مَسْلُوكَةٌ … والأنبياء أدلَّةُ الأقوام
فمحمَّد من بعْد عيسَىٰ في الهُدَىٰ … من بَعْد مُوسَىٰ همْ ذَوُو أرحام
لكنَّ مُحْتَرِفي الدِّيانةِ حَرَّفُوا … أحكامَها وَمُسَيْطرىٰ الحكام
(بنْوا) أمامك واجبٌ فانْهَضْ به … مُتقلِّدًا ذكْراك كالصَّمْصَام
إن الحقيقةَ أصبحتْ مَهْضومةً … في الغَرب تحْت مَواطئ الأقدام
جَلْجِل بها كالرَّعْد غيْر مُجمْجِم … وآزْأرْ بها غَضْبَانَ كالضِّرغام
وأغْزُ العُقولَ بعُدَّة علمية … بالحقِّ ظاهرة وبالإقْدام
كمْ مَعْقل للوْهم والتَّضليل لمْ … تَنْسفْهُ غيْرُ قنابل الأقلام
إسلامُ (بنْوا) حُجَّةٌ قامتْ علىٰ … أسْرَىٰ العُقول مُضلِّلي الأفهام
المُسْلمينَ السَّاخرينَ بدينِهم … تَبَعًا لمنْ كَفروا من الأعجام
الساقطين هَوًىٰ علىٰ شَهَوَاتِهمْ … صَرْعَىٰ كمَنْ عَكَفُوا علىٰ الأصْنام
لو أنَّهمْ فَحَصوا الأدلَّة لاهْتَدَوْا … فِي بحْثهمْ لفواصِلِ الأحكام
ما أنت يا إنسان إلاَّ هادفٌ … لِمَدَاكَ طبْقَ سَوابق الأقسام
بيَد الإله زمامُ أمْرك كلِّه … فإذا أصَبْتَ هُداكَ فَهْو الرَّامي
مَنْ أدْرَكَتْهُ من الإله عنايةٌ … خَلَعَتْ عليه مَطَارفَ الإنعام

فيْ يوم باتنة العظيم

القصيدة التي ألقاها الشاعر محمد العيد يوم 5 سبتمبر 1954 الموافق لـ 8 محرم 1374 بمناسبة افتتاح مدرسة باتنة العربية الحرة التابعة لجمعية العلماء.

حَثَثْنَا نحْوَ بَاتنَةَ ٱلْمَطَايا وجِئْنَاهَا نَزُفُّ لها التَّحايا
ونُهديها تهانيء طَيِّبات تنمُّ على عواطفنا شَذايا
ونذكرها روائعَ ذكريات كوامنِ في جَوانحنا خَبايا
ونَتْلو والشَّواهِد ساطعاتٌ فَواصلَ من مَحامِدها جَلايا
أليستْ دارَ إِحْسان وحُسْن على البُلْدان فائقةَ المزايا
أليستْ أختَ (أوْراس) المُعَلّىٰ وجَارةَ (تُوقَّرِ) الخِصْب الحَنايا
أليستْ مهْدَ شعب أرْيَحيٍّ سَخِيٍّ بالنَّدَىٰ سمْح السجايا
حفيٍّ بالعلوم وناشريها وفيٍّ بالمَوَاثِق والوَصَايا
سلامٌ أيها الشعبُ المُجلِّىٰ بميدان العَوارف والعَطايا
وهذَا عيدُك العلميُّ وافَىٰ فأعلَن عن مكارمك الخفايا
نَزيلُك أكرمُ النُزلاء فانهَضْ وقَدِّم ما يَجلُّ من الهدايا
لقد أصْغىٰ إليك الدهْرُ أذْنًا ليَروي ما تُسجِّل من قَضايا
فسجِّلْها لَه آثارَ صدْق مخلَّدة بأيديكَ السَّخايا
ولا تسْجيلَ للآثار إلاَّ ببذْل المال أو بَذْل الضَّحايا
بنيْتَ لنشئكَ الميمون حصْنًا يَقِيهِ الزَّاحفات من الدَّنايا
ويَنْشئُه أبيًّا يعْرُبيًّا حَنِيفيَّ العقائد والطَّوايا

تَبــــوَّأه لانتـــاج وسعْـــي   كما تَتَبَوَّأُ النحلُ الخلايا

ووقَّع فيـه ألحانـا حسانًـا   فأبدع (أرْغُنًا) فيها (ونَايَا)

نفوسُ النشء تقبَلُ كلَّ خير   فقد جُبلت على الفِطَر النَّقايا

فَثقفْ أيها الأستاذ واطْبَع   نفوسَ النَّشء بالصُّور البَهايا

ولا تَيْأسْ من الثَّمر المُرجَّى   فإنَّ ثراك مخْضَرَّ الحشايا

وكيف يموت شعبٌ عبْقريٌّ   بهِ الفتيان تنْبُغُ والفَتايا

ولِي وطنٌ حبيبٌ لي خَصيبٌ   وَقَفْتُ على مَحاسنه هَوايا

وكنتُ له من الأحرار عبْدًا   لَهُ رُوحي وما مَلَكَتْ يدايا

اذا آنسْتُ مِن بَلْواهُ نَارًا   فإنِّي قد وَجَدتُ بها هُدايا

أصابك يا جَزائر عهْدُ سُوء   ظللنا بَائسين به خَزايا

أعيدي للورَى عهدا سنيًّا   رقيتِ به إلى الرُّتب السَّنايا

وشَاعَ العدلُ فيه وذاع حكْما   فأحرزت الرعاةُ رضَى الرَّعايا

ولا تخشَيْ رَزايا فيك طالت   مَدًى فستنْجلي عنك الرَّزَايَا

وتنْقشع المَظالم بائدات   على صوْت المطالب والشَّكايا

وتزدهرُ المعارفُ كاشفَات   مجاهلَ من مآثرنا غَبايا

وما للجهْل بُقيا في بلاد   لغنْم العلم عُبات الثَّرايا

لقدْ بدَت الظَّواهرُ بيِّنات   بأنَّ الشعبَ وُفِّق فيك غايا

تنافسَ في مَدارسه فكانتْ   أدلَّ شواهدًا وأجَلَّ آيا

وآوى النَّاشئات إلى حُجورِ   على الصِّبيان تَحنو والصَّبايا

سَترْتضع اللِّبانَ بها غزارًا   وتكْترعُ الكؤوسَ بها روايا

وتَنْشأ راشدات مُرشدات   تَقودُ إلى الهُدى الشِّيَعَ الغوايا

تذودُ عن الجزائر مُرهِقيها   وتحيا في أرَاضيهَا رَضَايا
ولا أشهَىٰ لأحْرار المَبادِي   من التَّحْرير للنَّسم السَّبايا
بلادي لا تُركت إلىٰ بُغاة   تَشينُك بالفَساد ولا بَغايا
أغذِّي للمعالي السيْرَ وامْضي   ولا تهنِي بجُهدك أن تَعَايا
فنحنُ يَداك في كسْب المَعالي   ونحن فداك من كل البَلايا
بنا مقدارُك العَالي تسَامَىٰ   وفينا مجدُك البالي تَحَايا
ونحنُ سلائلُ الحُنفاء دينًا   ورثْناهمْ يدًا وفمًا وَرَايا
علينا من مَخائِلهم ظِلالٌ   وفينا من شَمائلهمْ بَقايا
ويا أحرارَ باتنةَ اسْتَعدوا   لتذْليلِ الصِّعاب من الثَّنايا
حذار من الشِّقاق فإن أقمْتمْ   عليه عَصَاكُم انكسرتْ شظايا
وكم جرَّ الشِّقاق إلىٰ دَوَاه   وسوَّل في خُصومته خَطايا
خُذُوا بالعُرْوة الوُثْقَىٰ وشُدُّوا   مَواثقَكمْ بإخلاصِ (النَّوايا)
ولا تَلْهُوا عن الأَهداف وامْضُوا   إليها كالسِّهام من الرَّمايا
فما فوقَ البسيطة غيرُ سُوق   علىٰ الغَدَوات تَعمُر والعشايا
يجاهد كلُّ ذي أمل عليها   إلىٰ أجل وتطويه المَنايا
وتَنْشُرُ ذكْرَهُ الدُّنيا دليلا   عليه وتلكَ عاقبة البَرايا

تحية شاعر إلى الرئيس جمال عبد الناصر

نشرت بمجلة المعرفة لوزارة الأوقاف الجزائرية في العدد الثاني بتاريخ صفر 1983هـ جوان 1963م

أقبل على البُشرَى ويُمن الطَّائر ... وانـزِل فأهلاً بالنَّزيل الزَّائرِ
وأَجلُلْ شفاءً للضَّنى ومسَرةً ... ملْءَ الفُؤاد وقرَّةً للناظر
وأقمْ فأنتَ محلُّ حسن رَجائنا ... وضياءُ أبصار لنا وبصائر
إن العروبةَ دَوْحَةٌ لم تُنْمنا ... الأَّ فروعًا لا تَلين لكاسر
مهما تسِرّ باسم العروبة خُطوةً ... كنَّا بجنبك في الرِّكاب السَّائر
إن الجزائرَ أختُ مصرَ تلاقَتَا ... في شَعبنا المُتواصل المتزَاور
لا فرْق في أقطارنا وديارِنا ... ما بين مصريٍّ بها وجَزائري
بشرَى العُروبة بابْنها البرِّ الذي ... وصلَ القرابَة بالوَلاء الجابر
هذا (صلاحُ الدِّين) منصف خصْمه ... أم (كامِلٌ) ربُّ البيان الساحر؟
هذا (جمالُ الدِّين) حرُّ الفكر أمْ ... هذا جَمالُ الشرق (عبدُ الناصر)
أهلاً وسهلاً بالكفاح مجسَّما ... والعبقرية في المثال النَّادر
اليوم تأخذُ ثورةٌ عن ثوْرة ... اسمَى العُهود، وثائرٌ عن ثائر
اليوم يلقَى (عقبةٌ مِنْ نافع) ... فوقَ الجَزائر (عقْبَةً مِنْ عَامِر)
عهدُ العَبادِلة أستعادَ فُتوحه ... فالصَّحب فيها ورادٌ عن صادر
وجنودُ (عقبةَ) عبْرَ إفريقيةٍ ... تَطوى الفجاجَ بمَنْسِم وبحافر
اللهُ أكبر عادَ عهْدُ (محمَّد) ... والرَّاشدين وبادَ عَهْدُ الكَافر

يـا قـائـدَ الـعرَب الذي عن فتْحهم ... ورِثَ الـمَـمَـالـك كـابـرًا عـن كابر
إن الـجزائـر رحَّـبـتْ بـك واحْتفـت ... وأتـتْـك فـي جـمـهـورهـا الـمتباشر
حـفَّـتْ إلـيـك جـمـوعُها مـحشورةً ... مـا غـيرُ فـرْحـتـهـا لـهـا مـن حَـاشـر
إن الـجـزائـر بـوَّأتـك بـأرضـهـا ... أكـبـادَ أحـرَار بـهـا وحَـرائِـر
ضـحكَت حدائقُهـا إلـيـك بـزَهْرهـا ... وثـمـارِهـا ضحْـك الـحَبيب السَّافر
واهـتـزَّ شـاطـئُ بـحرها لك عازفًا ... ومـصـفـقًـا بـهَـديـر مَـوْج زاخـر
وعـنـتْ شواهقُهـا لـمجـدك خُشَّـعـا ... ورنَـتْ إلـيـك بـكـل شـوْق ظـافـر
وتـكـلَّـمَ (الأوراسُ) عـنـهـا خاطبًا ... وُدَّ (الـمقـطَّـم) بـالـلِّـسـان الـشَّـاكـر
واسـتـقـبلـتْك سهولُـهـا وحقولُـهـا ... وربـيـعُـهـا الـزَّاهـي بـحُـسن مناظر
وبـدتْ لـك الصحـراءُ فـي فردَوْسها ... مِـن بـاطـن تُـؤتـي الـغـلال وظـاهر
طـابـتْ ظـلالُ نـخـيـلـهـا لـنَـزيلها ... واعْـذَوْذَبَـتْ أعْـذَاقُـهـا لـلـتَّـامـر
فـتـرَىٰ الـنـخـيـل بـأرضهـا مـجْلُودةً ... مـثـل الـعَـرائس سـادلات ضفـائـر
والـحـافلاتِ بطُرْقهـا تـطْوي الـفَـلا ... طيًّـا كـغـزلان بـهـا وجـآذر
والـطـائـرات تَـحـوم فـي أجـوائـها ... كـطُـيـورهـا مـنْ وادع أو كـاسـر
والنـفطَ فـي قَـنَـواتـهـا يَـجري كمـا ... تَـجـري الـجداول عب غـيْـث هامر
فـالـيـوم نَـجـني من خَصائص أرضنا ... مـا عـزَّ مـن غـلَـل بـهـا وذَخـائـر
إن الـجزائـرَ قـد تَـسـاوَىٰ كـلُّ مـن ... فـي حُكـمـهـا مـن عـامـل أو تـاجـر
واسـتـثْـمـر الـفـلاَّح كَـدَّ يـمـيـنـهِ ... فـنـجـا بـه مـن كـلِّ فـقْـر فَـاقـر
وأزَال حُكْمُ الـشـعـب كـلَّ مـعـمِّـر ... غَـصَـبَ الـبـلادَ ومُـسـتـغـلٍّ فـاجـر
فـفـقـيـرُه كـغـنـيِّـه وضـعـيـفُـه ... كَـقَـويِّـه وكـفـيـفُـهُ كـالـبـاصـر
كـم مِـن بـنـيـنَ من التَّشـرُّد أنقـذوا ... كـم مـن بَـواد شُـيِّـدَتْ كَـحـواضـر

الاشتراكيُّون سادَ نظامُهم ومضَى بلا رُجعىَ أحتكارُ الحاكر
قومٌ أبَوْا إلاَّ التقشُّفَ عيشةً والعدلَ حُكْما والرضَى للصَّابر
وإذا قسَى حكمُ الطَّبيب فوَصْفُه شاف وجُروح الطِّبِّ ليسَ بضائر
واذا الطَّريقُ تمَهَّدت وتوطَّدَت للسَّالكين فلاَ لَعًا لِلعَاثر
إنا هُنا نحْمي (الجزائر) بالفِدىٰ ونذودُ عنها بالسِّلاح الباتر
أعقابُ (عقبة) في الجهاد وَ(طارق) أقرانُ (مقْراني) و(عبْد القادر)
قومٌ اذا دَجَت الخُطوب تجمَّلوا وتحَمَّلوا البَلْوَىٰ ببأس قاهر
من غابَ عنهم عوَّضوه بكُفْئِهِ ورَعَوْا مَئَاثرَهُ بقلب ذاكر
ثُرنَا علىٰ المُحتَلِّ أعظمَ ثَورةَ ذهبتْ بدولته كأمْس الدَّابر
ثم اتَّخذنا للعُروبة دولةً منَّا دعَمْنَاهَا بعَقْد خَناصر
هذا (جمالٌ) زارنا متلطِّفا في عهْدها فأثارَ أنْسَ الخَاطر
أهلاً به وبرَكْبه وبصحْبه اهلاً بكلِّ مُساند ومُناصر
يا رائد العُرْب اسْتَقَمْتَ علىٰ الهُدىٰ وأقمتَ أعلامَ الهُدىٰ للحائر
صُنتَ العروبةَ من عوامل نقْضها وجمَعْتَ شملَ نظامها المُتناثر
الوحدةُ الكُبرىٰ وضَعْتَ أساسَها في وَحْدة نظمت ثَلاثَ أوَاصِر
وبدت كواكبُها الثلاثةُ قرَّة للعين زُهْرًا في اللِّواء الزاهر
بالأَمس (مصرُ) وَ(العراق) و(سُوريا) واليومَ موْعدُ ركْبنا المستَأخر
إنَّا مع اليَمَنِ أعتزَمْنا رحلةً باليمن في الفَلك السَّعيد الدائر
فالمغربُ العربيُّ أصبح كاسْمه للعالَم العربيِّ خيرَ مُظاهر
والعالَم العربي أمسَىٰ وحدةً قوْميةً في عُنصُر متظافر
فمنَ الخليج الثائرِ انتَظمت عُرَىٰ عبْرَ الشمال إلىٰ المحيط الهَادر

وكأنّما هيَ حلقةٌ قد أفرغت ... لم يُدْرَ منها أولٌ من آخر
يا فحلَ مصرَ أثرتَ مصرَ وشعبَها ... وأدرتَ دولتها بحِذق ماهر
(فلسفت ثورتك) الحكيمة بالحجى ... ورعيْتَ وِجْهتها بطرف ساهر
وأقمتَ بُرهانا عظيمًا باهرًا ... من سَدِّ (أسْوانَ) العظيم الباهر
وصَمَدتَ كالطَّودِ الأشمِّ مُرابطا ... فِي (بور سَعيدَ) وخابَ كيدُ الغادر
فاليوم مصر منارةٌ مرموقة ... في أوْجها مرفوقةٌ بمَنَائر
رِكبتْ صواريخَ الفَضاء وسابقتْ ... شُهُبَ السَّماء بـ (ظَافر) وبـ (قَاهر)
(قَالَ الرَّئيسُ)[1] كفَى به لكَ شَاهدًا ... كمْ ضمَّ من دُرَرٍ غَلتْ وجَواهر
خصَّصْتَ كتْبك للدفاع مكافحًا ... للغَرب واسْتعْماره المُتآمر
وأبنتَ عن روح العَدالة باحثًا ... عن كل مجتَمع سَليم قادر
وكشفتَ ما نُكبتْ به (إِفريقيا) ... من حُكْم إقطاع ومَيْز عَناصر
وفضحتَ إسرائيل فيما أضْمَرَتْ ... أوْ أظْهَرت من شَرِّها المُتطاير
فمتَى نرَى شعْبَ العُروبة آمنًا ... في الأرض من شعب اليَهود الخاسر
ونرَى (فلسطين) أستعادَتْ عَهْدها ... وإلى حماها عادَ كلُّ مُهاجر
ونرى اليهودَ جلوا هناكَ كما جلَوا ... عن أرض يثْربَ في الزَّمان الغابر
السَّافكين دمَ النبوَّة شقْوة ... والسَّاجدينَ هوًى لِعجل السَّامرى
وافَاكَ عيدُ النَّحْر ضيْفًا عند من ... يَلقاك مُحْتفيا كأوّل نَاحر[2]
فاسلَمْ به واغنَمْ حياتَك طيِّبا ... وانعَمْ بعُمْر بالجلائل عَامر
واليك من وَحْيِ الضَّمير قصيدةً ... زُفَّتْ إليك مع البريد الضَّامر
وبدتْ غَضيضَ الطَّرف منك حيية ... فاسْدلْ عليها منكَ ستْرَ العَاذر

---

(1) قال الرئيس: اسم كتاب جمع كثيرا من خطب الرئيس جمال عبد الناصر ومقالاته.

(2) أول ناحر: هو حبيب الأضياف ومكرمهم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

مـا قـصـدُهـا الا رِضـاكَ بـهـا ومَـــا ... عُـنـوانُـهـــا إلاَّ تـحـيَّـــة شـاعِـــر!

حيـاكَ عن شـعْـب الـجَزائـر نـائـبًـا ... وأشـاد باسْـمك غـائـبًـا كالـحَاضـر

لازلـتَ يا وطـنـي الـمُفَدَّىٰ مُلْهِمـي ... شـعْـرَ الـحبيبِ ومسْتثيرَ مَشاعري

مـا انـفـك قَـلْـبِي هَائـمًـا بِكَ مـثلَما ... بـالـعَـامـريَّـة هـامَ قَـلْـبُ الـعـامري

أصـبحتَ يـا وطَـنـي المفدَّىٰ موْسمًـا ... لِـمـوَاكِـبِ الـدُّنـيـا وعِـيـدَ بَـشَـائـر

بـالأَمْـسِ زارَك عـاهـلٌ مـتـرفِّـقٌ ... لـلـمَـغْـرِب الأَقْـصَـىٰ بـرَكْب فاخـر

والـيـــومَ زارَك قـائـدٌ مـتـفـوِّق ... مـن مـصْـر مـكـتـنـف بـوفد ظـافـر

يـا أمَّـة الـعَـرَب اَسْلكـي سُبـل العُـلا ... ذُلُـلاً وأبدِي عـن جَـنـاهـا الـنـاضـر

إن الـحـيَـاةَ تـجـدَّدت طـاقـاتُـهـا ... وتـعـــدَّدت ذرَّاتُـهـــا لـلـخَـابـر

قـد آن أن تـلـدي الـنـوابـغ مـثـلَـمـا ... أنـبَـغْـتِ منـهـمْ فـي الـزَّمان البـاكـر

مـثـلَ (أَبنِ رُشد) و(أبن خَلدون) به ... وطـبـيـبك (الـكَنـدي) فيـه و(جَابـر)

مـا كـان حبُّـك غيْـر حـبِّ مـحـمَّد ... فـخْـر الـعُروبـة و(الـكتـاب) الطَّاهر

إن الـذي أعـطـاك حـكـمـةَ رُسْـلـه ... أَعـطـاك عـزَّتـهـم بـفـضْـل وافـر

مـهـمـا امْتُحنت فـأنتَ انـت شهامةً ... وسـمـوَّ أهـداف وكـسـبَ مـفـاخـر

هـيـهـاتَ أن تـرقـىٰ لـشـأوكَ أمَّـةٌ ... فـي نُـبـل أخـلاق وحَـسْـن مـآثـر

العُروبة أمتنا الكبرى

ألقيت هذه القصيدة، في الاحتفال الذي أقيم بمدينة (باتنة) على شرف البعثة الأزهرية ونشرت بمجلة المعرفة لوزارة الأوقاف. عدد (14) ربيع الثاني 1384هـ أوت 1964م

بُشرَىٰ لشعب بالعَوارف يُرْفَد وإليه أعلامُ المعارف تُوفد
ألقَىٰ السلاسلَ كلَّها متحرِّرًا ولطالما آدتْه وهو مُقيَّد
باهَىٰ بثورته الشُّعوبَ ولم يزَلْ لله بعدَ نَجاحها يتَحَمَّد
يَجزىٰ جميع الأوفياء له بها شكرًا وأوْفَىٰ الأوفياء المُسْعد
وأخصهم بالشكر جُمهورية عربيةٌ في حُكمها تتَوَحَّد
يا مصرُ أنشَأك الاله كنانةً مُثلَىٰ سهامُك للسَّداد تُسدد
إنَّ الذي حلاَّك حليةَ خُلده لك بالحَضارة من قديم يَشْهَد
ما أنت الا رَبوةٌ بقَرارها ومَعينها تَحلو الحياةُ وتَسعد
هذا قديمُك كان يزخَر بالغنَىٰ ويسَدُّك العَالي غدًا سيُجَدد
فالنِّيل سوف يُنيلُ أرضك ثرْوةً كبرىٰ بها شأنُ الصَّعيد سيَصْعَد
إنَّ (الكنانيَّ)[1] المُبارك عندَنا لَيُحَجُّ كالبيْت العَتيق ويُقصَد
كم فيه من متعلِّم يجْني لنا ثَمَرَ العُلوم وناسك يَتعَبَّد
لاَ زَالَ (شَلْتوت) الامامُ يُديرُهُ ويُنيرُهُ تفكيرُهُ المتوقِّد
شكرًا له ولكل تلميذ له يرْوي فُنون العلم عنْه ويُسند

(1) الجامع الأزهر.

مِن كلِّ منْطيق اللِّسان كأنّه ... سَحْبَان يُرْغي بالبيان ويُزْبِد

أو كلِّ صدِّيق الجَنان كأنّه ... لُقمانُ يُوصي بالعظات ويُرشد

والأزهريُّ إذا انبرىٰ متكلِّمًا ... فله الكلامُ موطَّأ وموطَّد

يَبْري القلوبَ الغُلفَ من صَدَإ الهَوَىٰ ... نصْحًا كما يَبْري الحديدَ المبْرد

ويعالجُ المُهَجَ المراضَ بوعْظه ... مُتطبِّبًا يأسُو الجراحَ ويضْمد

ما أجدرَ العلماءَ ان يُعْنَىٰ لهم ... ويُطاعَ أمْرُهم الأسَدُّ الأرْشَد

فَهُمُ المُلوكُ ولاؤُهمْ لا ينقَضي ... والأغنياءُ ثَراؤُهُمْ لا يَنْفَد

في كلِّ عهْد غابرٍ أو حاضر ... عرشٌ يُشادُلَهم وتاجٌ يُعقد

يا موكبَ العلم المنير تحيةً ... من شاعرٍ يرعَىٰ الصَّنيعِ ويَحْمد

أهلُ الجميل لديْه أهلُ جزائه ... لا كان مَن يَنسَىٰ الجميلَ ويَجْحَد

فنضالُكُمْ ردْءٌ لناوَ (جَمالُكُمْ) ... في زَحْفنا عَلَمٌ لديْنا مُفرد

نعْماؤكم نَصْب العيون فشُكْرُها ... أبدَىٰ المُحيَّا عنهُ والفمُ واليَد

إني أرىٰ بكُمُ الجزائرَ أخصَبتْ ... رغدًا وتَثْقيفُ المَدارك مرعد

وارَىٰ بكم تغْريبَها متبخِّرا ... وأرَىٰ بكم تَغْريبها يتجَسَّد

وأرىٰ جميعَ ربُوعها قالتْ لكم ... أهلاً وسهْلاً فالمَقام مُمَهَّد

ورياضُها رفعتْ إليكم زهْرَها ... وهفا إليكم غُصنها المتأوِّد

وغياضُها حفَّت بكم أشجارُها ... وحَمَىٰ حماكُم شعبُها المسْتأسد

أنتمْ بباتنة دَعائمُ حكْمَة ... رسخَت فبَاتنَة بكمْ تَتَمَجد

الرَّأسُ منها للعُلا متشامخٌ ... والوجهُ منها بالرِّضَىٰ متورِّد

قد ضمَّكم (أوْراسُها) متعطفا ... متألِّفًا وهو الأشَمُّ الأصْيد

أنتم ضيوفُ رحابه وبحسْبكم ... أنَّ المُضيِّفَ (مُصْطَفاه)[1] الأمْجَد

---

(1) مصطفى بن بولعيد، بطل الثورة في المنطقة.

الثائرُ الفَادي الذي سنَّ الفِدى ... لبَني الجَزَائر فاقْتَفَوه وقَلَّدوا
هذا الحمَى حرَمٌ له ولكل مَن ... في ظلِّه أغتنَموا الفدَى واسْتُشْهدوا
ثَارُوا على الأَعدَاء أعظَمَ ثوْرة ... تاريخُها سامي الجلال مخَلَّد
ضحُّوا على أعْتابِها أرواحَهم ... لله قُربانًا ونعْم المَعْبَد
هجَروا لها ابناءَهُمْ ونساءَهم ... وديارهم ولما رَجَوْهُ تجَرَّدوا
وزكتْ سرائرهمْ بها وقلوبُهم ... فكأنما في كلِّ قلب مَسجد
شُهداؤنا الأبرارُ أعلامُ الهُدى ... ومعالمُ الحُسنى بهم نَسترْشد
تمضي السُّنون وذكرُهم أنشودة ... في كل حُنْجُرة لنا تَتَردد
إن الشهيدَ مُخلَّد الذِّكرى له ... نُصُبٌ لدَيْنا في القلوب مشيد
حسْبُ الشهيد رضَى الإله كرامةً ... ورضَى الإله هو العُلا والسُّؤدد
تسْمو إلى الآفاق رفعةُ قدْره ... فترى الثُّريَّا دُونَهُ والفَرْقد
يروى لنا القرآنُ قصةَ فضْله ... لاَ (ألأَصْمَعيُّ) يقُصها أوْ (عَجْرد)
فحياتُه في النشأتيْن حياتُه ... يحيا ويُرزق وهو ميْتٌ ملحد
وثَوابُه عند الإله مضاعَفٌ ... بُشْرى ومغفرةٌ وعيْشٌ أرغد
يا سادةً سادُوا الزمانَ وأهلَه ... علمًا وَمَن هُو دُونَ علْم سيِّد؟
غذُّوا المَدَاركَ بالمَعارف إنها ... ضمْأى وبعثةُ مصْرَ نعْمَ المَوْرد
وتَعهَّدونا بالنَّصائح إننا ... لَنُجل كلَّ أَخ بها يتعهَّد
فاجلوا بإثْمَدها بصائرَ شعبنا ... إن النصيحة للْبصيرة مرْوَد
مرَّتْ بنا محَنٌ لنا فِي طيِّها ... منَحٌ يفُوز بكسْبها مَن يَصْمُد
لم يرضَ فيها أن يُطأطئَ رأسَه ... شعبٌ لغير إلاهه لا يَسْجُد
مهْما أصْطلى بَلْوَى بَدَا ياقُوته ... فهْو المُبيدُ لنارها والمُخْمد

حتىٰ جنىٰ استقلالَها متكاملاً نضجًا كما يهْوَىٰ النِّضال وينْشُد
ونجا بقُوة صبْره مسْتنجدًا والصبرُ في البَأساء مُنْج مُنْجد
واذا نَما الإيمانُ ذَلَّ لبأسه بأسُ الحَديد وذابَ منه الجُلْمُد
لَسْتُمْ هنا غُرباءَ بل في أرضكم وديارِكمْ إن الغريبَ المُبْعَد
ما نحن إلا إخوةٌ من أسْرة كرُمَت أَرُومَتُها وطاب المَحْتد
الملَّة السَّمحاء آصرةٌ لنا فوق الأَوَاصر والعُروبَةُ مَوْلد
هيهاتَ تقدرُ أن تُفرقنا يدٌ واللهُ يجْمعُ شملَنا ومُحمَّد
إنَّ العروبةَ امُّنا الكُبرىٰ التي في الأُمَّهات نَظيرُها لا يُوجَد
قد أنجَبَتْنَا كالسُّيوف مَواضيًا في الضَّرب عَضْبٌ كلُّنا ومُهند
إنَّا بنُو الهَيجاء نُصْلي نارَها من يَسْتَبدُّ من العدىٰ أَوْ يُفْسد
مهما جبَهناهُم بها ذَاقوا الردَىٰ وأصابهمْ منَّا المُقيمُ المُقعد
نبني العروبةَ من جديد قلْعةً من حولها قَصفُ المَدافع يُرْعد
فلْتَحْي وحدتنا بها في مَنْعَة ومن المحيط إلىٰ الخليج تمَدَّد
وَلْتَحيَ مصْرُ مع الجزائر في رضًى ومحبَّة وصداقة تتأكد
وَلْيَحْيَ شعْبَانَا كَشعْب واحد وكلاهُما متقرِّب متوَدد
وَلْيَحْيَ في ظلِّ العُروبة ودُّنا ملْءَ القُلوب وعهْدُنا المتأبِّد

يا فتية العلم شدوا العزم

هذه القصيدة حيا بها الشاعر طلبة شمال افريقيا المسلمين عند انعقاد مؤتمرهم الثاني بعاصمة الجزائر وألقاه عليهم في حفلة تكريمية بنادي الترقي في 27 أوت سنة 1932م وقد نشرتها جمعية الطلبة بنشرتها السنوية في نفس الوقت.

اَلْيومَ أسدي على نوْل من الأَدبِ	مطار في من خيوط الشمس للشهُبِ
اليوم أهدي تحياتي وموعظتي	إلى العباقرة الصيَّابة النُّخَب
النازلين كقَطر الغيث منسكبا	في ظل قُطر لهم بالبشر منسكب
الزاحفين لغارات النهى طلبا	والجامعين عليها الهم في الطلب
كم في الشمالي من إفريقيا كُرَب	وهم كتائبه الفرَّاجة الكُرَب
بَرُّوهُ نشأً وربَّاهم أبًا فهمُ	في أرضه خير نشء تحت خير أب
يا فتية طلعوا كالزُّهْر في وسط	كالأَفق جالت به الأكدار كالسحب
النجدةَ النجدةَ ارعَوْا للشَّمال يدا	عليكم فهو بين النزع والعطب
هزُّوا القلوبَ قَنًا واعلوا النهى حُصُنا	وأنقذوه سراعا من يد الغَلب
ألستمُ نسل آباء به سلفوا	كانوا له وَزَرًا عن غارة النوب
وإذْا أَعدَّ له (عثمان) عُدَّته	وإذْ رمَاهُ من الأَصحاب بالنجُب
وما غزا (أبن أبي سرح) ممالكه	حتى هَوَى عرش (جرجيرٍ) من الرهب
غدت عليه من الأَصحاب غادية	فأسفرت فيه عن فَيْنَانَة عَجَب
عقيدة ما لها بالشرك من صلة	وسلطة ما لَها بالظلم من سبب
ومنطق في اللَّهَا ساغت روايته	كأنّه في اللَّهَا ضَرْبٌ من الضَّرَب

وألّف الله في إفريقيا نسبا حرا وحسبك بالإسلام من نسب
سلّ (عقبةً) يوم سل السيف مقتحما أدّغالها وغزا الرومانَ بالعرب
بأي برنامج أو أيّ داعية أوْ أي عين سرىٰ بالجند في الشُّعَب
هي العزيمة إن جدَّت وإن صلبت في المرء نال بها ما شاء من رُتَب
كأنها فُلْك نوح في المسير بها فخض بها واقتحم ما شئت من عُبَب
يا فتية العلم شدوا العزم راحلة وامضوا كدَأبكم المحمود في الدَّأب
اليوم سعيٌ عليكم واجب وغدًا عزٌّ لكم واجبٌ وعدٌ بلا كَذب
وفي الجزائر منكم قد سرىٰ أملٌ لما حللتم بها كالبرء في الوصب
يَهْنيكُم ما لكم في العلم من نظُم وما تكبدتمُ فيها من التعب
لقد خلدتم خلود الراسيات بها في الأَرض فازروا على الأيام والحقُب
وواصلوا السعيَ فيها وانعَموا أملا فإنكم قد ذخرتم أعظم القُرب

دعاك الأمل

نظم الشاعر هذه القصيدة في تلمسان بمناسبة حفلة تدشين دار الحديث

دَعَاكَ ٱلأَمَل   لِخَيْرِ ٱلعَمَلْ
فَخَلِّ ٱلوَنَى   وَقُمْ عَنْ عَجَلْ
أَضَعْنَا ٱلْمُنَى   بِفَرْطِ ٱلمَهَلْ
فَهَلْ نَفْخَةٌ   تُزِيلُ ٱلفَشَلْ؟
وَهَلْ صَرْخَةٌ   تَهُزُّ ٱلقُلَلْ؟

***

رِجَالَ ٱلحِمَى!   حِمَاكُمْ سَأَلْ
فَلَبُّوا ٱلحِمَى   كَجُنْد نَسَلْ
وَسَيْل هَمَى   وَغَيْث هَطَلْ!
أَرَاهُ ٱحْتَمَى   بِكُمْ وَٱحْتَفَلْ
فَحُلُّوا ٱلحُبَى   وَشُدُّوا ٱلعُضَلْ
وَضُمُّوا ٱلقُرَى   وَلُمُّوا ٱلكُتَلْ
عَلَامَ ٱلجَفَا؟   وَفِيمَ ٱلدَّغَلْ؟
إِلَامَ ٱلوَنَى؟   وَمِمَّ ٱلوَجَلْ؟
وَفِينَا دَمٌ   صَفَا وَٱسْتَقَلْ

دَمٌ لَمْ يضَعْ   سُدًى أو يُطَلّْ
زَكَا فِي ٱلأُلَىٰ   زَكَوْا فِي ٱلأُوَلْ
وَمنهُمْ جَرَىٰ   لنَا وَٱنْتَقَلْ
وَفِينَا يَدٌ   أَبَتْ أَنْ تُغَلّْ
بهَا فِي ٱلوَغَىٰ   رَدَدْنَا ٱلغِيَلْ!!
وَكَمْ فِي ٱلعُلَىٰ   لَنَا مِنْ مَثَلْ
أبىٰ جدُّنَا   عَلَيْنَا ٱلهَزَلْ
فأخلاقُنَا   بَدَتْ كَالشُّعَلْ
كَشَفْنَا بهَا   جَميعَ ٱلظُّلَلْ
وَتِرْيَاقُنَا   يُزِيلُ ٱلعِلَلْ
وَتَأْيِيدُنَا   جَرَىٰ فِي ٱلازَلْ!!
بِهِ رَبُّنَا   لَنَا قَدْ كَفَلْ
فَسُبحَانَهُ   إِلَهًا عَدلْ!
أَنَارَ النُّهَىٰ   لَنَا وَٱلمُقَلْ
وَإِحْسَانُهُ   إِلَينَا ٱتَّصَلْ
وَقُرْآنُهُ   عَلَيْنَا نَزَلْ
لَقَدْ خَصَّنَا   بِخَيْرِ ٱلمِلَلْ
وَلَمْ يَفْتَرِضْ   بِهَا مِنْ ثِقَلْ
فَلاَ نَبْتَغِي   بِهَا مِنْ بَدَلْ
حَنِيفُ ٱلوَرَىٰ   أَبُونَا ٱلأَجَلّ

بَنَى رُكْنَهَا   لَنَا فَاعْتَدَلْ
وَبِٱلْمُصْطَفَى   هُدَاهَا ٱكْتَمَلْ
أَتَتْ أَرْضَنَا   كَصُبْحٍ أَطَلْ
فَأَمْسَتْ بِهَا   كَخُلْدٍ رَفَلْ
وَإِفْرِيقِيَا   بِلاَدُ ٱلْغِلَلْ
وَأَرْضٌ بِهَا   رُؤًى لاَ تُمَلْ
فَفَاخِرْ بِهَا   عَدَاكَ ٱلْعَذَلْ
وَسَلْ بَرْقَةً   وطَنْجَةَ سَلْ
وَمَا حَدَّثَا   بِهَا مِنْ دُوَلْ
سَلِ ٱلْكُلَّ عَنْ   سَلاَمٍ وَصَلْ
وَدِينٍ أَتَى   وَكُفْرٍ رَحَلْ
وَعَنْ عُقْبَةَ   بِهَا حَيْثُ حَلْ
وَحَسَّانَنَا   وَمُوسَى ٱلْبَطَلْ
وَعَنْ طَارِقٍ   نَزِيلِ ٱلْجَبَلْ
خَطِيبِ ٱلْوَغَى   بَلِيغِ ٱلْجُمَلْ
وَأَجْنَادُهُ   تَسُلُّ ٱلأَسَلْ
وَلُذْرِيقُ فِي   ذَرَاهُ ٱخْتَبَلْ
وَضَاقَتْ بِهِ   جَمِيعُ ٱلْحِيَلْ
وَإِذْ طَارِقٌ   عَلَيْهِ حَمَلْ
أَحَلَّ ٱلرَّدَى   بِهِ فَٱنْجَدَلْ

وَرَاعَ ٱلْعِدَىٰ بِمَا قَدْ فَعَلْ
فَهَذَا قَضَىٰ وَهَذَا ٱرْتَحَلْ
وَهَذَا عَنَا لَهُ وَٱمْتَثَلْ
وَحَلَّ ٱلْهُدَىٰ جَمِيعَ ٱلْحِلَلْ

***

أَرَىٰ حَضِرًا عَلَىٰ ٱلْغَيْبِ دَلّ
أرَىٰ فَجْرَنَا بَدَا وَٱسْتَهَلْ
تِلِمْسَانُ قَدْ غَدَتْ فِي جَذَلْ
غَدَتْ غَادَةً صِبَاهَا ٱقْتَبَلْ
بَدَتْ فِي ٱلْحُلَىٰ لَنَا وَٱلْحُلَلْ
حِمًى كَانِفٌ لَنَا لَمْ يَزَلْ
فَصِلْ أَعْظُمًا عَلَيْهَا ٱشْتَمَلْ
أَيَا نَجْلُ صُنْ حِمَىٰ مَنْ نَجَلْ
وَحَيِّ ٱسْمَهُ بِأَزْكَىٰ ٱلْقُبَلْ
وَهِمْ فِي ٱلْحِمَىٰ هَوًىٰ لاَ تُبَلْ
فُؤَادي ٱكْتَوَىٰ بِهِ وَٱشْتَعَلْ
وَبِالنَّفْسِ مَا بِهَا مِنْ ثَمَلْ
فَيَا نَاهِلاً سُقِيتَ ٱلْعَلَلْ
وَيَا عَامِلاً وُقِيتَ ٱلزَّلَلْ
تَكَثَّرْ قُوًى فَمَنْ قَلَّ ذَلّ

وَكُنْ شَاكِرًا لِخَيْرٍ حَصَلْ
وَسِرْ لاَ تَخَفْ سِوَى ٱللهِ جَلْ
فَمَا خَافَ مَنْ عَلَيْهِ ٱتَّكَلْ
وَمَا خَابَ مَنْ إِلَيْهِ ٱبْتَهَلْ

***

دَعَاكَ ٱلْحِمَى لأَمْرٍ جَلَلْ
فَقُلْ عَاجِلاً لَهُ قُلْ أَجَلْ!
أَعِدَّ ٱلْجَدَى لَهُ لاَ ٱلْجَدَلْ
وَقُمْ نَاشِطًا وَخَلِّ ٱلْكَسَلْ
وَجُدْ لِلْحِمَى وَلَوْ بِالأَجَلْ

الثورة العظمى كسبنا نصرها

قف بي نُحيِّ معاشرَ الأعلام ... بتحية كالعارض البسَّام

ونوفهم شكرًا وتمجيدًا لمَا ... بَذلوه في التَّعليم من إسْهام

قد وجَّهوا الجيلَ الجديد وجاهَدوا ... للكشْف فيه عن النُّبوغ الْخَام

من رامَ بُرْهَانًا على إنتاجهمْ ... فأمَامه هذا الشبابُ النامي

ما مثلُ تنشئة البنين فضيلة ... للقائدين لهمْ بخيْرِ زِمام

إنَّ المعلِّمَ رائدُ الأفكار في ... أنظارها ومُنوِّرُ الأفهام

فهْو الأمينُ على القرائح والنُّهى ... وهو القَمين بمُنتهى الإكرام

من لي بشعْر (البُحتُريِّ) أبُثُّه ... من خاطري وأصوغُ منه كلامي

شكرًا لرادةِ نشْئنا وحُماته ... ومعلِّميه مبادئَ الإسلام

رُسُل الثَّقافة والفَصاحةَ والحجى ... وَفَدُوا كرامًا مِن بلاد كرام

ولقد تقدَّم شعبُ (مصْرَ) مبكِّرا ... وأنارَ في التاريخ كل ظلام

وأهاب بالنُّوَّام حتى اسْتيقَظوا ... فابْنُ الكنانة موقظُ النُّوَّام

اوَلاَ تَراه على العُروبة قائمًا ... يحْتلُّ منها الصدْر في القوام

أوَ لمْ يكنْ لبعُوثها مُتبنِّيًا ... ومضحِّيًا ليفوزَ بالإتمام؟

يا جيرةَ الوادي المُبارَك منْبعًا ... ومشيِّدي السَّدِّ الكبير السَّامي

انَّا وان نأت المَسافةُ إخوةٌ ... في وَحْدة الآمال والآلام

في الدِّين والدَّم واللِّسان أواصرٌ ... ما بينَنا تَقْضي بكلِّ وِئام

(الأَزهرُ) المعمورُ كانَ ولم يزَلْ ... كالبيْت في حجٍّ وَفي إحرام

يغشاه طُلاَّب (الجزائر) للهُدىٰ ... والعِلم فِي عزْم وفي إِقْدام
إن الذيـنَ بَنَـوْا قواعدَ بيْته ... حازوا ك(إبراهيم) خيْر مَقام
قل للشَّباب الباتنيِّ المُحتَمىٰ ... بالمَعْهد العرَبيِّ وسْطَ زِحام
يا أيُّها الجيل السعيد بعهْده ... وبفتْح معْهَده لرَيِّ الظَّامىٰ
اليومَ تشهد فيه ختمًا زاهرًا ... يسْمو بمَكْسَبه علىٰ الأخْتام
فهنا استمدَّتْ ثورةٌ من ثَورة ... وتعزَّزَ (الأوراسُ) بِـ (الأهرام)
وهنا تلقَّىٰ ثائرٌ عن ثائر ... أسمَىٰ دروس الضَّاد والإسلام
أوصيك من شعري بخالص نصْحه ... والشعرُ فيْضُ الوَحْي والإلهام
قمْ بالشَّعائر ما اسْتطعْتَ مصلِّيا ... ومزكِّيًا ومؤدِّيًا لصيام
كنْ مؤمنًا كن مُحْسنًا كن مخلصًا ... كن مستقيمًا كن وفيَّ ذِمام!
كنْ كـ(ابن بَاديس) الإمام مُجاهدا ... أو كنْ كَـ (عبد القادِر) المِقْدام
واشكُر شيوخك كُلَّهم وَاعْمَلْ بما ... أحرزْتَه من علْمهم بدوام
واذكُرْ لهمْ ما كابدوه تطَوُّعًا ... في نشرِ دعوتهمْ منَ اسْتِعْصام
إن الذي لم يرْعَ عهْدَ شُيوخه ... لم يجْن غيرَ خسارة ومَلام
من بثَّني علمًا شكرْتُ صنيعَه ... ابدًا وكنتُ له من الخُدَّام
يا معشرَ الطُّلاَب هذا عهدكم ... فاسْعَوا لكسْب المَجْد سعي عِظام
هذا زمانُ الكَشْف عن سرِّ الحِجىٰ ... ومَجَاله للطَّالب الغنَّام
انتم رجاءُ الشعب انتم ذخره ... وحماه في مستقبل الأيام
أنتم خَلائفُنا علىٰ ميراثنا ... وتُراثنا العَرَبيِّ والإسلامي
إنِّي أرىٰ فيكمْ مخايلَ فِطنَة ... كالبرق تُومض من خلال غَمام
وأرَىٰ دِرَاسَتكمْ دراسة خبْرة ... ودراية ورعاية ونظام

وأرَىٰ بدايتكمْ بها في يَوْمكم ... تُومِئ الىٰ غدكمْ بخير ختام
ما مِثْلُ معْهدكم لكمْ من مَعْقل ... يحمي مَداركَكم من الأَوهام
ويُعِدُّكم للشعب جندًا باسلا ... مُتَسلِّحًا بالكتْب والأَقلام
إنَّ القرائحَ في حِماه تفتَّحت ... كتفتُّح الأَزهار في الأَكمام
وجنَىٰ الفُنون بدَا علىٰ أفْنانِه ... فاجْنوه أقْسامًا من الأقسام
أسلافُكم بالبَأس سادُوا والقرىٰ ... من كلِّ مِطْعانٍ إلىٰ مطْعَام
نشرُوا الهُدىٰ بينَ المدائنِ والقرىٰ ... وعلىٰ الجِبال حمَوْه والآكَام
فهمُ الذين بنَىٰ بهمْ تاريخُنا ... مجْدَ الخلود علىٰ أشدِّ دعام
إنَّا لهم خَلَفٌ وانتمْ بعدنا ... خلفٌ إمامًا يُقتدَىٰ بإمام
فتَدارَسُوا القرآن فهْو هدًىٰ لكم ... وشفاءُ انفسكمْ من الأَسقام
وتعلَّموا فُصحَىٰ اللُّغات فإنها ... عُلْويةُ الأَسرار والأَنغام
كُونوا معَ التعريب واحموا جنْبَة ... لا تَنْسَخُوهُ بنُقْطة الإعجام
لا تجنحوا للعُنصرية إنها ... تُفْضِي إلىٰ التَّفريق والإعدام
ما العنصريةُ غيرُ داء مُزْمن ... صعْب العِلاج ومِعْوَل هدَّام
ومن استجم من العناء فلا يطل ... فاللهو آفة كل ذِي استجمام
فإذا فرَغتُم فانصبُوا عملاً بما ... أمرتْ وصيةُ ربنا العلاَّم
إنَّ الحياةَ مجالُ حقٍّ كَادح ... يَلقَىٰ من البُطلان كلَّ خِصام
أنصارُهُ المتجرِّدون عن الهَوىٰ ... والمُغرَمون به أشدَّ غَرام
السَّاهرون عليه طُول حياتهم ... والهاجرون لهُ ألذَّ مَنام
الذَّائقون لأَجله مَرَّ الأذىٰ ... من جوْر ظلاَّم وكيْد لئام؟
كُونوا عماليقَ الشباب شهامةً ... وكرامةً وأسمُوا عن الأَقزام

إنّ الشبَابَ اذا سمَا بطُموحه ... جعَل النجوم مواطئ الأَقدام
في كل قلْب منه قَلْب مُجاهد ... وبكل نفس منه نفسُ عصام
الخُلُق تخْليةٌ وتحْليةٌ وما ... أسُّ الفَضائل غيرُ تركِ الذَّام
قد أفلحت نفسٌ زكتْ وتطهرتْ ... وسعتْ لكبْح جماحها بلجام
ما عَزَّ مجتمعٌ يعيشُ شبابُه ... مُتسَكِّعًا في الطُّرق كالأنعام
يغشى المَخامرَ والمَقامرَ بُكرةً ... وعشيةً ويَعُوم في الآثام
يَرمِي بألحاظ وألفاظ معًا ... ما عنَّ في السَّاحات مِن آرام
كم مَرتَع للصَّيْد جالَ به فتًى ... فنجَتْ رميَّتُه وصيدَ الرَّامي
أسفي على غاوِي الشَّبابِ فقد جَرَى ... طلْق العنان وَرَاءَ كُلِّ حَرام
متهافتًا مثلَ الفَراش على الخنا ... والرَّاقِصَات وسَيِّئ (الأفلام)
القَى إلى الشيطان حبل قِياده ... سفَهًا فأَوْدَى الذِّئب بالأغنام
فدَعُوا الهَوَى والعاكفينَ على الهَوَى ... ان الهَوى صَنمٌ منَ الأَصْنام
لقد استقلت ارضُكم وتحرَّرتْ ... في حُكمها ونجَتْ من الظُّلام
إنَّ الجَلاء وإنْ يكنْ لم يكْتمل ... سرَّ النُّفوس بأعْذب الأحلام!!
الثورةُ العظمى كسَبْنا نصرَها ... والجبهةُ اكْتسحت قُوى الإجرام
شعبُ الجزائر كلُّه أبطالُها ... من حَارث فيها ومن هَمَّام
والشعبُ قاضي الشعب وهي قضيةٌ ... غلبت بحكمتها على الحُكَّام
إنْ أصْدَرَ الأَحْكامَ نفذَ حُكْمَه ... أو قال كان القولُ قولَ حَذَام
وهوَ المُعَقِّبُ إنْ يَشَأ مسْتَأنفًا ... في حُكْمه بالنَّقْض والإبْرام
يا شعبَ (باتنة) آحْترِمْ شُهدَاءَنا ... وفُدَاتها الأحياءَ تحْتَ رجام
إنَّ الجزائر أصبحتْ بجِهادها ... تغزو البلادَ بصيتها المُترامي

فاسأل (نوفمبر) عن بَنيها إنَّه ... ادْري بثورتهم على الأروام
قد دَكَّ فاتحه المَعاقلَ فاتحًا ... فغدَا بذلك غُرَّةَ الأيام
واذكرْ بـ (باتنة) الفدىٰ المأثور عن ... ثُوَّارِ (أوراس) الرفيع الهَام
فهمُ الليوثُ تلقَّنوا درسَ الفدىٰ ... عن (مُصطفىٰ بُو الْعيدِ) في الآجام
هم نكَّلوا بعدوهم وتكتَّلوا ... في البأس ضرغامًا إلىٰ ضرغام
حتىٰ تولَّىٰ نصفُ (مارس) فانتهىٰ ... ما مَارَسُوهُ من الكفاح الدَّامي
واحتلَّ (يوليو) عرشُه الأسْمَىٰ علىٰ ... أسُس الضَّحايا من بَني الأعْمَام
البائعين نفوسهم لله في ... سُوق الجهاد بجنَّة الإنعام
السَّافكين دماءَهمْ لحياتهم ... فجرَتْ بتُربتهم كسيْل طامي
طابتْ بريح دمائهم فشميمُها ... لا ريحَ أطيَبَ منه للشَّمَّام
قلْ لابْنة الثَّورات طبتِ وطابَ ما ... بثَراك من غرْس نَما ورَغَام
فترحَّمي ابدًا عليهم واكْفُلي ... مَن خلَّفوه إليك منْ أيتام
لا حُرَّ أحْرَىٰ من شهيد بالرِّضىٰ ... وأحقُّ بالتمجيد والإكرام
يلقَىٰ المنايا هاتفًا بنَشيده ... وهُتافُه أصْدَىٰ من الأرزام
وفداه أحمَىٰ للحمَىٰ من جحْفل ... وفؤادُه امضَىٰ من الصَّمصام
إنَّ (الجزائر) لمْ تزلْ في نسْلها ... أمًّا وَلودًا خصبةَ الأرحام
تلدُ النَّوابغَ من خطيب مصْقع ... أو شاعر يفتنُّ أو رسَّام
يا أيُّها الوفدُ الموفَّقُ دعوةً ... ورسالةً في رحلة ومُقام
ترجو الجزائر منك عوْدًا مسرعا ... فارحَلْ بتكرمة وعُدْ بسلام
يا معشرَ العُلماء والأدباء قَدْ ... قلَّدتُمُ الثُّوَّار خيرَ وسام
وخلَفتُمُ الشُّهداء في أيْتامهم ... بالرَّعْي في عطف وفي اسْترحام

إنَّ التواضُع من سمات البرِّ مَنْ ... يَعْتَدْهُ فهْوَ البَرُّ في الأَقْوام
إنِّي أشيعكمْ بقلب راجف ... راجٍ لعوْدتكم وطَرْف هَامي
وأكنُّ في قلبي لكم ذكرَىٰ ذَكَتْ ... بشذًىٰ لكمْ عن خُلقكمْ نَمَّام
يا ليتَ عهد القُرْب طَالَ ولم تكنْ ... فُرَصُ الزِّيارة فيه ذاتَ لمام
فتألُفُ الأَرواح منَّا قد أبىٰ ... في الأَرض غيْرَ تألُف الأَجسام
خف الفؤادُ مَع الرِّكاب مُفارقا ... ما الجسْمُ بعد البَيْن غيْرُ حُطام
ما عيْشُ من فَقَدَ الأَحبَّة بعْدهم ... الاَّ سُرَىٰ شَبَح ونَبْش رمام
أدُّوا إلىٰ مصْرَ السلام وأبْلغوا ... رأسَ العُروبة قبلة الإعظام
إنَّ العروبة تستعدُّ لنسف ما ... بذَرَ اليهودُ لها منَ الأَلغام
ما ضمَّ مؤتمرُ العروبة شملَها ... إلاَّ ليُعلنَ عن فداها الحَامي
قدْ أَرْعَبَ العُربُ اليهودَ بعَقده ... ومحا الإمامُ خُرافةَ الْحَاخَام
لابدَّ أَن يَنْهارَ رُكْنُ حكومة ... بُنيَتْ علىٰ التَّضليل والإيهَام
سنرَىٰ فلسطينَ العزيزةَ مثْلَمَا ... كانتْ مثابةَ حُرمة وذمام
ونرىٰ بني صُهْيونَ منها قد جَلوْا ... بالطَّوْع إن شاؤوا أو الإرغام
واللاَّجئين بها ثَوَوْا واستَمْرؤوا ... عيش الحضارة بعد عيش خيام
والعالَم العَربي أصبحَ حَلقةً ... قد أفرغتْ في شَعبه المُلتام
انَّا بَنوا العَرَب الأَعارب ما لَنا ... غَيْر العُروبة من دم وقَوام
وطنُ العروبة كلُّه وطنٌ لنا ... في (مصر) أَوْ (بغدادَ) أَوْ في (الشَّام)
فلْتحيَ دولةُ شعبنا عربيةً ... عرْباءَ إسلاميةَ الأَحكام
ولتحيىٰ (مصرُ) وشعبُ مصرَ وكلُّ من ... بنضالها قد قام خيْرَ قيام
وليزدَهرْ وطنُ العروبة وليَدُمْ ... مجدُ العروبة فيه والإسلام

باتنة – الجزائر – 18 صفر 1384هـ، 28 جوان 1964م.

أخلاقيات وحكميات

تحية العلماء

ألقيت هذه القصيدة الخالدة في الاجتماع التأسيسي الأول لجمعية العلماء الجزائريين بنادي الترقي بعاصمة الجزائر بـ (الشهاب) ج 6 – 7 غرة صفر 1350 جوان 1931

علىٰ الرحب حلوا أجمعين علىٰ الرحبِ — فأنتم ضيوفٌ فـي حِـمَىٰ الله والشعبِ
طلعتم علينـا كالكواكب في الدُّجىٰ — وسرتم الينـا كالسحائب فـي الجدْب
جحاجحـة عُرُبُ الـقرائـح واللُّغَىٰ — فـأهـلا وسهلا بـالجحاجحة الـعُرب
بسطنـا لـكـم منـا قـلوبًا حفيـة — فـدوسوا عليها لا تدوسوا علىٰ الترب
وقـمـنـا ولـلآذان منَّـا إصـاخـة — اليكم فهـاتـوا من حديثـكـم العـذب
وأَفْـضُوا الـينـا يـا ذوي الـلُّب بالذي — يتـم فـيـه التوفـيـقُ بيـن ذوِي اللـب
مضـىٰ زمـنٌ والبعدُ كالسيف مُصلَتٌ — علـيـكـم مُـشِـتٌّ للجميع بلا ذنـب
وقـد حـلَّ هـذا العيـد باليمن جامعًـا — لِشمـلـكـمُ فاستأصل الـبعدَ بالقرب
فَـيـالَـكَ مـن عـيـد تـجـلَّـىٰ كـأنَّه — عروس تـجلـت في مطارفها القُشْبِ
عـلـىٰ صدرهـا عِـقْـدٌ تـألَّـقَ مثلمـا — تـألَّق هـذا الـحفلُ بالسـادة الـنُّجْب
هنيئًـا لـكـم هــذا الـلـقـاءُ فـإنــه — بشِـيـرٌ بمـا تبنـون مـن راسخ الـحب
فخـطـوا لـه منكـمً حـدودًا منيـعـةً — من العلم والشورَىٰ ومِن صالح الكَسب
وأبـقُـوهُ لـلأجـيـال صَـرْحـا مـمَرَّدًا — دليـلاً عليكـم خـالـدًا طيلة الـحقب
أعيـدوا علـىٰ الاسلام هـدْيَ مـحمَّد — بمـا كـان يُمليه عَلَىٰ الآل والصَّحْب
وسيـروا علـىٰ نـهج التَّفاهم والرضى — وتحت هُدىٰ التوفيـق جنْبًـا الىٰ جنب

وحيَّ علىٰ نشر العلوم فإنها | حصونٌ لحفظ الشرق من خطر الغرب
توَخَّوْا بها البحثَ اليسيرَ وأخلصُوا | مَداركَها للناس من بحثها الصعب
وخوضوا بها بحرَ الحياة تكنْ لَكم | سفينةَ أمْن فيه مَأمُونَةَ الثَّقب
حنانيْكم بُثُّوا التواصيَ بينكمْ | كما يتواصَىٰ الجيشُ في موطن الحرب

خُذُوا حِذركم فِي القوْل والفعل وابسطوا
لنا مِنْهُمَا الأَجْدىٰ المفرج للكَرْبِ

وإنا لَشَعْبٌ يعلم الله أنَّه | كريمٌ حصيفُ الرأي مرتفعُ الكعب
سليلُ جدود نابهين أعزة | مغاويرَ شوسٍ كالضراغمة الغلب
ولكن عثَا الحدْثان فِي الشعب طاغيا | عليه كما تطغَىٰ السيول علىٰ العشب
فأصبح مغبونا من العيش مرغَما | علىٰ الهون مرهونا كيوسُفَ في الجب
وغاب عن الأَبصار لولا مخايلٌ | تَلوح كومْض البرْق من خلل السحب
وتظهر في بعض الظروف جليَة | كمظهر ركب العلم بورِكَ مِنْ ركب
فكم سرني اقبالُه واقتبالُه | بِبِشرٍ علىٰ بِشر وخِصب علىٰ خصب
وكم سرني حظُّ الجزائر عندما | تناهَىٰ إليها سالمًا آمن السِّرب
وكم سرني جمٌّ الشعب حادبٌ | عليه كمثل الطير في مورد الشرب
يحدِّق منه في وجوه كأنها | مغاطِيس تقتادُ النواظر بالجذب
ويسمَع رجْعَ القول منه مفصَّلا | فيحْجُوه منثورا من اللؤلؤ الرطب
ولِلُّغة الفُصحىٰ جلالٌ وروعة | عنَا لهما الغربيُّ وهو أخُو العُجب
وللنصح آذان وأفئدةٌ تعِي | وللصابرين الفوزُ والأَجرُ في الغِب
فيا عُصبة العرفان يا قادة الهدىٰ | تعالوْا نَرُدُّ الشَّعبَ ملتئمَ الشِّعب

تعالوا نخفض في الصالحات ونستبق فرائضها سيرا على واضح الدرب
وقفت عليكم للتحية معلِنا بشعرٍ مصوغ من فؤادي مُنصَب
وقلت مفيضا في التحية مطنبا وما كان إطنابُ التحية من دأبي
ولا تنكروا فرط ابتهاجي فإنني صبَوْتُ وفي لُقيا الأحبَّة ما يُصبي
شكرت لكم يا رُفقة العلم وصّلةً أعدتمْ بها معنى السرور الى قلبي
فدُوموا بها مستعصمين أعزَّةً وعُودوا بِرِضوان وفضلٍ من الرَّب

أيها الرافعُون القصُور

ألقيت في حفلة الجمعية الخيرية بالعاصمة، بقاعة الماجستيك.

ونشرت بمجلة (الشهاب) ج: (5) م: (1) محرم 1352 أفريل 1934.

سلامٌ على الأَوْجُه الزَّاهرهْ سلامٌ على الأَنفسِ الطَّاهرة
سلام على النُّخبة المرتضاة سلامٌ على العُصبة الظافره
على كل من فَرَّجَ الكَرْب أوْ أجارَ من الأَزمة الجائره
على كل من شدَّ أزْرَ الفقيـ ـرِ وقوَّم أيامَهُ العاثره
على كل مَن مَدَّ كفَّ النَّوال وشارَك في الحفْلة الحاضره
وقفتُ أرجِّي الرِّحابَ الخِصاب وأَسْتَمْنِحُ الأَيدِيَ الماطره
رجالَ الشعور أفيضوا البُرور وَقُوا الأَنفُسَ القَسْوةَ القاهره
أيرضِي الشعورُ ابتسامَ الثُّغُور ومن حولِها أدمعٌ هامِره؟!
قد استَنْفَرَ الناسَ داعي الحَنان فَكُونوا طليعَتَه النَّاصره
فشا الجوع واشْتدَّ عسْر المَعاش وعادتْ سِنُو يُوسُفَ الغابرة
وعمَّ الكساد عُروضَ البلاد فسائر صَفْقاتها خاسره
ودَّ غريقُ الدُّيون الخَلاص فعاقتْه أمْواجُها الغامره
متى تَجد الشُّغلَ أيدي العباد متى تنفقُ السِّلعُ البائره
متى يَستظِلُّ بظل النَّعيم مَساكينُ يصْلوْنَ بالسَّاهره
علام يُهينُ القويُّ الضعيفَ أليسَ له كبِدٌ شاعره

تَفَاقَمَ كَرْبُ الفقيرِ الكَسيرِ أَمَا عِندكم من يدٍ جابره
يشق عليه الرغيفُ الطفيف وتُعوِزُهُ الخِرقة السَّاتره
لقد ودَّع القلبُ منه الضُّلوع وطارَ مع الخُبْزَة الطَّائره
فيا أيُّها الرافعونَ القُصور إلى الجَوِّ في الأُمَّة القاصِره
ويا أيها الوادِعون النِّيام على الخَزِّ في السُّرُرِ الفاخره
ويا عامِرَ الجيبِ خِلْوَ الفُؤاد قَريرَ البصيرةِ والباصِره
ويا ثاني العطْفَ بين الجما هير يَا واضعَ الكَفِّ في الخاصره
ويا من يعُبُّ كؤوسَ الشراب وينعَم بالأَوْجُه الناضره
ويا من يَسود عليه الغُرور وتملكه الفَرْحةُ الطافره
ويا من ترِفُّ عليه الوُرودُ وتنفَحُه النسمَة العاطِره
ألا تَذكرون حفاة عراة أصابهمُ الفقرُ بالفاقره
ألا تُكرِمون ألا تُنقذون وجوهًا تُكَبْكب في الحافره
قَصَرتم عليكم فُنون الطَّعام وما شفَّ من كِسْوة باهره
وآثرتمُ أهلَكم بالهِبات وبالمُتَع اللَّذَّة الوافره
ألا تسمعونَ ألا تُبصرون مآسيَ من حوْلِكُمْ صائره
شكا الطِّفلُ حَرَّ الطَّوَى واستغَاث وطافتْ به أُمُّه حائره
تنادي العموم ألاَ مَنْ يقوم بنَا وأَدُومُ له شاكره
ألا مَن يُجير فؤادَ الصغير ويُسكِن لوعتَه الثائره
تقول ارْحموا ذِلتي يا رِجال أعِزوا كرامتي الصَّاغره
صِلوا رحِمًا صَدَّ عَنْها البَنون ولم تبقَ نفسٌ لها ذاكره
أتنسَوْن ما بيننا في الجِوار وفي الآدمية من آصره

لـكِ الله يـا أخـتُ. هـذا الـنداء تَـثـور لـه الأعـظـمُ الـنـاخـره
فـضـحـت الـبخيـلَ بـهـذا الـعَـويل وسُـقـتِ الـذَّلـيـل لـه جـاهـرة
وأجـهَـرُ مـنـك نـذيـرُ الـمَـمَـات بـسَـوْق دلائِـلـه الظـاهـره
فـفـي كـلِّ ثـانـيـةٍ مـن زمـان نـفـوسٌ الـى ربـهَـا سـائـره
عـلى ظـهْـر أيـدٍ لـهـا حـاملات ومـن تـحـتِ أيْـدٍ لـهـا قـابـره
فـمـا لـلـجـيـاع بـكـلِّ الـبـقـاع تـصِـيـحُ الـشِّـبـاعُ بـهـمْ نـاهـره
ومـا لـلـقـلـوبِ إذنْ لاَ تَـذوب ومـا لـلـجـنـوب إذنْ فـاتـره
فـيـا شِـيـخةَ القطر ها من حكيـم يُـداوي جـراحـاتِـنـا الـنَّـاغِـره
ويـا نـشـأةَ الـقُـطـر حـقَّ الـتِّـنـاد إلـى رَدِّ عـزَّتـنـا الـدَّابـره
نقلتـم عن الغرْب عـرْيَ الـرُّؤوس وبـعـضَ بَـهـارِجـه الـسَّـاحـره
فـأيـنَ مـلاجِـئُـهُ الـقـائـمـات وأيـنَ مَـكَـاتِـبُـهُ الـعـامـره
وأيـن مـعـامِـلُـه الـصـاخـبـات وأيـنَ مَـعـارِفُـهُ الـزاخـره
اذا أصـبـح الـنـاسُ غُلْفَ القلـوب فـمـا تـنـفـعُ الأَرْؤُسُ الـحاسِـره
لـقـد آن أن تـسـتـفـزَّ الـنِّـيـام أذَانَـاتُ (خـيْـريـة) بـاكِـره
اذا صـاحَ (عُـقْـبِـيُّـهـا)[1] لِلغِـيـاث أجـابـتْـه عُـقْـبـانُـهـا الـكـاسـره
الى الـجـودِ يـا قـوْم فـالـمعوِزون مِـنَ الـنَّـاس فـي عُـسـرة عـاسـره
فـمـن جـادَ سـادَ اسْـمُـه فـي الـحياة وكـان لـه الـخُـلْـد فـي الآخـره

(1) الشيخ الطيب العقبي رئيس الجمعية الخيرية رحمه الله.

في ظلال الخير

ألقيت في حفلة الجمعية الخيرية بالعاصمة،
ونشرت بمجلة (الشهاب) في ماي 1935م

الحمدُ لله مُعطي الحُسنيَيْن معًا ... لكلِّ حزب على طاعتِه أجْتمعا
الحمد لله ما في الصالحين أخٌ ... منَّا أجاب أخًا لِلصالحاتِ دَعا
الحمد لله هذا الحفلُ ظاهِرةٌ ... دَلَّت على أنَّ شأن الأُمَّةِ ارْتَفَعا
آمنتُ أن عصور الخيرِ مقبلةٌ ... لا ريب في صِدقِ برقٍ قبلها لمعا
اليوم أيقنتُ أن الشعبَ أجْمَعَه ... قد اشْرَأَبَّ لفعل الخير واطَّلَعا
هذَا (المجسْتِيكُ) يَعلو في جَوانبه ... صوت الجميل فطوبى للذي استمعا
طوبى لمن كان بالاحسان متصفًا ... طُوبى لمن كان بالانفاقِ مُضطلعا
يا أيها الناسُ أنْتُمْ في السُّلالة مِن ... أب وأمٍّ فكونوا إخوة شرعا
لا تقطعوا لا تخونوا في معائِشِكمْ ... ما ألَّفَ اللهُ من أنسابكمْ ورَعَى
لا تزرَعوا الشَّرَّ فالأيام محْصَدة ... كلُّ امْرِئ حاصدٌ فيها الذي زَرَعا
أنتم من الأَرض فوْقَ الأَرض قاطِبة ... ركب الى الأَرضِ يأوي بَطنها تَبَعا
ما سخَّر الله ما فيها لكمْ عَبَثًا ... لكنْ ليعلَمَ أيًا للصَّلاح سعى
والعيشُ ما العيش سوقٌ مِلْؤهَا سلع
فأحسنوا التَّجرَ فيها واصطفوا السِّلعا

---

(1) الماجستيك: اسم لقاعة سنيمائية بالعاصمة.

والـموت مـا الـموت عقبىٰ العُقبيات فمن
أفـضـىٰ الـيـهـا عَـدَاهُ الـسَّعـيُ وانـقَطَعَـا

مـن مَهَّدَ الـمَهْدَ شقَّ اللَّحد في نظري / للعُقبَيَـات ومن سمَّىٰ الوليـدَ نَعىٰ
ونـعـمـةُ الـمـرء فـي دنيـاهُ عـاجلـةٌ / يـحظَىٰ بـهـا لـمحًـا في العُمْر أو لُمَعا
وآخـرُ الأَمـر أخْـرىٰ قـبـل أوَّلِـه / بـأن يـراعَـىٰ كَـمنـهـاجٍ ويُـتَّبعـا
القصـر فـي الارض يدعونا لنَسْكُنَها / والقبـر فـي الارض يَدعونا لأَن نَدعا
مـا بـال قـوم اليهـا أخلَـدوا سَفَهًـا / وآثــروا فـوقَـهَــا الـلَّـذَّات والـمُتَعا
مـا بـال قـوم علىٰ موْلاهُمُ اجْتَرَأوا / حتَّىٰ اذا اقـتَـصَّ منهم أعْولـوا جَزعـا
مـا بـال قوم بدَعوىٰ الرَّاحةِ احْتكَموا / وهـم يَشُنُّونَ بِاسْم الـراحـةِ الفَزعـا
الـحكم لله كَـمْ غَـلَّـتْ يـدًا يَـدُهُ / والامـر لله كـم أعـلَىٰ وكم وضَعـا
مـهيْـمِـنٌ كـلُّ شـي تـحـت قبضته / ومـالـكُ كـلُّ سـلطــانٍ لـه خَضعـا
عِيالـه كـلُّ نفس فـي الورىٰ نُفِسَـتْ / وحِـزْبُـه كــلُّ عـبـد بالـتُّـقىٰ ولِعَـا
قـلْ لِـلْمثيرِ عـلـىٰ أنصـارِه فتَنًـا / من حـارب الله فـي أنصاره صُـرعـا
اخشَ الضعيفَ كما تخشَىٰ القوي ولا / تـهـزأ بـمـن كـان بـالأقـدار مُدَّرِعَـا
وقـل لـمـن ودَّ يـلْقَـىٰ الله ملتحـقًـا / بـالصالـحينَ تـجمَّـلْ مثلهـم وَرَعَـا
أسعف ذَوي البؤس من شاكٍ ومضْطر / وصـلْ ذَوِي الـفـقـر مُعتَـرًّا ومقتَنعـا
كـم ضـاربٍ منهم فـي الأَرض منتشـرٍ / مـا حـاوَل الـرزق الا اعتاصَ وامْتَنعا
وعـاطـلٍ صـنَـع الـكـفـيْـن مُقـتـدِرٍ / مهمـا أتـىٰ معمَـلا عـن بـابـه دُفـعـا
ومـسـتـغـيـث وجُـلُّ الناس فـي شُغُلٍ / عـنـه وطـاو وجـل الـنـاس قد شَبِعا
وسـاهــدٍ لـم يـجـد ضـوءًا لـمـنـزِلـه / الا الـفُـؤادُ ذُبـالاً والـحَشـا شَـمَـعـا
وعـاثـرِ الـجــدِّ لـم يـظفـرٌ بـمنتـشِـل / حــر يُـقـيـل عثـارا أَوْ يقـول لَـعـا

وثاكلٍ واصلتْ ندْبَ البنين فما ... قلبٌ لها حَنَّ أوْ طرفٌ لها دَمعا
وأيّم ويتامَىٰ حولَها اصطرَخوا ... في الليل واصطرَخت من بينهم هَلَعا
قالوا متَىٰ الصبحُ إن الضرَّ أزعجَنا ... قالت وماذا يُفيد الصبْحُ إن طلعا
قالوا متَىٰ الأكلُ ان الجوعَ احْرقَنا ... قالتْ إذا منحَ المعروفَ مَن منعا
قالوا وأين أبونا كيف أهملنا ... قالتْ به وقعَ الامر الذي وقعا
الموت طارَ به كالنَّسر مختطِفا ... والموتُ طاح به كالسَّيْل مقتلِعا
بنيَّ مات أبوكم لم يدعْ أثَرًا ... الا الأَماديح بين الناس والسُّمَعا
قد خلف الرَّوْعَ في نفسِي فما هدأتْ ... وأذهبَ النومَ عن طرْفي فما هَجَعا
كأن كل نسيم منه قد نَسَمَتْ ... وكلَّ ساجع روْض عنه قد سَجعا
فيم الإقَامة في الدنيا لأرمَلَةٍ ... رِيعتْ ونَشْء يتيم حوْلَها فُجعا
في مدٍّ أعمارهم مَدٌّ لشقْوتهم ... لعل اسلمَهُم مَنْ نفْسَهُ بَخعا
أسفرتِ يَا أمُّ ما هذا الكلامُ وما ... هذا الظَّلامُ الذي قدْ خُضْتِه قِطَعا؟
رفقًا بنفسكِ رفقًا بالبنينَ فقد ... جرَّعتِهم مِن مراراتِ الأسىٰ جُرَعا
كُفِّي فإنَّ وراء العُسر مَيْسَرة ... كُفِّي فإذَّ وراء الضيقِ متَّسعا
كُفِّي عن الندْب والإعوال وانتَجِعي ... أرضًا بها حمِدَ المَرعَىٰ مَن انتَجَعا
مِن تحتها أعينُ المَعروف قَد نَبَعَتْ ... وفَوقَها ثمرُ الإحسان قد ينَعا
(خيْريةٌ) تحت حِزب ظلَّ يكْلأُها ... في جانبِ الله لا خوفًا ولا طَمَعا
علىٰ اسْمها التفَّ كالدَّوحات محتفِلاً ... وباسْمها اقْترحَ الخيراتِ واقْترعا
في حفلة شرَّفَ الجنسَان ساحتَها ... وآزرَتْ في حِماها اللَّبوَةُ السَّبُعا
دامَت لنا حرَمًا أمْنًا وجامعةً ... كبرىٰ نَلُمُّ بها الاحزابَ والشِّيعا
ولا عدَتْها يدٌ عادت بمنفَعَة ... علىٰ المُقلِّينَ وَالعُقْبَىٰ لمَنْ نَفَعا

دار الخيرية

ألقاها الشاعر في افتتاح دار الجمعية الخيرية بالعاصمة ونشرت في جريدة (الإصلاح) عام 1940

يـا دَار شـادك لـلـخَـيّـرات أخْـيَـارُ   فِـيـضِـي على الناس بالـخيراتِ يا دارُ
يـا حـبَّذا يَوم حادِي العَشْرِ من رَجَب   فـإنـه بـسـك فـي الأيـام مُـخـتـار
كانَ افْـتِـتَـاحُـكِ حَفْـلاً فيـه منتظمَـا   تـمَـتَّـعـتْ فـيـه أسـمَـاعٌ وابـصـار
فـي عـام ألـفٍ مِنَ الهِجْرِيِّ تـجْمَعُها   إلـى مِـئـاتٍ ثـلاثٍ فـيـه أعْـصـار
إلـى ثَمـانٍ وخَـمسين افتُـتِحتِ كمـا   تَـفَـتَّـحـت فـي الرَّبيع الطَّلْقِ أزهـار
كُـونـي سمـاءً الـيـهـا الـخَلْق رَاغبـة   وغـيـثُـهـا نـازلٌ لـلـخَـلـق مِـدرار
داوِي الـمَريض وربِّـي البِنتَ عاطفـةً   عـلـى الـيَـتـيـم فمَـا فـي ذَاك إنكار
بـشـرَى الـجزائر صنتِ اليومَ صِبيتَها   كمـا تَـصـونُ فـراخَ الـطـيـر أوكـار
لازِلتِ كـالـبـيْـتِ فيـه قبلـةٌ وحِـمَى   عـلـيـك مـن مِـنَـنِ الـمَـنَّـان أستـار
ودمـتِ زاخـرةً بـالـبـرِّ زاهـرَةً   مـا فـازَ بـالأَجْـر عِـنـدَ الله أبـرار

يا شباب

ألقى الشاعر هذه القصيدة في احتفال مدرسة بسكرة
نشرت في العدد 11 من جريدة البصائر سنة 1947.

أنتَ من عنصر الخُلود لُبابُ   كنْ الى المَجد طامحًا يا شبابُ
مِشعلُ العلم في يَمينكِ يُهْدَىٰ   كلُّ سارٍ به ويُجلَىٰ الضَّباب
لكَ دينٌ مدَىٰ الدُّهور عزيزٌ   يُبذَلُ المَالُ دونَه والرقاب
لكَ ماضٍ ما مِثْلهُ قطُّ ماض   تتباهَىٰ بمجده الأَحقاب
ولسانٌ لم يدنُ منه لسانٌ   وكِتابٌ لم يَدنُ منه كِتَاب
تلكَ فينا وديعةُ السَّلف الزَّا   كي فهَلاً تَصونُها الأعقاب
نازعتْنا يدُ الزمان عليها   وتغَالَىٰ في نهْبها النُّهَّاب
يا شبابُ اتَّجهْ الى الشَّرق واحْفَظ   كلَّ كنْز له اليه انتساب
انما الشَّرق نسبةُ العَرب الأحـ   ـرارِ لم تنقطعْ لها أسباب
انما الشَّرق للعُروبة كهْفٌ   آمِنُ الظِّل بالأذىٰ لا يُصاب
انما الشَّرق للعرُوبة وكْرٌ   من بَنيها تؤُمُّه أسراب
انما الشَّرق للعروبة وِرْدٌ   باردُ الماء سائغٌ مُسْتَطاب
هو صَفْوٌ وغيرُه لك شَوْبٌ   فرِدِ الصفْوَ لا تَرِدْ ما يُشَاب
أيُّ كنزٍ مخلَّدٍ لك باق   حاضرٍ لو يُزاح عنه التُّراب
فادْرُس الكتْب باحثا عن مَعاليـ   ـك وسل صُحفَها ففيها الجواب
وتنكَّبْ عن السَّراب فما يغنيـ   ـك شيئًا عن الشَّراب السَّراب

ساءَنا من شبابنا ناشئاتٌ طائشاتٌ تَغُرُّها الألقاب
عاكفاتٌ على مذاهبِ سُوء وفسادٍ كأنَّها أنصاب
نتمنَّى لك الثباتَ على الرُّ شد وما أنتَ عندنا مُستراب
نتمنَّى بالدِّين أن تتحلَّى مَن تحلَّى بدينه لا يُعاب
انما الدِّين لليُّوث عرينٌ لا تغُرَّنك بالعُواء الذِّئاب
انما الدِّين في المَبادِيء رأسُ المجد منها وغيْرُهُ أذناب
فانشأ للمجْد طائرًا في مجاليـ ـه طليقًا كما يطير العُقاب
هذه الأرضُ سوف تُنبت عزًّا إن تصافت في ظِلها الأحزاب
كلُّنا إخوةٌ من الدِّين والجنـ ـسِ عليها وكلُّنا أحباب
نبتغِي العيشَ في الجزائر حرًّا مطلَقًا لا يحفُّه إرهاب
أرْشدينا السبيلَ أيتُها الحمـ ـراءُ إنَّا قومٌ اليك ركاب
حاد عنك الدَّليل أيتها الحمـ ـراءُ منَّا وحيَّرته الشِّعاب
هل الى وصْل بيننا مِن سبيل غبتِ عنَّا وطال منك الغياب
أنت في الجود بالنَّفوس وبالأمـ ـوال سرٌّ غطَّى عليه الحجاب
أيُّها الشعب أنت موضِعُ شعري وشُعوري لا زَينبٌ والرَّباب
لا تلُمني على اطِّراحِي للشِّعـ ـر فعُذري مستوضح منجاب
أيها التاعبون في عمَل الخيْـ ـر سَتأتي بأجرِها الأتعاب
أصمدوا للعِدى وإن ضايقوكم لا تهابوا من العِدَى لا تهابوا
حسبُنا الله في الأُمور ومَن ذا وكالله قاهرٌ غلاَّب
فابْدأوا باسمه الأمورَ وأنهوا إنه باسْمِه تَذِلُّ الصعاب

إذا كان صوت الحق للأذن قارعًا

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقيم ببسكرة النخيل لاستكمال مدرستها الحرة التابعة لجمعية العلماء ونشرت في العدد (233) من البصائر سنة 1953م

سلامٌ عليكمْ بالنصائح يشفَعُ ... يقدَّم في اللُّقيا إليكم ويُرفعُ
سلام عليكم أيُّها القومُ طيِّب ... كزهْر الرَّوابي بالشَّذىٰ يتضوع
سلام علىٰ غُرِّ الوُجوه وبيضها ... فنور هُداها في الأَسارير يسْطَع
علىٰ محْفل فيه الضَّراغم جُثَّمٌ ... علىٰ مَحفل فيه الكَواسرُ وَقَّع
علىٰ محفَل لم يحو غيْرَ سمَيذَع ... يُنافسُه في الصَّالحات سَمَيْذَع
تَطلَّع فيه الحاضرون لنفْحَة ... من البَذْل تُعلِي القِدرَ فيه وتَرفع
وقفتُ به أستنهضُ القوم صادعًا ... بإنذارهم والحرُّ بالحق يَصْدع
أجاذبُ حبْلَ الشِّعر حتَّىٰ يُعينَني ... عليهمْ وحبْلُ الشِّعرِ عاص وطَيِّع
يُعانِدُني طوْرًا فيَرْفضُ دعوتي ... ويُسلسُ لي طورًا فأدعو فيسمع
ويسجَع لي مِثلَ الحَمام مُساجلاً ... فؤادًا بألحان الأَحاسيس يسْجع
فؤادًا علىٰ حبِّ الجزائر ينْحني ... فؤادًا الىٰ خيْر الجَزائر ينزَع
يصفِّق من تحت الضلوع مرَفْرِفا ... كطيرٍ بأشتات السهام يُروَّع
ويهفو اذَا الدَّاعي دعا لقضية ... مشرفة تجْدي البلاد وتنفع
ويَدْعو مع الدَّاعي إليها مؤازرًا ... دعاء له قلبُ المُكابر يخشع
اذا كان صوتُ الحقِّ للأُذْن قارعًا ... لِيُصْغي فصوتُ الحق للقلب أقرع

تنادوا لبذْل المال يا قَومُ وانهَضوا ... به إنه فرْضٌ عليكم مُوزَّع
فبذل ذوي الإعْسَار منكم مضيِّق ... وبذلُ ذوي الإيسارِ منكمْ موسَّع
ولا تتركُوا مشروعَكم بعد فَيْضه ... يَغُورُ رويْدا فهو للنشء مَشْرَع
أهاب بكم مسْتَنْصِرا متلهِّفًا ... لتَسْديد ديْن ظهْرُهُ منهُ مُوجَع
تلوَّم في اسْتصراخكم متمهِّلا ... فلم يبق في قوْس التَّلوُّم منْزع
وقفت عليكم عاذلا غيْر عاذر ... لكم بعد ما لم يبق للعذر موضع
فإنِّي أرىٰ مشروعكُم تحتَ ديْنه ... يئن وانتمْ للمَدينينَ مَفْزَع
ومالي أرىٰ مجهودكم مُتَفكِّكا ... كأجْزاء بيْت الشعر حينَ يقطع
أخافُ عليكمْ ان يُقال فَشِلتمُ ... فضيعتمُ الحقَّ الذي لا يضيَّع
وفرطتُمُ في جنْب أمٍّ كريمة ... تدرُّ النشَّء العلومَ فيَكْرَع
ولكنَّها ظمْأىٰ الىٰ المال ترتَجي ... مْنَ المال ما يَشفي صَدَاها وينْقَع
فصُبُّوا عليها مِنْ مِآتِ ألوفِكمْ ... دِلاءً لها أيدي الأجاويد منبَع
وهبْتُم لها شتَّىٰ المَلاَيين بُرهةً ... وهِبْتُمْ فأعْيَتْكُم ملايينُ أربَعُ
الا فاجْمَعُوها اليوم جمْعَ سلامة ... وصُدُّوا عَن التَّكْسِير مَن قام يَجْمع
وسدوا ببَذل المال حاجةَ قلْعة ... لكم سدَّت الثَّغْرَ الذي فيه يُطمَع
وضُمُوا الىٰ الطيْر الجميل جناحَه ... فلا طيْرَ الاَّ بالجَناحَيْنِ يَطْلُعِ[1]
وخيْرُ ضُروب البذْل نقدٌ منَزَّهٌ ... عَن البخل أو وعْدٌ به البذل يُتبَع
وغَيْرُهما ضرْبٌ منَ المطْل باطِلٌ ... يلوحُ كما لاَحَ السَّرابُ فيَخدَع

(1) أنظر قصيدة: «إلى العلم» في سنة 1951، من هذا الديوان، وفيها قوله:

وطير بديع لويضم جناحه ... اليه، لحاز الحسن أجمع بالضم

مع تعليق لطيف لرائد الأدباء والعلماء بالجزائر الأستاذ محمد البشير الابراهيمي (رحمه الله).

اذا لـم يَصُنْ ذُو المال بالمال عِرْضَهُ فـمـاذا به غيْـر الـصِّيـانـة يـصنَـع؟
وأجـحـدُ خـلْـق الله لله بـاخِـلٌ يَـجـود عليـه بالـغـنـى وهو يَـمْنَـع
ومَـنْ كان عَن كسب الـمفاخر قاعِدًا فـكـيـفَ يُرجِّي الـحمْدَ أوْ يَـتَـوَقَّع؟
دَعُوا عنكمُ التَّسْويف في البرِّ واعجَلوا
بــه إن خـيــرَ الـبـرِّ مــا فـيــه يُـسـرع
فـلا شُـكْـرَ إلاَّ لــلذي يـشـكُر الغنى ولا أجــرَ إلاَّ لـلــذي يَـتـبــرَّع

هذه قمة الفتوة

نظمت هذه القصيدة العصماء بمناسبة اختتام السنة الدراسية
بالمعهد الإسلامي بمدينة باتنة صيف سنة 1965

أيها الشعر أنت وحْيُ جَناني ... وصَدَىٰ خاطري وسحرُ بَياني
أنت منِّي بمَنْزل الرُّوح لكنْ ... لستَ منِّي ان لم تُجب مَن دَعاني
لستَ منِّي إن لم ترَ ألفضل فضْلاً ... وتُجاز الإحسانَ بالإحسان
لست منِّي حتَّىٰ تحيِّيَ عَنِّي ... بالتَّحايا الحسان مَن حيَّاني
لست منِّي حتَّىٰ تؤدِّيَ عنِّي ... شُكرَ من برَّني من الاخوان
لستَ منِّي حتَّىٰ تبلِّغ للغُـ ... ـرِّ من الناجحين غُرَّ التهاني
ختم المعْهَد الدروسَ وأنهىٰ ... عقد أيّامها بعَقد امتحان
وتبارىٰ الطلاَّب فيه فجلَّىٰ ... كلُّ من جدَّ فائزا بالبرهان
هذه حفلة الختام فهل أنـ ... ـت مجيزٌ سَوابق الفُرسان
قم فقدِّم جوائز النُّصح أعْلا ... قًا لأكفائها من الشُّبَّان
بُنيتْ حكمة العقول على النصـ ... ـح وقامتْ شرائعُ الأديان
أيُّها الطَّالب الذي ركب العز ... م إلىٰ العلم فارهًا كالحصان
قف قليلا أفدْك بعضَ الوصايا ... وأزوِّدْك عُدَّة الميدان
أنت عندي أخو آبن لقمان فاظفَر ... بوصاياك من أخي لقمان
أخلص القصدَ جاعلا نيةَ الأعـ ... ـمال أصلاً كما رَوَىٰ الشيخان
انما المرء بالقصود رهينٌ ... ومَدينٌ بما جَننتْه آليدان

واستعنْ بالإله يمنحْك عونا وَكفى بالإله من مُستعان
وعلى الصدق فابْن واعْمل بعلم لا بجهل يَجرُّ للخُسران
قدِّم الفقةَ والفرائض واستقـ رئ أصول التوحيد بالإتقان
وتعلم قواعدَ النحو والصر ف وَرُضْها بمنطقٍ وبيان
إنها كلُّها وسائل فهْم لمعاني الحديث والقرآن
واذا نلتَ من لسانك حظًّا وافرًا فانتفعْ بكلِّ لسان
لا تكن قانعًا وقل ربِّ زدْني منكَ علْمًا ولا تملْ للتَّواني
ليس للعلم في الدراسَة حدٌّ فاطلُب العلم جاهدًا كُلَّ آن
وتجرَّدْ له تكنْ فيه بحْرا كالغزاليِّ أوْ أبي حيَّان
لا تُضع فرصة الشباب وبادرْ بانتهاز الشباب في العُنفُوان
فهو من خَمْسك التي هيَ أوْلَى باغتنام من قبل خمس دَواني
وتحمَّل رسالة العلم واصدَع وترفَّع عن وصمة الكتمان
واذا ساءَك الجُحود فسامح لا تجاز النُّكران بالنكران
هذه قمة الفتوة فاصعَدْ مستواها تكنْ فتَى ٱلفتيان
وصُن العلمَ بالفضيلة يُجَلِّلـ ـكَ ويُحَلِّلْكَ رُتبةَ (الجرجاني)
في (يَقُولونَ لي) شمائل غُرٌّ كلُّها رفعةٌ وعزَّة شان
كل من حادَ من ذَوي العلم عنها فهو هاوٍ إلى حضيض الهَوان
وأركَب الهمَّة العظيمة فيما أنت رَامٍ إلى مَداه وَرَاني
همَّة المرء أمنعتْ في الصحاري فجَلتَ ما جلتْه بالإمْعان
كم كنوز نفيسةٍ كشَفتْها تحتَ تلك الرِّمال والكُثبان
من مَعين بها ونفْط وغاز حوْلَ خام منوَّع الألْوان

وهوتْ في البحار تَفحَص عمَّا ... عزَّ من لُؤلُؤ ومن مَرْجان
ورقَت في الفَضاء تبحث عمَّا ... في الدَّراري اْختَفَىٰ من السُّكان
قد غزَتْها الجيوش كالأرض فتحا ... وهي كُبرَىٰ عجائب الإنسان
إن نفسَ الإنسان إن راضت الفطـ ... ـرةَ عادت للجَوْهَر الرُّوحاني
واذا عُلِّمتْ فنونًا من العلـ ... ـم اْستنارَتْ بكشفها العلْماني
واستثارتْ دفائنَ الكون كشْفًا ... عن مَداها واستأثرتْ بالحِسان
لو رجتْ مطلبًا بعزم وراءَ النَّـ ... ـجم فازتْ به بلا نُكران
كيف يسمو عن همَّة الروح سؤلٌ ... وهيَ سرُّ الإله في الأكوان
أيُّها الشعب قم بدينك وابعثْ ... قيَمَ الشعب من ثَرىٰ النسيان
ان دنياك فتنةٌ ومَتاع ... ومَداها المَصيرُ للديان
فاغتنمْها قبل الممات بكسب ... لكَ مُنج في العَرْض والميزان
كيف ينسَىٰ الفتَىٰ بها أجل اللَّـ ... ـه وقد قاد نفسه بعِنان
كيف يلهو الفتَىٰ بها عن فروض ... وحُقوق حتْمية الإتيان
كيف يلهو الفتىٰ بها عن صلاة ... هي في الفرض أوَّلُ الأركان
كيف يلهو الفتىٰ نهارًا وليلاً ... عن صلاة يُقيمها في ثَوان
كيف يلهو الفتىٰ بها عن زكاة ... هيَ طُهْرٌ له من الأدران
وهي للبائس الفقير وللمسـ ... ـكين والكلِّ عصمةٌ والعاني
كيف يلهو الفَتىٰ بها عن صيام ... كَجمام للنفس والجثمان
كيف يلهو الفتىٰ عن الحجِّ بالحَا ... جاتَ والحجُّ موعدُ الغُفران
يلتقي المؤمنون فيه وُفودا ... ليَفوزوا برحمة الرحمان
أقم العدلَ بين جنسيك وأجْنحْ ... للذي يستوي به الجنَّحان

عَلِّم البنتَ فهي للبيْت أسٌّ وقوامٌ لهيكل البنيان
إنما الشعب عنصر بشريٌّ من نساء نَما ومن ذكران
فاذا عمَّت الثقافةُ جنسيـ ـه أسْتقلت بجسمه الرِّجلان
واذا خصَّت الرجالَ فعَرْجَى في خَطاها تدِبُّ بالعُرجان
قف بجنسَيْك في الحياة رجالاً ونساءً مواقف الأقران
واذا ما تعاونا في مَرام فعلَى البرِّ لا على الْعصيان
بين هذا وهذه من عَفاف برْزَخٌ حاجزٌ فلا يبْغيان
بين هذا وهذه واجباتٌ وحقوقٌ عن فعلها يُسألان
ومجالات نجدة ونشاط وقضايا تَعاوُنٍ وتَداني
قد أعانت خديجة سيِّدَ الرسـ ـل برأي وثَرْوَة وحَنان
ولقد سنَّ للرجال وَصايا ومزايا لعشرة النسوان
أوَمَا أستعطف الرجالَ عليهـ ـنَّ وأوصَى برفْقهم بالعَواني
أوما أنقذ الفتاةَ من الوَأ د وهضم الحقوق والحرمان
أوَمَا بَشَّر المُربِّيَ للبنـ ـت بأمْن اللظَى وسُكْنَى الجِنان
هذه قيمةُ الفتاة لدى الشَّر ع فَدعْ عنك غَمطها بامتهان
وجِّه النَّشْءَ للصَّلاح وحبِّبْ للبنات العَفافَ والشُّبَّانَ
انما يُسعد البلادَ شبابٌ ذو حِفاظ لعرضه وصيان
لا شبابٌ باعَ الحياةَ وأمسَى بين (حانٍ) يحْسُو الْخُمورَ (وخان)
أوْ شَباب يظَلُّ هيْمانَ يلْغو بالأغاني معاكسًا للغواني
أوْ شباب على التُّراث تَعدَّى فتردَّى في هُوَّة الكُفران
رُبَّ مُستهزئ بمبدإِ ديني بين قومي كما يَراه يراني

صدَّه عن تراثه كَلُّ رأي | أجْنبيٌّ فتَاةَ في الوديان
قال لي خُذ بمَنهجي قلتُ مهْلاً | كيف أختارُ قاصيًا عن داني؟!
قال لي إنه على الغرب أجدَى | قلتُ جوّي وجوُّهُ ضدَّان
قال لي إنه تقدُّمُ فكْر | قلتُ مَرْعَى وليسَ كالسَّعْدان
لستُ ما عشتُ للتقدُّم ضدًّا | غير أنّي على الحمى غيرُ جاني
إن حفظ المُقوِّمات حياةٌ | كلُّ شعب أضاعَها فهْوَ فاني
خلِّ عنّي المُسْتَورَدَات ودعني | فكَفاني ورْدي النَّميرُ كَفاني
أوْ فَخُذْ لي مَا كان منها شَرابًا | مستطابًا لشعْبيَ الظَّمآن
وتعلم ما شئتَه من عُلوم | وفُنون بحكمة واتّزان
هذه صفوة التقدُّم فافْهَم | لا تكذبُ ما تُبصر العيْنان
قد عَجمْنا من التجارب دُنيا | لم تكن للأعجام في حُسبان
يومَ قُمنا نجلو العقول وناموا | في ظَلام الكُهوف والغيران
ليس بدعا أن نشهدَ اليوم بعْثًا | عربيًا من مُعْجز الأذهان
ليس بدْعا أن نغزو الكَونَ علمًا | بانطلاق إلى الحضارة ثاني
ليس بدعا أن نُخضع البأس للحـ | ـقِّ بزحف مظفَّر غير واني
أو ما تُبصر الجزائرَ ثارتْ | ثورة حطَّمتْ قُوَى الطُّغيان
قد حمَدنا عند الصباح سُرانا | وغنمنا غنائم الشُّجعان
وبذلنا دماءَنا بسخاء | وكفَى بالدِّماء من أثْمان
فكسبْنا بألف ألف شهيد | دَولةً لا تدين للأوثان
وتولَّى على (الجزائر) حكمٌ | لاشتراكية (الجزائر) باني
عربي اللسان والوعْي ثور | يُّ المبادي جزائريُّ الكيان!

نحن شعبُ الفدىٰ به قد ظهَرنا ... وانتصرنَا في كلِّ حرب عَوان
كلُّنا شعب إِخوة ما القَسَنطيـ ... ـنيُّ منَّا الا أخُو الوَهْرَاني
ولنا أمة العروبة أمٌّ ... ذاتُ عطف على (الجزائر) حاني
(وحدة المغرب) استعدَّت ظهورا ... واستعزَّت بوحْدة العُربان
فتحت (ليبيا) إِلينا يديها ... وعلى الأَوسط انحَنَى المَغْربان
وإِلينا (الحجاز) و(اليمن) انحا ... زا وجادَ (الكُويت) بالرَّنَّان
نحن في (مصرَ) و(العراق) هوَى الشعـ ... ـب وفي (سوريا) وفي (لبنان)
و(بشرق الأَردنِّ) حُزنا وفي (ما ... لي) على رفعة وفي (السُّودان)
إِن (إِفريقيا) لنا اليوْم أوفَت ... بالذي أوثقتْ من الايمان
وشعوبا من (آسيا) وشعوبا ... من (أروبا) لنا من الأَعوان
هذه غاية الكفاح لشعْبي ... وهي أغلى أمنيَّة في الأَماني
نحن شعبُ الفدىٰ (فلسطين) منَّا ... وإِلينا والحكم للأُرْجُواني
قل لمن سامها احْتلالاً وغصْبا ... سوف تدري بلاءَنا في الطِّعان
يا ابن صهيون لا أرىٰ لك بُدًّا ... من عدول عن كيدك الشَّيْطَاني
انَّ (نهر الأُردُنِّ) للعُرب نَبعًا ... ومَصَبًّا من أقدم الأَزمان
و(فلسطينُ) لـ(لجزيرة) جزءٌ ... عربيٌّ من عَهدها الكنعاني
لم يفدك الجواب منَّا غيابًا ... فتهَيَّأ لما ترَىٰ في اعيان
يا بَني (مصرَ) للعروبة فيكمْ ... مركزُ القطب خصَّ بالرُّجحان
ان (مصْرًا) أرض الحضارة والعلـ ... ـم ومَهْدُ النُّبوغ والعُمران
تتجلى المآثرُ الشمُّ فيها ... عن ذكاء النُّهَىٰ وفنِّ البَنان
هل كمثْل (الأَهرام) أو كـ(أبي الهَوْ ... ل) يُرىٰ في مَعالم البُلدان

أين منها مآثر (الروم) قبلاً … أين منها مآثرُ (اليونان)؟
لم تعُقكم حضارةُ الفكر قدْما … عن تَلقِّي حضارة الإيمان
شرَّفَ الدينُ أرضَكم فاقتبلتُم … بالأيادي هُداهُ والأحْضان
ونشرتُم هُداه شرقًا وغربًا … وكسرتُم عناصر العُدوان
ورفعتم رأسَ العروبة رعْيًا … فهْي من حُسْن رَعْيكم في أمان
واصطفيتُم (جمالَها) فهو فيها … (مصطفًى كامل) بلا نقصان
أيها الوفدُ جئتَ (عقْبَةَ) ضيفًا … فتبوأتَ قمَّة العقْبان
مدَّ (أوراسُ) سفحَه لكَ ظلاًّ … إن (أوراسَ) مُكْرِمُ الضِّيفان
فغرست العلومَ للنَّشْء روْضًا … ومددتَ الفُنون كالأفْنان
كيف نَجزيك عن أياديكَ إنَّا … لا نراها تُرد بالشُّكْران
قد عجزنا عن الجزاء صنيعًا … فرأينَا أداءَه بالمَثاني
وثواب الإلـه للعبْد في أخْـ … ـرَاهُ أولى من الثَّواب الفاني
أيها الناشرون للعلم فينا … علَمًا عندنا رفيعَ المكان
فاض عرفانكم على الارض حتى … أصبحَ (النِّيلُ) منهُ كَالْغَيْران
كم لكم في الجزائر اليوم من سـ … ـدٍّ يُباهي السَّدَّيْن في أسْوان
إنما هذه المعاهد سَدٌّ … بعدَ سَدٍّ تَفيضُ بالعرفان
إنما هذه المعاهد برهـا … نٌ على علمكمْ إلى بُرهان
ودليل أن (الجزائر) قد سا … دَتْ وعادتْ لأصْلها العَدْناني
بـاءَ منا (جمالكم) بجلال … وارتقى (عزُّكم) إلى (حسَّان)[1]
عُمرت أرضُكم بوارث عمْرو … وهنيئًا لها بكُفْء (ابن هَاني)

(1) هو الشيخ عز الدين علي السيد الأديب الشاعر عضو بعثة الأزهر الشريف المدرس سابقا بالمعهد الاسلامي التكميلي بباتنة.

ربَّ خلٍّ راضَ الأوابدَ عن شعـ ـري بمُختارِ شعْره أغْنَاني
وقصيد منّي بدَا لقصيد منهُ صِنْوًا كما بَدَا التَّوْأمان
قد سَلَوْتُ القَريض في عهْد شيبي وثناني عن حُبِّه ما ثَناني
ولَكمْ كان مؤنسًا لي حبيبًا رائعًا والشَّباب في الرَّيْعَان
هذه وقفَةُ الوَداع فوَيْحي من أسَاها المُشير للوجْدان
إنَّ يوم الفراق أصْلَىٰ فُؤادي بشُواظ من مَارج النِّيرَان
هذه مُهْجَتي تَذُوبُ من البَيْـ ـن وصَدْري يجيش بالأحْزان
فوَدَاعًا بلا انقطاع وصبرًا في بَلاء النوَىٰ علىٰ ما نُعاني
نحن في القُرب والنَّوىٰ ما فَتئنا في اقتراب بوُدِّنا واقتران
في ائتلاف الأرواح منَّا وصَالٌ نتحدَّىٰ به نوَىٰ الرُّكبان
ونطاقُ القلوب أوسعُ رحْبًا بيْننا من مَناطق الأوْطان
بلِّغوا (مصرَ) شوقنَا وهَوانا ورضانا في السِّرِّ والإعلان
وسلامٌ علىٰ (الكنانة) منَّا ما استنارت بـ (الأزْهَر) المُزدان
وعلىٰ أمَّة العروبة في كـ ـلِّ مكان يَضمُّها وزَمان
سنُوالي الجهود حتىٰ نَراها فَخْمَةَ الحُكم ضَخمةَ السُّلطان
ولواءَ الإسلام في كلِّ أرض خَافقًا يحْمي به الخَافقان

تارك الصَّلاة

أيُّها التارك الصَّلاة أبنْ لي   أيَّ عذر له تركتَ الصلاةَ
أيَّ عذرٍ له تركتَ صلاةً   تُكسبُ العبد خَشية وأناة
أَغُروراً تركتها أم نُفوراً   أمْ كُفوراً أمْ سخطةً أم شماتا؟
كلَّ يوم تقولُ سوف أصلِّي   سوفَ أقضِي من فَرْضها ما فاتا
هكذا ينقضِي زمانُك ليلاً   ونهاراً تؤجِّل الاوقاتا
بادِرِ الفَرْضَ واسْتُرِ العِرض أولاً   فترقَّبْ من ربك الإعناتا
هذه دارُ كُلفة لا تَوانٍ   فاجعَلِ الصَّبرَ عُدَّةً والثَّباتا
أيها المُطْمَئِن فيها اغْتِراراً   بالأَماني متى مَلَكْتَ الحياة؟
إنها ساعةٌ تمرُّ كأنْ لَم   تَغْنَ فيها عشيةً أو غَداة
كمْ غنيٍّ بالفقر فوجئي يوما   ومعافًى إذا به قِيل ماتا

تارك الزكاة

أيها التارك الزكاة لماذا ... لا تزكي وقد ملكت النصابا
مرَّ حولٌ عليك من بعد حول ... مثلما يتبع السحابُ السحابا
تكنز المال ضامئا لست تروي ... منه عَبًّا مهما أستزدت شرابا
كل يوم تقول هل من مزيد ... كلظى زادها المزيد ألتهابا
تزرع الزرع آملا منه رزقا ... لك وفرا وترتجي الاخصابا
قد ترى بذل عُشره وهو بذر ... ثم تأبى زكاته حيث طابا
تغرس النخل باسقات وتجني ... من جناها التمورَ والارطابا
وتذود الفقير بالنهر والمسـ ... ـكين عنها كما تذود الذبابا
إن فرض الزكاة يدعوك فاسمع ... صوت إنذاره ورُدَّ الجوابا
فكأني بك أخترمت بموت ... خاطف بعده تلاقي الحسابا
وكأني بك أحتُملت الى القبـ ... ـر ووُسّدت في التراب الترابا
وكأني بالاهل بعدك حازوا ... منك ميراثهم منابا منابا
قم فقدم زكاة مالك وأرقب ... بركات الزكاة وارجُ الثوابا
قم فقدم زكاته فهْي أرجى ... لك من كنزه وأنجى مآبا

فوض إلى الله

(دع المقادير تجري في اعنَّتها)
فللمقادير سِرٌّ غامضٌ عالي
فوِّض إلى الله ما يعْرُوك من نُوَب
(ولا تبيتَنَّ إلا خاليَ البال)
(ما بين غمضة عين وانتبَاهتها)
يسلو الحزينُ كما قد يحْزَنُ السَّالي
إنْ ساءت الحالُ فارقُبْ أن تطيب فقد
(يُحوِّلُ اللهُ من حال إلى حال)

وعظ دقات القلوب

(تشطير بيتين لشوقي)

(دقات قلب المرء قائلة له)
عجّل بما يبقى فإنك فاني
ما في حياتك للملاهي فسحةٌ
(إن الحياة دقائقٌ وثواني)
(فارفع لنفسك بعد موتك ذكرَها)
بصنائع المعروف والاحسان
من نال رفع الذكر عاش مخلَّدا
(فالذكر للانسان عمرٌ ثاني)

متى أنت راجع

يقولون لي أمست بالشعر لامعا ... فهل أنا بعد الموت بالشعر لامعُ؟
فيا ويح نفسي من دعاوٍ كثيرة ... يصانعني قولاً بها من يصانع
ورُب كلام قلته أو سمعته ... به أنا في وادي الأضاليل واقع
إذا لم يداركني من الله عفوهُ ... فإطراؤهم إيّاي للجنب صارع
عبى نفسه فليبك من كان قادما ... على الله إن أجدت عليه المَدامع
بأيٍّ بيان عنده وبلاغة ... يجادل عن أعماله ويدافع؟
وهل هو ناجٍ في المواقف كلها ... وراقٍ الى أوج الكرامة طالع؟
بلى رحمة الرحمان أقرب ساحة ... إلينا ولكن أبعدتنا الموانع
تنادي المنايا للمتاب بلا وَنَى ... وتشغلنا آمالُنا والمطامع
فيا أيها العبد الذي ظلّ آبقا ... عن السيد الأعلى متى أنت راجع؟

فتاة العَصر!

مـا بـال سـرِ فـتـاةِ العصـر منحرفـا يـهوي بها في مهاوي الإِفك والزور

ان الـجـزائـر أمسـت بـنـتُها غرضـا لـكـل رامٍ بـسـهـم الغـيِّ مـأجـور

مـا بـالـهـا هـجـرت آداب مـلـتـهـا مـا بـالـهـا أعـرضت عن خير دستور

إن الــذي بـرأ الـجـنـسـيـن خوَّلـها حقوقهـا فـي كـتـاب مـنـه مسطـور

لو انـهـا اقـتـبـست من نوره وجنَـت مـن روضـه ٱلتحقت في الطهر بالحور

عافت تقاليدَها الـمثلىٰ وقد سطعت أنـوارهـا وارتـمـت فـي كـل ديجور

مـا جـلّ آرائـهـا الـمستحدثات سوىٰ مستـوردات مـداهـا غـيـرُ مشكـور

فــي كـل مـرحـلـة تـزداد ظـلـمتـهـا فـي الرأي فاقرأ عليها سورة النـور[1]

---

(1) سورة النور في القرآن الكريم اشتملت على بيان بعض حقوق النساء وواجباتهن، وقد ورد في الحديث الشريف: (علموهن سورة النور).

نحن أبدًا مع الأبرار

لأَربـاب الـقـلـوب عـهـودُ صـدق ... وأقــوالٌ تـصـدِّقُـهــا الـفِـعــالُ
عـلـىٰ القلب السليـم بنـوا وشـادوا ... لـهـم مـلـكـا وبـالـملـكوت جالـوا
وبالـظـنّ الـجـمـيـل جـنـوا ثـمـارا ... زكـيــات بـهــا زكــت الـخــلال
رضُـــوا أبـدا بـقـسـم الله حـظـا ... وهــل فــي قـسـمـه إلا الـكـمـال
علىٰ الـسـراء شـكـــرانٌ وحـمـد ... وفــي الـضَّـــرَّاء صـبـرٌ واحـتـمـال
فـلـيـس لـهـم علىٰ القـدَر انـقـاد ... ولـيـس لـهـم عـلـىٰ العمـل اتـكـال
جـمـال الله أذهـلـهــم فـهـامـــوا ... وادهـش بـالَـهـم مـنـه الـجـلال
فـمـا سـكـنـوا إلـىٰ الـدنـيـا قلوبـا ... ومـا ركـنــوا لـزخـرفـهــا ومـالــوا
وبـالـهـمـم الـكـبـار غـدوا كـبـارا ... لـسـطـوة بـأسـهـم يـعـنـو الـرجـال
تـرىٰ الأَحــوال حـائـلـة عـلـيـهـم ... ولـيــس يـغـرهــم بـالله حـــال
وتـشـتـدُّ الـزوابــع عــاصـفـات ... بـمـا عـصـفـت بـه وهـم الـجـبـال
لــذاك أعـزهــم ابـدا بـعـــز ... رفـيـع لا يـحــوم بـه انـخـذال
وكـيـف يـذوق طـعـم الـذل قـوم ... لـهــم عــزٌّ بــه ولـهــم دلال
اذا ابـصـرتـهـم أبـصـرت قـومـا ... عـلـيـهــم مــن هـيـابـتـه ظِـلال
فـكـن أبـدا مـع الأَبـرار واجـنـح ... لـهَـدْي إمــامـهــم فـهـو مـثــال
رسـول ســنّ سـنـتــه طـريـقــا ... مـعـبَّـدة يـتــاح بـهــا الـوصــال
ولا يـفْـتِـنَّـك بـالـدنـيـا هـواهــا ... زخـرفـهــا فـأكـثــره ضَــلال
وكـيـفَ تـريـد فـي الـدنـيـا خلـودا ... وعــن قـرب تـسـيـر بـك الرحـال
دع الـدنـيـا وزخـرفـهــا وعــرِّج ... إلـىٰ الأُخـرىٰ هـوّىٰ فـهـي الـمـآل

الخمر

الـخـمـر شـربـة رجس أمُّ ارجـاسِ الـخمر صاعقـة تـهـوي على الراسِ
الـخمر مـحنة سـوء من اصيب بـها أصيـب فـي كـل وعـيٍ منـه حساس
الـخمر فاس خـراب هـدمـت أسـرا مصـونـة عـاث فيهـا صاحب الفاس
يـا شـارب الـخمر ما ترجوه من دونٍ للعرض غـولٍ عـقـولٍ لـص أكـياس
مـا الـخمر إلا ظـلام للنفـوس فـلاً يـغـررك منها شعـاع لاح فـي الكاس
عـلى الفؤاد بـهـا الـنـيـران مـوقـدةٌ وفـي الـدمـاغ لـهـا دقّـات أجـراس
وكـيـف تـظـفـئُ نبـراسًـا حبـاك بـه ربُّ الـبـرايـا وتـبـقـى دون نبـراس
فحطِّم الـكـأس واهـجـر كـل رفقتها تـعـشْ وتـأمـنَ ألْـسـن الـنـاس

يا ابن الليل!

قيام الليل حِلية كل بَرٍّ بباب الله قام له خديما
إذ جن الظلامُ عليه أغفى وقام يسابق الليل البهيما
بنافلةٍ يطيل بها قيامًا وقرآن يرتله قويما
مضى متهجِّدا كالنجم يسري وجد يسبِّح الله العظيما
تضِنُّ بسره سودُ الليالي وتضرب حوله سترا جسيما
تناجيه الملائك في دجاها وترضى ان يكون لها نديما
فيا آبن الليل بارِ النجمَ وآقطف جنى الأَسحار وآغنمها نسيما
ويا آبن الليل باهِ الصبحَ نورا متى حيًّا محياك الوسيما
فما عفَّرتَه لله إلاَّ تهلَّل مشرقا وصفا أديما
وليس يراه من يلقاك الاَّ رأى أثر السجود عليه سِيما
تمتَّع من شميم رُباك طيبًا فإن عَرارها أزكى شميما
وما قدمت من خير خفيٍّ فإن الله كان به عليما

اجتماعيات وسياسيات

باخرة الموت

علام يظلُّ دهرك مستريبا؟ تسائله ويأبى أن يجيبا
ويغضي عن شكاتِك مستخفًّا كأنك في شَكَاتِكَ لن تصيبا
فيا لله من دهر تغافَى عن البلوى ولم يُبصر قريبا
ويا لله من دهر تجافَى عن الذكرى واكبر أن ينيبا
ألم يوقن بأن الخطب خطب تكاد له البصائر أن تغيبا
أَلم يوقن بأن الخطب أنحى على العمال شبانا وشيبا
قَسَا البلد الحريج وضاق ذرعا بهم فتيمموا البلد الرحيبا
وأدرك رَبْعَهم جدبٌ مُشتٌّ لهم فاستقبلوا الرَّبع الخصيبا
وقالوا إن في باريس عيشا يروق غضاضةً ويلَذ طيبا
وقالوا انها تُسلِي المعنَّى وقالوا انها تُؤوي الغريبا
وإن لها من الحسنَى لحظًّا وان لنا من الحسنى نصيبا
ألسنا المخلصين لها حضورا ألسنا المخلصين لها مغيبا
محضناها المحبة واغتدينا نطارحها التغزل والنسيبا
ولبينا مهيب الحرب لمَّا أهاب بنا فأرضينا المُهيبا
فسدت في وجوههم النواحي مسالكَها ولم ترحم حبيبا
وقامت ضجة في الغرب كبرى تصب عليهم النقد مريبا
فكم من قائل أخشى وحوشا تدِبُّ بأرض باريسٍ دبيبا

وكم من قائل أخشى زنوجا تُبيح القتل والذَام المَعيبا
فقل للقائمين على فرنسا أنيبُوا وارتأوا رأيا لبيبا
وقل للقائمين على فرنسا تعالوا فاشهدوا الخطب العجيبا
جسوم في «فِرُوشَ»[1] مجدلات تعاني تحته الغاز الرهيبا
وَأجساد ممزقة الحشايا تكاد لها النواصي أن تشيبا
حديد «فروش» يفريها شظايا وعزف «فروش» يبكيها نحيبا
مشائيم أناخ البؤس فيهم فمزق ثوبَ أمنهم القشيبا
وصب عليهم الارهاق سَوْطًا من البلوى فكان لهم مذيبا
فريح القر تعصف زمهريرا وفيح الحرِّ يلفحهم لهيبا
مصاب نملأُ الدنيا أحتجاجا عليه عسى المناوئ ان ينيبا
فحسبك أيها الخطب المفاجئ لقد أشهدتنا اليوم العصيبا
فأبكيت الهلال به وطَهَ وأبكيت أبن مريم والصليبا
وسر في ذمة التاريخ خطبا رهيبا في مسامعنا مهيبا
وحسبك أن أثَرت شجون نضو كئيب يألف النضو الكئيبا
اذا ما صَوَّت الناعي بأرض تراه بسفك عبرته مجيبا
يناغي البائسين كما يناغي لعمري العندليبُ العندليبا
ويحيي في رِثائهم الليالي وينهض في مصارعهم خطيبا
بقلبٍ يلفِظ الأنفاس حرَّى وعينٍ تذرِف الدمع الصبيبا
فيا ظئر (الجزائر) يا فرنسا أيجدر بالجزائر أن تخيبا؟
تُناويك المَمَالك وهي تصبو إليك فهل رأيت لها ضريبا؟

(1) فروش: محرف من اسم الباخرة، والعامة تسمى هذا الثغر الذي تحمل الباخرة اسمه هكذا: «سيدي فروش»

ويـا ولـد الـجـزائـر صُـنْ حـمـاهـا   وكــن بــرًّا بـسـاحـتـهـا أديـبــا
ولا تـخـشَ الـوقـاع بـهـا فـإنـي   رأيــت الله مـطَّـلـعــا رقـيـبــا

في الاستعمار الفرنسي عدة صفات من جهنم منها: أن من ابتلى به لا يموت ولا يحيا، كما أن من دخل جهنم لا يموت فيها ولا يحيا. والاستعمار الفرنسي في الجزائر كله دائر على هذه الصفة. فهو بعد أن جرد الجزائريين من أسباب الحياة وتركهم حفاة عراة جياعا، ليسجل عليهم العبودية المؤبدة للسادة الأروبيين، يعملون لهم ليلا ونهارا في سبيل القوت المقتر، فإن زاد فتح لهم طريق في فرنسا للعمل بسواعدهم لا بعقولهم في مصانعها وكان الجزائري الذي يصل إلى فرنسا يعد نفسه سعيدا فيها لارتفاع الأجور نوعا ما، بحيث تكفيه وتكفي أولاده المتخلفين، وكانت كثيرا ما تثور ثائرة المعمرين لنقصان الأيدي العاملة في كرومهم الواسعة وحقول القمح المترامية الأطراف، فتعود الحكومة إلى استرضائهم بتحجير السفر على الجزائريين. وفي ذات مرة ضاقت الحياة بجماعة أولئك العملة ففروا إلى فرنسا متسللين في باخرة اسمها (سيدي فرج) باسم الثغر الذي أنزل منه أول جندي فرنسي من جنود الاحتلال الأول... وأخفاهم صاحب الباخرة في عنابر سفلية مظلمة مشبعة بالغازات، خالية من الهواء، وأغلق عليهم الأبواب، فما كادوا يصلون مرسى (مرسيليا) وتفتح عنهم الأبواب حتى مات منهم أحد عشر رجلا بالاختناق، وكان الآخرون بمقربة من الموت.. وكانت ضجة عظيمة بعد أن افتضحت هذه الحقيقة الشنيعة، ذلك كله أثر في نفس الشاعر، ففاضت بهذه القصيدة يصف المأساة ويتوجع لها وينعي على فرنسا هذه الجريمة التي تسببت عن تحجير سفر العمال إلى فرنسا..

يا نفس

نشرت في (الشهاب) ج 1 و8 جانفي 1932 غرة رمضان 1350

عـرفـتـك يا نفسُ ازهري أو ترهـبـي ... علىٰ كـل حـال مذهبي فيك مذهبي
عـرفـتـك نـفـسـا بالـغـرور مريضـةً ... قـديـمًـا فمـا تُجدي ضروب التطبُّب
مـبـاءة نـكـــران وورِد ضـلالـــة ... ومـنـبـت خـسـران ومـهـد تـقـلُّـب
إِخـالُـك لـيـثًـــا بـيـن جنبيَّ أغلـبـا ... نـمن لـي لليـث بيـن جنبـيَّ أغلـبِ
يـرَوِّعـنـي بـالـوثـب والـزأر دائـمًـا ... ويـحـبِـسـنـي مـا بـيـن نـاب ومِـخلَب
أفـي كـل يـوم مـنـك بـالـلـوم غـارة ... عـلـــي لـقـد أتـعبتِـنـي شرَّ مـتـعب
تـريـديـن يـا نـفـس الـحياة طلـيقـةً ... وتـهـويـن أن تَـلـهَـيْ عليهـا وتـلـعبي
تـريـديـن يـا نـفـس الـحيـاة طويلـة ... لـتـقـضـي عليهـا مـأربًـا إِثْـر مأرب
مـآرب لا تـنـفـك تـترىٰ كـأنَّـهـا ... كـواكـب تـبـدو كوكـبًـا إِثر كـوكـب
ذَرِي فـي الدَّعاوي والمنىٰ كلَّ رغبـة ... فمزْنُ الدعاوِي والـمنىٰ غيـر صيِّب
وغُـرِّي بـغـيـري لا تغُـرِّي بعـارف ... خـبـيـر ببـرق مـن عَفـافـك خُـلَّـب
فـمـالَـك ان شـعَّ الـسـراب بمهْـمَـةٍ ... من الأَرض يمَّمْتِ الـسَّرابَ لتشربي؟
حسبتِ شعاع الشمس في الأَرض مورِدا ... ومـا هـو فـوق الأَرض غيـر التَّلَهُّب
حسبت شعاع الشمس في الأَرض ثابتا ... وأَيَّـانَ مـا تـغربْ بـهِ الشمسُ يَـغْرب
رِدِي التُّربَ والأَحجـارَ والـريحَ والعنـا ... فـذلـك مـــا يُـبـلَـىٰ بـه كلُّ أشعبـي
وذِي مـأربٍ فـي نـفـسـه لـم يـفـزْ بـه ... يـرانـيَ ظلـمًـا دونــه سَــدَّ مــأِرب
فــان الـقـه يـخـلـد الـيَّ ويـنـشـرح ... وان أَعْـدُهُ يـعـتـب عـلـي ويـغْـتـب

ألـم يـكـفـه أنـي أحـارب حـيَّـة فـيَـرْمِـيَـنِـي مـنـه بـأروغ ثـعـلـب
ولـي مـطـلـب صعبُ الوسائـل مُوعـر فـياويـح نفسـي من وسـائـل مطلبـي
سأحـمـلهـا فيهـا علـى الـموْت ساخرًا مـن الـمـوت أو ترمي شعـار التَّهَيُّبِ
ذريـنـيَ أنـصَـب للعلـى جُهد طاقـتي فـلـم يَـرْقَ فيهـا مَنْصِبًـا غيـرُ مُنْصَب
خذي الـجد زادا فـي مَسيرك والـحقي بـهـا والـيـهـا فـاركـبي كـل مركب
فـلـيـس بـحـرٍّ مـن يرى الـعـزَّ مـمكنا ويـبـقـى أسـيـرَ الـذل تحت التغلب
وأغـربُ خطب هالنـي خطبُ مـوْطـنٍ لنـا منعته الشمسَ أسـرابُ أغرُب[1]
كـمـا حـبـسـتْ عنـه الرياحَ وعارضت لـه دون سيْـل القطر مـن كل مسرَب
بـأجـنـحــة ســود كــأن خـيـالـهـا ظـلامٌ بـلـيـل قـاتـم الـوجـه غيهَـب
فـيـالـكَ فـردَوْسًـا تـحـوَّلـت دمْـنَـةً ويـا وحـشـتَـا مـن أغرب فيك نُعَّبِ
ويـا وحـشـتَـا مـن مـحـنـة نكبت بـهـا سـلالـةُ مـازيـغ وفـتـيـةُ يَـعـرُب
تـسـام بـخـسـف وهـي ولْـهَـى حزينـةٌ وتُـوسمُ إفـكًـا بالـخَنَى والتعصـب
وكـم قـائـل فـازت بـنـيْـل حقوقـهـا ولـمـا تـفـزْ إلا بـعـنـقـاءَ مُـغـرب
ويـا نـفسُ كم نفَّستُ كربَك في الصّوبى بـجَـمِّ الأَمـانـي وهي شِنْشِنَـةُ الصبى
فـلا تـعـذلـيـنـي فـي التشاؤم بعـد مـا نبـت بي صروفُ الدهر عن كل طيب
تـريـديـن خـوضـي فـي الأَمانـي تَعِلَّـةً وذلـك أمْـرٌ إنْ أخـض فـيـه أكـذب
وتـشْـكـيـن مـنـي عـزلــةً وتـجـنُّـبـا ومن فـرط وجـدي عـزلتي وتـجنبي
ومــا أنــا الا طــائــرٌ فــوقَ بـانَـة يـرددُ سـجـعًـا خافتـا ذاتَ مَغـرب
يُـسِــرُّ بـه تـحـت الـدجى متـسـتـرًا ليأمـن رمـيَ الـصـائـد الـمـتـرقـب

---

(1) هذه الأبيات والتي تليها كانت مثار مضايقات للشاعر من الدوائر الاستعمارية، ومن (ميرانت) مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة آنذاك.

فـلا تـحـقِـري صوتـي الرقيـقِ فإنـه — من الشعب كالسِّلك الرقيق المكهرب
ولا تـحقـري ضعفي وَلِيني ففيهمـا — رضَـى الله لا فـي قـوَّتـي وتـصلـبـي
وكم من أخ فـي الدين خان فلم أخن — ولاطـفـتُـه أرجو الـسَّـمـاح كمذنب
أخـوه أنـا مـادام يـقـبَـلـنـي أخًـا — وفـي حُرْمَـتِـي مـادام في حُرمة الأَب
ولـسـت لـغـيـر الله أرهـب سـطـوةً — فمـا كـان غيـر الله عنـدي بمُرهـب
ومـا كان غيـر الـرفق عنديَ صالـحا — لـشعبٍ مريض بالـهوى والـتـحزُّب
فـيـا أيـهـا الداعـي الـى الله لاَ تَـحِـدْ — عن الـرفـق إن الـرفـق أربَـح مكسب

هذه جدوة

نشرت في العدد (43) من جريدة البصائر سنة 1936.

خاطر هاجسُ من غدٍ واجسُ
ورؤًى لونُها حالكٌ عابِس
ومُنًى دونها مهمَةٌ طامس

وجوًى في الحشا نَاخِرٌ نَاخِس
وأسًى لم يَذُقْ مثلَه بَائِس
تلكَ حال امرئٍ شعبه ناعِس

نُحْ على أمّةٍ حظُّها تاعِس
أمةٌ مجدُها دَارجٌ دَارِسُ
أمةٌ مالَها قائدٌ سَائِس

فِي مَهَبِّ الهَوى نَبْتُها مائس
قد نبا سيفُها وكَبَا الفارس
أبإصلاحِها يهْمِسُ الهَامس؟

وبإفْسادِها يجْرسُ الجَارس؟
كلُّ رأسٍ بها مُطْرِقٌ ناكس
كلُّ قلبٍ بها حائِرٌ يائس

خصمُها دائبٌ فوقَها دَائس
وَبَنُوهَا أخٌ لأَخ بَاخِس
وهَوًى منهمُ لهَوًى عاكس

وجَهولٌ على عالِم نافِس
هل دَرَى قائمٌ باسمِه جالِس
أنّه غَامطٌ حقَّنا غامِس؟

غرَّه ما به يلْبسُ اللاَّبِس
ربَّ حدْسٍ به حازَفَ الحادِس
وقِيَاسٍ به أخْطَأ القائِس؟

هذه كَسْرةٌ هل لَها كابِس
جرها نابزٌ بالأذَى نابِس
أتُرى ينثَنِي عُودُهُ اليَابِس

أم تُرى ينجَلِي عُذْرُه الحابِس
انَّ جوَّ الهُدَى مُشرِقٌ آنِس
نحن في بيئَةٍ لِصُّها حَارِس

فَازْعَ فيها الجَنى أيها الغارس؟
قلْ لشعبٍ سجَى ليُلُه الدَّامس
هذه جذْوةٌ هل لها قابِس؟

يا فرنسا

نشرت في مجلة الشهاب ج 12/4 جوليت سنة 1936

يا فرنسَا بـكِ الجزائر لاذت وأكنَّتْ لكِ الولاءَ الشديدا
فاز فيك (اليسارُ) فاليوم لا عُسْـ ـرَ أليس اليسارُ فألاً حميدا
فاز فيك (اليسار) فالأمة اليو مَ ستُفدَىٰ بما عسَىٰ أن يُفيدا
فاز فيك (اليسارُ) فاقتربتْ منـ ـكِ وناطتْ بك الرَّجاءَ الوطيدا
أجمعت أمرَها (لِمُؤْتَمَر الشَّعـ ـبِ) فوفَّتْهُ مِهْرجانًا وعيدا
صرخ الشعبُ فيه صرخَتَهُ الكُبـ ـرَىٰ ونَاداكِ يستردُّ الفقيدا
ليس حقا أن تَحْرِمي الشَّعب حَقًّا لَقِي النَّارَ دُونَهُ والحديدا
ليس حقا أن تستريحي ويَشقَىٰ ليس حقًا أن تسكنِي ويَمِيدا
ليسَ حقا أن تستجدِّي ويبلىٰ ليس حقًّا أن تَخْلُدِي ويَبِيدا
يا فرنسا رُدِّي الحقوقَ علينا وأقِلِّي الأذَىٰ وكُفِّي الوعيدا
نحن رغمَ الطُّغاةِ في الأرضِ أحرَا رٌ وان خالنا الطُّغاةُ عَبيدا
نبتغي السِّلم والهدُوءَ ونأبىٰ أن يُكادَ امْرُؤ لنا أوْ يَكِيدا
حسبنا العدلُ لا نَهُمُّ بأن نَثْـ ـأرَ مِن حاكم بَغَىٰ أو نَقيدا
فدعِي الماضِي الحزين بما فِيـ ـهِ وهاتي الغد الرَّضِيَّ السَّعيدا

هل من جديد؟

القصيدة نشرت في العدد (14) من جريدة «البصائر» سنة 1936 وفي مجلة (الشهاب) بهذا التعليق:

اقترحنا على الشاعر الشباب بل أمير شعراء الجزائر الأستاذ (محمد العيد) أن ينظم لنا أبياتا في مخاطبة (لجنة البحر العليا) بمناسبة اجتماعها الأخير، ومقال جريدة (الطان) الذي أقام الأمة وأقعدها تخليدًا لذكرى هذه الحادثة وإبقاء لها ما بقي التاريخ لأن الشعر يحفظ ولا ينسى، فأجاب الاقتراح وعبر عن شعورنا وأعرب عما في ضميرنا بهذه الأبيات العامرات الخالدات، إن شاء الله.

يا لجْنَة البحر خبِّرينا ... هل فِيكِ للشعب مِن مُفيد
جريدة (الطَّان)[1] أنذَرَتْنا ... بحادثِ السُّوء من بعيد
وأنت تدْعِيننا لنَوْم ... منعَّم بالرُّؤى سعيد
إلى متى تُنشدين فينا ... أنشودةَ الأُمِّ للوليد؟
يا لجنَةَ البحر لا تَحِيفِي ... عن جانبِ العدلِ أو تَحيدي
هل من جديد لديكِ يعطى ... للشعب في عامهِ الجديد؟
هل من جديد فقدْ سئمنا ... سياسةَ الوَعْدِ والوعيد؟

(1) جريدة الطان: من أوسع الجرائد الفرنسية انتشارا في تلك الفترة.

يا شرق

لا يقتصر شعر محمد العيد على القضايا المحلية أو العربية، بل يساير الحركات التحررية في افريقيا وآسيا، ويشارك في القضايا الانسانية عموما.. وهذه القصيدة عن سقوط الحبشة الافريقية في يد إيطاليا العاتية.

وقد نشرت هذه القصيدة في العدد (21) من جريدة البصائر سنة 1936م

مَن يُسكِتُ الليثَ ومَن يُسكِنُ؟ إن هدُوءَ اللَّيث لا يُمكِنُ
غابَ عن الغابِ فلا مَوْطئٌ يُرضيه كالغابِ ولا مَوطن
دَعْوهُ يَزْأرْ واثبًا بعدها فالزَّأرُ والوثْبُ له دَيْدَن
نجا النَّجَاشِي ناشِدًا مأمَنًا وما علَى وجهِ الثَّرىٰ مَأمَن
(أديس أبابا) اليومَ دِيست فلا أوراقهَا تندَىٰ ولا الأغصُن
نَوَّحَ طيرُ الرَّوْضِ مِن حولها وصوَّح الزنبق والسَّوسن
صَال عليها جيشُ (روما) فهلْ صاوَلَهُ الأحباشُ أمْ أذعنوا
ما حَالُهُمْ والنارُ تُصليهمُ والجيشُ عاثٍ فيهمْ مُثْخِن؟
والغازُ في الأخلاق يَغزُوهُمُ وفي الكِمامات لهمْ يَكمُن
آدتْهُمُ أيد حديديَّةٌ تحصِدُ خلقَ الله لا تُحصِن
يبغِي بها الباغون أن يَحظِروا حريةَ الأَشخاص لا يَحضِنوا
قالوا مدَدْناها لتمْدينهم فبئسَ ما مدُّوا وما مَدَّنوا
مَال بَان (روما) لِلأذىٰ جَرَّدت سيفًا لها في دِينها يطعَن!؟

هل بالأذى يسمح (عيسى) لها | وهل به إنجيلها يأذن!؟
أيزدري بالدين (بطريقها) | ويسكت (البطريرك) الديّن
هل (فاتكان) القوم عن فتكهم | بالخلق يرضى أم له يحزن؟
قد لقّن الحكمة رهبانها | فلقبوا رسلاً بما لقّنوا
معاذ رسل الله أن يركعوا | فوقًا لغير الله أو يركنوا
(نيرونُ) روما قام من قبره | في أرضها يفتن من يفتن
قد أعول العالم من معول | يهدم فيه السلم لا يهدن
وأرعب الأرعن جيرانه | فهل درى من أرعب الأرعن؟
في أمة (السكسون) غيظٌ على | غيظ ستذكي ناره الأزمن
والشرق – ويح الشرق – مستغرقٌ | في النوم لم تطرف له أجفن
يا شرق خذ حذرك من جيرةٍ | هاموا بحب الجور مذ هيمنوا
يؤمن في الجيرة وحش الفلا | يا شرق والغربي لا يؤمن
يبدي لك الغرب رؤى حلوةً | وتحتها يبطن ما يبطن
أما ترى الأحباش لم يحمهم | حام سوى ما يدهن المدهن
دخائل الأقوام مدخولةٌ | فلا يغرنك ما أعلنوا
(إثيوبيا) اليوم مثاباتها | تخزى وذكرى ملكها تخزن
اليوم والأعراب تغرى بها | يذاد عنها كنزها الأثمن
اليوم لا ينجو على ظهرها | لا منبتٌ خصبٌ ولا معدن
اليوم ينفى كل (رأس) بها | حرٌّ ويخفى حقها البيّن
يا مهجرًا كالخلد فيما مضى | لاذ به واستأمن المؤمن
هل تذكر الأصحاب تسرى بهم | الى حماك الأينق الأيمن؟

اذ (بَكّةٌ) تبكي وهم في الدُّجَىٰ عنها (ابن مَظْعُونٍ) بهمْ يَظْعَن
واذْ رسولُ الله يَرجو لهمْ مَا يَجْمَعُ الشمْلَ وما يضْمَن
واذْ قريش في صُنوف الأذَىٰ ورَاءهمْ تُمعنُ ما تُمعِن
إنّا مَدينونَ لِخلٍّ خلا[1] نُحيي لهُ الذِّكرىٰ ولاَ نَدْفِن
أكرمَ فيكَ الصَّحبَ فاسْتَمْرَأوا في ظلِّه مرعاكَ واسْتَوْطَنوا
ولابنكَ العالي له فِي الوَرىٰ[2] ذكْرٌ بهِ غُرُّ الوَرَىٰ أذَّنوا
الصَّابرُ المُوقِنُ في مِحنَة يذهل فيها الصابرُ المُوقن
يا معشرَ الأحباش صبرًا لما يُدْمي من الجُرح فما يُلْمِن
أنتمْ لنا رغمَ النَّوَىٰ إخوةٌ فما علينا خَطْبُكُمْ هَيِّن
ما عندنَا حَوْلٌ سوَىٰ ما بِه مِن التَّعازِي تنبسُ الألْسُن
فأسمِعوا الأحرارَ شَكْواكُمُ حَرَّىٰ عسَىٰ أذْنٌ لكمْ تأذَن
لا يحسبِ الباغون عُقْباهُمُ حُسْنَىٰ فَعُقْبَىٰ البَغْي لا تَحسُن

(1) هو النجاشي أصحمة الذي آوى بعض الصحابة المهاجرين إلى أرض الحبشة.

(2) هو بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يا وفد

نشرت في العدد 29 من جريدة البصائر سنة 1936

صادِفْ رضًى والْقَ رِفدا يا وفدُ بوركتَ وَفْدَا
وأمَّ باريسَ ركبًا باليُمنِ تَحدو وتُحدَىٰ
باسْم الجزائر فاسْأَلْ باريسَ لا تخشَ رَدًّا
ان الجزائر تَرْجُو باريسَ أنْ لاَ تُصَدًّا
خاب الذين أقاموا بين البلاَدَيْنِ سُدًّا
غدًا بباريسَ تلقَىٰ عطْفًا وتكسِبُ حمْدا
غدًا ستسْمع فيها صوتَ العدالة يَصْدىٰ
فاكْشِفْ لهَا السِّرَّ واصْدَعْ بالحق لا تَأْلُ جُهدا
وابسط مطالبَ شعب نادَىٰ بها واستعَدَّا
يا وفدُ أمرك جِدٌّ فاصْرفْ له العزمَ جِدا
قُلْ للدَّلِيلَةِ سِيرِي بنا إلىٰ الوردِ قَصْدا
إِطْوِي بنا السيرَ طيًّا ولا تَمُدِّيه مَدا
فكم أمانِيُّ ظَمْآىٰ أتَتْكِ تطلُبُ وِرْدا
أوردتها مثْلَ (سَعدٍ) لا بل تجاوزْتِ (سَعْدا)[1]
يا وفد ذكِّر فرنسا عهدًا تقادَمَ عهْدا

(1) إشارة إلى قول الشاعر:

أوردها سعد، وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل

قُلْ مَسَّنَا الضُّرُّ قَبْلاً ... وخانَنا الصَّبْرُ بعدا
متى تَفِينَ بوعدٍ ... يا أعذبَ الناسِ وَعْدًا؟
لابدَّ أن تَمْنَحِينَا ... ما لاَ نَرَى مِنْهُ بُدًّا
فكمْ وسِعْناكِ بِرًّا ... وسِعْتِهِ اليومَ جَحْدا
وكم بخِلْتِ فَقُلْنَا ... لعلَّها سوف تَنْدَى
وكم ظلمت فقلنا ... لعل للظلم حدًّا
الحربُ تشهدُ أنَّا ... كنَّا بجنبكِ أُسْدا
أَئِنْ دَجَا الخَطْبُ نُدْعَى ... وإن جَلاَ الخَطْبُ نُعْدَى؟
أَيُحْرَمُ النَّفْعَ شعبٌ ... عليكِ بالنفعِ أَجْدَى؟
فخَفِّفِي الحَجْرَ عنَّا ... إنا نُضاهِيكِ رُشْدا
انا نُقاضيكِ دينًا ... قد آن أَنْ يُسْتَرَدَّا
حقًّا لنا منكِ يُقْضَى ... لا نعمةً منكِ تُسْدَى
جئناكِ كالأُمِّ نشكو ... أَخًا علينا تعدَّى
(معمَّرًا) لكِ أَخْلَى ... وبانيًا لكِ هَدًّا
لم يَعْمُرِ الدَّارَ إلاَّ ... ليوسعَ الجارَ طَرْدا
صاحَبَنَا مُسْتَغِلاًّ ... وساسَنا مُستَبِدًّا
إن أَبْصَرَ الحُسْنَ أَخفَى ... أو أَبْصَرَ القبحَ أَبْدَى
لقد تهيَّأ سِرًّا ... لحربنا وتصدَّى
وَوَدَّ لو لم نُصادِفْ ... مِن (جَبهَةِ الشَّعب) وُدَّا[1]

---

(1) في سنة 1936، قامت في فرنسا حكومة ائتلاف من أحزاب اليسار اطلقوا عليها اسم (الواجهة الشعبية) واغتر الجزائريون بالمظاهر التي ظهرت بها تلك الحكومة، وكان من نتائج ذلك أن تداعى العلماء والنواب المسلمون، ومن ورائهم الأمة كلها إلى عقد مؤتمر تمثلت فيه الجزائر كلها، وقرر المؤتمر بالإجماع تشكيل وفد إلى باريس يحمل نسخة من مطالب الأمة الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

إلى متى وهو يجزي   عن خالص الحب حقدا؟
إلى متى وهو يشقي   شعبًا ليسعد فردا؟
أيجعل الضد خلقا   ويجعل الخلف ضدا؟
ويحسب العبد حرًّا   ويحسب الحر عبدا؟
نحن الحنيفون دينًا   نحن المنيفون مجدا
من سامنا الهون آذى   (محمّدًا) (وَمَـ ـدًّا)

***

يا وفد خلّفت ذكرى   تبقى على الأرض خلدا
زنت (الجزائر) حشرًا   لها وزانتك حشدا
رُح آمنًا واغدُ جذلاً   وطب مراحًا ومغدى
يا شعب بشراك هذا   خيرٌ لجيلك يهدى
زال الردى عنك فاسلم   نحن الحمى كيف تردى
فخطَّ للعز صرحا   وخطَّ للذلّ لحدا
وسل من الموت قربا   تنل من الموت بعدا
فلم نزل لك حصنا   و(للجزائر) جندا
إن (الجزائر) منّا   بالروح والمال تفدى

= وقد كان لاجتماع هذا المؤتمر تأثير عظيم في نفس الشعب الجزائري، وبعث الآمال الكمينة، والتشوف إلى الغايات التي يرجوها، ويعمل لها العاملون من أبنائه.

وفي غمرة هذا التأثير، جاشت قريحة شاعرنا بهذه القصيدة يخاطب بها الوفد ويودعه ويتيمن بهذه الوفادة وفيها أبيات كانت معانيها سائغة في ذلك الوقت الذي كان الشعب الجزائري يقنع فيه ببعض الحق. أما اليوم، قد جاوز الأماني إلى العمل فقد أصبحت تلك المعاني ممجوجة في ذوقه بعد أن أصبح السيف هو الحكم بينه وبين فرنسا. فمعذرة لقراء الديوان إذا أثبتنا تلك الأبيات التي هي تصورات في زمن غير هذا الزمن.

وللشاعر مع هذا فضل أي فضل في تنبيه الأفكار قبل ذلك الزمن إلى الغايات التي يجب أن يسعى لها الشعب متئدا متدرجا.

القاهرة

(محمد البشير الإبراهيمي)

ذكرى المؤتمر

أنشدت في الذكرى الأولى للمؤتمر الإسلامي التي أقيمت بالعاصمة في شهر أغسطس سنة 1937م ونشرت في مجلة الشهاب ج: (6) م: (13) سنة 1937م

أَقِيمي لا تُفارقك السُّعودُ ... سلامُ الله أيّتها الوفودُ
شهِدْتِ اليوم مؤتمرا عظيما ... أغرَّ لمثله يجب الشهود
به تُبنى الجزائر من جديد ... وتُسْتَحْيا المآثرُ والجدود
ونبعث صوتنا الشعبيَّ حرًّا ... يدوِّي مثلما دوَّت رعود
ونقْتَحِمُ السُّدود الى حقوقٍ ... حُرمناها وإن علَت السدود
بلغنا رشدَنا يا كونُ فاشهد ... وأدركنا فأذْعِنْ يا وجود
وجدِّدْ أيها التاريخ جدِّدْ ... لنا عهْدًا تَدين له العهود
سجلُّك شرعةٌ بالحق تقْضِي ... وقانونٌ تُقام به الحدود
فسجِّل واجباتِ الشكْر سجِّلْ ... لشعبٍ عن كرامته يَذود
ويا أمَلاً تألَّق من بعيدٍ ... كمثلِ النجم آن لك الصعود
هلمَّ بنا نصل حبْلاً بحبل ... ألمَّا يكْفنا هذا الصدود؟
ركبْنا للقضيةِ كلَّ صعْب ... نَرود من المراجع ما نرود
وأقسمنا بكل يمينِ صدق ... لها بسوى المَطالب لا نعود
وجاءتنا الردودُ بألف بُشرى ... فما أغنَتْ بها عنَّا الردود

متَىٰ تُوفَىٰ الوعودُ فقد مللنا تساؤلَنا، متىٰ توفَىٰ الوعود؟
أُعِدَّ لنا بوادِي (السين) وِرْد مُصفًّىٰ لو يُتاح لنا الورود
أَنظْمَأ للعدَالة يا فرنسا وعندكِ ماؤها العَذْب البَرود؟
اصابتنا الجوائحُ والرَّزايا وأعوزَت المرافقُ والرفود
حنتْ أعناقَنا الاغلالُ ظُلما وحزَّت في سواعِدِنا القيود
وأعْلَنَّا المظالم والشَّكايا فأخْفتها الدَّسائس والكُيود
وأنغِضَتِ الرُّؤُوسُ لنا هُزُوًءا وإنكارا وصُعِّرتِ الخدود؟
الم نُوسِعْك في الجُلَّى جُهودا ألَمْ تَحْم الحِمىٰ تلك الجُهود
فما هذا التجاهل والتَّناسِي وما هذا التَّنكُّرُ والجحود
وان نَبْعُدْ وإنْ نَشْرُدْ قُلوبًا فمنكِ البُعدُ باد والشُّرود
فسُوسِي المسلمين بكلِّ عدْل وخلِّي ضَيْمهمْ فهُمُ الأُسود
لهم في مُقْبلِ الأَيام شأنٌ به يتمخَّضُ الزَّمن الوَلُود
فَقُمْ يا ابنَ البلاد اليوم وانهَضْ بلا مهْل فقد طالَ القُعود
وقل يا ابنَ البلاد لكل لصٍّ تجلَّىٰ الصبحُ وانتَبهَ الرُّقود
تَنَادَىٰ المسلمون لأَخذِ حقٍّ أقرَّ به النَّصارَىٰ واليهود
ونحن المسلمين رجالُ سلْم وحرب فيهما زكَت القصود
بذلنا فيهما الأَعمارَ جودًا وليس وراء بذْل العُمر جود
وأحسنَّا السياسة وهْي صدقٌ ولا رُتَبٌ هناك ولا نقود
أنخزَىٰ والإلاه لنا وليٌّ ومنتصرٌ ونحن له جنود؟
معاذ الله أن نُخزَىٰ فيَرضَىٰ ويَجزِي بالقِلَىٰ وهو الودود
فخضْ يا ابن الجزائر في المنايا تظلِّلك البنودُ أو اللحود

بـاخـلاصٍ واقـدام وعِـلْـم يـسـود عـلىٰ الـبـريـةِ مـن يـسـود
وفـي حُـسـن الـقـيـادة كـلُّ خير فـلا يُـسِـيء الـقـيـادةَ مَـن قـيـود
ويـا شـعـبُ اجـتـنبْ حرب التَّعادي وخـلِّ الـلـغـوَ فـهـو لـهـا وَقـود
ولا تـزعـجـك بـادرةُ أفـتـراقٍ بـدتْ فـلـكـل عـاصـفـة ركـود
ولا تـيـأسْ مـن الـفـوْز الـمـرجَّىٰ فـقـد يـخـضـرُّ بـعـد الـيُـبـس عـود
بَـغَـىٰ الـبـاغِـي رَدَاك فـخـاب سعْيًـا لـلـبـاغِـي الـرَّدَىٰ ولـكَ الـخـلـود

يوم الشعب

ألقاها الشاعر في يوم الذكرى الثانية للمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1937.
ونشرت في مجلة الشهاب ج: (5) م: (13) جويلية 1937م

اليومَ موسِمك الأَغرّ يا أيها الشعبُ الأَبرّ
اليوم تُمتَحن السّرا ئرُ في هَواك وتُختبر
اليومَ يظهَر من وفَى بالعهدِ فيك ومَن غدر
اليوم تجتَمع الوُفو دُ على ولائك والزُّمَر
اليوم فيك جفاك يُحـ ـسَى اليوم عهدُك يُذَّكر
اليوم نرجو أن نُحقِّـ ـقَ ما نؤمِّل من وَطَر
اليوم يومُ الجدِّ يو مُ السعي فينَا والنظر
اليوم يوم الشعب حـ ـلَّ اليوم يوم المؤتمَر
ذكرَى معطَّرة ترِفْـ ـفُ كمِثلَ أفْواف الزَّهَر
ذكرَى مشرِّفة لمُؤ تمَر عليه الحَوْلُ مرّ
ذكرَى المطالب والحُقو ق لعَرضها شعبٌ حضر
يا شعب باركَك المُهيـ ـمن باسمه الأعلى وبر
يا شعب لُقِّيتَ الرِّضَى يا شعبُ وُقِّيت الضَّرر
يا شعب بالأمس ائْتَمَرْ تَ وذاعَ أمرُك واشتهر
وركبتَ عزمك راجيا أن لا يطولَ بك السَّفر

أتممت غرسَك للمنى ... وبقِيتَ تنتظر الثَّمَر
فمتى يُواتيك القَضا ... ومتى يواليك القَدر؟
ومتى الوفاء؟ فطالمَا انْـ ... ـتَظَرَ الوفاءَ مِنِ انتَظر!
ومتى يُمَنُّ عليك بالـ ... ـبشرى وتحظَى بالظَفر؟
حتَّام يُنظَر في المَطا ... لب والحقوق ويُفتكر؟
حتَّام مُبتَدأ المطا ... لِب والحقوق بلا خَبر؟
أبت السياسة في الجزا ... ئِرِ أن نُعامَل كالبشر
ولعلَّ مِن نُظُم السيا ... سةِ أن نُغَشَّ وأن نُغر
ولعل منها أن يُدَسْـ ... ـسَّ لنا ونُجْذَب للحفر
ولَعلَّ منها أن نُمَا ... طَل كي يُسَاوِرَنا الضجر
والملك في عِلم السِّيا ... سة مَعْرِضُ الحِيَلِ الكُبَر
كم للسياسة فيه ألْـ ... ـواحٌ منوَّعة الصُّور
كُفِّي فحكمُك يا سيا ... سةُ في الْوَرَى سُوسٌ نخِر
واليك عنَّا يا فجا ... ر فليس فينا من فَجَر
هل نحن الا للبُرو ... ر وأهلِه أزْكَى نَفَر؟
ما الشَّرعُ والقانون فيـ ... ـك سوى صحائفَ تُستَطر
تُمْحَى بحدِّ السيف إن ... لمْ تُمَحَ بالعِلَل الأُخر
تَلْهو السياسة بالمصَا ... لِح كالصَّوالِج والأَكر
فبِرميَةٍ منها نُساءُ ... ورَمْيَةٍ أخرى نُسر
لم يَخل ميدانُ السيا ... سة قطُّ من كَرٍّ وفَر
يا جارةَ السين الاما ... نَ بكِ الأَمانَ مِن الغير

فمنَ الأذىٰ غِبّ الأذىٰ ... ذُقنا الأمَرَّ على الأمر
نشكوك أم نشكو اليـ ... ـك أذىً تفاقم وانتشر
إن الجزائر جوُّها الـ ... ـوضّاح كالليل اعتكر
إن الجزائر خُلدها الـ ... ـزاهي استحال الىٰ سَقر
إن الجزائر شعبُها افـ ... ـتَقَدَ المرافق وافتقر
والمُدَّعِي العمران فيها ... اليومَ يخرِب ما عمر
أبدًا يُسيءُ بنا الظُّنو ... ن ونحنُ لم نَهْمُمْ بِشَر
أيظنُّنا خطرًا عليـ ... ـك ونحنُ ذواد الخطر
نحن البراء مِن الجحو ... د السالمون من البَطر
نحن الأعفَّاء الضما ... ئِرِ والأَصِحَّاء الفِطر
العائِذون مَن استعا ... ذَ العاذِرون من اعْتَذر
المكرمون لضيفنا ... شكرَ الضيافة أو كفر
المُؤثرونَ السِّلْم إلاَّ ... أنْ نُهان ونُحتقر
أنجابُ عَن طلب الحقو ... ق بأنْ نُراعَ ونَنْتَهر؟
ونعَدُّ من شرِّ الشرا ... ر ونحنُ من خيْر الخِير
هيهاتَ يأبىٰ الله يَا ... بىٰ المصطفىٰ تأبىٰ مُضر
الحق أجدرُ أن يُحكَّـ ... ـمَ في الشعوب وفي الأُسر
يا مبطل الحق اقترفـ ... ـتَ جنايةً لا تُغتفر
مَن أبطل الحقَّ استحَـ ... ـقَّ السَّخط فالحذَرَ الحذَرْ!!
أمر الالاه بأن نحقـ ... ـق الحق فيما قد أمر
أين المفرُّ من الإلا ... ه وحُكمه أينَ المفر؟!

أو تبتغي وَزَرًا يَصو ... نك منه كلاًّ لاَ وَزَر؟!
عبثًا تحاول بالمُنىٰ ... جَبرًا اذا القلبُ أنكَسَر
بالعدلِ والإحسان دَا ... وِ كَسيرَ قلبٍ أو فَذَر
بالعدلِ والإحسان سُسْ ... شَعبًا مِن الضيْم أنفَجَر
العدلُ والإحسان رُو ... حُ الله في الأَرض استقَر
يا أَيُّها الشعب أسْتَقِمْ ... في السَّير واتَّبعِ الأَثر
يا أَيُّها الشعب اتَّعظ ... في السَّالكين بمَن عبر
كن حازمًا جلْدًا جلْدًا ودَعْ ... عنك المُيوعةَ والخَوَر
سرْ تحت مؤتمرِ الجزا ... ئرِ فهُو فيها كالقَمَر
واحفِل بفِكْرته الموفَّـ ... ـقةِ المجيدةِ في الفِكر
وانفرْ اليه فانه الـ ... ـرُّكَن الشديد لمن نفر
وأضف الىٰ الحَجَر المقا ... م بصُلبه صُلب الحجر
لا دَرَّ دَر العامليـ ... ـن لنقضه ما دَرَّ دَر
سيجيء يومٌ للجزا ... ئر فيه تطَّرح الكدر!!
وتظل سيرةُ أهلها الأَ ... سيادِ سيدةَ السِّير
فكأنني بالحق فيـ ... ـها بعد حين قد ظَهر!
وكأنني بالخِصب عـ ... ـمَّ وبالنعيم بها زخَر
وكأن بادِيها أزدَهىٰ ... وكأن حاضرهَا أزدَهر
فلِكلِّ شَيء منتهىٰ ... ولكل أمرٍ مُستقَر!!

تقريظ كتاب محمد عثمان باشا

حين صدر كتاب (محمد عثمان باشا) للأستاذ أحمد توفيق المدني استقبله صديقه الشاعر بهذه القصيدة مقرظا ومنوها بتاريخ الجزائر ودولة الأتراك

ونشرت القصيدة في (البصائر) سنة 1937

أبحثْ فلن تَعدم من يُخبرُ قد تَنشُر الأَيامُ ما تُقبرُ
واستخبر التاريخ عن دولة مرَّتْ على اجلائها الأعصُر
كان لها في أرض «مزْغنَّة» مُلْك وسُلطان بها يزخر
كانتْ به تفخر مزهوَّةً وكان مَزهوًّا بها يفخر
حدِّثْ عن التُّرك وعن بأسهم فبأسُهم في الحرب لا ينكر
حدِّث – خلاك الذم – عن عسكر لهم خلَوْا ما مثلُهم عسكر
من كل جنديٍّ يخوض الوغى كأنه في ساحِها قَسور
أو قائد رَاياتُه تعتلِي أو (رَايسٍ)[1] أسطُوله يمخر
و(الدَّايُ) فيهم مُوردٌ مُصْدِر ما يورد الديوان[2] أو يصدر
حكومة الديوان دلَّت على عدْل من الترك لهم يشكر
قامت على الشُّورى فما دونها والٍ بأمر الحُكم يستأثر
قفْ حول بحر الروم مستفسرًا فكمْ وعَى الأخبار مستفسر

---

(1) الرايس: قائدة السفينة الحربية.

(2) الديوان: مجلس الدولة.

وقــل لــه مستطلعًا قل لــه … هل تذكرُ الأَتراكَ هل تذكر؟؟
هل تذكر (الريساس) تعْنو لهم … قرَاصن البحر وتستأسر؟
صالوا فلا الإِسبان تَثنيهم … ولا الفرنسيسُ بهم تظفر
عرش على الدَّأمَاء قد شادَه … من لا يخاف الموتَ أو يحذر
جرى الدَّم الأحمر من حولِه … فكاد يخفَى مَوجُهُ الأَخضر
يا بحر في عهدك خلفٌ مضَى … فهل تصون الحلفَ أو تغدر؟
(مزغَّنةٌ)[1] حولَك مأزومة … ويُسرها المرجوُّ مستَعسر
لا عُرْبُها في كلِّ حيٍّ بها … عُرْبٌ ولا بَرْبَرُهَا بربر
قد أدبر المُقْبِلُ من أمرها … وحكمِها مذْ أقبل المدبر
فكلُّ أرضٍ خِصبَةٍ جَدبَةٌ … وكل ربع عامرٍ مُقفر
ضاقتْ بنا الدنيا على رَحْبها … وساءنا المنظَر والمخبر
هل زُلزلت أرضٌ بنا فدَفدٌ … أم عَصفتْ ريحٌ بنا صَرصر؟
دجًى من الأَحداث مِلْنا بها … لليأس لو لا بارقٌ يظهر
ومعشر من نبتِ مزغنةٍ … في البر لم يلْحق بهم مَعشر
لاحُوا على اليُمن بآفاقها … كما يلوح العارضُ المُمْطِر
من عالم في نُصحها لايَنِي … أو كاتبٍ عن حقِّها يَجهر
أَو باحثٍ في درْس تاريخها … يدأب كالأَفلاك لا يفتُر
أما ترَى (أحمد) كيف أجتلى … للتُّرك عصرًا نيِّرا يبهَر
(محمدٌ عثمانُ باشا) به … ينهَى بسيف الحق أو يأمر
ويستشير الجندَ مسْتفسرا … كاللَّيث في أشباله يزْأر
حكومة زهراءُ في عصرها … دلَّ عليها كوكبٌ أزهر

(1) (مزغنة): اسم قديم لمدينة الجزائر.

دلَّ عليها كاتب ماهرٌ كأنما أنجبه عبقر
لا يبخس الأبطالَ حقًّا ولا يمُنَّ بالأعمال يستكثر
تلك الأيادي لا دَعاوٍ بها يهذِر كالمَحْموم من يَهذر
فاهنأ أخي (توفيق) وأبشر وكُنْ أجْدرَ من يهنأ أو يبشر
وضعتَ في الميزان جيلا مضى ما فيه تَستوفي ولا تُخْسِر
وقمتَ بالتبشير في أمَّة لبَّاك منها السَّامع المُبْصر
فادأبْ على التاريخ وأكشِف به حضارةً عن أهلها تُستر
نحن لأدْواح العُلى ننتمي وفرعُ شانِينا هو الأبتر
من كل خسران بنَا مُحدِق نعوذ بالله ونَسْتنصر
نصبُر ما استكبر أعداؤنا في الأَرض والعُقبَى لمن يصبر
فمجدُنا أعظمُ من مجدهم والله من أكْبرهم أكبر!!

تقسيم فلسطين

نشرت في جريدة البصائر سنة 1937

يا قسمةَ القدس انتِ ضيزَىٰ لَمْ يعْدِل القاسِمونَ فيكِ
مضَوْا علىٰ الحَيْف لم يُبالُوا بما جرىٰ مِن دَم سَفيك
القدسُ للعُرْب مِن زمانٍ لنْ يقبَلوا فيه مِن شَريك
قد سامَهُ الأَجنبيُّ خَسْفا وهدَّ مِن رُكْنه السَّميك
يا (لُنْدُرا) لوْ دَرَىٰ بَنُونَا لَمْ يأمنوا الغَدْرَ مِن بَنيك
إخالُ شعبَ اليهودِ سِرًّا سَبَاكِ بالعَسْجَدِ السَّبيك
أهَكَذَا تَفْصِلُ القَضَايا بِحُكْمها لجنةُ المَلِيك؟
قد دلَّ طُغيانُ أنكِلِتَّرا علَىٰ فَناء لها وَشيك

يا واديَ السّان

نشرت في جريدة البصائر سنة 1937

يـا (وادي الـسَّـان) أَوْرِدْنـا بِإِحْسـانِ ولا تُـمِـتْنا صَدًى يا واديَ (السانِ)[1]
أَلا اسقِـنـا من رَحيق بـالشَّذى عبِقٍ لا تـسقنـا مِـن حـميـم بـالأَذَى آنِ[2]
أنصفْ عِطاشًا أَرَادُوا منك أن يَـرِدوا فـذَادَهـم كـلُّ فـتَّـاك وفـتَّـان
لـهم عـليـك أيـادٍ جـمَّـة شهِـدت بـهـا وقـائـعُ (لامَارْن) و(فِرْدَان)[3]
انا قَـنَـعـنَـا فـلم نـسـألْ سوى ثـمَـن بـخْسٍ لِـمـا ابْتعتِ مـنَّـا من دم قاني
مـا لـلـحُـقـوق إِلـيـنـا غـيـرَ واصلة وقـد سمعْـنـا بـهـا مـن مُـنذُ أزمان؟
هـل عـاقـهـا البحْـرُ عنَّـا فهْيَ عاجزةٌ عـن قـطْـع مـا فـيـه مِن لُجٍّ وشُطآن؟
أم راقَهـا الـبـحْـرُ حُسْنًا فهي سابحـة تَـلْـهُـو بـمـا فـيـه مـن دُرٍّ ومَرجان؟
أم الـحِقـت بِبَـنَـات البحْر فاحْتجبتْ عـن كلِّ قـاصٍ من الـرَّائيـنَ أَوْدَاني؟
يـا بـاحـثًـا مُـمْعنًا في (كَشْف حَالَتِنا) إِلـىٰ متَىٰ أنـتَ فـي بَحْـثٍ وإِمْعـان؟
الـىٰ مـتَـىٰ أنـتَ مـنَّـا خائـفٌ حَـذِر كـأنـنَّـا فـي الـبـرايا جِـنْـسُ غيلان
قـد (ائْـتَـمَـرْنَـا) فـبَـيَّـنَّـا رغـائِـبَـنـا جـمـيـعَـها فـأجِـب عـنْـهـا بتِبْيـان
أَوْ لا فـأنـجـزْ حُـقـوقًـا قد مَطَلْتَ بها وعْـدًا وإِن كان فيها بعْضُ نُـقصـان
وكـلُّ بـرنَـامـج فـي خـيْـر مِـلـتـنـا وجِـنْـسـنَـا فـهْـو مَقْـبـول بـشُـكـران

(1) السان: النهر الذي يشق مدينة باريس.

(2) آن. شديد الحرارة. وفي القرآن. يطوفون بينها وبين حميم آن.

(3) لامارن. و(فيردان) موقعان في الأرض الفرنسية لمعركتين في الحرب العالمية الأولى.

شريعةُ الله أوْلَى في الشرائع أن تمتازَ عنها بتفضيل ورُجْحان
وكيف ننسَخ أو ننْسَى شريعتَه ونحنُ أمةُ إسلام وإيمان
ويْلٌ لأشياخِ بُلدان عَتَوْا وعَتَوْا فيهَا كأنَّهُمُ خُرَّابُ بُلدان
خَفُّوا (لمُؤتمَر الأَميار)[1] واحتَشَدوا به احتشادَ ذِئابٍ حوْل خِرْفان
لنْ يقبَلوا الحقَّ الاَّ رغْمَ أنفِهِمُ ولو أقمْنا عليهمْ ألفَ بُرهان
قلْ لِلألَى حَصَرُوا حَقَّ الرَّعية فِي إسعاف مرْضَى وفي إطعام جيعان
غَذُّوا القلوبَ وداوُوها فقد فنِيَتْ ممَّا تُلاقيه من جَوْرٍ وعُدوان
واهدُوا العُقولَ ودُلُّوها فقد بقيَتْ حيْرَى تَهيم بلا عِلم وعرفان
وخلِّدوا بجميلِ الذِّكر مُلْكَكُمُ فلم يَدمْ أبدًا مُلْكٌ لإنسان

(1) مؤتمر الأميار جمع محرف عن اللغة الفرنسية. مفرده (مير): شيخ البلدة، والشاعر يشير إلى اجتماع شيوخ البلديات بالجزائر للاجتماع ضد مشروع (بلوم فيليت) المطالب: بالاندماج!!

بعد هذا

نشرت في جريدة البصائر 1937م

الى (لجنة البحث) تَرْنُو العيونُ ... وفيها تَروح وتَغدو الظنونُ[1]
ومنا تفرَّق فيها الرُّواة ... طوائفَ واختلف القائلون
فمِنْ قائل: تتقصَّى الرعاة ... وتُحصى عليهم جميع الشؤون
ومن قائل: تستمِيل القلوب ... لهمْ وتبثُّ الرضى والسكون
ومن قائل: لجنةٌ كاللجان ... ستمضي وتمضِي عليها السنون
وتبقَى الجزائر تحت النعال ... تُداس وتُسقى كؤوس المنون
فيا لجنة زَعم البرلمانُ ... وواجهةُ الشعب: أن لا تخون
ألا حقِّقي ثقةَ الواثقين ... يجدِّد بك الثقةَ الواثقُون
ولا تضمري الغدرَ للمسلمينَ ... فقد ظنَّ خيرا بك المسلمون
أقِيمي الأدلَّةَ وأدْعِي الشُّهودَ ... لدى البحث يظهرْ لك المجرمون
وصُوني الأمانة حتَّى الأدا ... ءَ ولا يَخدَعنَّك من لا يصون
وقولِي لباريسَ ما في الشمال ... سوى أمَّة لم تشأ أن تهون
وما في أهاليه الا رجا ... لٌ أباةٌ نَزيهُون عن كل دُون
يُذادون عنك بشتَّى الصُّنوف ... من التُّرَّهات وشتَّى الفنون

(1) لجنة البحث: كونتها حكومة الواجهة الشعبية الفرنسية برئاسة (ليون بلوم) ووافق البرلمان الفرنسي على إرسالها إلى الجزائر للبحث في المطالب التي تقدم بها وفق المؤتمر الإسلامي باسم الشعب الجزائري في سنة 1936م.

اذا لم يَثوروا ولم يثأروا ففي المُنصفين لهم ثائرون
وما في الجزائر الا نَوائب يجري بها الدهر كالمَنْجَنُون
يُهان بها عظماء النفوس ويكرم فيها عبيدُ البُطون
وتُرْمَى حرائرهَا بالهَنات ويُنذَر أحرارَها بالسجون
ويُلزَم تجَّارُها بالمَغَارِم كَرْهًا وهم زُرَّحٌ بالدُّيون
وتُحْمَى المساجد عن عاملِيها وهمْ قادةُ الخير والمُرشدون
فيا جبهة الشعب أيْنَ الحقوق فإن الزُّعاة لها يرقبون؟
ويا أيُّها البرلمان الجديدُ أفدْنا بما حقَّق النائبون
يَخُطُّونَ فينا البَرامجَ سِرًّا وجهرًا ونَحن لها جاهلون
ونُلْهَى ففي كلِّ يوم لنا شؤونٌ بأمر لهمْ وشجون
صرخنا فكانتْ لهم لفتةٌ وبحثٌ ومن بعدُ ماذَا يكون؟؟

يا وفد سائل فرنسا

ألقى الشاعر هذه القصيدة بنادي الترقي في حفلة وداع الوفد المسافر إلى فرنسا باسم الجزائر لمتابعة المطالب الوطنية التي كان قد قدمها في الوفادات السابقة وينبه الوفد إلى الشباك المنصوبة في طريقه والمكائد المترصدة لمطالبه.

نشرت في «البصائر» سنة 1938م.

يا ابن الجزائر كنْ مستوْفزَ الحذَر   فإن قانونك الشَّخصيَّ في خطر
اللجنةُ اقترحت بالأمس واقترَعت   فارفضْ بها كلَّ رأي سيِّء الأثَر
احتجَّ ان احتجاجَ الشعب ظاهرةٌ   بأنه مرهفُ الإحساس في البشر
وودِّع اليوم وفدًا عنكَ مُرتحلا   الى فرنسا كريمَ الورْدِ والصَّدَر
يا وفدُ سائلْ فرنسا عن مَطالبنا   الى متى هيَ تحتَ البحْث والنظر
يا وفدُ حذِّر فرنسا من مُماطَلَة   كدْنا نميل بها لليأسِ والضَّجر
لا ترضَ للدين لا مَحوًا ولا غَرَرا   تنزَّه الدِّينُ عن محوٍ وعن غَرَر
فمَنْ يعيشُ بلاَدِين يَدينُ به   كمَنْ يعيشُ بلا سمْع ولا بَصَر
يا وفدُ نُب عن بلاد فيك واثقةٍ   أزكَى النيَابة وانشدْ كاملَ الوطر
وسر بحزم على اسم الله متَّحدًا   مارستَ بالحَزِم إلاَّ عُدْتَ بالظَّفر

من الشعر الرمزي

نشرت في مجلة الشهاب ج: (8) م: (14) في شعبان 1357 هـ أكتوبر 1938م

يا رياضَ الجنى والظِلال ... في صعيد الخلود
إِنعمي بألذ الغِلال ... وأغضِّ الورود
واسلَمي من عوادي الشمال ... وعَواتي الرعود

***

أيها الحرَّاس ... الشِّدادُ الباسْ
لا تبثوا اليأسْ ... في قلوب الناس ... تُورِثوها الضنَّى
زحزحوا بِالفاسْ ... دُفة المِتراس
واتركوا الأنفاس ... تستطيبُ الآسْ ... تنشق السَّوسنا

***

يا بنات الجنان اسفِرى ... يا بناتِ الجنان
اذكري يوم كنا اذكري ... في قديم الزمان
نتناجي على عبقري ... في العَلالِي حِسان

نحن في الانسابْ ... فتْيَةُ الآداب
فافتحي الأبوابْ ... نقطِف الأَرطاب ... من بديع الجَنَى
اننا أنجَابْ ... للمُنى طلاَّب
فاعصرى الأعناب ... واملئِي الاكواب ... من رَحيق المنى

***

يـا رحـيـقًـا حَـلاَ فِي الـمـذاق وصـفـا فـي الـكُـؤوس
خـفَّ سـاقـيـه مـثـل الـبُـراق طـائـفـا بـالـشـمـوس
حـبـذا رشـف كـاس دِهـاق مـنـك تُـحـيـي الـنـفـوس

***

هـذه الآثـارْ كـلـهـا أوتـارْ
تُـسـمـع الاحـرار صـوتَ مـجـد سـارْ ذكْـرُه فـي الـدُّنَـى
كـلّ نـجـم غـارْ خـلـفَـه أخـبـار
تـمـلأُ الاقـطـار يَـايَـدَ الاقـدَارْ جـدِّدي مَـجْـدَنَـا

كن قويًّا

ألقاها الشاعر في أحد اجتماعات جمعية العلماء ونشرت بمجلة (الشهاب) ج: (3) م: (15) في ربيع الأول 1358 أفريل 1939م، وعليها هذا التعليق:

ما ينفك شاعر الجزائر الفحل الأستاذ محمد العيد آل خليفة مرهف الإحساس لما يصيب الجزائر، فياض الشعور بما يجيش به صدرها، فلا يمر يوم من أيامها إلا وكان له فيه موقف ينطق فيه بلسانها، ويسجل شعوره الخالد آلامها. ومن ذلك هذه الدرة التي ألقاها في اجتماع شعب جمعية العلماء في شأن قانون 8 مارس المشؤوم.

كما نشرت في جريدة البصائر 1939م.

حسْبُكَ المجدُ فاعتَنِ ... واكسب المجد واقتَنِ
اسْخ بالنفس دونه ... فهو أغلى مثمَّن
لا تقل مِشعَلي خبا ... واحتوى اليُسل مَسكني
وزقا حوليَ الصَّدى ... فاختفى صوتُ أرغني
لكَ في الأرض راحةٌ ... من جَنى الخُلد تجتني
وفمٌ يطرب النُّهى ... بالحُداء الملحَّن
انما الشاعر امْرُؤٌ ... في الورَى غيرُ هيِّن
يبتَني المجدَ قادرًا ... ماهرًا حيث يبتني
ويلِي النفعَ باذلاً ... وُسعَه فيه لا يَنِي
فانفَع الناسَ كلهم ... مِن مُسيء ومحسن
واجعل الصبرَ دِيدنًا ... أنه خيرُ ديدن
عزّ لشعبٍ معذَّب ... مُستضَام مفتَّن
ولسانٍ غَزتْه في ... أرضهِ جَمٌّ ألْسُن

يبتغي الخصْمُ دَفْنَه تحتها شرَّ مدفن
وهو عالٍ مردَّد في نِداء المؤذن
القوانينُ حوله كالسلاح المُسَنَّن[1]
والقراراتُ ضدَّه مُعلَنٌ إثرَ مُعلن
ذنبُه أن سِفْرَه خالدٌ منذُ أزمُن
موغلٌ في انتشاره مُمْعِنٌ في التَّمكن
آيهُ في بيانها معجزات التفنُّن
فهي راحاتُ أنفُسٍ وهي قُرَّاتُ أعيُن
قل لنشء بعِلْمِها وهُداها ملَقن
شعبك اليوم يُبتلَىٰ في سبيل التَّديُّن
شعبك اليوم جازع فاقدٌ كلَّ مأمن
شعبك اليوم واقعٌ بين ناب وبُرْثُن
فكَّه لا تقل ارىٰ فكُّه غير ممكن
ساحةُ المجْد وعْرةٌ لم تُمهَّد لِلَيِّن
كن قويّاً بها تفُزْ بالنجاح المضمَّن
كلُّ صعْب مذلَّل للقويِّ المُهيمن؟

(1) من أخطر هذه القوانين:

قانون 8 مارس 1938م الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، وفتح مدرسة عربية تتطلب رخصة لجمعية محلية لها، ورخصة أخرى لمعلم يكون المسؤول عن التعليم فيها.وهذا لا تمنح له هذه الرخصة أبدا لا سيما إذا كان من تلامذة وأعضاء جمعية العلماء. ورغم هذا فقد كون الشعب الجزائري للغته العربية مئات المدارس وجند لها آلافا من أبنائه للتعليم بها. وصمد الشعب وصمد المعلمون لكل أنواع التعذيب والإرهاق، وهذا كله بفضل القيادة الحكيمة والتوجيهات القيمة من أمثال شاعرنا وصحبه الأبرار.

وقصيدته هذه إحدى دعائم هذه الاستماتة وهذا الصمود.

لا أنسى

مأساة 8 ماي 1845 التي ذهب ضحيتها قرابة 45 ألف شهيد وطني لأنهم نادوا بحرية الجزائر عندما كان الحلفاء يحتفلون بالانتصار في الحرب الثانية.. هذه المأساة خلقت في نفس كل جزائري جراحات لا تندمل، وذكرى لا تنس... وفي هذه القصيدة يعبر الشاعر عن إحساسه إزاء هذه المأساة الدامية

أأكْـتُـم وَجـدي أَوْ أَهَدِّئُ إِحساسـي ... و(ثامـنُ مـاي) جُـرحُهُ مـالَـه آسِـي
وأرقُـب مـمَّـن أحْـدثـوه ضِـمـادَه ... وهمّ فـي جِـمـاح لم يَميلوا لإسْلاَس
تـمُـرُّ الليالـي وهْو يَـدْمي فـلم نَجـد ... له مِرْهمًا منهمْ سوىٰ العنف والبـاس
اذا مـا رجـونـا بُـرأهُ ثـرَّ دافِـقًـا ... بأحـداث سُـوء وقْـعُـهـا مؤلـمٌ قاسي
فـيـا لـجـريـح ظـلَّ يـنـكـأ جُـرحـه ... ويُـؤذَىٰ بلا ذنب علىٰ أعيـنِ النـاس
ويـا لـضعيـف فـي الشعـوب مُعَذَّبٍ ... غدَا تحت نِيـرِ الظُّلم منْحَنِـي الـراس
يـضِجُّ ويـستعْدي بـغـيـر نَـتـيـجـةٍ ... ويَشكو بـلا جـدْوَىٰ الىٰ غير حَسَّاس
ويَـنـشـد (عـهـدًا) كالـرحيق أمَـامـه ... تَـرقـرقَ مُفْتَـرًّا وأشـرَقَ فِـي الكـأس
ولـكـنَّـه لـم يَـحْـظَ مـنـه بـرَشْـفـةٍ ... فمـا كـان غيـر (الأَطلسِيُّ) له حاسـي
ويـنـعـي عـلـىٰ الـمُستعمريـن دُجُنَّة ... من الـحُكم طالـت لا تُضاء بنبـراس
رأىٰ مـا دَّعَـوْا من رَعْيه محْض خُدعة ... فـأوْجـس مـنهـم خِيفـة أيَّ إيـجاس
فـظـائع (مـاي) كـذَّبـت كـلَّ مزْعَـم ... لـهـم ورمَـتْ مـا زَوَّجـوه بإفـلاس
ديـارٌ مـن الـسُّـكـان تُـخلَىٰ نكـايـة ... وعـسـفًـا وأحـيـاءٌ تُـسـاق لأَرمـاس
وشـيـبٌ وشـبَّـان يُـسـامـون ذِلَّــة ... بـأنـواع مـكْـر لا تُـحـدُّ بـمقيـاس

وأحباسُ شرٍّ أجمعتْ سُجناؤُها ومُعْتَقَلُوها أنَّها شَرُّ أحباس
ومعتقَلاتٌ في العَراء مُبيدَة عليها لُصوصٌ في ملابس حُرَّاس
وغيدٌ من البيضِ الحسانِ أوانِس تُهان على أيدِي أراذِلَ أنكَاس
ويُسْلَبْنَ من حَلْيٍ لهنَّ مُرَصَّع بكلِّ كريم من جُمانٍ وألماس
ويُنكَبْن في عِرضٍ لهن مطهَّرٍ مَصونِ الحواشي طيِّب العَرْف كالآس
فيالَك من خطب تعذَّر وصْفُه فلم تجْر أقلامٌ به فوق أطراس
ولا خَيْرَ في عدِّ المظالم وحدَها اذا لم نُبِنْ عن مُرهفاتٍ وأتراس
سئمنا من الشكوى الى غيْرِ راحِم وغيرِ مُحقٍّ لا يَدين بقسطاس
وقفتُ أجيلُ الطرْف في الأَرض باحثًا وأضربُ أخماسي الجَميع بأسْداسي
اذا ابي أرى فيها الضَّعيف يُجيلُه شِراءً وبيْعًا في الورى كلُّ نخَّاس
أرى الأَرض زادتْ ظلمةً فوق ظلمةٍ على أهلها واسْتوْحَشتْ بعد إيناس
أرى كرةً تُرمَى إلى شرِّ غايةٍ تَبارَى عليها الأقوياءُ بأقواس
وما وعْدُهُمْ الاَّ سَراب بِقيعَةٍ وما عهْدهم الإمداد بقرطاس
فيا أيُّها المستعمرون تنزَّهوا ولا تَسِمُوا وجْهَ الحياة بأرجاس
ألم يكفكُمْ ما مَرَّ من قَتْلِ أنفُس ومِن كَمِّ أفواهٍ ومن خَنقِ أنفاس
ولا تَطْمَعُوا أن تَستلينوا قلوبَنا فتلك قناةٌ لا تَلين لجسَّاس
يا أيها الشعبُ المروع لا تضِق بدُنياك ذرعا واطَّرِحْ خُلقَ الياس
وقُلْ للذي آذاك لا وَصلَ بيننا وموْعدُنا العقْبَى فما أنا بالنَّاسي

هيجت وجدي

هذه القصيدة نشرت في العدد (20) من جريدة البصائر سنة 1948م وهو جواب عن رسالة شعرية وجهها إليه الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون

ناحت عليك سواجع الاطيارِ مُذْ أسكَتتكَ فواجعُ الأَغيارِ
وتساءَل الاصحاب عنك فكلهم مُتطلِّعون لِأَصْدق الأخبار
من لي بإِقناع الرفاق فإنهم لم يَقْنَعُوا بقَواطع الأَعْذار؟
لم يبق لي في الشعر غير بضاعةٍ قد لا تروج بمَعْرض الأفكار
هيجت وجدىٰ يا حمام بنغمةٍ عُلويةِ اللَّهوات والأَوْتار
هب لي هوىً كهوَىٰ الشبيبة يانعًا أَقضي به ما رُمْت من اوطار
وليَّ عن الصبوات عزْمي مدبرا ونَبَا عن النَّدوات والأشعار
وعدلت متَّئد الخطىٰ عن رحلة في طيِّها استهْدَفتُ للأَخْطار
وفقدت فيها المسعفين فلم اجد سَلْوَىٰ سوىٰ التَّسليم للأَقدار
وجنحت للحرَم الذي فارقته زمنًا جُنوح الطيْر للأوكار
فاهتف بلحنك يا حمام ونل به ما ناله دَاوُودُ بالمزمار
وابلغ به ما انت اهلُ بلوغه من فتنة الأَسْماع والأَبصار
مهما شدوْت أملْت أغصان النَّقا وأجبْتَ بالتَّصفيق في الأنهار
وهفت لك الاكباد في أحشائها مشدوهةً من لَحْنك السَّحار
في روضك المِعطار كوْن منصت فانشُر صداك بروضك المعطار

وأقصرْ مداك فذو السهام وإن غفا مترصِّدًا ابدًا لذي المِنقار
لا تلحني في الصمت اني أرتئي أنَّ الضمير أحقُّ بالإضمار
أما الحمى فهواه بين جوانحي يُرْغي ويُزبد زاخرَ التيَّار
متدفقا كالموْج لكن صنته عنْ شاطئ الحَمْآت والأكدار
إن الذي هو مضغة لحمية خلْقٌ يَفُوق البَحْرَ في الأغوار
علق السماءَ وهام في عليائها متنقِّلاً كالكوكب السيَّار
القلب بيت الله فهو منزه عن ان تُطيف به يدُ (استعمار)
ولربَّ مغضٍ بات في إغضائه يقضانَ يرْعَى النجم في الأسحار
ويسامر الدنيا فما يدري أمرؤ ما دارَ بينهما من الأسْمار
ويح أبن آدم من عواقب بغيه وَوُلوعه بالعيْث والإضرار
ووُثوقه بالنَّفس وهيَ كحيَّةٍ رقْطاءَ فيه خَفيَّة الأجحار
ورِضاه في الأعمال عن حَسَناته ولعلَّ أكثرَها منَ الأوزار
وتَراه يلهَجُ بالعزائم وهو في أيدي الظُّروف يُدَارُ (كالبِرْكَار)
ويْحَ العباد من العباد فجلُّهم في نُفْرَةٍ أبدًا وفي اسْتنفار
مثْل الوُحوش وما تَسلُّحهم سوى بدَع من الأنياب والأَضفار
من أفدَح الأَشرار أن يُقضَى على حَرَم الإلاه بغارة الأشْرار
إن الذي زعَمَ العَدالة شرعةً آذى (الائمَّةَ) في رضَى (الأحبار)
ودَهَى العُمومة في وشائج نَسْلهَا وسَطَى على الأَجْوار بالإجوار
وأحلَّ بالقانون جُرمًا فادحا وأذلَّ دين الله للدِّينار
قل لابْن صَهْيونَ اغترَرْتَ فلا تجُرْ إن أبنَ يَعْرُب ناهضٌ للثار!
أعرضتَ عَن خطط السَّلام مولِّيا فوقعت منها في خُطوط النار

لا تحسبَنَّ بأنَّ صُبحك طالعٌ فالبدرُ ويحك خادعٌ للساري
ستَرىٰ امانيكَ التي شيَّدتَها منهارةً معْ رُكْنك المنهار
القُدسُ لابن القُدس لا لمشَرَّد متصَهْينٍ ومهاجرٍ غدَّار
يا لجْنةَ التَّقسيم حدْت عن الهُدىٰ وسخرت منه فبُؤْت بالإنكار
القبلَةُ الاولىٰ التي استَصْغَرتها هي للعُروبة قبْلةُ الأَنظار
اصبحت من بين اللِّجان مَدينةً عند الإلاه لرُسْله الأبرار
موسَىٰ وعيسىٰ والأَمين مُحَمَّد سيُطالبونَك بالنَّجيع الجاري
إن التلافي مُمْكنٌ لك فادْرئي بيد السلام بوادرَ الإعصار
وارْعَيْ (صلاحَ الدين) في أحفاده لصنيعه المأثور في الأخيار
ما زال رمزا للشَّهامَة والحجَىٰ والرفق والإنصاف والإيثار
رُدوا جميلَ الشَّرق وارعَوْا عهْده يا معشر الخُلفاء والأنصار
أفبَعْدَ تحرير الرقيق جميعه ترْضَوْنَ رقَّ سلائل الأحرار
سيُسجِّل التاريخ كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ بوَثَائق الأسْفار
فلصالح الأَعْمال جدُّوا واَعْمَلوا إن الْخلودَ لصالح الآثار

وهذا نص رسالة الشيخ أحمد سحنون

إلى شاعر الجزائر

إلى البلبل الذي ملا جو الجزائر تغريدا شجيا ساحرا، إلى الوتر الذي أسمع الدنيا أناشيد البطولة والحرية والمجد، إلى الشاعر الذي سكت، إلى الرفيق الذي حجب وجهه وصوته، إلى شاعر الجزائر العظيم الأستاذ محمد العيد:

شاعرَ الضَّاد والحمَىٰ ما دَهاكا؟ فحرمت النُّهىٰ ثمار نُهاكا؟
ما الذي أسكت الهزارَ عن التغـ ـريد يا مُلهمي جعلتُ فداكا!

مـا الذي عـاق يـا أخـا الـحـزن والآ　　لام عـن ان تَـبثَّـنـا شَـكْـواكـا
كنـتَ كـالـطائـر الـصَّدوح فمـا تنـ　　ـفـك يـومـًا مـرَدِّدًا نـجـواكـا
كنـتَ لا تستطيع صبـرًا عَن الـشعـ　　ـر فـمـن ذا بـهَـجـره أغـراكـا؟
كـان نَـجـواك كـان سلْـواك إن نـا　　بَـكَ خطْـبٌ وفـي الـهَـوىٰ لـيْلاكـا
كـان دُنـيـاك كلَّـها كـيـف لـم تُشـ　　ـغلْـك عـن كـلِّ شـاغـلٍ دنـيـاكـا
قـد خـلـتْ من صَـداك أنديةُ الشعـ　　ـر ومـلْء الـوُجُـود كـان صـداكـا
عـجـبًا تسـتـبـيـحُ صَمْـتَـك يوْمًـا　　ويـدُ الـظـلـم تسـتـبـيـح حـمـاكـا
أَيـطـيـب الـسكوت والضادُ فـي شد　　ة أَسْـر لـم تـلـق مـنـه فَـكَـاكـا
أ إِذَا طـاف بـالـجـزائـر مـا حَـرَّ　　كَ حـتَّىٰ الـجـمـاد طـاب كَـراكـا؟
أَإِذَا أَوشـكـتْ بـلادُكَ أن تـجـ　　ـنـي ثـمـارَ الـمنَىٰ قَطعتَ مُنـاكـا؟
كَـانَ حُـبُّ الـحـمىٰ هـواك فلمَّـا　　جَـدَّ جـدُّ الـحـمَـىٰ تـركـتَ هـواكـا
شُنَّهـا ثَـورةً عـلـىٰ الـظُّلم وأبـعَـثْـ　　ـهـا حُـروبًـا عـلـىٰ الـبُـغـاة دِراكـا
قُـدْ شَـبـاب الـحـمَىٰ الىٰ المجد والعَلْـ　　ـيـاء وأَحْـثُـث إلـىٰ الـجهاد خُطاكا
ولْـتـسـجِّل لابـن الـجـزائـر سـفْـرًا　　مـن فـخـارٍ وَسُـؤْدَدٍ يُـمـنـاكـا
ولْـتـرتِّـل فـي مَـسْـمـع الدَّهر إنـشـا　　دَكَ سـحـرًا يُـغـرىٰ الـنُّـهىٰ شَفتاكـا
قـدَمُ الـشـعـر رافـقـتْ قـدَمَ الْـوحـ　　ـي فَـقُـم بُـثَّ بـالـقَـريـض هُـداكـا
عـدْ كـمـا كـنـت شـاديًـا فـلـمـاذا　　قـد حَـرَمْـتَ الأسـمـاعَ سحْـر غناكا

نشرت في العدد 16 من جريدة البصائر سنة 1947

جد في هزل.. وهزل في جد

إن رمت شِبْعًا ورياً … وأن تعيش هنيا
وأن تكون سليما … من الظنون نقيا
وان تُعزَّ وتُعطَى … ما تشتهي وتُحيَّا
فلا تكنْ حرًّ فكْر … ولا تكن وطنيا
ولا تَسَلْ أو تُحاول … مِن المَطالِب شيًّا
وكن كَسولاً خَمولاً … غِرَّ الفؤاد غبيا
هذا الذي ترضَّى … به الفتاة (مريا)[1]
هذا الذي سوف تُمسِي … به لديها حَظيا
وإن تُردْ غيرَ هذا … فلِلتَّجنِّي تَهيا
فما تعدك الاَّ … شرَّ العباد شقيا

(1) إشارة إلى الإدارة الاستعمارية، وفي القصيدة ما فيها من سخرية لاذعة بأساليب الحكم الاستعماري بالجزائر.

فلسطين العزيزة

نظمت في نكبة فلسطين في جمادى الأخيرة سنة 1367هـ

فَلسطين العزيزة لا تُراعِي ... فعيْنُ الله راصدةٌ تُراعي
وحولك من بَني عدْنان جُندٌ ... كثير العدِّ يزْأَر كالسِّباع
اذا اسْتَصرختِه للحرب لبَّى ... وخفَّ إليك من كلِّ البقاع
يَجود بكل مرتخَصٍ وغالي ... ليدْفَع عنكَ غاراتِ الضِباع
بُليتِ بهم صَهاينةً جياعًا ... فسُحْقًا للصَّهاينةِ الجِياع
ستكشِف عنهمُ الهَيْجاءُ سِترا ... وتَرميهمْ بكل فتًى شُجاع
وكيف يصادفُ العِبْريُّ نُجحا ... وما أخلاقُه غيرُ الخِداع
قد اشتَهَرَ اليهود بكلِّ قُطرٍ ... بأن طِباعَهم شرُّ الطِّباع
قد اغتَرَّ اليهود بما أصابوا ... بأرضِ القُدْس من بعضِ القِلاع
متى كان اليهودُ جُنودَ حرْبٍ ... وكفؤًا لِلأَعَارِبِ فِي الصِّراع

***

فَلَسطينُ العزيزةُ لا تَخافِي ... فإنَّ العُربَ هَبُّوا للدِّفاع
بجيْش مُظلم كاللَّيل غطَّى ... حِيالَكِ كلَّ سهْلٍ أو يَفَاع
وما أسْيافُهُ إلاَّ نُجومٌ ... رُجُومٌ لليهودِ بلا نِزاع
يُرابط في ثُغورك مستَعدًّا ... على الأُهبات للأَمْرِ المُطاع
سيَهجم من مَراكزه عليهمْ ... هُجومَ الآكلينَ على القِصاع
ويتركُهمْ على الغبراءَ صَرْعَى ... ومَا أنْصارُهمْ غيْر النَّواعي

ونحنُ بَنِي العُروبة قد خُلقنا نُلبِّي للمعارك كلَّ داعي
لنا في الحَرْب غاراتٌ كِبارٌ وأيامٌ مُخلَّدةُ المَساعي
وهِمَّاتٌ تُهوِّن كلَّ خطب إلى نيّل الشهادة في اطلاع
وكيف نَذِلُّ أو نرضَى انخِفاضًا ونجمُ جُدودنا نجْمُ ارتِفاع

خطر العلم على البشرية

نشرت في جريدة البصائر سنة 1950م

كُـرةٌ واحـدة فـي «هُـورِشيمـا» تـركـتْ كـلَّ مـبانيـها هَشيمـا
هـذه معْجـزةُ العـلم التـي فـضحتْ بـالـجهل مَن كان عليمـا
أمـرِيكـا زرعَتْـها بـذرة تـدَعُ الكـونَ مـن السـلم عديمـا
هـل ستَنْجُـو روسيـا من بـأسها أم ستصلَى في الوغى منها جحيما
أمْ لـها فـيها يـدٌ سـرية أوتيتْ في الفـتْك سلطانـا عظيمـا
تتَـغابَى روسيـا فيـها وهَـلْ يَتغَابَى غيـرُ مـن كان فهيمـا؟
نـشـأ العـلـم مـلاكًـا طاهِـرًا واسْتحـال اليـوم شيطانًـا رجيمـا
أصبحَ اليـوم جَحِيمًا بعـد مـا كـان بالأمس عـلى الأرض نَعيمـا
عـادَ فـي الأرض فسـادًا وأذى لـم يـدَعْ شبـرًا من الأرض سـليما
وابتلَـى أسلحـةَ الأرض فلـم تكْفِـه فـاختـار للفتْـك السَّديمـا
وانتـقى شَتَّى سُـموم يبتغِـي بثَّهـا فـي الجوِّ للخصْـم شَميمـا
ومضَى يهـدِم مـا كـان بنَـى مـن حَضـاراتٍ فتنقضُّ حطيمـا
يطـرد السلـم مِن الأرض كمـا يطرُد الصيَّاد في القـنْص ظليمـا
لا أرى العـلمَ هـدًى مـا لـم يكـنْ صَافِحًا عن زلَّة الجهْلِ حليمـا
وأمينًـا عـادلاً فـي حُكمـه وكفيـلا بالـ، ؤاخـاة زعيمـا
يَعرِض الحـقَّ علـى الخلْق كمـا يُرشد الخلْق الى الحق حكيمـا
هـذه مأثُـرة العِلـم التـي قد آثَـرناهـا عـلى العلم قديمـا

سَلْ معي (الذَّرَّات) عن أحداثها … في غد واسْتَكْشِفِ السرَّ البهيما
تجد الهوْل فظيعًا فوق ما … تصفُ الأَلسنُ والخطْبَ جسيما
كلُّ ضوء سوفَ يَخبو حمما … كلُّ صرح سوف يندك رميما
كلُّ ما كان وَلودا مُنتجًا … سَوفَ يغْدُو فاقدَ النسل عقيما
وترَىٰ في الأَرض قحْطاً شاملا … وعذابًا ينشرُ الرعبَ أليما
وترىٰ سوطاً عليهَا نازِلا … يُوجِع السَّيِّد ضرْبا والخديما
وترَىٰ السلطانَ فيها جائرًا … فوق ما أبدَىٰ من الجَوْر ذميما
(كاهنَ الحي)[1] أفِدْنا عن يدٍ … ظَلَمَتْ هل تَجِدُ الظُّلم وَخيما
ومتَىٰ تحْصدُ ما قد زَرعَت … وتُجازَىٰ عن أذَىٰ أمسَىٰ عميما
شِمْ لنا في الجوِّ برْقًا جامعا … شملَنا إنك أهلٌ أن تَشيما
ناجِنا مِن فيك بالسَّجع الذي … طالَما نسَّقْتَه درًّا نظيما
(كاهنَ الحي) سلِ الأَنجُم عنْ … (كاهِنِ الشِّعْر) فقدْ بَاتَ سَقيما
ساءَ في التَّمَدين رأيًا فغَدا … لا يَرَىٰ إِنسانَه خلْقا كَريما
قُتل الإِنسان لا يرضَىٰ اذا … أوتي القوة إلاَّ أن يَضيما
فهْو في الهيجاء مثل الوَحش لا … راحِمٌ طفلاً ولا راعٍ حريما
شكتِ الأَرض الىٰ خالِقها … مِن كريم فوْقها صارَ لئيما
أوقدَ الفتْنةَ في أقْطارها … وأبَىٰ الهُدنةَ فيها أن تُقيما
ربِّ رُحماك بنا لا تُشقِنا … فلقد كنتَ بنا ربًّا رحيما
أنزِل الرشد علىٰ الخلق فقد … أخطأ الخلقُ الصراط المستقيما

(1) يخاطب الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده الأستاذ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي وكان قبل ذلك ينشر كلماته المشهورة بعنوان (سجع الكهان) وبإمضاء «كاهن الحي» ويعني بـ (كاهن الشعر) نفسه.

يا قوم هبّوا

زار شاعرنا مدينة قسنطينة، منبع الحركات العلمية والوطنية، فأقام له تلامذته حفلا عبروا به عن تقديرهم لأستاذهم، وألقى فيه هذه القصيدة الوطنية. وفيها كعادته نصائح عالية، وإرشادات حكيمة، ووصف لمدينة قسنطينة، وتشريح للداء والدواء.

نشرت في جريدة المنار سنة 1950.

حُثُّوا العزائمَ واْصْدُقوا الآمالا ... إن الزمان يسجِّل الأَعْمالا
يحصِي ويكتُب في صحائفِ سِفْرِهِ ... أعمالَنا ويُذيعها أقوالا
وشهادةُ التَّاريخ أوثقُ حجَّةٍ ... تَجْلو الأُمورَ وتَكشف الأَحوالا
فتدارَسوا التاريخَ والْتمِسوا به ... للنَّشء رمزًا عاليًا ومِثالا
إن الزمانَ بكمْ أهَاب مؤذِّنا ... في فجرِ نهضتكمْ ففاق بلالا
يا قوم هُبُّوا لاغتنام حَياتكم ... فالعُمرُ ساعات مرٌّ عجالا
الأَسرُ طال بكمْ فطَال عَناؤُكم ... فكُّوا القيود وحطِّموا الأَغلالا
والشعبُ ضجَّ من المَظالِم فانشُدوا ... حريةً تَحميه واسْتقلالا
لا أمْنَ الاَّ في ظِلال مُرَفْرِفٍ ... حرٍّ لنا عالٍ يُنير هِلالا
من فوْق جُندٍ بالعَتيد من القُوَىٰ ... يلقَىٰ العدوَّ ويصْمُدُ اْسْتبسالا
واذا أرَادَ الشَّعب نالَ مرادَه ... ولوَ انَّه كالنَّجم عزَّ منالا
اللهُ في عَوْن الشعوب فمَن يَرُمْ ... تعويقَها بالقَمْع رامَ مُحالا
هل للقُسَنْطِينيِّ من تَاريخه ... قبَسٌ به يسْتكشفُ الأَجيالا
ويرىٰ به نَسْجَ الأَوائل قَبْلَهُ ... في الصَّالحاتِ فيَتْبَعُ المِنوالا

مَن كان رئبالاً أبوهُ وجدُّه — وحماهُ غيلاً فلْيكنْ رئبالا
فاخرْ (بسِرتا)[1] حيثُ سرتَ بقُطرنا — واضْرب بفِطْنَةِ أهلِها الأَمثالا
واذكرْ أوائلَها بني فِينيقِيا — واذكر بها الرُّومان والوَنْدال
واذكر بها أتْرَاكها وإنِ اعْتَدوا — حالاً فقد حرَسوا الرَّعيةَ حالا
واذكُر من البَايات (أحمد)[2] إنه — ذَاد العِدىٰ عنها وصَال وَجَالا
واذكر من البايات فيها (صَالِحًا)[3] — فقد اعْتَنىٰ وبنَىٰ بها فأطالا
واذكر بدخْلتها (ابنَ عيسىٰ)[4] ثائرا — يلقَىٰ المُغير ويستميتُ قِتالا
واذكر بها العُبَّادَ في خلواتهم — واذكُر بها العُلماء والأَبطال
ماضٍ منَ الأَعْصارِ نَاءٍ زاخرٌ — بالحادثات ذكرته إجمالا
نبني عليه كما نُشاهد حاضرا — يَبنِي عليه شبابُنا اسْتِقْبالا
حلقات أَعصارٍ يماسك بعضُها — بعْضًا علىٰ أجيالنا تتَوَالَىٰ
سبحانَ من جعلَ الملوكَ خلائفًا — والمُلْكَ إرْثًا بينَهم وسِجالا
واختَصَّ بالمُلك المخلَّد وحدَه — أبدًا فلا يخشَىٰ عليه زوالا
قم حي أخت (الآسِتَانَةِ) نشْأةً — وحضارةً ونضارةً وجَمالا
سرِّحْ بساحةِ «بَابِ وَادِيها» الخُطا — وانظر يمينًا دُورَها وشِمالا
واسأَلْ معالمَها الصَّوامتَ واسْتَمعْ — فمِن المَعالم ما يُجيب سؤالا

(1) سرتا هو الاسم الفينيقي لمدينة قسنطينة.

(2) الحاج أحمد باي، آخر بايات قسنطينة.

(3) صالح باي (1771 - 1793) كان عهد ولايته على قسنطينة عهد نهضة ورخاء. ترجمه مفصلة في كتاب (محمد عمان باشا) للأستاذ توفيق المدني.

(4) ابن عيسى باش حانبة، أحد المدافعين الأبطال عن العاصمة الشرقية عند هجوم الفرنسيين عليها. وكان قائدا عسكريا للحاج أحمد باي.

ومن المَعالم ما يَفُوه بحالِه ... ما لاَ يَفُوهُ به الفِصاح مقالا
فترىٰ القُصور الشامخاتِ أعاليًا ... وتَرىٰ الجِنان الوَارفاتِ ظِلالا
وترَىٰ المتاجر والمصانعَ والوَرَىٰ ... تسعَىٰ بهَا وتُواصلُ الأَشغالا
وترىٰ المعاهد فتَّحتْ أبوابَها ... وترىٰ الشَّباب يؤُمُّها اقبالا
سارت إلىٰ (سِرْتَا) الركائبُ تبتغي ... رَياً بها فتفجَّرت سَلسالا
آوت اليها الطَّالبين فأصبحَتْ ... مثلَ اللَّبوءَةِ تحْضُن الأَشبالا
قد أَكْسَبَتْ قُطرَ الجزائر كلَّه ... فخرًا ففاق بها وتاه دَلالا
هي فيه عاصمة العلوم وإن تقُلْ ... هُو شاعرٌ في وصْفها يَتغالىٰ
مهْما حلَلْتُ بها ذكرتُ إمامَها ... (عبدَ الحميد) وخُلْقَهُ المِفضالا
وذكرتُ من إصلاحه وكفاحِه ... ذِكْرَىٰ مشوِّقَة تَهيجُ البَالا
ورأيتُ فيها نهضَةً علمية ... من غرْس همَّته تَطيبُ غلالا
وشممْت فيها نفحةً عِطْريةً ... تدعُ الخواطرَ بالعَبير ثمالَىٰ
لَطُفَ الهَواءُ بها فمهما تنتَشِقْ ... لم تنتَشقْ إلاَّ صَبًا وشِمالا
وفشَا الجمالُ بها فمهْما تلْتَفِتْ ... لم تلْق الا جُؤْذَرًا وغزالا
الأَرضُ فيها كالسَّماء بدتْ لنا ... وقد اكتسَت من ليلها سِربالا
والكهْرباء تراقصَتْ أنوارها ... فكأَنَّما هيَ أنجمٌ تتلالا
تِيهي بحسنِك يَا قُسَنْطي وافخَرىٰ ... وعلىٰ العواصم فاسْحَبي الأَذيالا
بلدَ الهَواء دعوْكِ أمْ بلدَ الهَوىٰ ... إنـي أراك لِذَا وذَاكِ مَجالا
قد ضَمَّكِ الطَّوْدُ الأَشمُّ لصدرِه ... وتعطَّف الوادي عليك ومَالا
وجرَىٰ بجنبكَ ماؤه فكأنَّه ... عافٍ يُريد بجنْبكِ اسْتظلالا
وازْدان سفحُك واستطال كأنَّما ... هو ذَيْلُ طاوُوس مشَىٰ مُختالا

وعلَت جُسورك في الهواء فأوثقَت ... ما بين كِلْتَا عَدْوَتَيْكِ وِصالا
ولربَّ جسرٍ أحْكَمَتْهُ بُناتُهُ ... وأفتَنَّ فيه مُهَنْدِسُوهُ فهَالا
شقُّوا له الصخر الأَصمَّ وأوْثقوا ... في الجَانبَيْن من الحَديد حبالا
فهواؤه كالبحْر وهو بِعَرْضه ... كسفينةٍ أرْسَت عليه رِحالا
لم أدْر حِين رأيته متَنَائِياً ... أيُقِلُّ ناسًا أم يُقِل نِمالا؟
يا جِيرة الوادي الرَّهيب مَناظرا ... والعذبِ ماءً والرطيبِ رِمالا
وسلالَة الطَّود الرَّفيع شَناخبًا ... والضَّخْم صَخرًا والمَنِيع دغالا
انِّي حللتُ رحابكم لا أرْتجي ... إلاَّ مودَّتكم قرًى ونَوالا
ومعِي بَنو قلْبي الذين أعِدُّهمْ ... كيْ ينهضوا بالواجبات رجالا
طمَحوا إلى التَّمثيل وهو أريكةٌ ... للفَنِّ تسْمو روعةً وجلالا
إن المُمَثِّل للحقائقِ كاشِفٌ ... خيرًا وشرًّا أوْ هُدًى وضلالا
إن المُمَثِّل واعظٌ ومعلم ... يَهدي الغُزاةَ ويُرشد الجُهَّالا
إن الممثل قائدٌ ببيانِه ... يغْزو الحُصون ويفتَح الأَقفالا
وقَصيدة قد قلتُها كي يهْدي ... بعِظاتها ما قلتُها ليُقالا
قدَّمتها هبةً لكم وكأنني ... قد صُغتها من طَوْدكم تمثالا
فتقبَّلوها بالرِّضى وارْجُوا لها ... أن تستحقَّ رضَى الإِلاه تعالى
فهُوَ المُوفِّق للمَراشد مبْدَأ ... وهو الموفِّقُ للأُجور مآلا

يا مصر

في سنة 1952 ألغيت معاهدة 1936 التي كانت قيدا لمصر، فقام الانجليز بأحداث مؤلمة في منطقة القتال، فردت مصر على ذلك بإعلان الجهاد لاسترداد حقها بالسلاح.

وقد شاركت الجزائر شقيقتها مصر آلامها ومشاعرها بهذه القصيدة على لسان شاعرها محمد العيد. ونشرت القصيدة في العدد 179 من جريدة البصائر سنة 1952م

أَغارَ علىٰ الكنانة شرٌّ عادِ ... فقل: يا مصرُ حيَّ علىٰ الجهادِ
أَعِدِّي كلَّ بأسك واسْتعِدِّي ... لرَدِّ الزَّاحفين بلا اتِّئاد
جنَوْا باسْم الحِمايَة منك حينا ... مسجانِيَ زَوَّدَتْهُمْ خيْرَ زاد
وكنت لجيشهم في الحرْب حصنا ... تَحطَّمَ عندَهُ زحْفُ الأَعادي
أَمِن شُكْر الصَّنيعة ان يُجازوا ... ببيضِ صِفاحِهم بِيضَ الأَيادي؟
كذَاكَ اللُّؤم يأبَىٰ ان يجازِي ... صلاحَ السَّعْي إلاَّ بالفسَاد
فشُنِّيها عليهمْ حربَ ثأرٍ ... وشُبِّيهَا لظَىٰ ذاتَ اتِّقاد
وخُطِّيها كتائبَ غيرَ كُتْب ... وصُحْفًا مِن دم لا مِن مداد
أَيعْدُو الإنجليزُ عليكِ زَحْفا ... ويَعْثُو في الحَواضِرِ والبَوادي
ويحتجز المدائنَ عنكِ قصْرا ... ويُسرف في الخصُومة والعِناد؟
ويَحْتَكِرُ القَنال له رقيبًا ... علىٰ السُّفن الرَّوائح والغَوادي
ويغْزو العُزَّلَ فيكِ بكل جيشٍ ... كثيرِ العَدِّ مَوْفور العَتاد
وترضَىٰ هيئةُ الأُمَم اضْطِهادًا ... كَهَذا دُونه كلُّ اضْطِهاد؟

إذن ضَحِّي ببذل النفسِ ضَحِّي ... ونادِي للجهادِ الحقِّ نادي
وخُوضِيها ميَادينَ امْتحانٍ ... وتمْحيصٍ بصبْرٍ واتِّحاد
ولا تخشَى من الباغي وعِيدا ... ولو أمْلي الوعيدَ بلا عِداد
ولا تَثقِي بوعْدٍ غيرِ صدْق ... تألَّق كالسَّراب لكل صَاد
يُراد به المطال بغَيْر جَدوَى ... وتضْميدُ الجِراح بلا ضِماد
وليس كمِصر للشرقيِّ مِصْرٌ ... وليس له كوادِي النِّيل وَادي
وما (السُّودان) الأَصِنْوُ مِصْر ... وتوْأمُه المُبارَك في الولاد
قد ارتَضَعا لِبان النيلِ دهْرا ... وشبَّا حوله أخَوَيْ وِدَاد
وعاشَا عِيشةً رغْدًا وأَمنًا ... سواءً في الغِذاء وفي المِهاد
ألا تبَّتْ يدٌ تَبغِي بظُلم ... أذاتَهما بفصْل أوْ بعاد
وتبغي لـ(لكنانة) شرَّ قَمْع ... بلا ذَنْب سِوىٰ وعْي الرَّشاد
فآهٍ لِـ(لْكِنانة) من يَقِيها ... جَحافلَ زاحفاتٍ كَالْجَراد؟
بـ(منطقة القنال) تَصول تِيهًا ... وتَدْعو الآمِنينَ الىٰ البداد
وغيْر مقيمةٍ لدَمِ الضَّحايا ... بهَا وَزْنًا وأرْواح العِباد
تُحِلُّ بهم عواديَ سافرات ... وتَزْعُم دفْعَ أسباب العَوادي
وآهٍ (للسَّويس) تُسَام عزْلا ... مطوقةً بأسلاكٍ حِداد
وآه (للقَنَال) فقد تبدَّت ... به الأَجواءُ حالكةَ السَّواد
وَوَا أسفَاه بالآهَاتِ جُدنا ... وما بالنَّفْس فينا من جَواد
أكلُّ سلاحنا (رفْعُ احْتِجاج) ... علىٰ العُدوان اوْ (فتح أعتِماد)؟
ولا يحمي المَواطن غيرُ جُنْد ... سخي بالفِدىٰ واري الزِّناد
فعُذْرًا يا بَنِي (الأهرام) عُذْرًا ... لقد قَصُرَ المُريدُ عن المُراد

غمرتمْ شعبَنا مِننًا جِساما ... ونُبتُمْ عنه في النُّوَب الشِّداد
وكنتمْ للثَّقافة خيرَ رُسْل ... بِتأسِيسِ المَعاهِدِ في البلاد
وكمْ للأزهر المعْمور فضْلٌ ... علينَا كلَّ يوْم في ازْدياد
فبَيْن مُجَاوِرِيهِ لنا جُنودٌ ... تُؤمِّل ان تُرَدَّ الى مَعاد
لكمْ حقا علينَا ألفُ حقٍّ ... حمادِ لكمْ اشِقَّتنا حَمَاد
ورَدْتم في قضاياكم جميعًا ... مَواردَ لا تُكدَّر بانتقاد
«فلَسْطينُ» الشهيدة قدَّرتكمْ ... حَنَائنَ مِلَّةٍ وحُماةَ ضَاد
وأمةُ (ليبيَا) للمُلْكِ سَارتْ ... فسِرتُم في رَكائِبها الهَوادي
ومن (إِيران) بالأَمس اسْتَفَدْتم ... من الأَعلاق أنفس مُستفاد
تمَادَوْا في مَواقِفكم تمَادَوْا ... فإِن الفَوزَ عاقبةُ التَّمادي
اساءَ (الإِنجليزُ) اليومَ زَرْعًا ... فموعدُكم به يوم الحصاد
عدتْه المُقْمراتُ من اللَّيالي ... فضَلَّ الرُّشد في ظُلَم الدَّآدِي
وكلُّ حكومةٍ عسَفَت وحَادتْ ... عن الحقِّ المقدَّس وهْوَ بَادِ
فبشِّرْها بنَسْف بعدَ عَصْفٍ ... كما فعلَتْ بعادٍ ريحُ عاد
ويا (مصرُ) الشقيقة فزْتِ عقْبَى ... وطابَ حديثُ بأسِكِ في النَّوادي
هُتافاتُ الشمال إِليكِ تعْلو ... صدًى وعُهودُه لكِ كالعهاد
خذِي الأُهبَات للغَمَرات وامْضِي ... فنَصْرُك قائدٌ واللهُ هادي

بلادنا أسيرة

أزرىٰ بنـــا الـــذُّلُّ يـــا خـليـلـي		فـهَـل الـىٰ الـعـــزِّ مـن سـبـيـل؟
بـلادُنـــا اصـبـحـــت ذلـــولا		أسـيـــرة فـي يَـدِ الـدَّخِـيـــل
وحُـكـمـنـــا الـيـــومَ شـــرُّ حـكـم		وجِـيـلـنـا الـيـــوم شـــرُّ جـيـل
مـتـىٰ نـرىٰ قـائـــدًا حـكـيـمـــا		يـبـيِـنُ عـــن رأيـــهِ الـنـبـيـل
أنـرتَـجـي لـلـهُـــدىٰ وصـــولا		ونـحـــن ركْــبٌ بـــلا دلـيـــل
لـكـنَّ سَـنَـسْـعَـىٰ بـرغـم هـــذا		لـــردِّ سُـلـطـانـنـا الـجـلـيـــل
لا تـحـسَـبـــوا ردَّه بـعـيـــدًا		فـإنـــه غـيّـــرُ مـسـتـحـيـل

استقلال ليبيا

وجود الشاعر واسع، وشاعرنا له في كل حادثة عربية وفي أي جزء جولة، والآفاق العربية متعددة، وقضاياها متشعبة وأنك لواجد في هذا الديوان مصداق ذلك، ومنه هذه القصيدة في تحية استقلال ليبيا.

وقد نشرت في العدد 183 من جريدة الصائر سنة 1952م

أَمَلٌ تحقَّق بعد طُول نضالِ ومثال فوْز كان خيْرَ مِثالِ
وأريكةٌ أزرتْ بكل أريكة رُجحانَ مرتبةٍ وَعِزَّ منالِ
وغنيمة للصَّابرين عظيمةٌ بالعز كافلةٌ وبالإقبالِ
أرأيتَ أعظمَ غبطةٍ من أمَّة مَهضومةٍ حَضِيتْ بالاستِقلالِ
قد يَستجِد بعبقريٍّ طامح ماضِي العزيمة كلُّ شَعْب بالِ
أو ما استجَدَّت ليبيا (بمُحمَّد إدريس) عاهلِ ليبيا المِفْضالِ
مَلِكٌ بنَى عرشًا وأسَّس دولةً في ليبيَا بجِهادِهِ المُتوالِي
وسمَا الى الأعلام في عَلْيائها بمُثَلَّثٍ ذي نجْمَةٍ وهلالِ
وجَدَ احتلالَ حِماهُ عارًا فاضِحا فحمَاهُ من مُحتلِّه المُحتالِ
إن (ابنَ غازي) وهيَ حضْرةُ ملكه كان اسْمُها للنَّصْر أيمَنَ فالِ
ليس (المنارُ) ولا الغديرُ كلاهما الا سمائيٌ نجمها المُتلألي
اغريتَنا بالليل فاشْتَقْنا السُّرىٰ يا هاديَ الرُّكبان في التَّرحالِ
يا باعِثَ الآمال من أجْداثها يهْنيك أنَّك باعثُ الامالِ
إن الوشائجَ بيننا لا تقتَضي كالجِسم غيرَ تعاوُن الأوصالِ
اليومَ أمَّة ليبيا قد حطَّمت ما أحْكَم الطَّليانُ من اغلالِ

شمَلت أَقاليم البلاد بوحدةٍ ... لِيبيةٍ كالعِقد نظمَ لآلي
ليستْ (طرابُلسٌ) وفزّانٌ سوى ... جزء (لبرْقةَ) دارة الأَبطال
إن (السّنوسيين) شُهْبُ دُجُنّةٍ ... وعِتاق ميدان وأسْد نزال
سنَّ الإغارةَ (احمدُ) الغازي لهم ... كالليث سَنَّ الفتْك للأشبال
يتبادَلونَ بها التّهاني غِبْطةً ... فكأنّما هيَ مَوْكِبُ اسْتقبال
إن البطولة في الوَغى عهْدٌ لهم ... عهِدَت به الآباءُ للأَطفال
ومضى بهم (عُمَرُ) الشّهيد يقودهم ... للحرْبِ ينأمُ نَأمَة الرِّئبال
خاضَ الجِهاد مُضفَّرا حتى انْجلى ... عما انْجَلى والحرْبُ ذاتُ سجال
لقيَ الشهادة فيه شنْقًا مُرْهَقًا ... تحتَ الأَسِنَّة مُوثَقًا بحِبال
كتب الإله له الشهادةَ مُرَّة ... ليفوزَ منه بطعْمِها العَسّال
ويكونَ حيًّا غير مَيّتٍ عندَه ... جَذلانَ يُرزقُ أطيبَ الآكال
في كلِّ قلبٍ مؤمنٍ ذكرَى له ... أبديةٌ قُرنتْ بكل جَلال
إن الشهيدَ يجِلُّ عن تَخليده ... بالنَّحْت في نُصْب وفي تِمْثال
امَّا الذين قضَوا عليه بشَنقه ... فجزاؤهمْ خِزْيٌ مدَى الأَجيال
وجَلاؤهم متَحَسِّرينَ أذلةً ... متعَثِرينَ بأقذَر الأذيال
ذُوقوا عواقبَ بغْيكم وتجرَّعوا ... خيْباتكم يا عُصْبَةَ الأَنذال
إنَّ الذين شَقُوا بكمْ وبحُكمكم ... سعِدوا بما غنِموا من الأَنفال
قعَد الزمان بكمْ فكان سِلاحَهم ... ومن السّلاح تَبدُّل الاحوال
هل تُنكرون جهادَ شعب باسِلٍ ... في أربعين من السِّنين خوالي
أيكونُ مِن نهج الصَّواب منكِّبا ... مَن قَال للباغِي صَوابَ مَقَال
دعنِي من الدُّنيا أنَلْ حُرِّيتي ... وأشُمَّ كلَّ صَبًا بها وشَمال

وأَذُدْ بـقـدْر مَـنَـاعَـتـي عَـنْ مَـوْطـني وأدِرْ بـقــدْر كَـفـا أتــي أَشـغـالـي
ولـقـد شـجـتْ قلبي وهاجتْ عبْرتي وَرْقَــاءُ فــي شَـرفٍ بَـعِـيـدٍ عَــال
حـمـراءُ حُـرِّرَ جِيدُهـا مـن طَـوْقـهـا فــي الـوُرْقِ فـهْـيَ عَدِيمَـةُ الأَمـثـال
هتفتْ فـقُـمْـتُ مـجـاوبًـا لـهُتافـها ولـحَـنـتُ عن قـصْد فـقـلتُ تعالـي
شـرقـيـةً فــي الـطَّـيــر امْ غـربـيـةً مـا دمـتِ واصلـةً فـلـسـتُ أبالـي
وَا لَـهْـفَـتــاه عـلـيـكِ حسنُـك فاتنٌ وهـواكِ مَـمْـنـوعٌ وَوَصْـلُـك غــال
مـن كـانَ فـي العُشَّـاق بِاسْمِكِ ناطقًا فـكـأنَّـمـا هـو نـاطـقٌ بـمـحــال
قـد أحـدق الرُّقـبـاء والـعُـذَّال بـي ونَـجِـي مـن الـرُّقــبــاء والـعُـذَّال
عـزَّ الـلـقـاءُ ولـسـتُ مـنـكِ ببائـسٍ فـلـعـلَّ بعد البَيْـن قُـرْبَ وِصــال
يـا لِـيـبـيـا تِـيـهـي بتـاجِـك رفْـعـةً وتـمـايـلـي بـلـوائِـك الـمُـخـتـال
وبـعـرشِـكِ اصْطَحبي العُروشَ مدلـةً وبـقـيـلـك افْـتَـخِـري علـى الأقْـيال
لازلتِ ظــافــرة بـحـقِّــك حــرَّةً تـتـقَـدَّمـيــن بـصـالِـح الأعـمــال
مـحْـكـومَــةً بـالـحـقِّ حـاكـمـةً بـه ومــآل اهــلِ الـحــق خـيْــرُ مـآل

أطلال "وقفة على تمقاد"

(تيمقاد) (بالقاف المعقودة)، خرائب مدينة رومانية عظيمة، شادها الرومان في سفوح جبال أوراس الشمالية ليردوا بها غارات البربر المتحصنين بتلك الشواهق، على السهول والمزارع التي استعمرها الرومانيون، وأطلالها اليوم مجلى للعبر، ولا يزال مسرها قائما بمدرجاته، وشوارعها ظاهرة للعيان على تخطيطها الروماني، ولا تزال آثار الحصون المبثوثة حولها، ماثلة للعيون تشهد للرومان بالعظمة.

نشرت في العدد 293 من جريدة البصائر سنة 1954

وقفتُ على (تمقاد) وقفَةَ جائلِ ... وطُفت بها مسترشدًا بالدَّلائل
أردِّد في آثارها طَرف عبْرة ... لعليَ منها أنْ أعودَ بطائل
وأسألُها مستفْهمًا عن عُهودها ... وأنَّى لها أن تَستجيبَ لسائل
عجبْتُ لها من بلْدة أثرية ... خلتْ منذ أجيال طِوال دَوائل
لقد عَمرت من قبل عيسَى وبعْده ... بحزبينِ: كفَّارٍ به قَوَائل
صحائفُها منقوشةٌ بلسانها ... على من يَرى معروضةٌ كالرَّسائل
فكمْ من تَواريخ ومن حكم ومِن ... بيانِ تقاليد بها وفَعائل
تماثيلُها تبدي لنا كلَّ بادن ... قويم من الأجسام جعْد الخصائل
تدلُّ على عيْش بها طال حقبة ... ولكنه ولَّى كأحلام قائل[1]
طَرائقها بالصَّخر رُصَّت ودُورها ... فما أنقضَّ منها غيرُ دُور قلائل
مبانٍ كأمثال الجبال شماخة ... تروع النُهى بالذكريات الجلائل
فمسرَحُها ذكرى لإبداع فنِّها ... وساحتُها ذكرى لعَرْض المسائل

(1) القائل هنا النائم في القيلولة.

ومعْهدها ذكرىٰ لبَثِّ علومها ... وديوانها ذكرىٰ لصَوْن الفضائل
وكم مستَحَمَّاتٍ وكم برَكٍ بها ... وأَقْبية معْقودة كالخمائل
وكم من كَراسيٍّ بها مَرْمرية ... ممهَّدة كانتْ مراح الخلائل
ومُستَودعات أقفرت من عُروضها ... وبَاعَتها والمُشْتَرين العَوائل[1]
وكم من سَوَار ينطَح الجوَّ هامُها ... تنِم على فَنٍّ من النَّحت هائل
ومن فيفساء بالتَّصاوير جُمِّلَتْ ... بما لم يمثِّله الخيالُ لخائل
فمتْحفُها يَحْوِي زَخارفَ جَمَّة ... الى اليوم باق لوْنُها غيرُ حائل
وآلاتُها معْروضةٌ في خَزائن ... زجاجية للقافِلات الجَوائل
فأيْنَ بَنو الرُّومان في عِزِّ مُلكِهم ... وتِمْقَادِهِمْ في عَهْدها المتفائل
لقد أخليتْ من سَاكنيها وأحرقت ... قديمًا وهُدَّت باتِّفاق القبائل
برابرُ كانت تحتَ نيرِ مذلَّة ... مسخَّرة للسَّعي من غير نائل
يُجرِّعها الرُّومانُ كلَّ مجرَّع ... مرير بها مُفْض الى الموت آيل
فضجَّتْ أخيرًا منهمُ وتبرَّمتْ ... بحكم لهم عات عن الحقِّ مائل
وثارتْ بإِجماع عليهمْ ووَحْدةٍ ... فأجْلَتْهُمُ عنْها بكلِّ الوسائل
ولم يُغْنِهمْ (جُوبْتيرُ) ربُّ ربوبهم ... ولكن هوَىٰ من عرْشه غير شائل[2]
ولم تغنهمِ (لَمْبِيسُ) وهي مُعَسْكَر ... عظيمٌ لهمْ آوىٰ مئات القَصَائل
أقام بها سَبعُون ألفَ مُدجَّجٍ ... من الجُند لا يخشوْن صوْلَة صائل
ولكنْ أساؤُوا للرَّعايا ونكَّبوا ... بها وأسْتباحوا فعْلَ كلِّ الرذائل
فصبَّ عليهم ربُّنا سوطَ بأسه ... وعاقَبَهُمْ عمَّا جنوْهُ بغَائِل
لقد نَصَبوا شتَّىٰ الحَبائل للورىٰ ... فأوقَعَهم في مثل تلك الحَبائل

(1) العوائل القائمون بتمويل عيالهم.

(2) الشائل المرتفع يقولون شال الميزان إذا ارتفعت إحدى كفتيه.

فـمَـن مُبلـغُ الـرومان أنَّ عبـيـدَهـم غـدَوْا سـادةً غُـرًّا كـرامَ الشمـائل؟
رَعـتْ دولَـةُ الإسلام بالعدل أرضَهم فـصـارَ آبنُ مازيغ أخَـا لابْـنِ وَائـل!
وجَـدتُ مـجـالا لادِّكـارٍ وعـبـرةٍ فجُلْـتُ بـرأي صَـائب غيـر فَـائـل[1]
وردَّدتُ فـي سرِّيَ (فتلك بيوتُـهـم) وحَـسْـبِـي بـه قـوْلاً لأَصْدقِ قَـائـل
فهـل تـرْعَـوِيْ عنْ ظُلْمهـا وفَسَادهـا أواخـرُ لـمْ تـجْهَـل مَـآلَ الأوائـل[2]
لـقـد جـرَّ شَـرًّا للـبَـرايـا جـمـيعهـا تَنافُـسُهـا فـي مُـلـكـهـا الـمتضَائِـل
ولا مُـلْـك إلاَّ مُلْـك مَن دَام حُكْمُـه اذا زالـت الـدنـيـا فـلـيـسَ بـزائل!

(1) الرأي الفائل هو المخطئ الضعيف.

(2) كان الشاعر مدير للمدرسة العربية الحرة «بعين مليلة» وإمام خطيبا لمسجدها الحر، وكان قد تعرض كثيرا للبحث والتفتيش البوليسي والتهديد والإنذار من طرف الإداريين الفرنسيين بها. ولكي يكون جوابه على كل استفزازاتهم – أقذع وأرفع، نظم هذه القصيدة ونشرها في حينها.

استقلال السودان

يتجاوب الشاعر محمد العيد مع الأحداث العربية في كل جزء من الوطن العربي، وهذه إحدى قصائده يحي فيها استقلال السودان الشقيق.
وقد نشرت في العدد (355) من جريدة البصائر سنة 1956م.

فوزٌ سَرَتْ بحديثه الرُّكْبانُ فالشرقُ مُغتَبِطٌ به جَذلانُ
والسَّمحةُ البيْضاءُ تُعلن بِشرها ولو ازدَرتْ بحقوقها الأديان
والنِّيل يجري صاخبًا ومُصَفِّقًا طرَبًا فترقُص حوله الشُّطآن
وبَنو العُروبة يهتِفون لمرْكب في النِّيل أبحرَ ركبُه العُربان
والأزهرُ المعْمور يدعو بالهدَىٰ (للأزهرُي) فإنه الرُّبَّان
ما أسعدَ السُّودان باسْتقلاله فاليومَ يرفَع رأسَه السُّودان
اليوم يعقد تَاجَهُ مِنْ أنجُم أرضية تسمو بها التيجان
وتُظلُّ رايَتُهُ القِباب كأنها قوْس السَّحاب تَزينها الألوان
ما الرَّأىٰ إلاَّ ما يرىٰ زُعماؤه ما الجيشُ الاَّ قومهُ الشجعان
البائعون نفوسَهم لله لا فَشَلٌ يُساورهم ولا خذلان
الذَّاكرينَ اللهَ عندَ حُدوده ذكْرًا يَطيب بطيبه الوجدان
أما النهارُ فهمْ به أسْدٌ وان جَنَّ الظَّلام فهمْ به رُهبان
علماؤه لصَالحهم عُظماؤه فهمُ الوُلاة عليه والأعيان
وهم الهُداة المنْشدون لحِذقهم صقَلَ القُلوب اذا عَلاها الرَّان

شَبُّوا علىٰ حبِّ الرسول فجلُّهم بجَمالـه وجلالـه هَيَّمان
حفلاتُ ذكراه السعيدة عندهُم سُوقٌ بضاعتُهم بها الاحسان
فإلىٰ المَوائد تُبسَطُ الأَيدي بها وإلىٰ القَصائدِ تُرهَف الآذان
كَم موسر أعطَىٰ بها متشكرا ما لا يَكادُ يَحُدُّه الحُسبان
أو شاعر هزَّ المَشاعرَ منشدًا مَدَح الرسولَ كأنَّه حسَّان
هل كان كالسُّودان شعبٌ صالح فيه استقَامَ الشَّيبُ والشبان
أنسابهم كالشُّهب تلمع في الدُّجىٰ فبها إليهم يهتدي الحيران
كَمْ فيه من بيت نمَاه محمَّدٌ أوْ عمُّه العباس أو قَحطان
أنَّىٰ لنا أن نستَقِلَّ جِهادَه وقد اَسْتَقَلَّ فحسْبُه البرهان
أم كيف ننسَىٰ فيه أعظمَ ثوْرة آثارُها لم تَمْحُها الأَزمان
ما كادَ حاكمُهُ يَسوءُ حكومةً ويسودُ فيه الجَوْرُ والطغيان
حتىٰ بدا (المَهديُّ) يُعلن دعوةً فِي (كردفان) قِوامُها الإِيمان
طلعت طلوعَ الفجر يَجلو نورُها سَجَفَ الدُّجىٰ فاستيقظ الوسْنان
لمَّا رمَاها (الأنكليز) بكيْده طافَتْ عليه كأنَّها طوفان
وتَمَخَّضَ السُّودان عن عهدٍ نما فيه الحِجَىٰ وتدفُّق العرفان
وحضارةٍ في قلب (إفريقيةٍ) دُهشت لها في (لَندَن) البيضَان
شادَ الشيوخُ به المدارسَ مثلما أَمَّ المعاهد نشؤُهُ الفِتْيان
وتقدمت فيه التجارةُ وارْتقتْ فيه الصِّناعة وازدَهَىٰ العُمران
فإذا الصَّحارِي جنةٌ مُخضَرَّة غنَّاء فيها الروْحُ والرَّيحان
بالأَمس نال الزَّبْرُ من أفنانها واليوم آتتْ أكلَها الأَفنان
ما أمَّةَ السودان إلاَّ أمةٌ عربيةٌ وكتابها القُرآن

الاكثريــةُ لـلـحَنـيفـيِّين فـي ... أبنـائـهـا فـلَـهُـمْ بـهـا الـرُّجـحـان
فـاعْـجـب لتصـريح الوزير (مُبارك) ... مـن بَـعْـدُ كـيـف تُـقـرُّهُ الأذهـان
هـلا اقـتـفَـىٰ دسـتورَ مـصـر فإنـه ... لـكـتـاب مـصْـرَ ودينـهـا عُـنـوان
مَـن مُـبلِـغُ الـسُّـودان عنَّـا أنـنـا ... شـيَـعٌ لـه بـشـعُـورنـا خـلاَّن
نـتـبـادَل الـقُـبُـلات بـاسْـتـقْـلالـه ... فـرَحًـا وإن طـافـتْ بـنـا الأحـزان
مُـتسائلين عـن (الـجزائرِ) هـلِ دَنا ... تـحْـريـرُهـا أمْ حـظُّـهـا الـحِرمان؟
ومـتَـىٰ تـقـرِّر كـالـشـعوب مَصيـرَها ... فـقــد أقـتَـضَـىٰ تـقـريـرَه الإِبَّـان؟
ومـتَىٰ يكفُّ عن الـخصومة خصمُها ... أو يـرْعـوِي مـحْـتـلُّـهـا الـغَضـبـان؟
ومـتـىٰ تـفـوزُ بنعمـة استـقـلالـهـا ... فـقـد أسـتـقـلَّـتْ دونَـهـا الأوطان؟

***

يـا أمـةَ الـسـودان دوْلـتُـكم رسَتْ ... طـبـتُـم وطـاب لـكـمْ بـهـا السلطان
ضُـمَّـت لـجـامـعـة لـنـا عـربـيـة ... أعـضـاؤهـا عُـرْبٌ بـهـا خُـلـصـان
لا تُـنـقـضـوهـا بـالـخِلاف فـإنـه ... لا يـسـتَـقـيـم بـه لـكـمْ بُـنـيـان
فـعَن الـشِّـقـاق تـنـزَّهـوا وتـمسَّكوا ... بـعُـرَىٰ الـوفـاق فـكُـلُّـكـم إخـوان
يـا مـصـرُ حـلاَّك الـرئـيسُ بحكمـه ... لا غـرو فـهـو (جـمـالُـك) الـمزدان
صـانَ الأمَـانَـة ثـمَّ أدَّاهـا إلـىٰ ... أهـل الأمـانـة مَـا بـهـا نُـقـصـان
حَـيِّـيـه عـنِّـي وأقـرئـيه نصيحَـتـي ... والـقـدْرُ مـنـه مـعـظَّـم والـشـان
لا تـنـسَ لـلـسُّـودان سـالـف عـهْـده ... واعـطـفْ عـلـيـه فـإنـكـم جِـيـران
ولـعـلَّـه أسْـوان مـمَّـا جَـدَّ مـن ... سَـدٍّ تُـقـيـم بـنـاءَه أسْـوان
سـوِّ الـمـشـاكـلَ كـلَّـهـا مـعْـهُ ولاَ ... تـنـسَ الـمُـنـافـسَ إنـه يـقـظـان
وأعـدْ عـلـىٰ (سـر هغرىٰ) ما قالـه ... للأنـجـلـيـز (مـحـمَّـدُ) الـمعْوان[1]

(1) إشارة إلى الكلمة المأثورة للمغفور له المحسن محمد الشريف باشا الكبير وهي قوله للانجليز (إذا تركنا السودان فإن السودان لا يتركنا)!!

لا يتــركُ الســودانُ مصرَ ولو بَدا تــركٌ لــه من مـصــرَ أوْ هـجــران
الـنـيل يغْـمُـرُ أرضَـكـم بـنـعـيـمـه ونِـزاعُـكُـمْ لِـجَـمـيـلـه نُـكــران
والـدِّيـن والـتـاريـخ والـدَّم كـلُّـهـا لــبـنــاء شــامـخ مـجْـدِكـم أركـــان
والـنـاس مــن بـدء الـخليقـة بعْضُهـم فــي الـصَّــالـحـات لبعضهــم أعــوان
هــذا لــهــذا مــرشــدٌ أو مُـسْــنــد وبـمـثـلِ ذلـــك يـكْـمُــلُ الإنـســان

كلام الناس

نشرت في مجلة «الجزيرة الدمشقية» سنة 1956هـ

وقائلة علام أبيْتَ وصلى | وعِفْتَ لِقَايَ مِن دُون الأَنام[1]
وكمْ حرٍّ كمثلِك حوْل بابي | قد أستَلمَ الرَّغامَ من الغَرام
فقلت لها أبتَلِي الأحرار تَدْري | تبايُنَهم نفوسًا في المقام
وقلت لها أعْذِري فالبَرُّ بيني | وبينَك طامِسٌ والبَحْرُ طَامي
وقلت لها أرَىٰ الافكارَ تأبَىٰ | علىٰ الرغم القيادةَ بالزِّمام
وقلت لها أرَىٰ الأبصار يقظَىٰ | مصوَّبةً الينا كالسِّهام
لَوَ انَّكِ تعلمِين ببأسِ قومِي | وغيْرتِهمْ كَفَفْتِ عنِ الملام
كلام الناس يَكْلِمُ كل عِرْض | يُعرِّضُهُ أخوه لِلاِتِّهام
اذن حَسْبِي وحَسْبُك من بَعيد | مُبادَلَةُ التَّحيَّة والسَّلام

(1) لعل الضمير في هذه القصيدة يعود إلى (الحرية) وهي من الشعر الرمزي.

اللزوميات

إيراد وإصدار

نشرت في مجلة الشهاب سنة 1935

النفس والعقل معبودان من قدم ... والمَرْؤُ عبدُهما لو أنّه داري
ما النَّفس والعقل الا للأذى التقيا ... فينا (كَغَدَّارَةٍ)[1] في كف غدّار
والناس طاغٍ على طاغٍ الى أمدٍ ... كالموج يقذف هدّارًا بهدار
ومن مواطن ضعف المرء طيبَتُه ... فلا تكن طيِّبا الا بمقدار!
لا تغترر وتجرَّدْ فالمآل بلًى ... واظمأْ فما العيش الاَّ وِرد أكدار
طال المُقام بنا والدار موحشة ... متى الرحيل بنا من هذه الدار
يا مانع الصفْو أن تَرْوَى به كبدٌ ... أقمتنا بين إيراد وإِصدار

(1) الغدارة في اصطلاح بعض المغاربة هي: المسدس.

الدنيا

نشرت في مجلة الشهاب
غرة جمادى الثانية 1354هـ / سبتمبر 1935

أرى دُنياك تعفو كل عين ... بها وتجر للاثر العفاءَ
فلا تطلب صفاء العيش فيها ... أفي الكُدُرات تلتمس الصفاء
ولا يغررْك حِلف من بَنيها ... فلست أرى لأكثرهم وفاء
قد أختاروا الظهورَ بها ولولا ... فسادُ الرأي لاختاروا الخفاء
وبين حشاي بَرٌّ بي رفيق ... صددت عن الرفاق به أكتفاء
وليس الصدُّ من شيمي ولكن ... جفاء الدهر علَّمني الجفاء
ارى دنياك أصلَ ضناك فارغب ... إلى أخراك إن تُرد الشفاء

خلا القلبُ

نشرت في مجلة الشهاب – ج: (8) م: (11) نوفمبر 1935

سمعتُك تدعو الميّت في القبر ضارعًا
فيا عجبًا للحيِّ يستصرخ الميّتا
تخذتَ من الدعوَى لباسا ولو ترى
بها ما يرى أهل النهى لتعرّيتا
رويدك قول الناس في الناس ظنة
فمن قائل كيّتّا ومن قائل كيتا
علمت بأن الامرَ لله وحده
فنزَّهتُ قولي عن لعلَّ وعن لَيْتا
خلا القلب من حب العباد وبُغضهم
وأصبح بيتًا للذي حرَّم البيتا

وليت نحوك وجهي

نشرت في العدد (16) من جريدة البصائر سنة 1936

ظننتُ في الناس خيرًا ... فخاب ظنِّي وخِبْتُ
كم قلت شيئًا كثيرًا ... في مدحهمْ وكتبْت
لقد كذبتُ فحسبي ... فِي شأنهم ما كذبت
حسبتُ للناسِ عهْدًا ... فلم أجدْ ما حسِبت
كم سرَّني من رآني ... وساءني يوم غِبْت
وكم حَسودٍ قلاني ... وضاق بي فرَحُبْت
عجبتُ منهم ومني ... ومن مقالي عجبت
مَنْ كُنتُ أرغبُ فِيهِ ... منهمْ فعنْهُ رغِبْت
وَيحِي توقَّعْتُ عتْبًا ... من الصِّحابِ فهبْت
ماذا أكتسبتُ سوىٰ أن ... ندمتُ عمَّا اكتسبت؟
ماذا جرىٰ غير أنِّي ... عفتُ القبيحَ وعِبْت؟
إلىٰ متىٰ أنا ثاوٍ ... غبراءَ فيها اغتربْت؟
لاَ الأرضُ حوْليَ فيها ... أرْضٌ ولا النبْتُ نبت
طلبتُ فيها هَناءً ... فآذني ما طلبْت
شربتُ من كل وِردٍ ... فلمْ يرُقْ ما شرِبت
عوجلتُ بالهم طفلا ... وفي شبابيَ شِبتُ
في صحتي هُدَّ جسمي ... وفي هَواي نُكبت

وفــي الانــاسِــي ونـفـســي مــع الأَنــاسِـي استـرَبْـت
انـسـتُ بـالـخلْـق حِـينًـا والأنـسُ بـالـخلـقِ جِبْـت[1]
حتـى بـلـوتُ خـبـايـا طبـاعِهـمْ فـاجتـنَبْـت
ولّـيـتُ نـحـوَكَ وجـهـي وتـبـتُ يـا ربِّ تـبـت!

(1) الجبت: عبادة ما دون الله.

يا قلبُ

نشرت في العدد 28 من البصائر سنة 1936.

تـحـرَّرْ وانـطـلـقْ يـا قـلـبُ حـيـنًـا ... إلـى كـم أنـتَ لـلـشـهـوات قِـنُّ[1]
الـى كـم أنـتَ سـارٍ تـحـت لـيـلٍ ... عـلـيـكَ بـكـلِّ غـاشـيـة يَـجِـن
تـطـبَّـبْ والـتـمِـسْ يـا قـلـبُ بُـرءًا ... فـفـيـك ضـنًـى قـديـمٌ مُـسْـتـكِـنُّ
أفـق يـا قـلـبُ مـن سُـكـر الـتَّـصابي ... فـلا يـرضـاه لـي ديـنٌ وسِـن
ودعْ يـا قـلـبُ عـنـك مـن الأمـانـي ... فَـجُـلُّ حـديـثـهـا رَجْـمٌ وظَـن
أتـطـلـب كـل عـاجـلـة تُـولّـى ... وتـرقُـبُ كـلَّ آجـلـةٍ تـعِـن؟
وتـخـفُـق كـلَّـمـا خـطـرتْ مَـهَـاةٌ ... غـضـيـضُ الـطـرْف أو رَشَـأٌ أَغَـن؟
فـكـيـف يَـقِـرُّ فـي الـدنـيـا قَـراري ... وبـيـن جـوانـحـي جَـرَسٌ يـرِن؟
وكـيـف يُـزان عِـرضـي فـي الـبَـرايـا ... وأنـتَ بـكـل شـائـنـةٍ تُـزَنُّ[2]
تـشـوَّقْ أو تَـحَـرَّقْ أوْ تَـمَـزَّقْ ... فـلـسـت أحِـنُّ قـطُّ لِـمَـا تَـحِـن
أقـلـنـي جـانـبَ الـدنـيـا أقِـلْـنـي ... فـإنـي مِـن مَـتـاعِـبـهـا أئِـنُّ
إلـى الأُخـرى فـعـرِّجْ بـي تُـفَـرِّجْ ... عـلـى نـاءٍ يَـكـادُ بـهـا يُـجَـن
هـوايَ فـرائـضٌ لـلـحـقِّ تُـلـقـى ... عـلـى كَـتِـفـي وآدابٌ تُـسَـن
رضـيـتُ بـأن أكـونَ لـهـا أسـيـرا ... رضـيـتُ وَرَبَّ أسْـرٍ فـيـه مَـنُّ!

---

(1) قن: عبد.

(2) تزن: تتهم.

لو...

نشرت في العدد 39 من جريدة البصائر سنة 1936

تــرِدِّدُ (لَــوْ) بـعــد الـمـصـيــبــة نــادمًــا
ومَــا قَــوْلُ (لــو) بـعـد الـمـصـيبــة نــافــع
لـقــــد قـــدَّر اللهُ الـمــقـــاديــرَ كـلَّــهـــا
ومــــا ثَـــــمَّ مـشـفـــوعٌ ولا ثَـــمَّ شـافـــع
أحـــاط قـضـــاءُ اللهِ بـالـخَـلْـقِ كـلـهـــمْ
فـلـــم يـمْـتـنـعْ شـيـــخٌ ولـم يـنـجُ يـافِـع
ألا فـــارجِـع الـطـرفَ الـذي أنـــت طَـامِـحٌ
بـــهِ واخـفِـضِ الـــرأسَ الـذي أنـــتَ رافـع
فـمـــا لَـــك فـيـمـــا يـدفـــعُ اللهُ جـالـــبٌ
ولا لــــك فــيــمـــا يـجـلـــب اللهُ دافِـــع

جولة طرف

نشرت في العدد (41) من البصائر سنة 1936

أجَلْتُ في الناس طرفًا بالاعتبار قَمِينا
فما وجدتُ قويا على الضعيف أمينا
أو مبدأً بالأَماني وبالحقوق ضمينا
وما حمدت شِمالا ولا حمِدت يمينا
من يسهَر الليل يومًا يُغِرْ على النائمين
ومن يُرد فضَّ دعوَىٰ فحسبه أنْ يَمِينا
فيَا لَه مِن قضاء بسهمه قدْ رُمينا
أرَىٰ الوِفاق جليًّا أرَىٰ النِّفاقَ كمينا
أرىٰ الثمين رخيصًا أرىٰ الرخيصَ ثمينا
أرىٰ ربائبَ دُنْيا إلىٰ العلىٰ ينْتمينا
وأعْيُنًا مُبصِرات عن الصلاح عَمينا
وأيدِياً عامِلاتٍ علىٰ أذَىٰ ٱلْمُسلِمِينا
وألسُنًا هاتفات بالنَّصْر للظالمينا
أقسمتُ ما كان خيرٌ في أكثرِ العالَمينا

مع الشعب

نشرت في العدد 42 من جريدة البصائر سنة 1936

قف حيثُ شعبُك مهما كان موقفُه
أوْلاَ فإنك عضوٌ منه منحسمُ
تقول أضحَى شتِيتَ الرأيِ منقسِمًا
وأنتَ عنه شتيتُ الرأي مُنقَسِم
فكنْ مع الشعب في قولٍ وفي عملٍ
إن كنتَ بالرَّحل الشعبِيِّ تتَّسِم
ولا يَرُقْك شَفيفُ الذَّات مائِعُها
كالماء فيه وجوهُ الناس ترتسم
أعدَى عِدَى القوم من يُعْزَى لهم نسَبًا
ويَسمَع القَدْحَ فيهم وهو يبتسم!

مالي وللأذى

نشرت في العدد (45) من جريدة البصائر سنة 1936

الشرُّ والخيرُ في البرايا حظان كالقبح والجمال
فقابل الخيرَ باعتراف وقابل الشَّرَّ باحتمال
كن طاهرا كالمَلاك نفسًا لا تضمر الحقد كالجِمال
ان الفتى مَن سخا بقلب ليس الفتى من سخا بمال
يا فاعلا باليمين خيرًا لا تفعل الشرَّ بالشمال
كم نملةٍ بارتكاب ظلم جنت على الغار والنمال
يا قارعًا بالأذى صفاتي دعني فما للأذى ومالي؟
كم من أذًى لم أعره بالاً فغاض كالماء في الرمال
ما الثّنى على الخير كل ساع ما خاب في الخير من يُمَالي
إن هاجك الغيظُ من جَنوب فاسْترْوِحِ الحِلمَ من شَمال
أوْ فاتَكَ الفوزُ بالأَماني فعلِّلِ النفسَ بالأَمالي
لا تلتمس في الورى ثِمالاً فما سوى الله من ثمال
سبحانه خص كل حيٍّ بالنقص واختص بالكمال

وداع رمضان

نشرت في العدد 47 من جريدة البصائر سنة 1936

الصوم لنفس عرش من جوانبه فاضت بوادرُ خيرٍ دونها البِدَرُ[1]
أظل دارًا سَناها مُشرقٌ أبدًا لو لم يُغطِّن سَنَاهَا المشرقُ المدر
الصوم للملإ العُلْويِّ مُرتفَعٌ والفِطر للملإ السُّفليِّ مُنحَدَر
يا نفس أزمعَ عنك الصومُ رِحلتَه فودِّعيه يُودِّعْ جَوَّك الكَدَر
ما بال جسمك طول الليل مطَّرحًا كأنما فيه وَهْنٌ أو بهِ خدَر
تهجَّدي في اللَّيالي العشْرِ وأرتقِبي في ليلةِ القدْرِ ما يَسخو به القَدَر
ولا تكوني بطيب الوِرد قانعةً لا يُحمَدُ الوِرْدُ حتى يُحْمَدَ الصَّدَر

(1) (البدر): جمع بدرة: كيس يحتوي على ألف دينار.

بنيْ التاميز

نشرت في مجلة الشهاب سنة 1936

بـنـي (التـاميـز) قـد جُرتـم كثيـرًا فـهـل لـكـم عـن الـجَـوْر آزدجـار
أَفِـي أَسـواقـكـمْ نـصـبًـا وغَـصَـبًـا تـسـوم (الـقـبـلـةَ) الاولَـى آلـتِّـجار
إخـال (الـقِـبـلـة) انسجرت دِمـاءً كـمـا لِـلـبـحـرِ بـالـلُّجج آنـسـجار
تـشـاجـرت الـعُـمـومـةُ فـي ذَراهـا ولـولاكـم لَـمَـا وقَـع الـشِّـجـار
غـدا الـعِـبْـريُّ لـلـعـرَبـيِّ خـصْـمًـا بـهــا وكـلاهـمـا لأَخـيـه جـار
تـروْنَ لـهـا سِـوَى الـعـرَبـيُّ أهْـلا وتـأبَـى الـتّـربُ فـيـهـا والـحِـجـار
فـلـيـس لـهـا بـلا فـمِـهِ لـسـانٌ ولـيـس لـهـا بـلا دَمِـه نِـجَـار
الـم يُـؤْلـمْـكُـمُ حَـرَمٌ مـبـاحٌ وشـعـبٌ يـسـتـجـيـر ولا يُـجـار
ونـكـبــةُ أوْجُـهٍ بـالـكـشـف غـرٌّ لـمثلِ جـمـالـهـا صُـنِـع العِجَـار[1]
كـم احـتـجَّـتْ لظلمكـمُ وضجَّـت ولـكـن فـي قـلـوبـكـمُ آنـحِـجـار
اذن فـالـحـربُ لـلـعـربـيِّ دَأبٌ وهـل تـخفَى (البَسوسُ) او (الفِجار)
شـددتـم قـهـرهُ فَـعـلاَ آنـفـجـارًا وعُـقـبَـى شـدَّةِ الـقـهْـرِ آنـفـجـار

(1) (العجار): ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها. ثم تجلبب فوقه بجلبابها والعجار في الحامية الجزائرية: البرقع الذي تستعمله المرأة لستر وجهها.

الحق

نشرت في مجلة الشهاب سنة 1937

مـا أجـدرَ الـحـقَّ أن تُـحـنـى الـرؤوس لــه
وأن يُـشــال عـلــى الأَعـنـاق كـالـعـلَـم
الـحــق ثــوبٌ تـعــالَــى الله نـاسِـجُــه
تـبَّــتْ يـدَا كــلِّ عــاث فـيــه بـالـجَـلَـم
فـمـلْ الى الـحـق فـي الدنيـا تُـصـب أمَـلا
يُـنـسـيـكَ ما قـد يَـشُـوبُ الـحـقَّ مـن ألـم
وكـن عـلـى الـبَـغْـي حـرْبًا لا تـكـن سَلَمـا
فـالنصـر للـحـرْب لـيـس النَّصـرُ للسَّـلَـم
لا تـخـشَ سيـفًـا من الـبـاغـي ولا قـلَـمًـا
فـغـــارةُ الله فـــوق الـسـيــف والـقـلـــم
الــظُّــلـم فـي الأَرض سـارٍ كـالـظـلام بـهـا
وكـاشـفُ الـظُّـلْـم فـيـهـا كـاشـف الـظُّـلـم

سر الكون

نشرت بجريدة البصائر سنة 1937

الأَرضُ تـربـةُ سُـوء فـالـغـبـيُّ بـهـا   من يَرتـجي من ربيب الارض إِحسانا
قـد اَغـتذيـنـا جـمـيـعـا من قساوتـها   فـبـات أَلـيَـنُـنَـا فـيـهـا كـأقـسـانـا
لـم نجُمـل الصنـع فـي قولٍ ولا علمِ   سبحـان مَـن بِجميـل الصنع وَاسانـا
الله أذكـرنـا آثـارَ نـعـمـتِـه   عـلـى الـخليقـة والشيطـانُ أنـسـانـا
كم أَنطَـقَتْ مِن ذَوِي الإِقْـرارِ ذا بَـكَم   وأخرسـتْ مِـن ذوِي الإنكـار مِلْسانا
لكنَّـهـا لـم تـزلْ فـي الكُـنْـهِ مُغلقـةً   عن فـهْـم كـل الـورى جِنًّـا وإنسانـا
وجـوهـرُ الـكَـوْنِ سـرٌّ لـم يلِمَّ بـه   حيُّ بـنُ يقظانَ أَو ميِّتُ بـنُ نعسانـا

الناس

نشرت في مجلة الشهاب سنة 1937م

يـا راجيَ الصِّدق في الدنيا وليس بها   الاَّ الـخـيـانَـةُ والـتـزويـرُ والـمَـلَـقُ
رجـوت فـتـح رِتاج فـي البـرية من   عـهـد تـقـادَمِ لـم يُفتـحْ لـه غَـلَـق
الـنـاس لـلـنـاس عيَّـابـون جُلُّهُـم   اذَا رَأَوْا غَـمَـزوا أَوْ حـدَّثـوا سَلَـقـوا
قـد اكْـتَـشَـفْـتُ بـأن الـدَّاء قُرْبُـهُمُ   فـيـمـا اكـتـفـتُ وأن الـحِمْيَةَ الطَّلَق
لا أَمْـنَـحُ الـنـاسَ مـيـثاقِـي ولا ثِقتي   وان أحـاطـتْ بـي الأَفـواجُ والـحِلَق
اغـرانـيَ الله بـالـحـسـنـىٰ لأَعْلقَـهـا   فـكـيـف أَعْـلَـقُ من جُـرثُومُـهُ عَلَـق
عـدانـيَ الصدرُ فـاستأخَـرتُ منقِلبًـا   الـىٰ خَـوالِـفَ فـي أخلاقـهـا خَـلَـق
اصبحـت أيـأس صَـادٍ لا يـعـلِّـلـنـي   حتَّـىٰ الـسَّـرابُ فـلا مـاء ولا أَلَـق
حـيـران كالتائـه الظِّلـيـل لَـيْـس لَـه   هـادٍ بـأجْـرُفِ وادٍ كـلُّـهـا زلَـق
ما أَجْبَنَ الـحُـرَّ فـي البَلْوَىٰ واحْصَرَهُ   وإِنْ أُتـيـح لـه الإقـدام والـذَّلَـق
يـا لامعَ الـخُلْق والأَخلاقُ داجـيـةٌ   كـأنـمـا خُلْقُـهُ مـن بـيـنـهـا فَـلَـق
مـنك الـرفـاقُ لـقـوا رِفْـدًا ومكـرُمَةً   فـهـل لـقـيـتَ كمـا مِنك الـرِّفاقُ لَقُوا
أخـلصت للناس فاحْتالوا وَصُنْتَهُـم   فـضيَّعـوا وصدقْـتَ القول فاختـلقُوا
كـنْ صابـرًا لـجفـاء النـاسِ أو قـلِقًـا   لا يعطِـفُ الـنـاسَ لا صَبْـرٌ ولا قَلَق

ضيفٌ كريمٌ

شـــرَّفَـــتْ بَـيْـتـــيَ الـخَـطَـاطـيــــ
ـــف كـضـيْـــفٍ لــــي «كــريــمْ»
صَـــــار بـيْـتــــــي كَـكـنَـــاسٍ
والـخـطَـــاطـيـــفُ كَـ «ـــريـــمْ»
إن بـيـتـــــي بـالـتَّـهـــانـــــي
والـــرِّضـــى لا شـــكَّ «ريـــمْ»

تفاؤل

نشرت في كتاب «النصوص المختارة» الذي طبعته وزارة التربية الوطنية الجزائرية

أرىٰ جل أصحابي أزدَرَوا بوظيفَتي[1]
وقالوا هُمومٌ كلُّها ووجائع
وقد زعموا عُمْري مع النَّشْءِ ضائعًا
وتَالله ما عُمْري مَعَ النَّشْء ضائعُ
سيرْوونَ عنّي العلم والشِّعرَ بُرهةً
وتَطْلُعُ للإِسْلام منهمْ طلائع
فمنهم خطيبٌ حاضرُ ٱلفكر مصْقَعٌ
ومنهمْ أديبٌ طائرُ الصِّيت شَائع
ومنهم وَلُوعٌ بالقوافي لفكره
بَدَائعُهُ في ترصيفها وبَدَائع
ومنهم زعيمٌ للجزائر قائدٌ
لَه في مَجَالات الجهاد وقائع
فهذا رجائي قلتُه متفائلاً
وللشَّرْع رَأيٌ في التَّفَاؤل ذَائع

(1) إشارة إلى مهنة التعليم التي كان يشغلها الشاعر.

رهين المحابس

رأيت سنـي الدُّنيا كواسرَ للورىٰ
وإنْ جَبَروها بالسِّنين الكَوَابسِ
فأرعرضْ عن الدنيا بوجهكَ عابساً
وان كان طلْقًا وجْهُهَا غيرَ عابس
جَفاها رهينُ المحبسَيْن وعافَها
فكيف يُواليهَا رهينُ المَحَابس
أفوِّضُ أمْري للذي غمَرَ الوَرَىٰ
بآلائه من كُلِّ رَطْبٍ ويابس
نفضتُ يدي من كلِّ ما اقترفَتْ يَدي
وجَرَّدْتُ نفسي منْ قبيح المَلاَبس

فتنة الوجوه

نشرت في جريدة البصائر سنة 1939

تـعِنُّ لـك الـوجـوهُ مـقـسَّمـات فـتـفـتـنُـك الـوجـوه بـمـا تـعـنُّ
علىٰ سكنات أهليها وَقارٌ وفي حَركاتهم أدب وفنُّ
رأيت رُواءَهم فظننتَ خيرا وباطنُهم يخالف ما تظنُّ
وكم نفسٍ كمثل الخمْر رجس يُواريها من الأَشخاص دَنٌّ
ألا ليت النفوس لها شُكول وأعيانٌ لِيَبْدُوَ ما تُكنُّ
أراك تطِنُّ بالدعوىٰ كَذوبا كذاك الطِّينُ فارِغُه يطِنُّ
خذ الماء القَراح ودعْك ممَّن يقبحه بأنَّ الظرفَ شن
وفضِّل أن تُصاب بألف داء وعرضك بالمعائب لا يُزَنُّ
سيكشف ما تسُنُّ الدَّهْرُ فاعْدِل عن السُّوأىٰ وأحْسِن ما تَسُنُّ

المسجونون من العُلماء

عمد الاستعمار الفرنسي في فورة من فورات جنونه وطيشه. إلى سجن أربعة من جمعية العلماء من بلدة واحدة في الصحراء الجزائرية بتهمة لفقها الحاكم العسكري لتلك المنطقة. ومدار التهمة على أنهم فتحوا مدارس عربية في تلك القرية وباشروا التعليم فيها بأنفسهم بدون رخصة.

وفي هذا نظم الشاعر هذه القطعة

نشرت بالجزء (7) م (15) من مجلة «الشهاب» الصادرة في رجب 1358هـ أوت 1939م

تســاءَلَ الشعبُ في ضيْق وفـي حَرج ... هــل للمساجيــن من عفْوٍ ومن فرج؟

هل للذين بِسجّن «الكدية»[1] أعْتقلوا ... روحٌ من العفـو صفـو طيـب الأَرَجِ

قـل للـوُلاة دَعوا التَّضييق وٱقْـتصدوا ... فـرُبَّمـا جـرَّنــا التضييـقُ للـمَــرَج

ولــيـس يَصْلـحُ سَيْـر التَّابعيـنَ لكمْ ... مــادام فـي سيْـرِكم ضربٌ من العَرَج

عُـودوا علـى الشعب بالحسنَى فإنكم ... علـى كواهِلـه تـرْقَـوْنَ فـي الـدَّرج

---

(1) الكدية: اسم السجن المدني لمدينة قسنطينة وفيه سجن ثلاثة من أعضاء جمعية العلماء وهم: الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي، والشيخ علي بن سعد، والشيخ عبد القادر الياجوري.

يا فؤادًا

نشرت في العدد (82) من جريدة البصائر سنة 1939

يا فُؤادًا به آحترقْ ... لاعج الهَمّ فاحترقْ
ما عسى يدفع الأَسَى ... طارقًا بالأذى طرق
ما عسى ينفع الأَسى ... أمةً شملُها آفترق
الملمَّات كالقنا ... فآلْبَس الصبر كالدَّرَق(1)
واجعل الرأيَ هاديًا ... فهو كالنجم إن شرق
ويح شعبٍ معذَّبٍ ... قد فَنَى صبْرُهُ ورق
من لحيْرانَ في الدُّجى ... مسه الضر والأَرَقْ
يخبط الليلَ ساريًا ... متعَبًا عَمَّهُ العَرَق
كلما شامَ بارقًا ... خالَهُ بالمُنَى بَرَق
كلما حن حنَّةً ... قيل للخُبْز والمَرَق
يسأل الحقَّ خائفا ... فعل مَنْ خَانَ وَآسْتَرق
ويحهُ ضاعَ كلُّ ما ... في الوغَى من دم هرق
كيف يرجو الهدوءَ منْ ... بَثَّ في الأُمة الفَرَق(2)
كل وعدٍ له مضَى ... فهْو حِبْرٌ عَلَى وَرَق
قد (تَوَلَّى بِرُكنه) ... فتَرَقَّبْ لهُ الغَرَق

---

(1) الدرق: ج درقة: الترس.

(2) الفرق: بالفتح الخوف.

ابن آدم

أنا المرءُ في مثل خَلْق الملاك أنا العبدُ في صورة العاهل
أنا سيد الحيوانات في الكوْ ن من صادح فيه أو صاهِل
أنا الهَيْكَلُ الآهل العَرَصات فحدِّث عن الهيكل الآهِل
أنا الناهِلُ المستلذُّ الحياةَ وإن دَسّتِ السُّمَّ للناهل
ذُهلتُ عن الموت وهو اليقين ولستُ عن العيشِ بالذاهل
وإيايَ تستَمْهِلُ الكائنات وما أنا في السَّعْي بالمَاهل
حملت الأَمانة دون السمَاوا ت والأَرضِ فيها علَى كاهِلي
لظلمي وجهْلي أقتحمْتُ الصِّعاب فوَيْحِيَ مِنْ ظالِم جاهل

جاهل نفسه

لا تُحزِنَنَّك قولةٌ
يُهذَى بها أو يُهذَرُ
واحذرْ خصومةَ قائلٍ
متجرِّئٍ لا يحذر
يستقذر القولَ البذيءَ وقولُهُ يُستَقذَر
الغِرُّ يجهل نَفْسَهُ
لا سيَّما إذْ يُنذَر
كالبغلِ يحسَبُ أنَّه
بين البهائِم جُؤذَر
لا ترجُ مِن أرض نَبَا
تاليسَ فيها يُبْذَر
حلَّلتُ أخلاقَ الورَى
فعذَرْتُ من لا يُعْذَر

يا عام

نشرت في مجلة الشهاب سنة 1938

يــا عــام حـيّـاك غيـثٌ ... ثَـجَّـت غـواديـه ثَـجَّـا
يا عـام هـل فـيـك خـيـر ... لـلمسلمين يُـرَجَّـى
أخـوكَ يـا عـام فيـه ... ليـلُ المظالِـم دجَّـى
صُـبَّ الأَذىٰ فـيـه صَـبَّـا ... فـرُجَّـتِ الأَرضُ رجـا
ألـم تـر الشـرقَ فيـه ... مـن المظالـم دَجَّـى
سِيـمَـتْ فلَسْطِيـنُ خسْفًـا ... عـجَّ الحِمىٰ منـه عجَّـا
هـذا عـن الأَهـلِ أُقـصي ... وذاك فـي السِّجـن زُجـا
وفـي الشمـال هَـنـاتٌ ... يَـمُـجُّـهـا الذوق مـجـا
والشـرق ولْـهـان يـرجـو ... أَن يسـلـكَ الأَمـن فـجـا
يــودُّ إِقـنـاعَ خـصـم ... فـي غمطـه الحـقَّ لَـجـا
ويـبـتـغـي ردْعَ جـانٍ ... وجـه العدالـةِ شـجـا
يـا عـام أَشبـهْـتَ طفـلا ... بِالأَبـجـدِيَّـةِ هَـجَّـا
فـاقـرأ مِـنَ الحِكـمَـةِ اقْـرَأ ... مـن حَاجَـج العُـزْلَ حَـجـا
هـل يـبـلـغُ الشَّـطَّ أمـرٌ ... كـالـفـلـكِ فـيـك يُـزجَّـى
وهـل تُـنـجَّـىٰ قـريـبًـا ... مِـنَ الأَذىٰ هـل نُـنـجَّـى؟

الإخوانيات

بين كاتب وشاعر

"دعابة إبليس"

نشرت هذه القطعة في جريدة البصائر بتاريخ 18 محرم 1355هـ – 10 أفريل 1936م مع التعليق التالي:

كتب الكاتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في مجلة «الرسالة» مقالين بعنوان: «إبليس يعلم» و «دعابة إبليس» وقد اطلع عليها أمير شعراء الجزائر الأستاذ محمد العيد، فشاءت له شاعريته وشاء شعوره أن يرسل إليه بهذه الأبيات مخاطبا له ومداعبا.

سخرتَ بإبليس في علمه   وأمعنت كالنَّجم في رَجْمِهِ
أهنِّيك أنك في المُنشئين   ثأرتَ لآدَمَ من خصمه
وأحْذر أن يهمس القارؤون   وَقَدْ طال كشفُكَ عن ظلمه
دعابةُ ابليس للرَّافعي   مَخايل دَلَّتْ على وهْمه
ومن هَمْز إبليس همْس الشفاه   فَلُذْ بالإله وعُذْ باسمه

بين عالم وشاعر

القصيدة منشورة في مجلة الشهاب سنة 1936م

أبي (البشيرُ) سلامٌ   زاكٍ وشوقٌ كبيرُ
لازلتَ فينا مَنارا   بضَوئه نَستنير
وافَى كتابُك[1] يَهدي   الى المُنَى ويُشير
تذكو العِبارةُ فيه   ما ليسَ يَذكو العبير
اذا فؤاديَ سال   به وطرفي قرير
قد ارتددتُ بصيرًا   فكيف يَغْوي البصير؟

---

(1) نظم الشاعر هذه القصيدة جوابا على رسالة الأستاذ الكبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي هذا نصها:

إلى ولدي الروحي الأستاذ محمد العيد

ولدي

طالما قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن، وتلمحت في قسماتك دلائل الهم والأسى، وحركتك بمعاريض من القول، علني استبين شيئا من حقيقة هذا الهم الدفين الذي تنطوي عليه أحشاؤك، وهذا الأسى المبرح الذي أعلم أنك تقاسيه، فكنت كمن يستجلي المعنى الدقيق من اللفظ المعقد. وأن بين التعقيد ونفوس الشعراء (الأتقياء) نسبا وثيقا. ويا لله للنفوس الشاعرة التقية وما تلاقيه من عناء ممض، يتلقاها الشعر إطلاقا فيتقاضاها التقي تقييدا.... لها الله، فماذا تفعل؟

أتظن أننا جاهلون بهذه المنازع العجيبة التي تنزعها في شعرك وبمآسيك من نفسك، فاحمد الله، على أن في قومك من يعرفها ويتذوقها ويطرب لها.؟

ما لهذه النفس الكبيرة في هذا الهيكل الصغير، يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع، فلا يبلغ مداه حتى يقول:

خلا القلب من حب العباد وبغضهم   واصبح بيتًا للذي حرم البيتا

ويقول: وتبت يا رب تبت؟؟

ويقول اليوم: ولولا رجاء الذي   إليه أنا زالف

إنها وأبيك – لنزعة الشعر تعتلج في الفؤاد بنزعة التقي، طالما سمعت منك كلمة (اليأس) وبودي أن لا أسمعها منك مرة أخرى، لأنني أعدها غميزة في شاعريتك. ولولا شذوذ نعرفه في نفوس الشعراء كأنه من معاني كمالهم، لما صدقنا باجتماع اليأس والشعر. وكيف ييأس الشاعر؟ وهو ملك مملكة الآمال، وسلطان جو الخيال.

قميصُ يوسُفَ ألقَى	بهِ عليَّ البشيرُ
يا آسيَ اليأسِ زدْني	كشْفًا فأنت خبيرُ
اليأس داءٌ عسيفٌ	والبُرء منه عسيرُ
فرَّجْتَ عن مُستطارِ	بَلاؤُه مستطيرُ
وكدت تجلو ضميري	لو كان يُجلَى الضميرُ
فليس يجزيك عنِّي	الاَّ الالاه القديرُ
غفرانَهُ لم يشقَى	في الخلْق جَمٌّ غفيرُ؟
شقَّ المرائرَ إرْبًا	هذا الشقاءُ المريرُ
كم للمعافين جارٌ	من بؤسه يستجيرُ
يُرى كجذلانَ حرٌّ	وهو الأسيف الاسيرُ
يا لاهجَ الذكر باسْمي	والجاحدون كثيرُ
لا باد فينا لكَ اسْمٌ	ولا انقضَى لك خيرُ
عفوًا فإنَّ يراعي	عَيٌّ وبَاعي قصيرُ
عفوًا فمالي جَناحٌ	به اليكَ أطيرُ
لاَقَفْوَ أثرِ سَريِّي	فوق الثُّريا يسيرُ

فإن كان تقيا رجع من رجاء الله إلى ما لا يحد له أمد فكيف ييأس الشاعر لولا ذلك الشذوذ، لقد قال أولكم:

حرك مناك إذا أغتمـ ـت فإنهن مراوح

وما قالها لغيره إلا بعد أن جربها في نفسه.....

فلا تيأس يا بني ولا تكذب الذي يقول:

خلق الشاعر سمحا طربا. قرأت زفراتك هذه الساعة في (الشهاب) وأنا طريح الفراش أعالج زكاما ونزلة شعبية وسعالا مزمنا، وأولادا يطلبون القوت أربع مرات في اليوم. وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلة. فقلت وهذه أخرى: أن ولدنا هذا لذو حق. وكتبت لك هذه الكلمات كما يكتب الأب الشفيق، إلى ولده الرفيق. وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك.

محمد البشير الإبراهيمي

نفحتَني بخطاب ... كالزَّهر وهو نظير
فهل تُعير بيانًا ... لردِّه هل تعير؟
يعيي الفرزدقُ عمّا ... تقولُه وجَرير
يا واصفَ الخير زدْني ... من وصْف ما تستخير
يدقُّ بين ضلوعي ... قلبٌ كسيف كسير
اخشى عليه انتكاسًا ... والانتكاسُ خطير
صف وصفة ليَ أخرىٰ ... فيها الشفاء الأخير

باقة شعر

أهدي الشاعر هذه القطعة إلى صديقيه، الأستاذ الطيب العقبي.. والسيد عباس التركي بعد أن أطلق سراحهما من السجن ظلما من طرف الاستعمار الفرنسي.

وقد نشرت في العدد (34) من جريدة البصائر سنة 1936

خُذا لكما عنِّي من الشِّعر باقةً كذكر كما الزَّاكي تَضُوع وتعْبَق
مضتْ لكما في الدَّهرِ أيامُ محنَةٍ وساعاتُ عُسْر بالأماثل تَلحق
بها يمحَصُ اللهُ المحقِّين في الورَىٰ ويسحَقُ دعْوَىٰ المُبطِلين ويمحَق
ففي ذمَّةِ التَّاريخ بَلْوَىٰ مريرَةٌ وذكرىٰ كمثل الجَمر في القلب تحرق
إذ الجَوْرُ صَادِي الصَّوْتِ والعدْلُ خافِت اذا الغيُّ عَالي الرأسِ والحقُّ مُطرق
ولا همسَ الاَّ زَفرةٌ إثْرَ زفرة بجُنح الدُّجىٰ أو أدمُعٌ تترَقرق
رعَىٰ الله يومًا فيهِ أفرج عَنكُما ولا زالَ في الأَيام كالنَّجم يُشرق
ولا زِلتُما رمْزَيْ نَجاةٍ وعِصْمة لكل امْرِئ في جانبِ الله دوامه
يحييكما اللهُ الكريم ورسلُه وكلُّ حنيفٍ بالشهادة ينطق

بين أميرين
"أمير الكتاب وأمير الشعراء"

أمير شعراء الجزائر وأمير كتابها، نشرت في مجلة الشهاب في أكتوبر سنة 1937 م مع هذا التعليق:
هذه درة من درر شاعرنا ألقاها بحر شعوره الفياض بمناسبة حادثة السيارة التي كادت تؤدي بحياة الأخ الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي وسلمه الله منها.

فرَّ منك الموت يُخزَى بالمَلامة ... وتخطَّاك فأبشرْ بالسَّلامة
خاب كيْد الموت فيما حاكَه ... لكَ لم يغنَم به غيْرَ النَّدامة
لم يطق وضْعَك في قَبضته ... إنَّه ألفاك كالطَّود أمامه
جُلتُما حتى اذا أعييتُما ... قمتَ كاللَّيث ولَّى كالنَّعامه
هكذا الحَظُّ يُواتي ربَّه ... هكذا النصْرُ يُوافي والكرامه
أيُّها الحاكي ابا شُبْرُمةٍ[1] ... اذْ رماه الدَّهْرُ بالضُّرِّ ورامه
ليتني جئت كيحيَ عائدًا ... ناذرًا عتقَ غُلام وغُلامه
حبَس العُذرُ صديقًا موفيا ... لك يُخفي مثلَما يُبدي احْترامه
نزَل الخَطب عنيفًا قادحًا ... فاجعا لكن أبَى اللهُ دوامَه
لم يطُل دهرُك في تقطيبه ... إنه سُرعان ما أبدى ابتسامه
اكبرَ الحادثُ نفسًا حرَّة ... منكَ آذاها فلَم تجزَع قُلامه

(1) إشارة إلى ما حكاه لبن قتيبة في الجزء الثالث من عيون الأخبار... أن القاض أبا شبرمة سقط عن دابته فزئنت رجله فدخل عليه بحيي بن نوفل وانشده أبياتا من الشعر.

ورفيقيك المُصابيْن فقد ... لقيا مثلَك بالصبر اصطدامَه[1]
فاغتبط بالقَدَر الجاري ولا ... تَلقَ الا بالرِّضى منك أحتكامه
واحمد الله عَلى الجرح الذي ... عن قَريب يسَّر الله التآمه
وأرْضَ عن بعض رُضوض بقيتْ ... فهْي للأجر على الضُّر علامه
في تلمسانَ بك الزهْرُ احتفى ... فاسْقه وافتحْ على الخير كِمامه
بلغت «دارُ الحديث»[2] المنتهى ... كبلوغ البدْر في الافق تَمامه
ودرى الناسُ جميعا أنما ... هيَ فيها بمَساعيك مقامه
فاحْيَ في الشعب عظيمًا نابهًا ... خالدَ الذِّكر الى يوم القيامه!

(1) رفيقا الشيخ في السيارة هما الشيخ الهادي السنوس، والسيد جلول الحاج سليمان.

(2) دار الحديث: المدرسة العربية الكبرى التي تم تأسيسها وبناؤها على يد الأستاذ الإبراهيمي، وكانت إذ ذاك على وشك الانتهاء.

هنيئًا

هنأ الشاعر بهذه القصيدة صديقه الأستاذ فرحات الدراجي ببنتيه التوأمين ونشرت في جريدة البصائر سنة 1937

أَخي (فرحات)[1] طبْ بالا   بما أَعقبت من نسْلِ
لما ضاعفْتَ من خيْر   جزاك الله بالمثل
حباك الله بنتيْن   معًا فضْلا على فضل
فعشْ برًّا ببنتيك   وكنْ برًّا أبا عدل
هنيئًا لك ما أنتجْـ   ـت في قولٍ وفي فعل
أعيذك يا أخا العرفا   ن أن تُوصم بالجهل
فلولا البنتُ ما خلَّـ   ـف نسْلاً سيِّدُ الرسل
ولم تجمعْ شُعَيْبًا وابـ   ـن عمْران يدُ الشمل
ولولا البنتُ في الدنيا   لَبَادَ النسلُ من قبل
ولولا البنتُ ما امكن   وصْلُ الفرع بالأَصل
رأيت البنت للآبا   ء أوفى الناس في الأهل
بَراها الله من خُلق   كريم طيِّب سهل
دعا الأَرحامَ للوصْل   فكانت همْزةَ الوصل
وكم بنت تَفُوقُ أبْنَا   بما تحويه من نُبل

(1) الأستاذ فرحات الدراجي صديق الشاعر وزميله في (مدرسة الشبيبة).

وليس الوَرْدُ في الأَسوا ... ق مثلَ الوَرْد في الحقل
وان لم تقتنع رأيا ... وحَنَّ الليثُ للشبل
فَمن قَدْ جادَ بالطِّفلـ ... ـة سوفَ يَجُودُ بالطفل

بين شاعرين

مـا مَـسَّـنـي بـطَـرٌ بـل مـسَّـنـي مَـطـرٌ
لـكـنَّـنـي رغْـمَ هـذا جـئـتُ أعـتـذر
هـيـهـاتَ اتـرك أحْـبـابـي وأهـجُـرُهـم
لا زهْـدَ لـي فـي أحـبَّـائـي وان هَـجـروا[1]

(1) البيتان جوابا من الشاعر إلى صديقه الشيخ حمزة بوكوشة الذي بعث إليه ببيتين نشرهما في جريدة الوزير التونسية سنة 1937 وهما:

مـا كـنـت أحـسـب أن الخلـف شيـمـتـكـم
حـتـى يـؤخـركـم عـن وعـدكـم مـطـر
إن لـم تـجـيـئـوا بـأعـذار مـسـلـمـة
أقـل – بـرغـم الاخـا – هـل مـسـكـم بطر؟

له خبر

أيها الشاعرُ الذي حذق الشِّعرَ في الصِّغرْ[1]
هكذا الشعرُ يُنتَقى هكذا الشعرُ يُبتكَر
ليسَ كالشعر حافزٌ للنُّهى بالغ الأثَر

(1) هذه الأبيات بمثابة تعليق على قطعة نظمها تلميذ الشاعر عثمان بوقطاية وألقاها في حفل ختان، والقطعة هي:

فتية المجد مَرْحَبا أيُّها الأنجم الغُرر
المصابيح في الدُّجى المغاويرُ في الخَطر
فتيةَ المجد انتمُ السـ ـمعُ للشعْب والبصَر
انتمُ اليوم قلبه انتم جندُه الأبرّ
اسدُ الله بينكم إنه اليوم قد زأر
قد دَعاكم الى الهُدى ببليغ من السُّور
عاش حرًّا تحفّه رايةُ النصر والظّفر
دامَ بالسَّعد حفْلكُم ختِّنوا واختنوا القمَر
يلعب الشعرُ بالنهى لعب القوس بالأكر
انما الشعرُ ريشةٌ كلُّ نفسٍ لها وتر
انما الشعر لوحةٌ غيرُ محدودة الصُّور
أقرض الشعرَ وآتلُه في العشيَّات والبُكَر
وآصحب الشِّعرَ واثقًا إنه الصاحبُ الأبرُّ

مُتْعةُ الأُنْس في النهى وحِمَى النفس في الخَطر
إن (عثمانَ) شاعرٌ سحر اللُّب إذْ شَعَر
شعرُهُ اليومَ مُبتدًا بعدَ حينٍ له خَبَر!

ذكرى زفاف الشيخ جلول البدوي

نشرت هذه القطعة في مجلة الشهاب ج (3) م: (13) 1356هـ 1937م والقطعة كتبت على الصورة الشمسية التي تجمع أساتذة مدرسة الشبيبة وهم:

فرحات الدراجي، ومحمد العيد، وجلول البدوي، وعبد الرحمان اليجلالي، وباعزيز بن عمر.

وقد اعتذرت الشهاب على نشر الصورة لنقص فني في التصوير.

خيرُ رسْم في طيِّه خيرُ ذكرَى
لقِرانٍ مبشِّرٍ بالهنَاء
هو ذكرَى قران أحمدَ جَلُّو
لٍ وبُشرى صحابه القُرناء
آيةُ الشمس خلَّدت آيةَ النَّفـ
ـس فدلَّت على السَّنا والسَّناء
فاهنَ يا خلُّ بالزواج ودِّع
كل ضُرٍّ مضَى وكلَّ عناء
ان في نعمة الزواج لذي الدِّيـ
ـن غَناءً مَا بعدَه من غناء

سلبت روايتك النهى

هذه القصيدة نظمها الشاعر سنة 1369هـ – 1949م وبعث بها كتقريظ لمسرحية «المولد» التي ألفها الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ومثلت مرارا في المسارح الجزائرية آنذاك.

أخلصْ لربك تُحظ بالآمال ... ما أَحسنَ الاخلاصَ في الأَعمال
وانهضْ لإِدراك العُلى بعزيمة ... جبَّارة كعزيمة الرِّئبال
إن الجليل من استقل ببحثه ... وجلا الحقائق كالفتى (الجيلالي)
مازال بالأَبطال يكْلَف باحثًا ... حتَّى انتهى للفذِّ في الابطال
في (المَوْلد) الميمون أعْظَمُ عبرة ... وأجلُّ رمزٍ للمثال العالي
خيْر المَوالد ما أنجَلى عن مصطفى ... وأبانَ مولدَ ايْمَن الأَطفال
سلَبتْ روايتُك النُّهى فتخطَّرت ... مثْل العروس بذيلها المختال
خلَعتْ على التمثيل كفُّك حلَّةً ... عرَبيةً أدبيَّة المنْوال
هذا هو الهمُّ البعيد فطُل به ... شرفًا وتهْ فخرًا على الأَمثال
إن (الجزائر) أنجبتْك محقِّقا ... متحليا بالصِّدق في الأَقوال
عزَّت بمثلك في الشَّباب فاصبحت ... مثلَ اللَّباة تُعَزُّ بالأَشبال
اني لأَشهدُ والشَّهادةُ وعرة ... وعلى الرِّقاب ثَقيلة الأَحمال
أجهدتَ فكرك في شبابك باحثًا ... وعمَّرتَ وقتك فيه بالأَشغال
متحمِّلاً عبْءَ الدراسة معْرضًا ... عن كلِّ لَهْو شاغلٍ للبال
حتَّى جنيت جَنَاك غيرَ منغَّص ... وظفرتَ منه باطيب استغلال

فكرتُ في الدنيا وفي أحداثها ودرسْتُ ما فيها من الأحوال
وسَبَرتُها نقمًا فلم أرَ نقمةً مثلَ النُّبوغ يصاب بالإهمال
وسبرتها نعمًا فلم أر نعمةً كخلود طيب الذِّكر في الأجيال

قدوة للشباب

أصدر الشيخ محمد الصالح الصديق الجزائري كتابه (أدباء التحصيل) فأهدى منه نسخا لطائفة من أصدقائه الأدباء والقراء، كان في مقدمتهم صديقنا الأستاذ محمد العيد الذي ما كاد يطالع الكتاب حتى جادت قريحته في وصفه والتنويه بجهود مؤلفه بالقطعة الرائعة.

ونشرت في العدد 189 من جريدة البصائر سنة 1952.

حلِّلْ فإنَّك باحثٌ منطيقُ وانقُدْ فإنك بالصَّواب خَليق
وانهَجْ لناشئة الجزائر مَنهجا حرًّا بأحرار العُقول يَليق
واكشف لهم أدبَ العُروبة إنه عنهم خفيٌّ كالسُّهى وسَحيق
اسفي على الفُصحى تحوَّل نبعُها وشلاً وكدَّر صفوَه التَّرنيقُ
صدئتْ جَواهرُها وغاب ضياؤها لولا بصيصٌ نادرٌ وبَريق
يبْدُو على أقلام نشء ناهضٍ وَاعٍ كمثلكَ دأبُه التَّحقيق
اعددت للتَّحصيل سفرَك عارضًا ثمَرَ العقولَ يَزينُه التَّنسيقُ
زاولت في الزَّيتونة الآدابَ عن أقطابها ودليلُكَ التَّوفيق
ولبثتَ تَروي عن (أبي شَرْبيَةٍ)[1] فاذًا شَرابُك كوْثَرٌ ورحيق
واذا بُحوثُك خمْرة علويةٌ يَصْحُو مُعاقرُها بها ويُفيق
وجلَوْتَها فجَلاَ الظَّلاَمَ شُعاعُها وسمتْ بها الاكوابُ وَالإبريق
وحنى النَّدامى للكؤوس رؤوسَهم ادبًا وأنتَ تُديرها وتذيق

(1) الشيخ (أبو شريبة) من علماء جامع الزيتونة.

وسمعتَ مَرْحَىٰ بعدَ مَرْحَىٰ منهمُ   وعلاَ الهتاف وأطْبَقَ التَّصفيق
لِمَ لا تكونُ لمَا تَرومُ من المُنَىٰ   كُفْؤًا وانتَ (الصَّالحُ الصِّديق)
سرْ في سبيلك رائدًا فطنا فما   كطَريق رُوَّاد العُقول طَريق
إن الرِّكابَ من الشباب ستقْتَدي   بك جلُّهم لكَ في الطَّريق رَفيق
ابرزت جزءًا من كتابك أولا   فبَدا هلالاً منكَ وهو رَشيق
فأتمَّهُ بَدْرًا وليسَ بوَجهه   كلَف وليسَ به المَحَاقُ يَحيق
وأهْدفْ الىٰ مَرْمَاكَ وأمْض مُوفَّقا   إن الموَفَّق بالنَّجاح حقيق

شاعران يلتقيان

نشرت القطعتان في العدد (212) من جريدة البصائر سنة 1953م

زَوْرةٌ حلْوة وشعرٌ أنيق ... ووفاء بالإعتبار خَليق
يا صديقي شرحتَ بالوصل صدْري ... بعد ما سَامه من البُعْد ضيق
كنتَ من قبلُ في القريض رفيقي ... ورَفيقُ القريض نعمَ الرفيق
إن قلبي كعهْده بالقوافي ... مغرَمٌ منتشٍ بهَا لا يُفيق[1]
هي ريحانيُّ الشّذى وروحي ... كيف أرضَى فراقَها او أطيق

---

(1) زار الأستاذ أحمد سحنون الشاعر في بيته وحياه بقطعة قال فيها:

سيِّدي إنَّني إليكَ مَشوقٌ ... وعَوادي الزمان عنكَ تَعوق
إنني مُذْ فَقَدْتُ وجهَك لم أَظْـ ... فَرْ بوجهٍ منَ الأَنام يَروق
سيِّدي كيف حالُ قلبك بعْدي ... في زمان قد عزَّ فيه الصديق؟
هل كما كان للحياة طَروبًا ... هلْ له بَعْدُ بالقريض خُفوق؟

فأجابه الشاعر بالقطعة الأولى،

إن الحجى نعم العطاء

في الشاعر محمد العيد نزعة وطنية اجتماعية مظهرها الأعلى في مدح الصناعات والمصانع تراها مبثوثة في كثير من قصائد هذا الديوان، في معرض التألم لامته أن لا تكون لها مصانع وهذه واحدة منها، قالها في صديق له تعلق بالصناعات بموهبة خاصة فيها.

ونشرت القصيدة في العدد 220 من جريدة البصائر سنة 1953م

(لإبراهيمَ خير الدّين) فكر ... يُجيدُ مِن الصنائع ما يَشاء
تفَوَّق في صنائع نافعات ... وما أستاذُه إلاَّ الذَّكاء
فنجَّارٌ وحدَّادٌ بحقٍّ ... وَبنَّاءٌ إِذَا لَزِم البِناء
وَزُرّ إنْ شِئْتَ مَصْنَعُه ففيه ... عَتَادٌ سَخَّرتْه الكَهْرباء
وآلاتٌ يُقيمُ بها دليلاً ... على أن الحِجي نِعْمَ العَطاء
ولو أَن الجزائر أنصفتْهُ ... لَسَاعَفَه التمَوُّل والثراء
وكان لها بهِ وبمَن يُربِّي ... من الأَبنَاء فضلٌ وأتقاء
ولكنَّ الجزائر من قديم ... لها بالحِذْق والنُّبل أزدراء
اذا حُرِمَ الجزاءَ بها نَبيهٌ ... فعند الله لم يَضع الجزاء
فقل للشيخ إبراهيمَ صبرًا ... اذا عظُم التَّنكُّر والجَفاء
وقد أثنَى عليك الشعرُ فاقْبَل ... فإن الشعرَ شِيمتُه الوفاء
وحقُّ العبقرية أن تزَكَّى ... وان يُهدَىٰ لصاحبها الثناء

تهنئة الإبراهيمي بعضوية المجمع اللغوي

(هذه تهنئة الشاعر الكبير الأستاذ محمد العيد، باسمه وباسم الأمة الجزائرية، للأستاذ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي، بمناسبة انتخاب فضيلته عضوًا مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة)

نشرت في العدد 264 من البصائر سنة 1954

حيِّ الرئيسَ الأريحي شمائلا ... العبقريَّ فواضلاً وفضائلا
وارفعْ إليه عن الجزائر كلِّها ... شكرًا لطائله المخلَّد طائلا
فلقدْ أقام بها يُجاهد مُرْشِدًا ... ويَذود عنها البَيان مُناضِلا
متعصِّبًا في حقِّها متصلِّبا ... مُتسامحًا في حقِّه متساهلا
غَرَسَ المدارسَ في الجزائر فازْدهَت ... بالنَّشْء والْتفَّت عليه خَمائلا
فإذا رأيتَ بها رأيتَ ازاهرًا ... وإذا سمعتَ بها سمعتَ عَنادلا
جابَ المشارقَ رائدًا لبُعوثِها ... فَصفَتْ لهم عندَ النُّزول مَناهلا
ثم انْتَحىٰ صَوْبَ الكِنانةِ فانْبَرَىٰ ... فيهَا بأسْواق الخَطابة جَائلا
حتَّىٰ أَقام علىٰ شُفوف مقَامِه ... حُجَجًا لأَرْباب النُّهَىٰ ودَلائلا
(المجْمَعُ اللُّغَوِي) فيها اَخْتَارَهُ ... عُضْوًا بإجْتماع الشُّيوخ مُراسلا
هذا هُو الشَّرَفُ الذي ما فوْقَه ... شَرَفٌ فبَاه بِهِ الجَحودَ النَّاكلا
قل «للْبشير» رفعْتَ هامَةَ أمَّة ... ذَلَّتْ وَشعْب كانَ قَبْلَكَ خاملا
ما زلتَ تكْشفُ عن خَفيِّ نُبوغهِ ... حتَّىٰ تَبَيَّن للنَّواظر ماثِلا
أَخْجلْتَ أَقطابَ البَيَانِ فمن يكن ... سحبانَ أوْقُسًّا يُلاقِكَ بَاقلا

أدْركـتَ فـي الفُصْحَىٰ مَدارك لم يكُن ... فـي العَـصْـر ذُو أَدَب إِلـيـهـا وَاصـلا
بارَيْتَ فيـهـا الـمجدَ عَبْـرَ مُـحِيطِهِ[1] ... والـمجْـدُ لا يَعْدُو ٱلـمُجِدَّ العَامـلا
نـاهيـكَ بالـخُطَب الفصاح شواهـدا ... أدْهَـشْـتَ أشْهـادًا بـهـا ومَـحَـافـلا
مهْمَـا خـطَـبْـتَ لـفْـظَـك لـهْـجَـةً ... وأصبـتَ فـي الـمَعْني كلَّ ومَفَاصلا
تَـالله لا أوفـيــكَ حـقَّـك كُـلَّـه ... مهْمـا نسجـتُ لـك الـمَديحَ غَلائِلا
لازِلْـتَ فـي فَلَـكِ الـمَعَارِف كَوْكَبًا ... قُـطْـبًـا يَـلُـوح لـنَـا ويَـدْرًا كَـامـلَا

(1) يشير بالمجد إلى مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، وبالمحيط إلى كتاب (القاموس المحيط).

بين أستاذ وتلميذه

هذه الأبيات أرسل بها شاعر الجزائر إلى أحد تلامذته (البشير كاشه) أحد أفراد بعثة جمعية العلماء في بغداد تهنئة له بفوزه في الامتحان:

ونشرت في العدد (57) من جريدة البصائر سنة 1954

هُـوَ الفـوزُ لا يـحظىٰ به غيرُ صابرٍ طـمـوح إلـىٰ نـيـل الـمعـالـي مُـثابرِ
لـئـن نلتَ فـوزًا يـا (بشيـرُ) فإنـنـي ازفُّ الـيـك الـيـوم ازكـىٰ البشائـر
اتـانـي كـتـابٌ مـنـك بالفـوز منبئي فـكـهْـربَ إحـسَاسي وأنعَم خاطري
لـك الله فـاطْـمَـح للمَعالـي فإنـنـي اراك حـريًّـا بـاعْـتـلاء الـمـنـابـر
رُزقـتَ بـيـانًـا كالـخِـضَمّ تـدفَّـقـت بـه لـحـجٌ مـن ويـحـك الـمتكاثـر
لـكَ الـشكـر منِّـي خالصـا ولـبعثـةٍ لـنـا شـرَّفـتْ في الشـرق قدْر الجزائر
ودمـتـمْ جـمـيـعًـا للجـزائـر أنجمـا تُـنـيـر لـهـا طُـرق الـعلا والـمفاخـر

أديبان
يزوران شاعر الجزائر

زار الأديبان الجزائريان: عثمان بوقطاية، ومحمد الأخضر السائحي، وكلاهما من تلامذة الشاعر، زاراه في بيته بمدينة عين مليلة أيام كان يدير مدرستها الحرة.

وعند توديعهما له شيعهما بهذه القطعة الرائعة:

ولديّ قد انعشتماني غبطة ... بلقاكما وغمرتماني جودا
فشعرت بالأَمل الذي عني نآىٰ ... بخياله متأهّبا لِيعودا
يا مرحبا بالشاعريْن تلطّفا ... بزيارةٍ بلّت صَداي وُرودا
عثمان سَحبانُ الاذاعة لهجةً ... و(السائحيُّ) المستفيض مجودا
لله درُّ شبيبةٍ ميمونةٍ ... ذكّرتُماني عهْدَها المحْمودا
لا تحسبا نأيي البَعيد وعُزلتي ... عن أهل وُدِّي جفوةً وجحودا
لكنَّ ما حَكم الالهُ به علىٰ ... أبناء آدمَ لم يكنْ مَردودا
انّي أرَىٰ الأدبَ الجديدَ كَساكما ... حُللاً ترِف بحسنها وبرودا
فَتَعَهّدَا الأدبَ القديمَ فإنه ... أحلىٰ محاورةً وأصلب عودا
وعلىٰ الرِّفادة والوفادة فانْزلا ... متباشريْن وبالسعادة عودا

شهر الصّوم

لقد لاح شهر الصوم باليمين طالعا
فأرجاؤنا مُزدانةٌ بطلوعه
تذكَّر به القرآن ينزل نافثًا
به الروحُ في قلب الرسول وَرُوعِه
وقم فاغتنمه للإنابةِ فُرصةً
فقد تختِمُ الأنفاس قبل رجوعه

ثوريات

صرخة ثورية

ألقيت هذه القصيدة في إحدى حفلات مدرسة (الشبيبة) بالجزائر سنة 1932م وهذه القصيدة والقصيدة التي تليها هما من قصائده الثورية التي كانت كإرهاص لثورتنا المسلحة، فقد نظمهما قبلها بعدة سنين:

أحييكَ هذا مقامُ التحيةْ أحيِّيك بالنفحات الزَّكيَّه
أحييك من محفِل عبقريٍّ تلاقتْ به الأنفسُ العبقريه
سكنَّا الى ظِلِّه آمنين كما تَسكُن الطير عند العشيه
تؤلفنا المِلَّةُ المرتضاةُ وتَجمَعنا الرَّحِم اليَعْربيه
شبابَ الجزائر طبْ بالاخاء فقد حُزت في رعيه الأَسبقيه
وطف حولَ مَوْرده المُستطاب كما طافَتِ النَّحلُ الخليه
أناديكَ للخير خيْر النِّداء وأوصيك بالحقِّ حق الوصيه
ذرِ الخوفَ تَعرِفْ ثَنَايَا السُّلوك فمن هاب خابَ وضَلَّ الثنيَّه
رأيتُ المنايا سَبيل المُنَى فخاطرْ تُصبْ مُنْيَةً أو مَنِيَّه
اذا زُلزلتْ بالخُطوب البلادُ فلا خيْرَ في حَذَر أوْ تَقِيَّه
تولى زمانُ الرضى بالهَوَانِ ووافى زمانُ الفدَى والضَّحيه
أنصلَى الجَحيم، ونُسقَى الحميم، ونُرعَى الوَخيمَ، ونُعطَى الدَّنيه؟
ومن حَولنا تُستباح الدِّيار وَيُخْزَى الصَّبيُّ بها والصَّبيه
أتخضع للضيْم يا بْن الأُباة وتُطرقُ مُسْتسلمًا للأذيَّه
أمَا في عروقك أزكَى الدِّما؟ أمَا في فُؤادك أذكَى الحميَّه؟
حنانَك أنت رسولُ النَّجاةِ فأدْرِكْ من الهالكين البَقيَّه

ولا تَنْتَصِر للبُكَا بالبُكا وتُبْدِ الشَّكيَّة عند الشَّكيه
اذا كانَ كفُّك غيرَ سخيٍّ فماذا تُفيد الدموعُ السَّخيه؟
الى البَذْل فهْوَ المَلاذ المنيعُ إلى العلم فهْو السَّبيل السَّويه
إلَى الكشْف عن تركاتِ الجُدود فكمْ بَينَها مِن كُنوزٍ خفيَّه
إلى بعث سُلطانِنَا المَشْرِقي وبعث فُتوحاتِنا المَغْربيَّه
زمان (الرسول) إلى الوَاجهات يُعَبِّي السَّريةَ بعد السَّريه
زمان الخِلافة عليا اللِّوا على الكِسْرويةِ والقَيْصريه
زمانُ العَمائم فوْقَ العُروش وصوتُ العروبة يُعْلِي دَوِيَّه
فيا عُظْم شوْقي إلى الفاتحين رجالِ الشَّهامة والأَريحيَّه
ويا عُظمِ شَوقي إلى العاقِدين معَ الله تلكَ العُقود الوفيه
ويا عُظمَ شوقي إلى السَّابقين من المؤمنين ذَوِي الأَفضليه
سَلوا المشرقيِّن سَلوا المَغْرِبَين سَلوا سَائرَ السِّيرَ العَالميه
كم استعْمَروا من أراض قفار وكَمْ أسعدُوا مِن شعوبٍ شقيَّه
أيا ابنَ الحنيفيَّةِ اخْلَعْ كَراك فأَنوارُ صُبحك تَتْرى جَليه
تجمع من حولك الصَّائدون وإنَّك للصائدين الرَّميَّه
فطِرْ وابْنِ وَكْركَ بَينَ الصُّخور مع العُصْم في الشَّاهقات العَليه
وَنفسَكَ بِعْها مع البائعين كِرام النُّفوسِ لِبارِي البَريَّه
وجسمَك رُضْهُ يَسِلْ كَالْمَضَبِّ ويشتَدُّ كالصَّعْدة السَّمْهَرِيَّه
وذَلِّلْهُ لِلروح في الصَّالحات فما هوَ لِلرُّوح إلا مَطيَّه
ودَاوِ المُيولَ بِهَدْي الرَّسول فقد مَسَّها طائفُ الطَّائفيَّه
ذِئابُ الشقاق عَوَتْ في البلاد فَأينَ الرُّعاةُ لِحفظِ الرعيَّه؟

أَنَزْعُمُ أنَّا مــن الـمُسْـلِمِين وفينـا بَقَـايـا مِـنَ الـجَـاهلـيـه؟
عَتَبْتُ ولكـنْ عِتَـابَ الـوِداد وألْـمَعْتُ لـكـن لِـذِي الألـمعيَّه
بَثَثْتُ الـنصيحة بـثَّ السَّلام وسُقت الـهِداية سَـوْقَ الـهَدِيَّه
ولا أسْــألُ الـحَفْل إلا رِضـاه ولا أسْـال الـشَّعبَ الا رُقِـيَّـه

من للجزائر؟

حولية من حوليات الشاعر التي أعتاد إلقاءها في «نادي الترقي» بعد انتهاء انتخابات المجلس الإداري لجمعية العلماء الجزائريين

ونشرت بمجلة «الشهاب» ج: (11) (9) 1933م

يا لامعَ الجَنَبَات هلْ ... برق على الجنبات هل؟
حُيِّيت من متلألئ ... بضيائه البصر اكتحَل
ملأ على الأدب احتَوى ... وعلى معالمه اشتمل
متَبَوِّئ حِلَلَ التَّها ... ني، لابسٌ حُلَلَ القُبَل
بعثتْ به أمُّ اللغَى ... وعكاظُ والعرَبُ الأول
المغرب ازدحمتْ به ... خيَلُ الرسول لها زَجَل
سبحان من يُحيي البلى ... ما شاء مِن أمر فعل
في كل ظاهرة رضى ... وبكل خافيتة جذَل
وعلى وجوه القوم لمـ ... ـعٌ مشرقٌ بهَر المُقَل
يا شاهدًا سمَرَ الهُدا ... ةِ، بلغتَ في الدنيا الأمل
الصادقون هنا فثقْ ... والعالِمون هنا فسل
والواعظون يفجرو ... ن الشهد من خِلل الجُمل
شرع الكلام إلى مدى ... يا قوم فالعَمَل العمل
الشعب منحل العُرى ... خزْيان مختلف العلل
صاد وليس به صدًى ... ثمِلٌ وليس به ثمل

ضربت علىٰ يده القُوَىٰ | وفَشَت بجانبه الحِيَل
لبلائه ذُعر الورىٰ | وبصبره ضُرب المثل
من للجزائر يَفتَدِ | يها اليوم من سَفَه السفل؟
من كل مبتكر المكا | ئد في عقائده دخَل
يغري النفوس كأنه | ذئب على حمَل حمل
يا مشهرين من العزائم | مثل مرهَفة الأسل
خوضوا بها الأمواجَ واعْـ | ـلُوا الشُّهب واقتلعوا القُلل
من قال جلَّ عدوُّكم | قُولوا له المولَىٰ أجل
نحن الدعاةُ ولا ونىٰ | نحن الحماة ولا وجل
في الله نحتمل الأذَىٰ | في الله نقتحِمُ الأجَل
ما طابت العقبىٰ سِوىٰ | للمخلص الفادِي البطَل
فتَبوَّؤوا بعُلَىٰ العُلَىٰ | وتفيَّأوا ظلل الظُّلل
وردوا الحياة لذيذة | عَللاً يُساغ على نَهَل
ما الأفق أشرقَ بالنجو | م سنًا وما البدرُ اكتَمل

مناجاة بين أسير "وأبي بشير"

لما اندلعت الثورة ألقي القبض على الشاعر وزج به في السجن ثم أطلق سراحه بعد المحاكمة، ثم امتحن بتجربة استعمارية قاسية فنجاه الله منها بلطف خاص والحمد لله، فغادر «عين مليلة» إلى بسكرة فألزم بالإقامة الإجبارية وحرم من حق حرية الاجتماع وطوق برقابة شديدة إلى انتهاء الثورة سنة 1962.

وفي فترة من فترات وحدته المضنية سمع صوت هذا الطائر الجميل داخل منزله وكأنه يحييه بصوته العذب تحية طيبة مباركة فاستبشر بذلك وتفاءل خيرا بقرب انفراج الأزمة وأبت له شاعريته إلا أن يرد تحية زائره المحبوب ويناجيه بهذه النجوى الطريفة:

جزمتُ بقُرب إطلاق الاسير ... غَداةَ سمعتُ صوتَ (أبي بشيرِ)[1]
فقُمت مرحِّبا بنَزيل يُمْنٍ ... عليَّ بكلِّ إكرام جَدير
وجِئت أَبُثُّه نَجْواي سرا ... ومَن للحُرِّ بالصَّوت الجَهير
أناجيه بآمالي وحَالي ... وأستَفْتيه عن شَعْبي الكَسير
كما نَاجَا الأَميرُ أبو فِراس ... حَمَامَتَه بشعْر مُسْتَثير
فقلتُ أبا بَشيرٍ أنت ضَيْفٌ ... قراك الشِّعرُ لا حَبُّ الشَّعير
رأيتُك فابْتهَجْتُ فكن سَميرًا ... لمُشتاقٍ إلَى سَمَر السَّمير
ووَاعٍ ما تَقُول ورُبَّ مصْغٍ ... لصوْتكَ مَا وَعَى غيْرَ الصَّفير
أراك أبا بَشيرٍ ضيفَ خير ... وطائرَ رحْمةٍ للمُستَخير
وكل سِفارةٍ لكَ فهْيَ بُشرى ... فأهْلاً بالسِّفارة والسَّفير

---

(1) أبو بشير: طائر صغير في حجم العصفور يستبشر الناس عادة برؤيته وسماع زقزقته ولذلك كنوه بهذه الكنية.

أرح قلْبي برَقْرَقةِ الأَمَاني ومتِّعني بمَنْظَركَ النَّضير
وأنبئْني عن الامَال المُرجَّىٰ وحدِّثني عن الحَدَث الخَطير
فقالَ: لقدْ أتيتُكَ من بعيدٍ فأصْغ الَيَّ وَأرْو عن الخَبير
كما أصغَىٰ (سُلَيْمَانٌ) قديمًا الىٰ أنباء هُدْهُده الصَّغير
سيَحمدُ شعبُك العُقبىٰ قريبًا ويُحرزُ نصرهُ بيد القدير
ويشهَد بعْثَ دولَته فيَرْضَىٰ ويحْضَىٰ بالهلاليِّ المُنير
ويحكُم حُكمَه الشّوري حرًّا وخيرُ الحُكم حُكمُ المُستشير
اذا كان الوفاقُ له دليلاً فمَجْلُوبٌ إلَىٰ خير كثير
وانْ كان الشقاقُ له سبيلاً فمنكوبٌ بشرٍّ مُسْتطير
فقُمْ وأهْتف بوَحْدته وحرِّض عليْها فهْيَ كهْف المُسْتجير
وكُنْ عبدًا لها واطْلُبْ رضاها ولوْ بالصَّبر والذُّل المرير
أذاناتَ السَّلام غدًا تُدوِّي فيُسْكتَ صوتها صوتَ النفير
كأنّي بالجزائر في أبتهاج بنُصْرتها علىٰ البَاغي المُغير
لقد شطَّت فرنْسا في أذاها وحطَّتْها الىٰ الدَّرَك الحَقير
سقتْها بالعذاب كؤوسَ صاب وآخرُ سقْيها شرب المدير
فقل لمن استعار حمىٰ سواهُ أعدْهُ بغير مَطْل للمُعير
كأنّي بالمواكب وهْيَ نشوَىٰ من التَّحرير ترفُل في الحرير
وتهتفُ للجزائر عابراتٍ بشتَّىٰ الطُّرق تَعْبُقُ بالعَبير
ومَا شعبُ الجزائر غيرُ شعبٍ سَخِيٍّ بالفدَىٰ حُرِّ الضمير
وحسبكَ ثورَةُ الأَحرَار حُكمًا أخيرًا منهُ في العَهْد الأَخير
لقد ضحَّىٰ بثوْرته فأضحَىٰ بها في الصَّبر منقَطعَ النظير

ولا تُزعجْك آلافُ الضَّحايا ... ومَا أجْراهُ من دَمه الغَزير
فتلْكَ شهادَةُ الشُّهداء فيه ... وذلك أجرُ مطْلَبه الكَبير
أتى استقلالُه حتما فأبشرْ ... وبشِّرْ ما لقَوْلك من نكير
ودعْ عنك التَّشاؤمَ فهْوَ وهْمٌ ... وهَمٌّ ليس يجمُل بالبصير
فلَيْسَ لأُمةٍ بالحقِّ ثارتْ ... مصيرٌ غيرُ تَقرير المَصير!

أبا المنقوش

قصيد ناجي به الشاعر جبل (بومنقوش) القريب من بسكرة جنوب الجزائر في أيام إقامته الإجبارية.

أبا المنقوش هل تدري بحالي — فأنت اليوم جاري في الجبال
ببسكرة النخيل حططتُ رحلي — وأنت بأرضها حامي الرحال
رأيتك مشرفا أبدًا عليها — كإشراف الولي على العيال
رماني حول سفحك موجُ دهري — أسيرا بعد أحداثٍ طوال
فعشتُ به كيُونس في سقام — لدى قومي ولكن في انعزال
إخال إقامتي خبرًا كقبر — حُملت إليه كالجُثث البوالي
أرى الأحياء من حولي قريبا — وهم بالعيش عني في اشتغال
وأعذرهم فعين الخصم يقظى — ترى شزرا وتُنذر بالوبال
يعيش الحرُّ مثلك وهو حرّ — يلاقي كل عصف وهو عالي
اراك تطاول الأحداث رأسا — وتصمد في شموخ واعتدال
كأنك قائد لغزاة فتح — ترابط مستعدا للقتال
تلقّنهم بصخرك درس صبر — وتحفزهم ببأسك للنضال
أبا المنقوش خبّرني فإني — أحب شفاه مثلك بالسؤال
ففي منقوش صخرك رائعات — من الأسرار والحكم الغوالي
وألغاز على الأجيال تُمْلَى — يفوز بحلها واعي الخيال
متى يأتي بربك نصر شعب — يقاسي كل ألوان النكال

مضت حججٌ له خمسٌ شداد ومــوطنه بنار الحرب صالي
اكلُّ عصوره أمد اضطهاد؟! وكل عهوده أمد احتلال؟!
لقد بذل الفدىٰ ثمنا وضحّىٰ بكل دمٍ عزيز منه غالي
فهل آن الأَوان له ليحضىٰ بما يرجو المجاهد من منال
فقال أجل سيلقىٰ الشعب عزّا ويرقىٰ بالفدىٰ رتب الجلال
معاذ الله أن يشقىٰ ويبقىٰ رهين الذل يوطأ بالنعال
ترقب خير مولود جديد بمولده تمخضت الليالي
فإن الثورة اكتشفت مداها ولاح لها التحرر كالهلال
وما في الجوِّ من غيم كثيف وإن طال المدىٰ فإلىٰ زوال
وقل لابن الجزائر كن صمودا فنصر الله للبأساء تالي
تحد الأَقوياء بكل صبر ووال الاحتجاج ولا تبال
وإن لم ينتصر لك أي مولىٰ أتاك النصر من مولىٰ الموالي

صوت جيش التحرير

نحنُ جيشُ التحرير جندُ النِّضال … نحنُ أُسْدُ الفدى نُمُورُ النِّزال
دمْدَمَ الطَّبْلُ للنَّفير فثُرْنا … وهززْنا البلادَ كالزِّلْزال
واتَّخذنا من الجبال قلاعًا … نقرَعُ السَّمعَ بالصَّدى كالجبال
فالإذاعاتُ تُنبئُ الناسَ عنَّا … بانتصاراتنا بكُلِّ مَجال
كم أقمْنَا شواهدَ الحقِّ فيها … وضَرَبْنَا شَواردَ الأمثال
واقْتَحَمْنَا الهَيْجَاءَ نارًا تَلَظَّى … كلُّ صال منَّا بها لا يُبالي
وأدَرْنا رَحَى الوَغَى فانتَصَرْنا … وَأَذَقْنا الأَعْدَاء مُرَّ النَّكال
وقبَرْنَا اسْتعمَارَهُمْ وفَكَكْنا … شعبَنا من سلاسل الأغلال
فاسألوهم عن رفْقنَا بالأساري … واحترام النساء والأَطْفال
واسْألوهم عن رعْينا للمَبادي … وَوَفَاء الوُعود بالأفعال
نحن صُدْقٌ عندَ اللِّقاء وصبْرٌ … في اشتداد البَلاء والأَهوال!
كلُّ مَن كان مثلَنا فهْو رَمْزٌ … صادقٌ للجزائريِّ المثالي
كلُّ إفريقيا إليّنا اسْتجابت … واستقَلت بوحْدَة الأوْصال
نحنُ إفريقا، وافريقيا نَحْـ … ـنُ اتِّحادًا، ونحنُ قُطْب الشمال
أيُّها الشعب إنَّنا عنكَ ذُدْنا … فظَفرْنا بأنفَس الأنفَال
قد ذهَبْنَا الى المَيادين نَغْزو … ورجعْنا منها بالإستقلال
ان حريَة الجزائر حَقٌّ … ليسَ فيها من ريبةٍ أو جدال
فارْتَفعْ عاليًا ورفرفْ علينَا … خالدَ العزِّ يا لوَاءَ الهلال
قد رَكَزْناك في القُلوب لتبْقَى … ومنَحْنَاكَ بالفدى كلَّ غال

وحرسنَا حمَاكَ من كلِّ عادٍ وسهرْنا عليك سُودَ الليال
رحمَ اللهُ كلَّ حرٍّ شهيد لكَ بالنفس في الوَغَى مبْذال
شُهدَاءُ الأوطَان شُهْبُ دُجاها وشُهُودُ الفدا والإستقْلاَل
هذه ثَوْرَةٌ عليها اجْتمعْنا وارتفَعْنا لقمَّة الأبطال
لا تقلْ لي أنَا ولاَ أنتَ فيها! كلنا قومُها علَى كلِّ حَال!!
كلُّنا إخْوة منَ الدِّين والأرْ ض أشْترَكْنا في أشرَف الأعمال
كلُّنا شَعْبُ وحْدة واعْتصام ليسَ نرضَى في أرْضنا بأنْفصال
كلُّ كيْدٍ يَحُوكُه أهْلُ كيْد فهْو نسْجٌ من العَناكيب بالى
من أرَادَ استعمارَنَا من جَديدٍ فهو لا رَيْبَ طامعٌ في المُحال
خيب الله كلَّ من كادَ الشَّعْـ ـب بفَصْم العُرَى وقَطْع الحبال
خيِّب اللهمن مَشَى فيه بالدَّس فأوْهَى روابطَ الأجيَال
جبهة الشَّعب أختُنا البَرَّةُ الكُبْرَ ى نَرى قدْرَها بعين الجلال
ونَرَى دولةَ الجزائر فينا دوْحةً تحتَها وريفُ الظلال
بل نَراها أمًّا علينا عَطوفًا ونرى برَّها أجَلَّ الخصال
ايه يا دَوْلَةَ الجزائر لبَّيْـ ـك فَوَالي نداءَنَا للمَعالي
قد أجبْنَا «نَعَمْ» ففُزْنَا جميعًا وَ«نعمْ» في الجواب فَصْلُ المَقال
كانَ يوْمُ أستقلالنا عيدَ شَعْب طافحَ البشْر ساحب الأذْيال
فالزَّغاريدُ والهُتافاتُ تعْلو بين قَرْع الطُّبول والازجال
والأَناشيدُ في المَيادين تُتْلَى من نساء وصبْية ورجال
قد رفعنا الهَامَات بالنَّصر تيهًا وشكَرْنا لربِّنا المُتعال
فهو مُؤْتي الجزائِر اليَوْمَ نصْرًا وهو مُجْلي مُحْتَلِّها المُحْتال
قولُهُ الحَق وهو بالنَّصر قاض وله المُلك ما لَه من زَوال

ثورة بنت الجزائر

ساهمي في الجهاد جُنْدَ الجهاد وأعدِّي الفدا لنصر البلاد
يا فتاةَ البلاد شعبك نادىٰ فاستجيبي بعَزْمةٍ للمنادي
جَدَّ جدُّ النساء وانطلَقَ الرَّكْـ ـبُ مع الرَّكْب للمَدَىٰ باتِّحاد
واستَدارَ الزمانُ فالسَّعْيُ للجنْـ ـسَيْن حتْمٌ عليهمَا والتَّفادي
كيف يَرضَىٰ الجُمودَ مَن كانَ حيًّا ليس يرضَى الجُمودَ غَيْرُ الجَماد
إنما الأُمَّهاتُ دُولابُ عمْرا نٍ ودَوْحَاتُ عصْمةٍ وآسْتناد
هنَّ أنسُ البيوت والأَهل تدْبيـ ـرًا وأسُّ الأزواج والأَوْلاد
نحنُ عونُ الرِّجال في كلِّ حال أيُّ سَعْدٍ لم يُسْتَفَدْ من سُعاد
ويمينٍ لم تَستعنْ بشمال وسراج لم يَسْتَضيء بوقاد
فلْنَثُرْ ثورةً علىٰ الظُّلم كبْرَىٰ ولْنُحَطِّمْ سلاسل الأَقياد
ولْنَقُمْ من رُقادنا فهْوَ عارٌ هل يُفيدُ الرُّقادُ غيرَ الكساد
ولنصحْ صيْحةَ اللَّبؤات في الغَا ب لنحْظَىٰ بحُرمة الآسَاد
و«الجَميلات» ذكرياتُ اصْطبارٍ وانتصارٍ علىٰ الخُطوب الشداد
قد سبقْنَ الرجالَ في البأس صبرًا وتحمَّلنَ فتنَةَ الأَضْداد
وأثرْن الأَبطالَ للثَّأر منهمْ فاستباحوا زُروعَهم بالحَصاد
صَهرتْنا الخطوبُ حتىٰ ظَهرنا بالبطُولات في كفاح الأَعَادي
كم غدَونا إلىٰ جَريحٍ طَريح فأسَوْنا جراحه بالضِّماد
وحنَوْنَا علىٰ شهيدٍ مَجيد خطَّ تاريخَه بأزكَىٰ مداد

واتَّخذْنا من الرَّصاص عُقودًا ... وانتَطَقْنا به على الأكْباد

واعتَقلْنا رَشّاشنا ساهراتٍ ... شاهراتٍ لَهُ على اسْتعداد

وقدَحْنا زنادَنا فقَهَرْنا ... وبَهَرْنا العدَا بقَدْح الزِّناد

فاذا جنْسُنا اللَّطيفُ عَنيفٌ ... وشَريفٌ في ساحة الأمْجاد

أنا ثَوْريةٌ سَلامًا وحرْبًا ... فكْرَتي عُدَّتي وعلْميَ زادي!

وعَفَافي درْعي وصَبْري دفاعي ... وصَلاَحي حصْني وديني عمادي!

أنا بنتُ الجزائر اليومَ أقْضي ... حقَّ أمِّي بخدْمتي واجْتهادي

قدْ غَذتْني بدَرِّها مُذْ نَمَتْني ... ورَعَتْني ببرِّها المُزْداد

وابتغَتْ نجْدتي فما قُمْتُ الاَّ ... بقليل من واجب الإنْجَاد

كيف أنسَى قوْمي وموْطَنَ قوْمي ... كيفَ أنسَى عُروبتي أوْ ضَادي؟

كيفَ أنسَى، أبي وأمِّي وأهْلي ... أهلَ برِّي وحُرْمتي ووِدَادي؟

كيف أنسَى شعْبي، وتاريخَ شعْبي، ... وأبنَ شعْبي، وما لَهُ منْ أيَادي؟

كيفَ أنسَى مجدَ الجزائر قدْمًا؟ ... كيفَ أنسَى مآثرَ الأجْداد؟

لستُ أنسَى مَفاخري فاطْمَئنِّي ... وثقي بي في ثَوْرتي يا بلادي!!

تهنئة الجيش وتحية العلم

دَعـا صُورُ إِسـرافيلَ مَنْ مات للنشـر ... وأقبـلَ يـوْمُ الـبَعْث يزخَرُ بالـحَشْـر
وأشـرقَ نورُ الله فـي الأرض فانْتَفض ... منَ الـمَوْت حيًّـا واطَّرحْ حُفرةَ القَبـر
فـقُـم قـوْمَـةَ الأَبـرار للخُلْـد آمـنًـا ... من الـخَوف طَلْقَ الوَجْه مُزدَهرَ البشر
وسـارعْ الـىٰ أخـذ الثَّـواب فـإنَّـه ... عظيمٌ علـىٰ قـدْر ٱرتفاعك فـي القَدْر
حَـبَـاك الفدَا أجـرَ الفدَا فـاغْتَبطْ بـه ... وحسبُـك باسْتقلال أرْضكَ منْ أجْر
أقمْـهُ مَقَـامَ الرُّوح في الجسْم واحْتَفظْ ... بـه مـسـتَـعـزًّا إنَّـه أنـفَـسُ الـذُّخْـر
وأعْـلِ هُـتَـفَـات الـتَّـحـايـا مُـرحِّبًا ... بجيْشـك واستَقْبِلْـهُ مُنشَـرحَ الصَّدر
وقـدِّم إِليـه «الغَـارَ» جَـذْلانَ باسمًـا ... فقدْ عادَ بالزَّيـتُـون من سَاحَـة النَّصْـر
تطَـوَّعَ بـالـتَّـجـنـيـد للشَّعب فـاجْزِهِ ... بـحمْـد علـىٰ حَـمْدٍ وشُكْر علىٰ شُكْر
ألَـم يَـبـذُل الـنـفْسَ العَزيـزةَ للحمىٰ ... ويفْتَـكَّـهُ بالـقَهْـر مـن سُلطَـة القَهْر؟
وخاضَ مـيـاديـنَ الـجـهـاد مـجدِّدًا ... مواقفَ (عبـد القـادر) البَطَـل الـحُر!
وثـارَ علـىٰ جَـوْز الطُّـغَـاة بعاصـفٍ ... كعاصف عَـادٍ عَـادَ فـي سَبْعها الغُبـر
فـكـان علـىٰ الأعـداء عمْلاقَ ثَـوْرةً ... ومُسْعـرَ حَـرْبٍ فـي معاركـه الـحُمْر
سنُـو يوسفَ السَّبْعُ الشِّدادُ تصرَّمت ... وأعـقَـبَـهـا عـــامُ الإغـاثـة والعَصـر
سَلـوا عـنـهُ اطوادَ الـجزائر إنَّـهـا ... صفـائـحهـا ذكـرَىٰ صَحائـفـه الغُر
سَلـوا عـنـهُ أطواد الـجزائـر إن فـي ... مَعاقـلـه اللاَّتـي بـهـا كـان يستَـذري
سَلـوا عـنـه أطواد الـجزائـر كـلَّـهـا ... فـغـارَاتُـه فـيـهـا تَـجلُّ عن الـحَصْـر
لـقـد غَـاب عـنَّـا والقلـوبُ مَرُوعَـةٌ ... وعَـادَ إِلـيـنَـا بالأمـان مـنَ الـذُّعـر
وحـلَّ علينـا حـامـلاً فـي يمـيـنـه ... لـواءً عـزيــزًا عالـيًـا غالـيَ السِّعْـر

بدَا بدَم المُستَشْهدينَ مُضَرَّجًا ... فضَمَّخَ أَجْوَاءَ الجزائر بالعطر
تألَّق برْقًا لامعًا في سَمائها ... وحلَّق يصطاد المَشاعرَ كالصَّقر
فيا رَايَتي قد فُزْتُ منك بغايتي ... وحقَّقْتُ حلمي الحُلْوَ فيك بلاَ نُكر
رأَيتُك تَستَعْلينَ في الجوِّ فانْحَنَىٰ ... إِليك فُؤادي بالتَّحيَّة والشُّكر
وأعلنْتُ بالتَّكبير لله شاهدًا ... بكلْمَته العُليا علىٰ كلْمَة الْكُفر
ويَا عَلَمي تحْيا علَىٰ رَأس أمَّتي ... شعارَ شُموخ تَسْحَبُ الذَّيل بالفَخْر
وتاجَ لُجَيْنٍ شَدَّه بزَمُرُّد ... هلالُ عَميق زَانَهُ كَوْكبٌ دُرّي
ويا علَمي تحيَا بأجْواء أمَّتي ... وآفَاقها بدْرًا يَتيهُ علىٰ البَدْر
تَسير علىٰ أَضْوائه مُسْتدلَّةً ... علىٰ الهَدَف المَنْشود بالأنْجُم الزُهر
ويا عَلَمي إِنِّي أرَىٰ بكَ عالَمي ... بدَا بعْد ما أخفَتْه عنِّي يدُ الستر
فأنتَ حَياتي أنتَ روحي ورَاحتي ... ورَاحي وريْحاني ويسريَ من عُسر
وأنتَ صدَىٰ عزِّي وأنتَ نَدَ يَدي ... وأنتَ هُدَىٰ قلْبي وأنتَ مَدَىٰ عُمري
أحيِّيكَ من قلْبي بما أنتَ أهلُه ... تحيَّةَ عذْريِّ الهَوَىٰ صادقَ العُذر
يَذوب اَشْتياقا للعناق وطيبه ... ولكنَّه مستعْصمٌ بعُرَىٰ الصبر
رآك رفيعًا فاحتفَىٰ بك واكْتَفَىٰ ... برفْع يدٍ حتىٰ اشْتَفَىٰ من لَظَىٰ الهَجْر
فيأيها الشَّعْبُ «الخليلي»[1] محنَة ... تَبارَكَ مَنْ أَنْجَاك من لَهَب الجَمْر
هنيئًا لك النصْرُ المُبين فقد بدت ... طَلاَئعُه مثْلَ التَّباشير في الفَجْر
وعاودَكَ الحظُّ السَّعيد فعشْ به ... سعيدًا مجيدًا بالفدَىٰ طَيِّبَ الذِّكر
وقافلة اَسْتقلالنا مسْتمرَّةٌ ... علىٰ السَّيْر للأَهْداف في السَّهْل والوَعْر

---

(1) يشير الشاعر إلى إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ألقي في النار فأنجاه الله منها وكذلك شأن شعبنا في محنته.

ومَغْربنَا الحرُّ الكبير موحَّدٌ مع العَرَب الأحرَار في كَنَف اليسْر
وجبْهَتُنا تَجلُو الظَّلام، وجيْشُنا لنا حارسٌ يحمي البلاد من الخُسر
وأمَّتُنَا مجموعةُ الشَّمل حرَّةٌ ودَولتنا مَسمُوعَةُ النَّهْي والأمْر
ودامَ لنا تحْريرُنا ونظامُنا ودَامَ لَنا اسْتقلالُنا أبدَ الدَّهر

وقفة على قبور الشهداء

هذا القصيد ألقاه الشاعر بمقبرة الشهداء بالأوراس في يوم عيد الأضحى ونشرت بمجلة المعرفة لوزارة الأوقاف عدد 18 الصادر في ذي الحجة 1384هـ أفريل 1965م.

رحِم الله معشر الشُّهداء ... وجَزاهمْ عنَّا كريمَ الجزاء
وسقَى بالنَّعيم منهم تُرابا ... مُستطابا مُعطَّر الأرْجاء
هذه في الثرى قبُورٌ حوتهم ... أمْ قصورٌ تَسْمُو على الجَوْزاء؟
لا تخَلْ معْشرًا قضَوْا في سبيل اللـ ... ـهِ مَوْتَى، بل همْ مِن الأحياء
انهمْ عندَ ربِّهمْ حوْلَ رزْقٍ ... منهُ في نعمة وفي سَرَّاء
هكذا أخبَرَ الإلهُ فصدِّقْ ... نبَأ الله أصْدقَ الأنبياء
أيها الزَّائرون ساحةَ طُهْرٍ ... قُدْسيٍّ وعزَّةٍ قعْساء
قد وطِئْتُمْ ما طاب منهَا فَطِبْتُمْ ... وسعِدْتم بزَوْرَةِ السُّعداء
شهداءُ التَّمْدينِ في كلِّ عَصر ... سُرجُ الأرْضِ بَلْ نُجوم السَّماء
لم أجدْ في الرجال أعلى وِسامًا ... مِن شهيد مخضَّبٍ بالدِّماء
انَّ ذكرى الشهيد أرْفَعُ مِن أن ... ترفعُوها بالصَّخْرةِ الصَّمَّاء
فأقيمُوا لهمْ تَماثِيلَ عزٍّ ... في قُلُوبٍ ثورِية الأهْواء
اقْتَدُوا وآتَسُوا بهمْ في المَزايا ... إنهم أهلُ قُدْوَة وآئتِساء
واخلُفوهُمْ بالصِّدق في خِدْمَةِ الشَّعْـ ... ـبِ وفي أهْلِهمْ وفي الأنبَاء
إنهم قادةُ الفَيالِقِ في الزَّحْـ ... ـفِ لِخوْضِ المَعارِكِ الحَمْراء
انهم رادةُ البطولة في النَّصـ ... ـرِ وعزُّ الحمى ورفْع اللواء

انهمْ أوفوا العُهود فهل أنـــ تُم لِميثاقِهم من الأَوْفياء؟
إنما تُربةُ الجزائرِ مهْدٌ عبْقريٌّ لثوْرَةِ العُظماء
وهي أرضُ الإسلام ذِي المَبْدَإِ السَّمْـ ـح وأرضُ العروبة العَرْباء
ما شككْنا والشَّعْبُ فيها كَلِيمٌ إن نَارَ (الأوراسِ) مِنْ (سِينَاء)
حيثُ صارَتْ طُورَ التَجَلِّي وصِرْنا كُلُّنا حوْلهَا مِن الكَلَماء
نتلَقَّى بها الخِطاب ونَلْتَذْ ذُ بما طابَ من كَريم النِّداء
هكذا كانَتِ الجزائرُ ميعا دًا كريما لأَقْدس الإيحاء
تَتعالَى منائرُ الحقِّ فيها من بعيدٍ لِخائِضِي الظَّلْماء
ثورةُ الشِّعْرِ أنتَجَتْ ثورة الشعْـ ـبِ، وعادتْ عليه بالآلاء
كلُّ مَن لمْ يَثُرْ على الهُون والذِّلَّـ ـةِ، داستْه أرْجُلُ الأَقوياء
أيها الشَّعْبُ أنتَ مُلْهِمُ شِعْري في كِفاحِي ومُلْهِبُ الأَحشاء
حِّي عيدَ الأَضْحَى وحِّي الضَّحايا كلَّها والذَّبيحَ في الأَنبياء
يومَ لَبَّى الخليلُ دعوةَ مَوْلا هُ لِذَبْح آبْنه وحَمْل البَلاء
فاذا الكبش منه في يد جبريـ ـل قريب مقدم للفداء
هكذا يُكْشَفُ البلاءُ فصبْرًا ليسَ عقْبَى البَلاء غيْر الرَّخاء
أينَ مِنَّا مَا سَامَنَا مِنْ عذابٍ أينَ منَّا ما سَاءَنا مِن شَقاء
جَلَّ مَنْ أخْضعَ الطُّغاة فذَلُّوا وعليهمْ قضَى بحُكم الجلاء
أصبحت أرضُنا مِثالاً مِن الفِرْ دَوْسِ في أمْنِ شَعْبها والهناء
أيُّها الشعب قد ظفِرتَ بحكم يتقاضَى تجاربَ الحُكماء
فتَقَلَّدْ أمانةَ الحُكم بالحِكمـ ـةِ واعْهَدْ بها إلى الأُمناء
كلُّ حكم لصاحِبِهِ آبْتِلاء وامتحانٌ لسَيْرهم في القَضاء

فـاذا أنـصَـفُـوا قـضَـوْا فـيـه دهـرًا		واذَا أسْـرفُـوا مَـضَـوْا لِـلـفَـنَـاء
مـن بَـنَـىٰ فـي الرِّجال صَـرْحَ نِضـالٍ		فـلْـيَـبِـتْ سـاهِـرًا لـحِـفْـظِ الـبِـنـاء
فاحـتَـفِـظْ بـالـذي آئـتُـمِـنْـتَ عليـهِ		وتـعـهَّــدْهُ مـنــكَ بـالإنـمـاء
ولِـمـن مِـنك قـدْ مـضـىٰ ألفُ رُحْمىٰ		ولـمَـن عـاشَ مـنـكَ طـولُ الـبَـقـاء

الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر

ألقيت في حفلة إحياء ذكرى الثورة ليلة غرة نوفمبر 1964م
ونشرت بالعدد 17 من مجلة المعرفة لوزارة الأوقاف
الجزائرية في ذي القعدة 1384هـ مارس 1965م

نوفمبر قد وَافَىٰ علىٰ اليُمْن والبُشرَىٰ ... بعاشرة الذكرَىٰ لِثورَتنا الكُبرَىٰ
نوفمبرُ قد وَافَىٰ فأهلاً ومرحبا ... بشهرٍ ركبنا فيه مركَبَنا الوَعْرا
نوفمبرُ قد وَافَىٰ الجزائرَ طاويًا ... من الثَّورَةِ الكُبرَىٰ سنين لها عَشْرا
نوفمبر وافانَا فَذكَّرنا الفِدىٰ ... وثَوْرَتَنَا العُظمىٰ وأعوامها الغُبرا
نوفمبر وافانا فطَيَّبنا شذَىٰ ... بذكرَىٰ ضَحايانا وضَمَّخَنا عِطرا
نوفمبر وافانا وهل كَنُوفمبِرٍ ... دَرَىٰ دارِسُ الثَّورات فيما دَرَىٰ شَهْرا
نوفمبر عملاقُ الشُّهور بِبأسه ... وجبارُها تُحْنَىٰ الرؤوسُ له جَبرا
نوفمبر «شَمْشُونُ» الشُّهور بأرضنا ... أليس علىٰ مُحتلِّها هدَمَ القَصرا؟
نوفمبر «هاروتُ» الشهور بعَصْرنا ... و«مارُوتُها» أبدَىٰ بثورتنا السّحرا
وعلَّمنا الإيمانَ والصَّبرَ والفِدىٰ ... وجَلَّ مقامًا أن يُعلِّمنا الكُفرا
نوفمبر أذكىٰ من فُوآدِي شُعُوره ... وألهَب إحْساسِي وألهَمني الشِّعرا
نوفمبر جلَّىٰ عن بلادِي ظَلامَها ... نوفمبرُ في آفاقها أطْلَعَ الفجْرا
ففاتحه قد كان أعظَمَ فاتِح ... لنا كسَبَ التَّحريرَ وانْتَزَعَ النَّصرا
أذاقَ فرنسا علْقمًا بكفاحه ... ومنَّا بفضْل الصَّبْر جرَّعَها الصَّبرا
وثَبنا عليها كالنُّمور جراءَة ... وثُرنا كأسْد الغابِ نُرْعِبُها زَأرا
وقمنا الىٰ رشَّاشنا بِرَصاصنا ... نفنِّد دعْواها ونُبطِلُها جَهْرا

زحفنا عليها نزدري بعتادها | وبالنّار والبارودِ نَصْهَرُهَا صَهْرا
وفي النّار والبَارودِ أبلغُ حُجّة | تَرُدُّ بها الدّعوىٰ علىٰ مَن طغَىٰ كِبرا
وأرفعُ صَوتٍ مُسْمع كلَّ ظالم | لِصوتكَ لا يُصغِي كأنَّ به وَقرا
اذا سامَك المُحتَل قهْرًا بحُكمه | فلا تَرضَ الاَّ أن تُبَارِيَهُ قهْرا
ومهْما عثا بالبغْي في الأَرض مفسدًا | فلا تَرضَ إلاَّ ان تُوارِيَهُ البَحْرا
صبَرنا علىٰ المَكروه حتّىٰ أمضَّنا | وذُقنا من الإرهاقِ ما يَفْلَقُ الصَّخْرا
فلما ابَىٰ إلاَّ العُتُو عَدُّونا | وما زَادَ الا في الغُرورِ بهِ سُكرا
نهضْنا إلىٰ الغاراتِ نَمحُو غُرورَه | بحدِّ المَواضي فارْعَوَىٰ وصحَا فِكْرا
اذا جيشُنا لاقَىٰ الفَرنسيسَ ساقَهمْ | فُلولاً الىٰ قَفْرٍ فكانَ لهمْ قَبْرا
الىٰ جبهة التحرير ذَلّتْ جباهُهم | ومِن جَيْشِنا ترْتَاعُ أبطالُهم ذُعرا
ومَا جبهةُ التحرير إلاَّ عَرينُنَا | وما جيْشُنا إلاَّ اللُّيوثُ به تَضرىٰ
سَلوا عنه «أورَاسَ» العتيدَ فرأسه | لهمْ مُنْحنٍ عطفا، بهمْ شامخٌ فخرا
سلوا عنه اطوادَ البلاد جَميعَها | ففيها بحق طابقَ الخَبَرُ الخُبْرا
ونحن رجالُ السِّلم إنْ رمتَ سَلْمَنا | ونحنُ جبال الحرْب ان سُمْتَنا نُكرا
دعاةٌ الىٰ الاسلام والسِّلم رحمةً | وُعاةٌ لما يُوحِي الإله بِهِ أمْرا
اذا الخصْم وَالانَا قبِلْنا ولاءَه | وان هُو أغْرانا بإيذائه نُغْرىٰ
فَرايَاتُنا بيضٌ وخُضرٌ بسلْمِنا | ولكنّها في حَربنا رَفْرفتْ حُمْرا
نوفمبر يا أسمَىٰ الشُّهور تفدِّيَا | وأسمَعَها صوتًا وأسْمَقَها قَدْرا
تقبَّلْ سلامًا جاءَك اليومَ تُحفة | من العرب الأَحرار أنتَ بهِ أحْرىٰ
وحفلاً جليل القدر في خيْر ليلةٍ | كلَيلَةِ قدر قد زَكتْ مثلها طُهرا
تصافتْ قلوبُ المسلمين بظِلِّها | وبَشَّتْ من الأَفراح أوجهُهُم بشْرا

وسـالـمهمْ ريْـبُ الـزَّمـان فـكلُّهـم ... سليـمُ دَواعي القلـب منْشـرحٌ صدْرا
ألاَ أيـهـا الـشـعـبُ الـذي بجِهـادهِ ... أعـادَ جهـادَ الصَّحْب يقْفوهُمُ أثْـرا
لـقـد ثُـرتَ فـي التاريخ أعْظمَ ثَـورة ... تُسَجِّلُ تِبْـرًا فـي الصَّحائف لا حِبْـرا
أراك بـلـغـتَ الـيوم مـا كنـت راغبًـا ... ونلْـتَ مَـزايـا لا تُـطيق لـهـا حَصْـرا
ويَـسَّـرْتَ للعُسـرىٰ عـدوَّك نـادمًـا ... علىٰ حُكْمِهِ البَاغي، ويُسِّـرْتَ لليُسْرَىٰ
فسلْ ربَّـك الـمنَّانَ ان يُسْبغَ الرِّضى ... عليكَ بلا سلْب ويُـوزعـك الـشُّكـرا
اذا اجتـرأ الإنسـانُ فـي حال فَـوْزه ... عـلـىٰ الله بالعِـصيـان أعقبـه خُسـرا
ومـن شَـكَـرَ الآلاء لله مـحْـسـنًـا ... الـىٰ خَـلْـقـه كـان الـمزيـدُ لـه أجـرا
خَـف اللهَ فيمـا نـلْتَـه وأرْجُ رَوْحَـه ... ومـنـهُ فلا تـيْأسْ ولا تـامـن الـمَكْرَا
ودعْ عنـك أسبـابَ التَّنازُع واعْتصِم ... بميثـاقـكَ الثَّـوريِّ واشـدُدْ بـع ازْرا
وحكِّـمْ كـتـابَ الله فـي كـلِّ فِـتـنـة ... فـتَحكيمُـهُ لابد أن يُـطْفِـىءَ الـجَمْرا
تـعـودُ لسـانَ الضَّـاد نطقًـا تَعُدْ بـه ... مَـعَـدًّا إلـىٰ الدُّنـيـا وتُـنْـشَـرُ بِه فِهْرا
ألْـسْـنـا وإن طَـالَ الـمَدَ نَسْلَ يَعْـرُبٍ ... تَـطولُ بنـا فـرْعًـا ونَـزكُو بـها جِـذْرا
فـأوطـانُـنـا ارضُ الـعُـروبـة كـلُّـها ... سَـواءٌ بـهـا نَـثْوِي الـجزائرَ أو مِصْـرا
لـقـد جـمـعَـتْـنـا وحـدةٌ عـربيـةٌ ... علـىٰ الـحقِّ جـمْعًا لا نَخافُ لَهُ كَسْرا
وكنْ سـامـعًـا صـوتَ الـجزائر إنَّـها ... تُنـاديـك بعـد النَّصـران تبْني الوَكْـرا
ولا تَـنـسَ فضلَ السَّابقيـن الىٰ الفدَىٰ ... مـن الشهـداء الـطـيِّبـيـن بـها ذِكْـرا
تـرحَّـمْ عليْهـمْ واحـتـفـظ بقبورهم ... وربِّ بَـنِـيـهـمْ واتَّـخذْ عهْدهمْ ذُخرا
وهل عهدُهـم الاَّ وَصـايـا على الحِمىٰ ... لـجيشٍ وفـيٍّ لا يُـكِـنُّ لـهمْ غَـدرا
تـعـاهَـدَ أن يـحْـيـا وفـيًّـا لعهْدهـم ... وأقْـسَـمَ ان يَـرْعَـىٰ مكاسِـبَـهمْ دَهرا
عليـهـمْ سـلامُ الله مـا خـلَّـفـوا لـنـا ... سـلامًـا بـه نـحيـا ونـغْـتـنـمُ العُمْـرا

علم الجزائر

علم الجزائر يا رفيع الشان ... أشرف ورفرف زاهي الالوان
في حلَّة من لؤلؤ وزبرجد ... موشيَّة بهلالك المَرجاني
فوق الادارات الشوامخ للعلا ... وعلى قلاع جنودنا الشجعان
تشؤو الكواكبَ لامعا مُتلألئا ... وعلى الصقورِ تتيه والعقبان
مهما تحلِّق هافيًا لي خافقا ... حيَّاك ها فِي القلب بالخفقان
يا ضوءَ باصرتي ونور بصيرتي ... يا عزّ نفسي يا هوى وجداني
ومنار خوض الشعب في دأمائه ... وشِعارَ زحف الجيش في الميدان
ما أنت في الاعلام هل علَم زكا ... كالطور أم علم على السلطان؟؟
لم لا أراك اليوم أرفع راية ... وقد اشتُريتَ بأرفع الأَثمان
قسمًا بأرواح الذين استشهدوا ... بحماك مِطعانا إلى مطعانِ
وبما شهدتَ من المعارك شامخا ... تعلو على الأَطوادِ والكثبانِ
وبما غنمتَ من المكاسب بعدما ... خضت الغِمار مضرَّجَ الأَردانِ
لأسخرنَّ لك الجوارح كلَّها ... ولأخدمنَّك خِدمة العُبدان
وأضحيَنَّ عليك من نفسي ومن ... مالي بما يرضيك من قُربان
حتى أحِلَّك في أعزِّ مكانةٍ ... يسمو بها وطني على الأوطان

من وحي الثورة والاستقلال

للشاعر قصيدة مطولة سماها: (وحي الثورة والاستقلال) سجل فيها بعض أحداث الثورة الجزائرية وبعض أحداث عهد الاستقلال وبعض الأحداث العربية وهو يأمل أن يطبعها مستقلة مصدرة بمقدمة لبعض أدباء العرب في فرصة أخرى ونقتطف منها لديوانه ما يلي:

ميلاد التحرير

وطني المُفَدَّى بِالكفاح تحرَّرا ... ومَصيرُه بعدَ النَّجاح تَقرَّرا
فابنُ الجزائر صارَ سيدَ أرْضِها ... والغاصبُ المحتَلُّ ولَّى مُدْبرا
بُشْرَى لنَا بحكُومةٍ عربيةٍ ... شَعْبيَّةٍ رَعَتِ البلاَدَ لِتعْمُرَا
قد كان تحْريرُ الجَزائر غَايةً ... مُثْلى لِثَورتنَا وَفَتْحًا اكبرا
أبدَى نظامًا للرشادَ مُمهِّدا ... وأقامَ حُكمًا للبلاد مُطوِّرا
وقضَى بتَعْريب الجَزائر كُلِّها ... مُستقبحًا تغْرِيبَها مُسْتَنكرا
سوت حكومتُه مشاكل أمنِها ... فاستأمنت شعبًا وعزت عسكرا
جمعيَّةُ الأُمَم اصْطَفَتْهَا دَولة ... وبنت لها بين المنابر مِنْبَرا
هِي سُؤْلُنَا الأسْمَى الَّذي مِنْ أجله ... ثرنا على الباغي المغير لِنَثْأرَا
لَمْ نَنْسَ (مَايُو) لاَ ولا مَأسَاتَهُ ... حتَّى جبهنا الغاصِبَ المتجبرا
لَمَّا ازْدَرَى بحُقُوقنا مُتَصَلِّبًا ... في كبره قلنا له (أطْرِقْ كَرَى)[1]
وَتحَوَّلَتْ لُغَةُ التَّخَاطبِ بيْنَنَا ... لُغةً بها جَوُّ السلاح تعكرا

(1) مثل يضرب لتوبيخ المتكبر وكرى مرخم كروان وهو طائر معروف.

ومنها:

ذكرى الاستقلال وعيد النصر

مـا جـاء (يـولـيـو) واستهـل هلالُـهُ … إلاَّ تَـهَـلَّـل شـعْـبـنـا واسْـتـبْـشـرا
قـد كـان خـامِـسُـهُ خـميسًـا قـاهِـرًا … لـمِـآت آلاَفِ الـجـنـودِ مُـقَـهْـقِـرا
فـاعْـجـبْ لِـجَيش قَـلَّ فـي عدد وَفىٰ … عُـددِ تـحـدَّىٰ الأَطْلِسِـيَّ الأَشْـهـرا
بِـصـموده ووفـائِـهِ بـعـهـودِهِ … رَدَّ الـغُـزَاةَ الـغـاصـبـيـنَ وأخَّـرَا
هيـهـات يُـحْرزُ غاصبٌ نصـرًا ولـوْ … بِالـجِن والانْـسِ احْتَمَىٰ واستَنْصـرا
واعـجـبْ لِـشعْبٍ قـام حـيًّـا بعدمـا … قـد كـان مُـذْ قـرن وثـلـث أقْـبـرَا
عـتـقُ الـرقـابِ حياتُـهَـا مِن مَوتـهـا … ونُـشـورُها بعْـد الـفـنـاء لِـتُـحْـشَـرَا
أَحْيـا أَبـو بَـكْـر (بـلالاً) بـعـد مـا … أوْدَىٰ كمـا أحيـا (عَـلِيٌّ) (قـنْـبـرًا)[1]
أنـظُـرْ لأهـلِ الكهفِ كـيـف تـمثلوا … فـي شعْـبـنـا مُستَيقِظِيـن من الـكرىٰ
مَـن كـان يُـنـكِـر بعثه مـن مـوتـه … فـالله أطـلـعـه عـلـيـهِ وأعـثـرَا
زفَّ الـبـشـيـر إلـيـهِ بـشـرىٰ نَـصْـرِهِ … مـن بـعـدِ عُـدْوَانٍ أطـالَ فـاضـجرَا
حـيًّـا بـهـا كقيص (يوسف) وجْـهَـهُ … فـرَآىٰ كـ(يَـعقُوب) الضيـاء وأبصَرَا
يا شهْـرَ (يـولـيـو) أنت وافدُ رحْـمَـةٍ … ونَـزيـلَ يُـمْـن نستطيـبُ لـه القِـرَىٰ
أنت (الـمسيحُ) ونحن من أحْيَيْتَـهُـم … فـارْق الـسَّـمَـاء مُـقَـدسًـا ومُـقَـدرَا
أنـت الـمُـتـوج والـشهـور رعـيـة … تَـاجًـا تَـسُـودُ بـهِ الشُّهـور مُنَضَّـرَا
أنـت الـمُـتـوج فـوق كـل مُـتـوج … مـا كـانَ ذُو تَـاج عَـلَـيْـكَ لِـيَـفْـخَرَا
قـد جَـاء نَصْـركَ غاسِلاً للشعبِ مـن … عَـارِ احْـتِـلاَلِ الأجْـنـبـي مُـطَـهِّـرَا

---

(1) قنبر اسم مولى من والي علي كرم الله وجهه.

كَمْ مَحفِلٍ فيكَ انبرَتْ خُطَباؤُه كالخيلِ أمهَر في السِّباق فأمْهَرَا
وتَساجَلَتْ شُعَرَاؤُهُ بالسِّحرِ لاَ بالشِّعرِ أَسْحرَ للقُلوب فأسْحَرَا
اليومَ يذْكُرُ شعْبُنَا حرِّيَّةً بالشُّكرِ منْهُ حَرِيَّة أنْ تُذْكَرَا
بَاع النفائسَ والنُّفُوسَ لأَجْلهَا وبها اشترَىٰ في العُمرِ أغلىٰ ما اشترَىٰ
نَالَ النَّجاحَ بها وأَصْبَحَ مُنْجِزًا أهدافَ ثوْرتِهِ بها ومُوَفِّرَا
ودَرَىٰ بها مَعنَىٰ الحياةِ ولم يكُنْ مِنْ قبل ذَاكَ لِكُنهِها مُتصوِّرَا
فقضَىٰ علىٰ أَحْلاكِهِ بحكومةٍ طلَعَتْ علىٰ الآفاق فجْرًا نَيِّرًا
واختارَها عَرَبيَّةً شَعْبِيَّةً تأبىٰ الدَّخيلَ عليه والمُسْتأثِرَا
إنَّ الجزائرَ قَدْ أَتَىٰ تحريرُهَا لِدَفائنِ الأَمجادِ فيها مُظهِرَا
وأبَانَ تاريخَ الجزائرِ بعْدَ مَا فَرضتْ عليه قُيُودُها أنْ يُغْمَرا
بعَثَ (أبن محي الدين) واسْتَحْيا اسْمَهُ وبرَسمِهِ صَكَّ النُّقودَ ودنَّرَا
يا يوم عيد النصرِ صفْوُكَ قدْ جلاَ مَا كان رَانَ علىٰ القلوبِ وكَدَّرَا
ذِكراكَ ملءُ القلبِ حاضرةٌ بهِ هيْهاتَ أنْ تَنفَكَّ عنهُ وتعبُرَا
أقرَرْتَ أعْيُنَنَا فكلُّ مُواطنٍ لكَ هاتِفٌ يعلىٰ الهتاف مُكَرراً
فالشَّعبُ أجمَعُ يحتفِىٰ بكَ راضيًا مُستَبشرًا ويراك عيدًا أكبَرَا

المَراثي

رثاء رشيد

شخصية (رشيد) في هذه القصيدة. شخصية خيالية لقصة بطلها طالب جزائري اسمه (رشيد) وطالب فرنسي اسمه (فرانسو) درسا جنبا لجنب أحرزا على نفس الشهادة، أول يوم دخلا ميدان الحياة فرقت العنصرية بينهما فشق (فرانسو) طريقه في الترقية الاجتماعية والإدارية، بينما أوصدت الأبواب في وجه رشيد لأنه جزائري. فمات غما وكمدا من هذه الحياة البائسة الجائرة التي لا تراعي القدرات العلمية بقدر ما تراعي الفوارق العنصرية.

وموضوع القصة كان ميدان مسابقة للشعراء أعلن عنها (الشهاب) الأسبوعي سنة 1925 وفي جنوح الصحافة الجزائرية إلى مثل هذه الطرق التعبيرية الغير المباشرة في مثل هذه المواضيع الحساسة – صورة واضحة عما كان يعانيه الشعب من اضطهاد اجتماعي وفكري، في تلك الفترة من الاستعمار، وفي كل فترات الاحتلال المشؤوم.

نعم لك في العلى عملٌ مجيد ... ولكن ما جزاؤك يا رشيد؟
أمُتَّ على الصِّبى أسفا وحزنا؟ ... كذلك يُنتج الضغطُ الشديد
علامَ (فرنسوا) يَعلوك كعْبا ... وأنت لمثله الكُفؤُ الوحيد
ألم تكُ يا رشيد له شقيقا ... زمانَ أبوكما العلْم المفيد
وكنتَ بجنبه في الحرب لمَّا ... أمضَّ قواكما الجهد الجهيد
حياتك كلها مأساةُ حزن ... يَشيب لهول منظَرها الوليد
وموتك يا شهيدَ العدل ذكرى ... مؤثِّرة يلين لها الحديد
وقفتُ عليك أشعاري عظاتٍ ... بما أوْلَى لك الدهرُ العنيد
ونحتُ عليك في ظلم الدياجي ... وهل يُجدي نُواحي أو يفيد؟
وإن تكُ قد قضيتَ العيش بؤسا ... فعند الله طالعُك السعيد

إلى صَديقي الجيلالي

رثى الشاعر بهذه القصيدة العالم البحاثة الدكتور محمد بن أبي شنب الجزائري، وقد نشرت في كتاب ألفه الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي بعنوان (ذكرى بن أبي شنب) سنة 1933. (محمد بن أبي شنب) ولد قرب المدية سنة 1869. وتوفي بالجزائر العاصمة 1929 عالم بحاثة. حقق وألف وترجم ما يقرب من خمسين كتابا. أنتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1920 وفي نفس السنة تقدم لنيل الدكتوراه برسالتين. الأولى (أبود لامه) والثانية (الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في الجزائر).

درس بجامعة الجزائر من سنة 1903 حتى وفاته. أتقن لغات عدة.

صفحةٌ تحتوي علوًّا وفخْرا ... سوفَ تبقَى لابن الجزائر ذُخرا
طُويت بالمنون وهيَ رحَى الخلـ ... ـق فأعقبتها على الطَّيِّ نَشْرا
ومحَاها البلى فجدَّدت منها ... رغمَ محوِ البلى سطورًا وحِبرا
صفحَةٌ من حياة أعظم شيخ ... كانَ في مَطلع الجزائر بَدْرا
كان سمْحا مُلاطفا كان ثبْتًا ... كان شهْمًا محافظًا كان حرا
فأجد في ذكراهُ ما شئت وصفا ... إن ذكرَى (محمد) خير ذكرى
إن ذكرى (محمد) نارُ موسى ... سوف يأتِي من بعدها الخير يَترى
فابْنِ منها للنَّاشئين ممَرًّا ... وانحُ بالناشئين ذاك الممرا
فلهم فيه أسوة ان أرادوا ... أن ينالوا من صائب العلم قدرا
يا رجال الغد أجعلوه إماما ... فهو في العلم بالإمامة أحرى
ابعثوا العلم مستمرين فيهِ ... إنه كان باحثا مستمرا
كان فيكم مؤلِّفا كان فيكمْ ... مغرَما باللُّغى وبالكُتْب مغرى

هذه صفحة من المجد جدَّت ... فأجدوا لها صحائف أخرىٰ
في حياة الماضين سِفرُ عِظات ... فادرُسوه بالبحث سطرًا فسطرا
ان قومًا من الجزائر كانوا ... يمْلكون الجهاتِ بَرًّا وبحرا
ولهم في الهُدَة وفي العلم شأنٌ ... جاء قومٌ فأوْجسوا منه نكرا
فرموْهم بالشَّائنات وقالوا ... ما وجدْنا لهم من السَّعي أمرا
وجلا البحثُ في الثرىٰ عن تُراث ... ستَروه عن أعيُن الناس سترا
ويحهم يغمِطون آثارَ شعب ... كان كالنَّجم مشرقا مشمخرًّا
كان للبَحر مالكًا حيث تجْتَزْ ... سُفْنُهُمْ فيه تُعطِهِ عنهُ أجْرا
وقضىٰ الله بالقضاء عليه ... لا حمَّىٰ من قضائه لا مفرا
فتنَاءَىٰ عنه النعيم وأمْسَىٰ ... خابيَ النور خاليَ الدور قفْرا
كلَّ يوم لله في الخلق شأن ... فعساه يُديل بالعسر يسرا
هذه نفحةٌ من الشعر هبَّت ... بك (عبد الرحمن) تُوليك شكرا
أو بُكائي علىٰ تُراث مضاع ... بدموع تنهلُّ شفْعا ووترا
أنت ذكَّرتَني بمَن كان فُلكا ... سائرًا يمْخر المعارف مخرا
سارَ في العلم ناشئًا ثم كهْلا ... ثم شيخًا ثم انتهىٰ واستقرا
وقضىٰ تاركا بَنينَ كِراما ... وشبَابًا في العلم يَقْفُوهُ إثرا
فعسىٰ الله خصَّه بالمعالي ... وحبَاه من طيِّب النُّزل وفرا
ما تقدِّمْ نفسٌ الىٰ الله من خيـ ... ـر تجده خيرًا وأعظم أجرا

رثاء شاعر النيل حافظ إبراهيم

ألقيت في حفلة أقيمت لتمجيد شاعرية حافظ بقاعة الخلدونية في حاضرة تونس الخضراء في شهر جمادى الأولى سنة 1351 وناب عنه في إلقاءها طالب جزائري لعدم تمكن الشاعر من الحضور بنفسه. وقد اشترك في هذه الحفلة شعراء من أقطار المغرب العربي: الجزائر، تونس، ليبيا.

قم عزِّ مصرَ وعزِّ الشرقَ أقطارا ... ففحلُ مصر خَبا كالنجْم وأنهارا
خطب جَرىٰ في ضِفاف النِّيل زلزلة ... وثار ملء جِواء الشرق اعصارا
وطار كالبرق ينعَىٰ شاعرا لبِقا ... الىٰ أقاليمَ فيها صيتُه طارا
يا ويح مصر خلت (من حافظ) وخلا ... في الهامدين كأن لم يثوها دارا
كأنه لم يَجُدها كالحَيا أدبا ... جمًّا ولم يُروها كالنيل أشعارا
يا موت فاجأت من لو ضِفت ساحتَه ... مهلاً لوفَّاك ترحيبا واكبارا
وطبت نزلا بأخلاق مهذبة ... أذكىٰ بها النورَ للأضياف لاَ النارا
يا موت عدتَ بنفس خصبة نبتت ... فيها المبرَّاتُ مثل الروض أنهار
وغُلْت ليثًا بجنب النِّيل كانَ له ... زأرٌ به أوْسَع (التَّاميز) إنذارا
يا موت طفتَ من الأيدي علىٰ عضُد ... فذٍّ وحطَّمت في الأسياف بتَّارا
ونلتَ بالقطْع في الأدْواح باسقةً ... زكتْ ظِلالا وأفنانًا وأثمارا
نزلت كالجيش في ثار أغار علىٰ ... أرضٍ ثَرية أمْن تجهل الثَّارا
وانهلْت كالسَّيل في سَدٍّ تعرَّضه ... فاجْتاحه وعلىٰ أنقاضِه سارا
ورحتَ تقتحم الدُّنيا كما اقتحمت ... دبَّابة الحرب أنجادًا وأغوارا

كـأنَّـمـا أنـتَ لـم تستشـن من أجل — جـابـي الـمَـغـارم لـم يَستَثْن دَيَّـارا
يـا شاعـرًا حنَّ بالفصحىٰ ورنَّ مـدىٰ — كالـطـيـرِ زقـزقـةً والـعـود أوتـارا
عَرُبْتَ فـي مصر شمسًا وارتجحتَ بها — رُكـنـا وصـوَّحـت فـي إكليلهـا غارا
أبـعـد ما كنـتَ صـدرًا فـي مـحافلها — وُسِّـدْت أتـربـةً فـيـهـا وأحـجـارا؟
نـآىٰ بك الـموتُ عن اشهادها فدَهىٰ — منـهـمْ قـلـوبـا وأسمـاعًـا وأبـصارا
طواك سفْرًا علىٰ الأخـبـار مـحتويًا — وبـثَّ نـعـيَـك فـي الآفـاق أخـبـارا
أجـلاك عن دار كـتْب كنْتَ ناظرَهـا — وجـارَهــا فـأراع الـدارَ والـجـارا
قـد عـاودَ (الـبـؤسـاءَ) اليوم بؤسُهم — فـمَـن يـواسيهـمُ عـطْـفـا وإيـثـارا؟
ولـم يُـتـح (لِـسطيـح) الـنِّيل راويـةٌ — عـدلٌ كمثـلـك يـروي عـنـه أسـرارا
يـا راحـلاً ونـوادِي الشـرق تندُبـه — ولْـهَـىٰ وتـرفَـعُـه كالشمس مِـقـدارا
بـالله مـا حــالُ فـكـرٍ كـان غـاديـة — فـي فـيـضـة ولـسـان كـان قيثـارا؟
وأيـن مـنـه قـريـض صاغـه نـغَـمـا — فـهـزَّ مصـرًا بـه بـل هـزَّ أمـصـارا؟
وأيـن عـهـدُك بالـدَّار التي عـهـدت — مـنـك الـمَعَـرِّيَّ بالشَّـكـوىٰ وبشَّارا؟
وكـيـف حالـك فـي دار نـزلـتَ بـهـا — ضـيـفًـا عـسـاك بـها للخلدِ مـختارا؟
عـزاءَ مـصـر عـزاءَ الشرق فـي ملك — ساسَ القريضَ فما استخْذىٰ ولا خارا
أقـام مـأتـمُــه الـدنـيـا وأقـعـدَهـا — ودام فـيــهــا عـشِـيَّـاتٍ وأبـكــارا
وفـي الـجـزائر من وجْـد بـمـأتـمِـه — هـولٌ عـلـيـهـا طـغَـىٰ كالـمـوْج تيَّارا
وابـنُ الـجزائر بابنِ الشـرق مرتبـط — وإن أحـاطـتْ بـه الأشـواكُ أسـوارا
يا رحـمَـةَ الله هُـبِّـي نـفـحـةً وهِـمِـي — غـيـثًا علىٰ حافـظ فـي القبـر مِدرارا
فـي ذمَّـة الله لا أنـســاهُ ثـانـيــة — حـسْـبـي بحُـبِّي لـه عهْدًا وتـذكـارا

إلى رُوح شوقي

نشرت بمجلة (الشهاب) ج 1 م 9 غرة رمضان 1351 جانفي 1933.

عجبًا للدار، كيف تَدُورُ؟ نكبَ الشعرُ بها والشُّعورُ
ذهبَ الشعرُ بها حسَرات وعرتْه وحشةٌ ونُفور
فَقد الشعر من الشرق شمسًا لم يزل منها على الشَّرق نور
فقد الشعرُ من الشرق سرْحًا طالَما غنَّت عليه الطيور
فقد الشعر أبا الشعر (شَوقي) فطغَا الويلُ به والثُّبور
فمساري الهم منهُ غواض ومَجارِي الدمْع منه بُحور
أي بلوىٰ مضَّةِ الوقع فيها وهن الجلد وطاش الصبور
أيها الباكي بمأتم (شوْقي) أرأيتَ النَّجم كيف يغُور
أرأيتَ الصُّبح كيف يولىٰ أرأيتَ الأَرض كيف تَمور
قم فعزِّ الشعرَ بالشعر فيه فأيادي الشِّعر منه وفور
قفْ نودِّع راحلاً لم يودِّع عذرُه أن المقامَ غُرور
لا تخَلْ أنَّا بظل حياة نحنُ موْتَىٰ والْقُصورُ قُبور
حاطنَا دونَ الحياة مُحيط وعلىٰ جِسر الْمَمَات العُبور
يا أميرَ الشعر عفْوا فإنَّا قعَد العيُّ بنا والقُصور
إن خلفَ البحر دُور ائْتناس دبَّ فيها الحزن فهيَ ديور
ردَّدت وقْع الأَنين الزَّوايا وتحلَّت بالسَّواد الستور

فلأَهْليها خشوعٌ طويل ونفوس غيَّب وحضور
وقلوب قُلبت وأكفٌّ وخدودٌ خدِّدتْ ونحور
يا أمير الشعر حسْبك ذكر قدُسي في الحياة طهور
علّم الهاوين في الدَّرك منَّا كيف تَعلو في السماء الصقور
لا تَأذَّى بالبلى لك لحدٌ دفن الحِذق به والبرور
يا أميرَ الشعر أين غَوانٍ ما لها الاَّ حِجاك خُدور
أين رصْف محكَم عبقري رفع المعْنَى به فهو سور
وروايات سرَت كهرباء دَنَتِ البيدُ بها والعصور
نفخ الصورُ بها في القَوافي فعلتها هَبَّة ونشور
أتت الفصحى فرفَّت وزفَّتْ مثلما يأتي الطيورَ البكور
وأضَاءتْ حولَها فهي نَار والورَى مُوسى وشخصُك طور
سار في الدُّنيا قريضُك جيشا فلَه زحفٌ بها وكرور
وصفا في الذوق فهو لُباب ما عليه كاللباب قشور
وعلا فاشتدَّ في الشعر سروًا فغصون لدْنة وجذور
وجلا الأَبعادَ من كل أفق بصرا لا يعتريهِ حسور
فترا آي الشرق والغرب فيه وتلاقتْ بالسهول الوعور
يا فؤادي لا تَرُعْك العَوادي خُلُق الدنيا أسَى وسرور
عرف العشاق منها بغيًّا فحصاة عندها ودحور
لا أرى الأَجسامَ الا كسُفْن ماخِرات والقبور ثُغور
وأرى الأَرواحَ فيها كرَكْب فإِناثٌ منهم وذكور
فرفاقٌ في الذُّيول ذيول ورفاقٌ في الصُّدور صدور

فمقام نِقمةٍ وبلايا ومقام نعمة وأجور
ويك يا دنيا علتك الدَّعاوي فلأهليها عليك ظهور
كم تعالَى في جِوائك نَمّلٌ وتردَّى في زُباك هَصور
لاَ تحَلَّى لي هواك بقلبي فبقلبي مِن هَواك فتور
أين شوقي أين منه طُروس من قوافي حِكمةٍ وسطور
أين شوقي أينَ منه خيال يسبق الأرياح حين يثور
نضرة من جنَّة الشرْق ولَّت وتلتها ذبلة وضمور
أيها الشرق أعتصِم بالتَّعزِّي فالتعزِّي عصمة وبرور
كتب الموتُ على كل نفس وإلى الله تسير الأُمور

قصّة شهيدين

في فتنة من فتن الإنتخاب المعروفة في الجزائر سقط شابان جزائريان بمدينة بسكرة النخيل على أيدي الشرطة العتاة، المطلقة أيديهم في رقاب الجزائريين، وكادت تكون مقتلة عظيمة بين الفريقين.. الوطني الأعزل، والبوليس المسلح، ومن ورائه جميع قوى الحكومة، فجاشت قريحة الشاعر بهذه القصيدة المؤثرة الصادقة التصوير!

شهْمان في الخطْب لم يهابا ... نَادَاهمَا الخُلدُ فاسْتجابا
تلقَّيا في الحَشا رَصاصًا ... مفرَّغًا للرَّدىٰ مُذابا
فمن رَأىٰ عند ما أصيبَا ... رأىٰ شِهابًا تَلا شهابا
خرَّا إلىٰ الأرض في مُصاب ... لم نحتمل مثْلَه مصابا
يا مُودِعَ الشُّهب في تُرابٍ ... الشُّهبُ لا تُودَع الترابا
أخْطُطْ لها في السَّماء قَبرا ... وَوَارِ أجرامَها السَّحابا
إن (العَزيلات)[1] قدْ أنارتْ ... لا ريبَ واستأنَسَتْ رِحابا
وجدَّ فيها البلىٰ كأنْ لم ... تُمْضِ الدَّهاريرَ والحِقبا
ان الشَّهيديْن قد ألمَّا ... بظلِّها فازدهَىٰ وطابا
يا تُربةً أشرقتْ قبورًا ... وأشرقتْ كالرُّبَىٰ قِبابا
ريحٌ من الخُلد فيك هبَّت ... وعارضٌ منه فيكِ صابا
يا واديًا غِبَّ كلِّ غيثٍ ... يسْقِي رُبَىٰ حوله وغابا
أطفِئِي علىٰ حافتَيْك نارًا ... أتتْ علىٰ الأنفُس التهابا

(1) (العزيلات): مقبرة في بسكرة.

واغسِل علىٰ حافتَيْك أرضًا ... من الدِّماء اكتست خِظابا
كانت مثابًا لكل أمْنٍ ... فأصبحت للأذىٰ مَثابا
إن انتخابًا جرىٰ بحيْف ... في دُورها أعقب انتحابا
تَبَّتْ يدا حاكم غشوم ... يجرُّ للأمة التَّبابا
بغيْر جُرم من الأهالي ... عليهمُ يُنزل العِقابا
فهو الذي بالغُثاء يُلقي ... وهو الَّذي يُوقِدُ الثِقابا
يا شاهرًا للأذىٰ حِرابًا ... هل آن أن تُغمِدَ الحرابا
أشبهت وحش الفلا افتِراسا ... وفُقته مِخْلَبا ونابا
أخشىٰ الأذىٰ يُوقعُ انفِجارا ... عليك أو يُحدثُ انقِلابا
يا دولةً يعتزي ذَوُوهَا ... للعدْل والرَّحمةِ انتِسابا
نشكُو إلىٰ حكمكِ المُؤاخي ... مَن حَاد في حُكمه وحَابا
مُمَهِّد السَّلم شبَّ حربا ... لو ابتلاها الصَّبيُّ شابا
وحارس الأمن عاثَ فيه ... وزادَ في حبْله اضطرابا
(الشرطةُ) استكْبَرت وجارتْ ... وأصبَحتْ تعدِم الرِّقابا
أبتْ لفرْط العُتُوِّ مِنها ... أن تسمَع اللَّوم والعِتابا
فجدَّلت من رمتْ ومرَّت ... كأنما جدَّلت ذُبابا
«بسَكْرة» اليَومَ في حِداد ... أمسَت كأطلالها خَرابا
القتلُ والجُرح في حِماها ... خطْبان باسْم السَّلام نابا
أخافَ آرامَها البواكِي ... تَهيج آسادَها الغِضابا
دمُ الشهيدَيْن لم يعتِّم ... يستصْرِخ الأهلَ والصحابا
فأنصِفي المشتكين فيها ... وأرْشِدي السُّلطةَ الصَّوابا

العـــدلُ لـلأمـــن خيـر بـــاب ... فـــلا تـحـلّـــي ســـواه بـابـــا
ويـــا شبـابـــا بـظِـــلّ نـــاد ... عـلـى الـهُـدى يـجـمَـع الـشـبـابـا
إعـمَـــل حـكـيـــمًـا تـصـل سليمًـا ... ولا تـهـــبْ مـــن يَـقـــول هَـــابـا
بـالـصـبـــر والـحِـلْــمِ والـتـأنــي ... والــرِّفـق فـاستَـقْـبِـل الـصِّـعـابـا
لا تـقـذِفِ الـنـفسَ في مَـجـالٍ ... مـن يَـقـذِف الـنـفسَ فـيـه خـابـا
فـــي شِـرعـــة الله لا يُـزَكـــى ... مَـن كـــان لا يَـمـلِـكُ الـنِّـصـابـا
يــا قــومــنـــا لـلـنَّـدى دُعـيـتُـمْ ... يـا قـومـنـــا أحـسـنـوا الـجـوابـا
أهـــلُ الـشَّـهـيـديْـن فـي عَـذاب ... فـخـفِّـفُـــوا عـنـهـمُ الـعـذابـا
وأيِّــدوا لـجَـنــــةَ الـضَّـحـايـا ... ووفِّـــروا كـيـسَـهـا اكْـتِـتـابـا
آووا يَـتَـــامَـــاهُــمُ إلـيـكـــم ... وأكْـفـوهُـمْ الـقُـوت والـثِّـيـابـا
إن الـــذي بـالـيـتـيـم أوصَـــى ... أعـــدَّ لـلـمـحـسِـن الـثَّـوابـا

الوداع الوداع

الأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر، وهو أحد الأبطال الجزائريين الذين كافحوا عن القضية الجزائرية في مطلع هذا القرن بالقلم واللسان.. وقد مات منفيا بعيدا عن مسقط رأسه، الجزائر.. ورثاه الشاعر بهذه القصيدة.

ونشرت في العدد (5) من جريدة البصائر سنة 1936.

مـا أطـولَ المـوتَ بـاعَـا ... لـم يَخـش حتـى السـباعـا
سَطـا علينـا بسَـوطٍ ... مـن القضـاء فـراعـا
وأودع التـربَ نجـمًـا ... منـه اقتَبَسْنَـا شُعَـاعـا
وصـارمًـا هـاشمـيًّـا ... بـه هشَمنـا القِـلاعـا
اليـومَ يـا قلـبُ فـاهْلـك ... تحسُّـرا والتيـاعـا
واليـوم يـا طـرفُ فـاذْرِف ... منـك الدمـوعَ تبـاعـا
أبـكِ الزعيـم المفـدّى ... أبـك الأميـرَ المُطـاعـا
أبـك الكريـمَ المرجَّـى ... أبـك الغيـورَ الشُّجـاعـا
أبـك الجليـلَ مـزايَـا ... أبـكِ الجميـل طبـاعـا
يـا شعـرُ إنـك أوفـى ... مَـن صـان عهـدًا وراعـى
إنـي أعُـدُّك ظهـري ... وسـاعـدِي والـذراعـا
هلـم يـا شعـرُ فـانجَـب ... معـي لـرُكـنٍ تـداعـى
هلـم نـذكـر فنشكُـر ... (لخَـالـدَ) السعـيَ سـاعَـا
هلـم نـذكُـر فنشكُـر ... (إقْـدامَـه) والـدِّفـاعَـا[1]

(1) جريدة (الإقدام) كان يصدرها الأمير خالد باللغتين العربية والفرنسية.

ما للجزائر فينا ... لم ترعَ الاَّ الرَّعاعا
تجفو الكرامَ وتحنو ... على اللِّئام اتِّضاعا
ما للأناسيّ فيُّها ... يأبَون الا الخِداعا
ان صادقوا فادِّعاءً ... أو صاحَبوا فانتِفاعا
هل في الجزائر حرّ ... يأتِي الجميلَ اتِّزاعا؟
قل للجزائر أدِّي ... حقَّ الزعيم المُضاعا
هلا اصطنعتِ جميلا ... لدَىٰ الجميل أصْطناعا
هلا ذكرتِ كفاحًا ... مضَىٰ له وصِراعا
كم ذادَ عنكِ وقاسَىٰ ... فيك الأذَىٰ والنزاعا
سلِي المَطالب كم ذا ... أشاعهَا وأذَاعا
وكيف قام فَوفَّىٰ ... بالواجبات اضْطِلاعا
وكيف ناب وثوقًا ... بصِدقه واقْتناعا
وكيف نادَىٰ فدانتْ ... له الرؤوسُ اتِّباعا
حتىٰ اذا طار صِيتًا ... وطال فيك ارتفاعا
وبيَّت الدهر غيبا ... له الخطوب الفِظاعا
وقطَّبت واكْفَهرَّت ... له الوجوهُ أمْتقاعا
نوىٰ النوىٰ عنك قطعًا ... ولا أقولُ أنْقطاعا
نزيلَ (بيْروت) كم ذا ... رجوتَ فيها أرْتجاعا
كم ذا رفعتَ الشكايا ... بَليغةً والرِّقاعا
كم ذا تَرقَّبْتَ فيها ... إجابةً واستماعا
الفالُ أكذبُ فالاً ... والآلُ أجدبُ قاعا

لـو اطـلـعـتَ عـلـيـنـا … لـمـا حـمِـدت اطِّلاعـا
دفـيـنَ (جـلـق) إنـا … فـي غـمْـرة نـتـنـاعـى
عـزَّ الـعـزاء مُـصـابـا … لـم يـألُـه مـا اسـتـطـاعـا
دفـين (جـلـق) سـقـيّـا … ورحـمـةً واتِّـسَـاعـا
الـعـيـشُ أنـقـعُ سـمًّـا … والـمـوت أوقَـى قِـنـاعـا
والـلَّحـد أوفـرُ ظـلاً … والـخُـلـد أوفـى مـتـاعـا
لـعـل فـي الـخُـلـد لـقـيـا … بـبـعـضِـنـا واجـتـمـاعـا
يـا راحـلاً لـم نـمـتَّـعْ … بـه الـوَدَاع الـواداعـا

في ذمة الله يا خالد

أبيات رثى بها الشاعر الزعيم السياسي الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، وقد ذيلت بها صورة (الأمير الراحل) التي نشرتها (الشهاب) في ج 19/19/ ذي القعدة 1354هـ/ فيفري 1936م.

سيذكُرك الشعبُ دهرًا مديدًا
فأنتَ لأَبنائه والِدُ
وأنتَ – قريبًا لهم وبعيدًا
وحيًّا وميّتًا - لهم قائد
نودِّع فيك زعيمًا وحيدًا
لنَا مَجْدُه طارفٌ تالد
خلدتَ جميل الثناء حميدًا
فَفِي ذمةِ الله يا خالد!

رثاء غازي الأول ملك العراق

قيلت في رثاء الملك الشاب: غازي بن فيصل في الحادثة المدبرة له من الاستعمار الإنجليزي وعملائه بالعراق!

بغدادُ كوكبُها خبا يا شُؤمَ ذلك مِن نَبا
نعَتِ الاذاعةُ عاهلاً فيها تحرر منصبا
نعتِ الاذاعة «غازيًا» فخرَ الشباب الأنجبا
سيفَ العراق المنتضَى وعُقابَه المتوثبا
وحِمى العراق المُرتجى ولواءَه المتغلِّبا
ومليكَه الشهمَ الذي أعْيا المُنافسَ مطلبا
غذى شبيبَتَه بألـ ـبان العُلوم وهذَّبا
وأعدَّ عسكره المغا مِر للحروب ودرَّبا
حث العراق الى مُبا راة الشعوب ورغَّبا
فجرَى به شوطًا ولـ ـكنَّ القضاء به كبا
اليوم حق على الفُرا تِ ودجْلةٍ أن ينضَبا
اليوم حق على العُرو بة أن تَنوح وتندُبا
يا ذاهبًا كاد الصَّوا ب وراءَه أن يذهبا
ذابتْ جوانحها عليـ ـك تلهُّفا وتلهُّبا
أبكَى مصابُك مشرقَ الـ ـدنيا وأبكى المَغربا

لبس (السَّوادُ) من السوا   د حداده وتجلببا
وبكى المليكَ الهاشمـ   ـيَّ الأريحيَّ الطيِّبا
والفارسَ الطيّار والـ   ـبطَل الجريء المُرعبا
حفزتْه هِمَّته الى   غزْو الحِمام فما أبى
ومضى له كالليْث لا   وجِلاً ولا متهيِّبا
فارتدَّ مطعون المَفا   تل بالدِّماء مخضَّبا
يا من رأى قصرَ الزُّهو   ر (وَروضه) المعْشَوْشِبا
هذا خلاَ مِن آنسٍ آ   هِلِه وهذا أجْدبا
كشفت جواري القصْر حسـ   ـنَ وجوهها المتحَجِّبا
وبرزْن يندُ بن الفتى الـ   متعطف المتحدبا
لوْ كُنَّ يمْلكن الفِدا   ءَ فديْنَه أن يُنْكَبا
لابدَّ للنجم المنـ   ـيرِ شعاعهُ أن يَغرُبا
لاحيَّ باقٍ في العبا   د ولو على الشَّمس اْحتبى
أينَ ابنُ داودَ الذي   تخِذ العواصِفَ مركبا
ودعا الوحوش فأقبَلتْ   تسعَى اليه الهَيْدَبى
والطير في ديوانه   تحْني الرؤوس تأدُّبا
والجن تخدُم مُلكَه   وتخافه أن يغضَبا
فسبا بذلك لُبّ (بِلْـ   ـقيس) التي ملَكت سَبا
لم يبقَ منه سوى حديـ   ـثٍ مَن وَعاهُ تَعجبا
(بغدادُ) يا أخت (الجزا   ئر) يا ربيبةَ (يعرُبا)
وريثةَ (المجد) المؤث   ثَل في (دِمَشْق) ويثربا

إنَّا وإن سقْنا الرِّثا ءَ إليك منَّا مسهبا
لم نقْض من شتَّى المآ رب فيه إلاَّ مَأربا
ما كل حقِّك أن نُشا طِرَكَ الحِداد ونَنْحَبا
لو أن وِردَ الشَّرق عـ زَّ لما تكدَّر مشربا
ولكان منَّا مَنكب فيه يُساند مَنكِبا
وتألَّف الجنسُ المشتَّـ تُ شملُه وتَقرَّبا
(بغداد) يا مهدَ النبوغ وورِدَهُ المُستعْذَبا
لا تُوسعي الأقدارَ منـ ك تسخُّطًا وتعتُّبا
قد ناب عن زينِ الشبا ب وليدُه زيْن الصبا
اللهُ يهدي شعبَه ويقيه أن يتنكَّبا
عاش (العراقُ) مظفَّرا بين الشعوب مغلَّبا

عزاء لتركيا

رثاء الغازي مصطفى كمال (أتاترك)
نشرت في مجلة الشهاب سنة 1938.

هـوَىٰ مـن أفـقـه الـبـازي صـريـعًـا أم قـضَـىٰ (الـغـازي)
قـضـىٰ الـيـوم أبـو الـتُّـرك فـمَـن ذَا لابـنـه الـعَـازي؟
وأودَىٰ (مـصـطـفـىٰ) الـمـوْت بـسـيـف غـيـر هـزهـاز
تـولَّـىٰ (مـصـطـفـىٰ) عـمَّـن تـولاهـم بـإعـزاز
قـد أنـحـازَ الـىٰ كـوْن عـن الـضَّـوضـاء مُـنـحـاز
وأبـقَـىٰ وهـو مـجْـتـازٌ ثـنـاءً غـيـرَ مـجـتـاز
تـحـدَّىٰ قـادة الـغـرب فـأعـيـاهـم بـإعـجـاز
فـلـم يـلـحَـق بـه (الـدُّتـشِـي) لـدىٰ الـبـأسِ ولا (الـنَّـازي)
أعـزِّي تـركـيـا فـي مُـسْـتَـخِـفٌ بـالـرَّدىٰ هـازىٰ
أعـزِّي تـركـيـا فـي قـائـدٍ لـلـحـرب نـهَّـاز
أعـزِّي تـركـيـا فـيـه وأرثـيـه بـإيـجـاز
سـيَـجـزِي سـعـيَـه الـتـاريـخُ مـا لـم يـجـزِهِ جـاز

رثاء رشيد بطحوش

رشيد بطحوش رجل من رجال الإصلاح العاملين الدائبين عليه، المؤمنين به قولا وعملا، وكان عضوا بارزا من أعضاءِ إدارة جمعية الشبيبة الإسلامية الجزائرية وأحد الأعضاء العاملين في إدارة (نادي الترقي) بالعاصمة الجزائرية الذي هو معقل الإصلاح ومركز جمعية العلماء من يوم تأسيسها إلى جزء كبير من عمرها.. وقد مات، فكان لموته حزن عميق في الأوساط الإصلاحية في الجزائر كلها!

جوانِحي في ٱلتهابِ ... وأدمُعي في ٱنسكاب
أصبحت ولهانَ مضْنَّى ... في لوْعةٍ واكتئاب
مُروَّعًا ليس يدرِي ... غيرُ الإلاه بما بي
الحزن ملْءُ فُؤادي ... والسَّقم مِلءُ اهابي
أوشكتُ أفقد رشدي ... من الأسَى وصوابي
وا حسْرتِي وبَلائِي ... ونكْبتي وعَذابي
فقْدُ (الرشيد) دعاني ... لصرخَتي وانتِحابي
فقدُ (الرشيد) رماني ... من الجَوى في عُباب
فقد الرشيد مصابٌ ... مطأطِئٌ للرقاب
فقد الرشيد مُصابٌ ... يا هولَه من مصاب
يا صاحبًا كان عوني ... ومؤنِسي في الصِّحاب
يا ذاهِبًا أتمنى ... لحاقَه في الذهاب
أحسُّ بعدك نفسِي ... في وحشة واغْتراب

العيش بعدك أمسَى ... في مطعَمي مثل صاب
تبًّا لدار غرور ... خدَّاعة كالسَّراب
ويْحَ ابن آدمَ يلهو ... والموتُ منه كَقَاب
الموتُ نوْء رياح ... والمرْءُ عُود ثِقاب
لابد أنْ سَوف يخبو ... كلُّ امرِئ غير خاب

***

يا ساقي الودَّ صِرفا ... كَمِثل ماء السحاب
قد كنتَ للناس سلما ... في وصلة واجْتناب
وفي «الشبيبة» عَضوا ... مستسْهلا للصعاب
احطتَها بافْتقاد ... وصنتَها بارتقاب
تبكِي «الشبيبةُ» عضوًا ... ملألئا كالشهاب
خبا فأحدق ليلٌ ... بآرها والرحاب
قد أنشب الموتُ فينا ... أظفارَه كالعقاب
فافتكَّ عضو نشاط ... منا وعضوَ اكتساب
فيا رشيد وداعا ... اليوم يومُ الغياب
اليوم كالشمس تمسي ... وتختفي بالحجاب
اليوم تَغدو رَهينا ... موسّدا للتراب
اليوم تُستل منا ... كصارم من قراب
كان احتضارك بشرَى ... لنا بصدق الكتاب
لقِيت ربك تصغى ... لآيه في الكتاب
لقيتَ ربك هشًّا ... بشًّا وديعَ الجواب

لقيته بِثَبَاتٍ لم تلْقه باضطراب
لقيته بيقينٍ لم تلقَه بارتياب
والشهر شهرُ صيام وقُربة واحتساب
وليلةُ القدر منا د آذنتْ باقتراب
فمل لأَبرد ظِل ولُذْ بأعلى جناب
آوَاك ربك فاغنَم ما عنده من ثواب
في جنةٍ ذات دُور رفيعةٍ وقباب
محمد لك جارٌ وشافع في الحِساب
فاركَنْ له وتمتع من حوْضه بالشراب
يا فوزَ من طاب ذكرًا ونال حسْنَ المآب

يا قبرُ

ارتجل الشاعر هذه المقطوعة عندما وقف لأول مرة على قبر إمام النهضة الجزائرية الأستاذ الرئيس، عبد الحميد بن باديس وقد نقشت على رخامة، وعلقت على ضريحه.

يا قبرُ طبتَ وطاب فيك عَبيرُ ... هل أنتَ بالضيفِ العزيزِ خَبيرُ؟
هذا (ابنُ باديس) الامامُ المُرتضىٰ ... (عبدُ الحميد) الىٰ حِماكَ يَصير
العالِم الفذُّ الذي لِعلومه ... صيتٌ بأطراف البلادِ كبير
بَعَثَ الجزائرَ بعد طول سُباتها ... فالشعبُ فيها بالحياة بَصير
وقضىٰ بها خَمسين عامًا كلَّها ... خيْرٌ لكلِّ المسلمين وخِير[1]
ومضىٰ اليكَ تخصُّه بثَنائها ... وإليه من بين الرجال تُشير
(عبد الحميد) لعلَّ ذكرَك خالدٌ ... ولعلَّ نُزْلَك جنةٌ وحرير
ولعلَّ غرسك في القرائح مُثمرٌ ... ولعلَّ وَرْيَكَ للعقول مُنير
لا ينقَضىٰ حُزنٌ عليك مجدَّد ... وأسَىٰ له بين الضُّلوع سَعير
نمْ هادئًا فالشعب بعدَك راشدٌ ... يختطُّ نهجَك في الهُدَىٰ ويسير
لا تخشَ ضيعَةَ ما تركتَ لنا سُدًىٰ ... فالوارثون لما تركتَ كَثير
نفحتْك من رَحمَات ربِّك نفْحةٌ ... وسقاكَ غيْثٌ من رضاهُ غَزير

---

(1) الخيْرُ، بفتح المعجمة: ضد الشر. والخِيرُ (بكسرها): الشرف والكرم.

دمعة منهمرة على فتاة منتحرة

رثى الشاعر بهذه القصيدة فتاة من أحد الأسر الإصلاحية، ألم بها عارض طغى فيه اليأس على الرجاء، والهوى على العقل، شأن الفتيات الغريرات، فانتحرت بالتردي من شاهق بوادي قسنطينة الشهير، (وادي الرمال) وتركت لأبويها حزنًا يمده الدمع، ووصل النبأ بذلك الحادث إلى الشاعر فقال هذه القصيدة المؤثرة التي نشرت في العدد (204) من «البصائر» سنة 1952م.

أذْرت عليك دموعَها الانداء ... يا زهرةً عصَفت بها النَّكباء
ماذا دهاك من الحياة فعفْتِها ... وعرتْك فيها نظرةٌ سوداء
ألقيْت نفسك من شَفير شاهِقٍ ... يخشى الوقوفَ بجَنْبهِ الجُرآء
ما هَابهُ الليثُ الهَصور من الردى ... قدَرتْ عليه الظَّبيةُ الهَيْفاء
صدمَتْك من وادِي الرِّمال صُخورُه ... وطواك منه لدَى الهَوِيِّ هَواء
وسقطتِ صرعَى لم يُقلَّك في الثرى ... فرش ولم يُسْدل عليك غطاء
وقضيتِ لا قُرْبَى تحوط ولا يدٌ ... تأسو ولا عطفٌ ولا إدناء
فبكتك في (سرتا) ظباءُ كناسها ... وشُبولها وغياضُها الغنَّاء
وتساررتْ فيها بنعْيك وُرْقُها ... ورْقاءُ تَهْدل إثْرها ورقاء
أسفِي عليك ذوَى شبابُك فجأةً ... قبل الجَنى وجنَى عليه جفاء
ضاقت بك الدنيا بما حُبَت فما ... وسعَتْكِ أرضٌ أو وَقتْك سماء
وأجلتِ طرْفك في الوُجوه جميعِها ... فاذَا الضياءُ أمَامَهُ ظَلماء
فسخوتِ بالدُّنيا وزَهرتها لمن ... فِي البؤس عزَّ بها عليه سخاء

المـوتُ جـاءك خـاطبًـا فَرَضيتـه زوجًـا وبـاءَ بصَـدِّك الخُـطـبـاء
فـزُففتِ فـي عُرس لزوجك صاخب لـكـنْ خِضـابُـكِ يـا عَـروسُ دمـاء
أمـا صَدَاقُـك يـا عَـروس فـلَـوْعَـةٌ حـرّىٰ تَـذوب بـنـارهـا الاحـشـاء
وفجـيـعـةٌ بـكِ يـا عَـروس وَجيعـةٌ نُـكبـت بـهـا الأَهْـلـون والـقُـربـاء
لا أستـبيـح لـك التـردّي إنـه رغـم أضطـرارك زَلَّـة نـكْـرَاء
لا أستـطـيبُ لكِ الرَّدىٰ ولـوَ أنَّـه لَـك مـن جـمـيع الـنَّـائبـات وِقـاء
فـي كـل كـارثـةٍ لـكـل مُـوحِّـد أمـلٌ لـه فـي كشْـفهـا ورَجـاء
مـن كان مرتـكـزَ الـيـقـين فـعسْـرُه يـسْـرٌ عـلـيـه وبـؤْسُـه نَـعـمـاء
مـاذا جَـنَـتْ أمٌّ جـبـتْـك حـنانَـهـا وأبٌ عـلـيـك لـه يـدٌ بـيـضـاء؟
مسَّتـهـمـا الـضَّـرَّاء منـكِ ألـيـمةً ودَهَـتْـهُـمـا مِـن بُـؤسِـكِ الـبـأسـاء
فـكِلاهـمـا آس عَـلـيـكَ وآسِـفٌ قـد بـرَّحـتْ بـحَـشاهـمـا البُرَحـاء
أخـطـأتِ رأيًـا فـي انـتحـارِك إنـه ذنـبٌ يَـشـيـن وفـكـرةٌ حـمْـقـاء
لـيـسَ انـتحـارك كـان رُزءًا واحـدا فـي وقْـعـه بـل إنـه أرزاءُ
مـا كـان حـلُّ المُشـكـلات بـحـادثٍ لـلـنَّفْـس فـيـه علىٰ الشَّقـاء شَقـاء
إنـي وقـفـت عـلـيـكِ وقـفـةَ شـاعـر أرثـيـكِ إن أجـدَىٰ عـلـيـك رثـاء
مُـتَـحـسِّرًا ومـن الـتـحَسُّـر نُـدبـةٌ ومُـعـاتـبًـا ومـن الـعِـتـاب بُـكـاء
عـرَّضـت عِـرضـك للظنون وعَسْفِهـا إنَّ الـظُّـنـون مـطـيـةٌ عـمْـيـاء
أزرَىٰ بـعِـرْضِـك مـا يُـقـال تـوهُّـمـا ولـعـلَّـه مـمَّـا يُـقـال بَـراء
وأصـاب نفسـك مـا يـجـلُّ مُصابـه ولـعـل نـفـسَـك لـلـنـفـوس فـداء
ولـعـل رُزْأك نـوبـةٌ نـفـسـيـةٌ أوْ عـثْـرةٌ فـي الـسَّـيْـر أوْ إغـمـاء
أو لـفـحـةٌ بـك فـي ذَكـائـك أحـرقـت مـنـكِ الـحِـجـىٰ ومـن الـذَّكـاء ذُكـاء

قـد حـفَّـت الأَيـدي بنعشـك فاعْتلَى   كـالـفُـلـك تَـزخـر تَـحْـتَـه الـدَّأمـاء
مـا شيَّعـتـك جَنــازةٌ بـل أمَّـة   نُـشـرتْ فـلـم يسْتوْفِـهـا إحصـاء
ذابتْ قلوبُ جـمـيعهم لـك رحـمـةً   ورِضَـىٰ الـرَّحـيـم يـنـالُه الـرحـمـاء
هـل فـوق نـعْشـك جـثَّـةٌ أمْ تـوْأمٌ   لِبنـاتِ نـعْش أم هيَ الـجَـوْزاء؟
أمْ فـلْـذة مـن قـلـب أروعَ ضـاحـكٍ   لـلـنَّـائـبـات جـبـيـنُـه وضَّـاء
لا تـيْأسـي مـن رَوْح ربِّـك إنـه   مـاحِـي الـكـبـائـرِ مُـحـسـنٌ معْطـاء
أضـفـىٰ عـلـيـك اللهُ حُـلَّـة عـفْـوه   وسـقـتْـك مـن رحـمـاتـه أنْـواء
واذَا أبـتـلَىٰ اللهُ العبـادَ فـجـهـدُهـم   صـبـرٌ لـه وتـضـرُّعٌ ودُعـاء

***

قـل لـلـشَّـبـاب الـمـسـتـبدِّ بـرأيـه   الـمُـسْـتـفـزَّة وَجْـدَه الأَهْـواء
مَـن يـتَّـغـط بـسِـواهُ فـي أخْـطـائـه   تُـلـهـمْـه وجـهَ صَـوابـه الأَخـطـاء
إن انـتـحـارَ الـيـائـسِـيـن جـنـايـةٌ   عُـظـمـىٰ يَبـوء بخِـزيـهـا الـجُـبـنـاء
دُنْـيـاكَ مـعـركـةٌ يـفـوز بـكـسْـبـهـا   رأيٌ أسَـدٌ وهـمَّـة قـعْـسـاء
والأَرضُ سُـوقٌ بـالـنقـائـض أفْـعِـمـتْ   دأبُ الـورَىٰ بَـيْـع بـهـا وشِـراء
الـفـوزُ والإِخـفـاق بـعـضُ عُـروضـهـا   يُـعـطـىٰ ويَـأخـذُ مـنـهـمـا الأَحـيـاء
مـن فـاتـه فـيـهـا الـرجـاءُ فَـمُـفْـلِـسٌ   لا يُـرتـجَـىٰ أبـدًا لـه إثـراء
والـخَـلْـق صـيْـدُ الـنـائـبـات فـكـلـهـم   غـرَضٌ لـهـا في الرصيد وهي رِمـاء
مـن يَـنـجُ مِن بَلْـوىٰ يـقـعْ فـي مثلها   فـمـن الـبـلاوي لا يُـتـاح نَـجـاء
واللهُ يـحـكُـمُ ثـم يـمـضـي حُـكْـمَـه   فِي الـكـائـنـات كمـا يَـرَىٰ ويَـشـاء
سـبـحـانـه خـفِـيَـتْ حـقـائـقُ عـلـمِـه   عـنَّـا فـلـم تـسـتـجْـلِـهـا الآراء
مـا فـازَ الأ مـؤمـن مـتـوكـل   مـتـجـمـل مـهْـمـا عَـراه بـلاء
فـلـه بـأسـبـاب الإلـه تـمَـسُّـكٌ   ولـهُ بـأحـكـام الإلـه رِضـاء

تأبين الشاذلي خزندار

فقدت تونس شاعرها الكبير الشاذلي خزندار.. وفي حفلة التأبين التي أقامها النادي الأدبي للجمعية الرشيدية بتونس العاصمة ألقيت هذه القصيدة نيابة عن الشاعر، نشرت في العدد (261) من جريدة البصائر سنة 1954م

ساءنا رزءٌ به الدهرُ رمانا ... فأماتنا أيها الدهرُ أمانا
لم يزل يُمعِنُ في مِحنتنا ... ويُعادينا مُلِحًّا في أذانا
هل لدينا لكَ ثاراتٌ خلت ... لم تزل تطلُبها آنًا فآنا؟
كلما ألفَيْت منَّا غِرَّة ... ثُرت للزحف علينا ثَوَرانا
ومتى اغتَلْتَ فُلانًا لم تكَدْ ... تنتهي إلاَّ لِتَغتال فُلانا
من بُناةِ المَجْد في تاريخنا ... وذَوِي الإنتاج عِلْما وبَيانا
ضَاقَتِ الأَرضُ على أحرارها ... فغدَا الرحب عليهم كُشْتُبانا[1]
فقَدوا أندادَهم فاسترْخصوا ... عيْشَهم واستوْحَشوا منه عيانا
واسْترابوا في المَرائي فمتى ... أبصروها لم يَرَوْا إلاَّ دخانا
آهِ مِمَّا حلَّ بالخضراء من ... فاجع كلُّ عزيزٍ فيه هانا
فقدتْ تونِسُ من آفاقها ... كوْكَبًا قُطْبا وبدْرًا إضْحِيانا[2]
أينَ منها الشاذليُّ المرتضى ... خزندارُ السمحُ كفًّا وجَنانا

(1) قمع يركزه الخياط في انملته ليستعين به على الخياطة.
(2) الاضحيان.. المضيء، قال مهيار الديلمي..
أبلج تجلى الخطوب سودا ... بقمر منه أضحيان

كــل نـــادٍ بــاتَ فـيـهـا نـادبًـــا يَـذْرف الـدمـع عـلـيــه أرجـوانــا
كـان أشْـجَــىٰ بُـلـبـلٍ فـي أَيـكـها أطـربَ الأنـفـسَ بـالـشُّـدْوِ زمـانـا
كـان أضـرَىٰ ضَـيْـغـم في غَـابـهـا أذعـر الـخـصـم زئـيـرا فـاسـتـكـانـا
كــان بـحــرًا بـالـقَـوافِـي زاخــرا طـافِـحًــا يـلـفـظ درًا وجُـمـانـــا
كـــان بَــــرًّا كـالـغــزالـيّ لـــه نـهـج نُـسْـك فـيـه يـفـتَنُّ أفـتـنـانـا
مـا بــروح الـنُّـسك يـحظىٰ غيـرُ مـن أوتـيَ الـهـمَّـةَ والـنـفـسَ الـحصانـا
كـان فـي الـشِّـعـر أمـيـرًا مـالـكًـا لِـقـوافـيــه لـــه الـصَّـعْـبُ أسْـتـلانـا
هـتَـفَ الـمـوت فـلـبَّـىٰ راضـيًـا ورمـىٰ الـتـاج وألـقـىٰ الـصـولـجانا
وطـوَىٰ سـبـعـيـنَ عـامًــا فـطـوَىٰ سِـفْـرَ مـجْـد خُـطَّ بـالـتِّـبْـرِ دِهـانـا
وارتـضَـىٰ الـقـبــرَ رفـيـقًـا بـعـدمـا رافــق الـشـعــر فـوفَّــاه أئـتِـمـانـا
إن عــرش الـشــعــر آسٍ آســفٌ بـعـدَه يـبـكــي مَـزايـاه الـحِـسـانـا
قـمْ نـعـــزِّ الْـمـغْـربَ الأكـبـرَ فـي شـــاعــر أكـبــرَ مَـرمـوقٍ مَـكَـانـــا
إن شـــرَّ الـنـــاس فـــي أخْـلاقـــه جـاحـدٌ بـالـعـبـقـرِيِّـيـن أسْـتـهـانـا
أيـهـا الـمـغْـربُ أجْـمِـلْ في الأَسَـىٰ وعـزاءً فـــي عـزيــزٍ عـنـــك بـانـــا
انـــه بـالــبـــــر أرضَـــىٰ ربـــه ورعَـىٰ الآداب فـــي الـشعر وصـانـا
وسـقـــة تـــونـــسَ مـــن أشْـعـــاره كـوْثـريًـــا أيـنـعــتْ مـنـه جِـنـانـــا
وعـــنِ الـــدُّســتـــور فـــي أدْواره كـلُّـهـــا أعـلَـــنَ رأيًـــا وأبـــانـــا
وسـعَـىٰ فـي حِـزبِــه الـحُــرّ فـتًــىٰ طـافـر الـعـزمـة لـم يـخـش امتحانا
اذا الـحـاكــمُ بـالـجـوْر قـضـــىٰ فـي الـرَّعـايا لـم يُـخـفْ الاَّ الـجبانـا
واذا الـريــحُ عـلـىٰ الـنـار طـغَـتْ لـم تـزدْ لـلـنـــار الاَّ هَـيَـجـانـا
إنـمَّـا تـونـــس عُـضــو جـدَّ فـــي هـيـكـل الـمـغـرِب فـاشـتـد كـيـانـا

حَبَّذا (الأَعظَمُ) فيها من أبٍ ... وسِع الابناءَ بِرًّا وحَنَانا
قد سبَحْنا أمَدًا في أفْقِه ... واقْتبَسْنا من دَرارِيهِ سَنانا
وأذعْنا من رِسالات الهُدىٰ ... كُلَّ ما طيَّب ذكراه وزَانا
يا بَني الخضراء هذا جُهدُنا ... في مُصابٍ كلُّنا منه حَزَانىٰ
كلُّنا فيه سواءٌ فلْيَكن ... كلُّنا فيه مُعينًا ومُعينا
بُورك المَغرِبُ من دارٍ لنا ... بوَّأتنا من مَغانيهَا كِنانا
نحن فيها أسرةٌ واحدةٌ ... إِخْوَةٌ دِينًا وجنسًا ولِسانا
فتَّت الفُرقة في أعضادنَا ... إن منها ابدًا كلَّ ضَنانا
عالجُوها باتِّحادٍ جامع ... ناجع المَفعول يَنْفِي الشنآنا
ضمِن اللهُ به العزَّ لنا ... ونفَىٰ الذِّلة عنا والهَوانا
إِنَّما الدنيا مجالٌ للورىٰ ... مَنْ سَمَا هَمًّا بها فازَ رِهانا
كل من أحسنَ صُنْعًا فلْيثقْ ... أنْ يُجازَىٰ عنه خيرًا ويُدانا
إِنَّ وعدَ الله حقٌّ آجل ... فإذا حانتْ مَنايا الناسِ حَانا
والبَرايا للمَنايا عرضةٌ ... كلُّها تُصبحُ أخبارًا لِكَانا
كلُّها تفنَىٰ ولا يبقَىٰ سوَىٰ ... من تعالَىٰ عن جميع الخلْق شَانا

فقدنا مليكا عادلاً

للمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية مكانة سامية في نفوس المصلحين بالجزائر، لما اشتهر به من إقامة حدود الله، والقضاء على البدع والأضاليل. وإحياء السنة النبوية، وتأمين سبيل الحج وقد نعاه الشاعر بهذه القصيدة معزيا بها آله وشعبه وكل المسلمين.

لك الويلُ من نعّي به هتف البرقُ
فريع له الإسلامُ واضطرب الشّرق
وردَّده المِذياع من كلِّ موّطن
فصُمَّتْ به الآذانُ واحتَبس النُّطق
وفاضتْ به أنهارُ كُلِّ صَحِيفَةٍ
كما فاضَ مِن آماقنا دمْعُها الودق
فقدْنا مليكًا عادِلاً ظهرَ الهُدىٰ
بإنْصافه في الحُكم وانتَصر الحق
أقام حدودَ الله بالسيف وازعًا
وبالدِّين قانونًا فَدان له الخلْق
وحاط حجيجَ البيتِ بالأمْنِ بعْد ما
عثا في الحجاز البَدْوُ وانسَدَّت الطُّرق
وشقَّ الثَّرىٰ واسْتخرَجَ الماءَ دافقًا
بكلِّ النواحي لا يُكَفُّ له دَفْق

وأخـرج تِـبْـرَ الأَرض يـلـمَـح بـالـغِـنـى
ويـلـمَـعُ لـلـرَّائـي كـمـا يـلـمـع الـبـرق
وأنْـبَـعَ آبـارًا مـن الـنـفـط جـمَّـةً
بأجـهـزةٍ فـي الـكـشـف لـم يُـعْـيِـهـا عُـمـق
لـعـمـرُك إن الـنَّـفْـط لـلـشـعـب ثـروَةٌ
وعِـلْـق نـفـيـسٌ لـيـس يـشـبـهـه عـلـق
فـعـادتْ بـه أرضُ الـجـزيـرة خـصـبـةً
كـأن لـم يـشِـعْ جَـدبٌ بـهـا ويـضِـقْ رزقُ
سـلامٌ عـلـى لـيـثِ الـجـزيـرة فـي الـثَّـرى
مـسـجًّـى بِـطِـيـبِ الـذِّكـر يَـنْـدُبـه الـصِّـدق
لـقـد خـلَّـف الأَشـبـالَ تـحـمِـي عـرِيـنَـه
ضَـواري فـي رعْـي الـذِّمـار لـهـا حـذق
وفـي الـخَـلَـف الـمـيْـمـون سـلْـوَى لـشـعـبـه
وبُـشـرى بـنـجـم فـيـه أطْـلَـعـه الأُفـق
ألاَ أيُّـهـا الـحـامِـي الـجـزيـرةَ إنـنـا
نـحـيِّـيـك عـن شـعـبٍ بَـرَى جُـهْـدَهُ الـرِّقُّ
عـطـفـتَ عـلـى مـن جـاء مـنـه مـهـاجـرًا
فـلـم تـلْـتَـفِـتْ مـنـه الـى أرضـه عُـنْـق
وعـدتَ عـلـى بـعْـثـاتـنـا بـمَـبَـرَّة
مـضـاعَـفَـةِ الـجَـدْوَى بـهـا رتـق الـفَـتْـق

فحمدًا على حمدٍ به تلْهَج اللها
لفضلِك تمجيدًا كما تَسْجَع الوُرْق
وشكرًا على شكرٍ لسبقك بالنَّدى
وآلُ سُعود كلُّهمْ لهم السَّبق
خلائفُ أبطال وأعقابُ ذادة
زكا الفرعُ منهُمْ مثْلَمَا قَد زكا العرق
وما نحنُ إلا إخوةٌ رغم بيْنِنا
أشِقَّاءُ في الإِسلام ما بَيْننا فرق
وقد يرْتجي للشرق جمع شَتَاته
كما يرتجى للعبد من رِقِّه عِتق

عزاء في فجيعتنا

إثر الانفجار المريع الذي وقع في ميناء عنابة وكان سببا في كارثة ذهب ضحيتها عشرات الأرواح البشرية جادت شاعرية شاعرنا بهذا القصيد.

وقد نشرت بمجلة (المعرفة) لوزارة الأوقاف العدد (13) ربيع أول 1384 هـ/ جويلية 1964م

رماني بالأسى سهمٌ مُعادي — أصابَ بَني العُروبة في الفُؤاد
دهى (عنَّابة) ومُواطنيها — بخطْب هزَّ أركانَ البلاد
عروس الشرق من وطَني تجلَّت — ولكنْ في جَلابيب السَّواد
فقد نُكبت بكارثة انفجار — وعادية تجلُّ عن العَوادي
بدَا في بحرها (نجمٌ) تجلَّى — من (الإسكندرية) في اتِّقاد
ولكنْ خرَّ مُحترقًا غريقًا — بمَرْفئها فَحَار إلى رماد
خسِرنا اليوم باخرةً أتتنا — مُحَمَّلة بأصناف العَتاد
منَ الوطَن الشقيق، وهل كَمصر — لنا وطنٌ أخٌ صافي الوداد
لقد شبَّتْ بها النَّيران ليلاً — ودبت بالحَرَائق والفَساد
كَزَلْزلَة تهز الأَرضَ هزًّا — وتنْسفُ مَا عليها من عماد
يُدوِّي صوتُها كدَويِّ رَعْد — أجابتْهُ القَرائضُ بارتعاد
وهبَّت ريحُها تُذكي لَظاها — وتنقُلُها إلى الدُّور البعاد
وتقذف بالصَّواري والشَّظايا — وأثقال الحَديد بكلِّ وادي
لا تسأَلْ هُناكَ عن الضَّحايا — فقد حُصِدَتْ بها أشْقى حَصاد

ولـم تَسْلَـم بهـا إلاَّ بَقايــا　　مـن الـجَـرْحَـىٰ تـئـنُّ عـلـىٰ الـمهاد
وهبَّ الـشـعـبُ يـسـأَلُ فـي ذُهـول　　أبُرْكــانٌ طغَـىٰ أمْ ريـحُ عَـاد
يرَىٰ مـلْءَ الـفَـضـاء بـهـا صُـنـوفـا　　مـن الأنـسـقـاض تَـنـزل كـالـجَـراد
وأعـضـلـت الـخَـسـائرُ فـي مَدارها　　فـهـل تُـحـصَـىٰ بحصـرٍ فـي عــداد
وخفَّ الـجـيـشُ مـعْـتـضـدًا بـحـزْم　　ومَـن كَـالـجـيـش أوْلَـىٰ باعْتضـاد؟
وخاضَ الـنـارَ مـقْـتَـحـمـا لَـظَـاهـا　　يُـلـبِّـي بالـفـدىٰ صـوتَ الـمـنـادي
فـشـكـرًا أيـهـا الأَبـطـالُ شـكــرًا　　عـلـىٰ رُوح الـتَّـنـاصـر والـتَّـفـادي
ومــا قـدَّمـتـمــوهُ مـن الـضَّـحـايـا　　ومــا مـثَّـلـتـمُــوه مــن الـمَـبـادي
ويـا أبـنــاءَ (بُونـة) قـد أضَـفْـتـمْ　　إلـىٰ الـشُّـهـداء رقْـمًـا غـيـرَ عــادي
إلـىٰ شـهـداء ثـوْرتـنــا انـسـبُـوهـمْ　　فـهـمْ مـنـهـم بـصـدْق واعْـتــداد
نُـعـزِّيـكـم ونُــوصـيـكــم بـصَـبـر　　فـإنَّ الـصـبـرَ عـنــوان الـرَّشــاد
ويا شـعـبَ الـجَـزائـر قـمْ واسْـعـفْ　　وعـجِّـلْ بـاكـتـتــاب واعْـتـمــاد
وقـمْ بـعـيــادة الـجَـرحـىٰ وبــادرْ　　إلـيـهــمْ بـالإغـاثــة والـضِّـمــاد
فـقـد يُـسِّـرت لـلـحـسـنـات كـفـؤا　　لـهـا وعُـرفـتَ بـالـشَّـعـب الـجـواد
وقـدِّم مـنــك لـلـشُّـهـداء فـيْـضـا　　مـن الرَّحـمـات كـالـدِّيَـم الغـوادي
وقل لـبـنـي (الكنانـة) سوفَ تبـقَـىٰ　　ضَـحـايـاكـمْ لَـنــا رمـــزَ اتِّـحـاد
ومــا شُـهـداؤكــم إلاَّ ضُـيــوف　　عـلـىٰ شُـهـدائـنــا بــأعــزِّ نَـادي
ودِدنَــا أنَّـنــا كـنَّــا فـداهـــم　　وأنَّــا قــد نُـكـبـنــا بـانـفــراد
ولـكـنَّ الـقـضـاءَ مـضَـىٰ فـصـبـرًا　　ومـعـذرةً عـلــىٰ عـكْـس الـمُــراد
تـلـقَّـوْا مـا جَـرَىٰ بـثـبـات جَــأش　　كـمــا كـنـتـمْ وكـنَّـا فـي الـجـهـاد
عــزاءً فــي فـجـيـعـتـنـا فـإنَّــا　　ســواءٌ فــي الـرَّزيَّــة والـحــداد

أبت النفس أن تراك عَديمًا

القصيد الخالد الذي ألقاه شاعر المغرب العربي وشيخ شعرائه الأستاذ «محمد العيد» في الحفل الشعبي الرهيب الذي أقامه الشعب الجزائري لتوديع الراحل الكبير، الإمام المصلح ورائد الثقافة العربية في العالم العربي والإسلامي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رحمه الله ورضي عنه في الخالدين وذلك أمام ضريحه بمقبرة «سيدي أمحمد» بالجزائر العاصمة يوم الجمعة 20 محرم 1385 هـ - 21 ماي 1965م.

قُمْ بحق الإخاء وأرْثِ حَميمَا ... راحلاً مُخْلِصَ الوَلاء صَميما
صدَّ عنكَ الذي دَنَا منك وُدًّا ... وحنَا عاطفًا عليكَ كريما
صدَّ عنك «البَشير» شَبَّ حَنايا الصَّـ ... ـدرِ نارًا وهدَّها تحطيما
حمَّ موت البشير فاكْتَأبَ الشَّعب ... وأصْغَى إلى النَّعِيِّ كظيما
فُجِعتْ أمَّةُ العُروبة في الهَا ... دِي لمن ظلَّ نهجَها المُستقيما
كانَ لِلعلم في الجزائر روْضًا ... مُسْتَطَابًا يُحْي النُّفوس شَميما
ولقد أسَّس المَعاهِدَ فيها ... منذُ عهْدٍ وخطَّط التَّعليما
فقَد «المجمَعُ الكِنانيُّ» عُضْوًا ... نادِرَ الْكُفْء بالغَريب عَليما
كان بحْرًا من المَعارف زخًّا ... زًا وذُخرا من الفُنون جَسيما
ودِماغًا وعَى «المُحيطَ» مُحيطًا ... ولسانًا حوَى «اللِّسانَ» قويما
راضَ فُصْحَى اللُّغى فأوتيَ فيها ... مَنطِقًا ساحرًا وذوْقًا سَليما
رافَقَ الكُتْبَ والمَكاتب دهْرًا ... وتقصَّى أعْلامَها تعْميما
فبدَا عصرُها القَديمُ جديدًا ... وبدَا عصرُهُ الجَديد قَديما

كـانَ لــ«لأَصْعـيِّ» وَ«ابْـن دُرَيْـدٍ» و«الكِسَـائِيِّ» في اللَّـيـالـي نَـديـمـا
بـادَلَ «الـصَّـاحِـبَ» الاديـبَ نـشـيـرًا مـثْـلـمـا سَاجل «الـخَلـيـلَ» نَظيمـا
يا أخي الـحـقّ لـسـتُ أنسَـىٰ حديثًـا عـنـدما عُـدتُـك آسـتـرِقُّ نـسـيـمـا
قَبْـلَ ما قلتَ فيـه: نحنُ علـىٰ العَهْـ ـد عـهـدْنـاك لـلـعُـهـود مُـدِيـمـا
وبـلَـوْنَـاك فـي الـبَـلاء وَقُـورا وصَـبـورًا عـلـىٰ الـجَـفـاء حَـليـمـا
مُـسْـتـقـرَّ اليقـين لا تـرتَـضـي الرَّيـ ـب ولا الـعـيْب والـنِّـفاق الذميمـا
إن قـبـرًا آوَاكَ ضَـمَّ مَـنـارًا مِـن ذكاء ما ضَـمَّ عـظْـمًا رَمـيـمـا
وتـرابـا حَـواك أرضُ جَـلال وكَـمـال نَـرىٰ لـهـا الـتَّـحْـريـمـا
يـا رَعَـىٰ اللهُ أمَّـة بـك بـرَّت وأقَـرَّتْ لـفـضْـلـك الـتَّـقـديـمـا
خـرجـتْ نحوَ نعشـكَ اليومَ تَسْعَـىٰ وعـلـىٰ الـقَـبـر سلَّـمَـتْ تسليمـا
شاطَـرتْ «آل طَـالِـبِ» فـي أَسَـاهُـمْ وأسَـتْـهـم لأجْـرِهـمْ تَـعـظـيـمـا
فـعـزاءً «آلَ الـبـشـيـر» عَـزاءً كـلُّـنـا الـيـومَ بـالـفَـجـيـعـةِ ريـمـا
إنَّـمـا الـمـوتُ راحـةُ الـحُـرِّ مِـمَّـا كـانَ مُـرًّا مـن الـمَـتـاع وَخِـيـمـا
انـمـا الـموتُ فُـرْقَـةُ الـرُّوح للجسـ ـم عَلَـىٰ الـخَلْـق حُـتِّـمت تـحْـتيـمـا
سُـنَّـةٌ سَـنَّـهـا الـذي أنـشـأ الـمَـرْ ء فـمـا زال راحـلًا ومُـقـيـمـا
وعـزاءً يا نُـخـبـةَ الـشَّـعـب فِـيـمَـنْ كـانَ لـلـشَّـعـب سيِّـدًا وخَـدِيـمـا!!
كـان فـي الـعِـلـم رائـدًا وإمـامًـا ورئـيـسًـا وقـائـدًا وزعـيـمـا!
يا أخِـي الـحـقّ إن قَـصُـرتُ عن القو لِ فـمـا قَـصَّـرَ الـفُـؤادُ كـلـيـمـا
فـسَـلامًـا ولا أقـولُ وَداعـا أبـتِ الـنَّـفـسُ أن تَـراكَ عَـديـمـا
وأبَـىٰ الـقـلـبُ أن يُـفـارِقَ قـلْـبًا طـافِـحًـا بِـالـرِّضَـىٰ وعـقْـلاً فهيمـا
وصديـقًا يـرْعَـىٰ الـحُـقـوقَ ويـأبَـىٰ أن يُـضـامَ الـصَّـديـقُ أو أنْ يَـضـيـمـا

أنتَ بَيَّضْتَ وجْهَ شعْبكَ فخْرًا ... بيَّضَ اللهُ منكَ وجْهًا وسيما
فلقد كنتَ للعروبةِ فينا ... ولِدِينِ الإسلام رمْزًا حكيما
ولقد كنتَ لِلجزائر طَوْدًا ... بيْنَ أطْوادها تشُقُّ السَّديما
تحْضُن النَّشْءَ كافِلاً وتُرَبِّي ... وتُعَبِّي وتُحْكِمُ التَّصْميما
فَأْتِ أخْراكَ مُطْمَئِنًّا فَفيها ... ضِفْتَ رَحْمَانَ لِلعباد رَحيما
وتسنَّمْ فِردَوْسَها وتَنَسَّمْ ... رَوْحَها رَوايا بها تَسْنيما
إنَّ حُسْنَ الرَّجاء في الله ذُخْرٌ ... تَرْتجِي عندَهُ بهِ التَّكْريما
فإلى مَوْطِنِ الكَرامة بارِحْ ... عالَمًا يُحرِجُ الكِرَامَ لَئيما
عِشْتَ فوقَ الثَّرَى عظيمًا فأحْرَى ... بكَ أنْ تَسْكُنَ السَّماءَ عَظِيما!

ذكــــريــــــات

ذكرى شاعرين

قيلت في رثاء الشاعرين الكبيرين: شوقي وحافظ، وأنشدت في حفل عظيم أقامته جمعية العلماء الجزائريين لتأبينهما في (نادي الترقي) بعاصمة الجزائر، في شهر شوال عام 1351هـ.

نشرت بالشهاب ج 4 م 10 غرة ذي الحجة 17/1352 مارس 1934.

خلق الموت فناءً لبقاءِ ... وجزاءً من نعيم أو شقاءِ
ولقاءً في فراق باغتَّا ... كل نفسٍ أو فراقًا في لقاء
حاشرُ الخلق الى خَلاَّقها ... ومُزجيها الى فصلِ القضاء
هو مُعفِي العقل من تكليفه ... ومريحُ الجسم من جَهد البلاء
هو منجى الأرض من اشرارها ... منقذ آبن الأرضِ من دنيا العناء
أيها الانسانُ هل أنت لما ... راع من شتَّى المَراءي فيك راءٍ
حمْتَ كالطير بسرٍّ أزلاً ... لاَ بريش في صفاء لا هواء
حول عرشٍ مِن سناء وسَنَا ... وكمالٍ وجلال وبهاء
اذْ جرَى العهدُ واذ قلت بلَى ... فيه لو شَفَّعتَ وعدًا بالوفاء
وتلاءَمت (هَيُولَى) فالتقَى ... حمأ الأرض وإشراق السماء
عنصران آمتزَجا في صورة ... نضْرة رُصًّا بها رَصَّ البناء
واذا الطيرُ بفخ مشقَل ... عجبُ الصَّنعة من طين وماء
فتنزَّى رهنَه حتى اذا ... حطَّم الفَخ تنزَّى في الفضاء

دامِيَ الجُرح عليه مسْحة ... من شُحوب وبه وَخْزُ حياء
كدت أجلو الرُّوح لولا أن من ... أمر ربي صوْنَه تحت الخفاء
هو لغزُ الله عمَّاهُ فما ... كشْفُه غيرُ خيال وادّعاء
عجز العقلُ عن الروح وما ... زال بين اليأس فيه والرجاء
أستميحُ العفوَ في خوضِي فما ... هوُ إلاَّ من هُيام الشعراء
أيْ هُواةَ الفن أحرارَ الحِجى ... خُصَفاء الذوق أبرارَ الإخاء
أدْرِكوا بالعطف أمًّا ثاكلا ... لم تبارحْها عوادِي البُرَحاء
رزئتْ بكريْن لن تُرزأهما ... قطُّ أمٌّ مُنْكِرٌ بالنُّجباء
هذه أنَّاتها رنّانة ... ردَّدتها اليوم أصْداءُ الجواء
ناحتِ الفصحى على (شوقي) علَى ... «حافظٍ» بعدَهما صبحَ مساء
وتخلَّت عن مباراةِ اللُّغى ... بعد نهْديْنِ لها قيديْ ظباء
خاطِفيْ برقيْن سهميْ صائدِ ... صائبِ رِيحَيْ رُخاء ورَخاء
صحُفُ الشرق جرت أنهارُها ... عَبراتٍ بعبارات الرثاء
أعربت لا بسواد الحِبر بلْ ... بسواد العين عن سُوء سواء
أيُّ قلبٍ لم يكدَّر بالأسَى ... أي طَرف لم يُفجَّر بالبكاء؟
هل على الدوَّار من نسريْه أو ... فرقديْه بعضُ حسْن وضياء
أفلا أنْدُب نجميْن به ... أفَلاَ، بعد ازدهارٍ وازهاء؟
سائلوا البرزَخ عن ضيفيْه هل ... لهُما صِيتٌ كما في الأرض نائي
سائلوا البرزَخ عن طيْريْه هل ... غرَّدا فيه بنَوْح أو غناء؟
ضُرب الحَجْر على حنجرة ... صوتُها غادِ على الأحياء جاءِي
ملأ الصمتُ عليها ملأً ... مَلَكِيُّ الجمْع قُدْسِي الرواء

لا تحسُّ النفس الا أنّها ... فيه لاذتْ من فناء بفناء
قسَت الأرضُ فقاسيْنا على ... ظهرِها كلَّ ضنًى فيها عياء
نبذتْنا لُجَّة الغيْب بها ... نبذَ ذِي النُّون قديما بالعَراء
فاذا الجِدَّة فيها للبلى ... واذا العمران فيها للخَلاء
ونَرى أعراضَ أمراضٍ على ... أهلِها تَبدو عَويصات الشِّفاء
حول حاجاتٍ عدت طوْرَ الحِجى ... وهَناتٍ كدَّت صفْو الهَناء
ونرى الشرقَ بها كالغرْب كمْ ... مِن شموسٍ غرَبت فيها وِضاء
دولةُ الشعر من الشرق أنقضت ... وانقضَى فيها مِراءُ الأُمراء
ولواءُ الضاد في الشرْقِ أنحَنى ... فانحنى الشرق على ذاك اللّواء
عفَت الدنيا فلا (شوْقي) ولا ... (حافِظ) غيرُ أحاديث الثناء
أينَ منها نُكَتٌ من (حافظ) ... مسفراتٌ عن ذَكاء كذُكاء
أين منها أدمُع من شعرِه ... ناب فيها عن عيون البؤساء
طالَما ناحَ بها مسْتصْرخا ... مُهَج العطف وراحاتِ السخاء
أين منها لهْوُ (شوقي) بالنُّهى ... وتغنِّيه بمَجْد القدماء
في قوافٍ يأنَسُ الشرقُ بها ... مثلَما يأنس ركب بالحُداء
يا بني الشرق ذَروا الدمْعَ لمن ... لاذَ بالدمع ولُوذوا بالعَزاء
لا تَقولوا أصبحت أعراضنا ... عرضةً للطَّعن فيها والهِجاء
فوراءَ الغاب أشبالٌ حمَتْ ... حَرمَ الغاب شديداتُ الضِّراء
أنتمُ الأطرادُ فليَجْمَعْ لكم ... أمرَه الغربُ ويُسرف في العِداء
مهَّد الشرقُ لكم أكنافه ... فاحرسُوها بتحَاصين الوَلاء

عاش وقفا على الجزائر

ألقيت في الحفل المقام لذكرى الإمام عبد الحميد بن باديس في مدينة باتنة يوم 21 أفريل سنة 1965م

حيِّ ذكرى عبد الحميد الإمام　　وتذكره بالرِّضى والسَّلام
وترحَّم عليه في كل حين　　فهْو في العلم قُدوة الأَعلام
وهو في الزَّحف قائد الجيل حقًّا　　وهو في الدِّين حُجةُ الإسلام
وهو واعي الذِّكر الحكيم وداعـ　　ـيه وراعي ما فيه من أحكام
وهو حامي هَدْي الرسول وناهيـ　　ـك بداع له من الزَّيْغ حامي
كان عبدُ الحميد رائدَ برٍّ　　طيِّبَ القلب راحمًا للأنام
طاويَ الكشْح عن نزاع البرايا　　صادفا عنه صارفا للوئام
علَويا في العلم نفسًا ودرسا　　عُمَريا في الحُكْم والإلهام
عاش وقْفًا على الجزائر والإسـ　　ـلام يَرعاهما وفيَّ الذِّمام
وغيورًا على الشريعة يأبى　　غير تشريعها لفَضِّ الخصام
وغَيورا على العُروبة يُفْشي　　ضادها لاهجًا به في الكلام
وغَيورا على الجزائر قوميـ　　ـيًّا صَميمًا من سادة الأقوام
لمْ تَعُقْهُ الأتعاب عن خدمة الشعـ　　ـب ولا ضرُّ مُعضل الأسقام
لا، ولا أرْهَبَتْه سيطرةُ البطـ　　ـش ولا الكيدُ تحت جُنح الظلام
فإذا حُمَّت الهَزاهز فيها　　كان عَضْبَ المِهَزِّ كالصَّمْصام
وإذا طَمَّت الخطوبُ رأينا　　هُ يُدَوِّي كالرعْد بالإرْزام

كان عبد الحميد في الرأي قُطبا مُرشدا للعقول والأفهام
مثلَ (عبد الحميد) خطَّط منهـ ـاجا قويمًا لقادة الأقلام[1]
يَمْحَضُ الشعر للكفاح ويُوصي بالتَّسامي عن لَوْثه بالغرام
والتَّجافي عن الغرابة لفظًا واجتناب الغموض والإبهام

***

يا ابن باديس يا أبا الشعب قم فانـ ـظر بفخر لشعبك المقدام
قمْ تجد شعبك المخلَّف قبلاً سار شوْطًا مع الشعوب النوامي
قم تجدْ دولة الجزائر قامتْ وأقامتْ بالحكم حُرَّ النظام
قم تجد راية الجزائر تعلو فوق كل الربوع والآكام
شبَّت الثورة التي منك هبَّت ريحُها حين شبَّ عُود الضِّرام
واستَتبَّتْ أسبابُهَا فاستحالت كل أنغامنا إلى ألْغام
صدَّ جيش التحرير فيها قُوىٰ البغـ ـي وردَّ العرينَ للضرغام
كيف تنسىٰ الجزائر اليوم وفدًا كنت تحتلُّ صدره في المَقام
يوم جابهتَ بالدِّفاع (دَلاَدي)[2] وهو يُرْغي مهدِّدا بانتقام
قلت بالمدفع اغتَرَرْتَ وحَسْبي مدفع فوقه به الله رامي
موقفٌ حاسمٌ شَهَرتَ بِه الإنـ ـكارَ في وجه مَن طغَىٰ كالحسام
كتحدِّي أبي حنيفة للمَنْـ ـصور أو مالك برفض الحرام
وسعيدٍ والمنذر بن سَعيد، أو كعمرٍ والعزِّ عبد السلام

(1) هو عبد الحميد الكاتب وله رسالة مشهورة أوصى فيها الكتاب باحترامهم لمهنتهم وطرقهم أنفع المواضيع وكذلك كان الأستاذ ابن باديس يوصي الكتاب والشعراء بتحري المواضيع المفيدة التي تناسب ظروف الشعب الجزائري وتعود عليه بالنفع العميم.

(2) دلادي: رئيس وزراء فرنسا ووزير دفاعها يوم أن ذهب وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري إلى فرنسا يحمل مطالب الشعب الجزائري سنة 1936م.

أو كيعقوبَ، وابن يَعْمُر يحيى — وابن تيميةٍ فقيه الشام[1]
هكذا أعلن الأئمةُ قبلاً — سيفَ إنكارهم على الظُّلاَّم
ويح من أسخط الإلَه وأرضى — بالهوى مَن طغى من الحكَّام
يا ابن باديس هذه فئةُ الحـ — ـق بذكراك تحتفي كلَّ عام
وتحي (أفريل) شهرَ توفيـ — ـك وتوفيك شكرها باحترام
إن ذكراك موعدٌ عربيٌّ — وطنيٌّ لنا كثيرُ الزحام
إنَّ ذكراك تبعث الوعْي في الشعـ — ـب كبعْث الأرواح في الأجسام
شعبَ عبد الحميد ها هو وافى — فالْقَ عبد الحميد بالإكرام
رفرفتْ روحهُ عليك وناجتـ — ـك فهاجتك للدموع الهوَامي
قد تبنَّاك بالبُرور وربَّا — ك بنصح كوالد قوَّام
لا تُضع ما ورثتَ منه من المجـ — ـد وكن فيه راشدَ الأحلام
إن ما جدَّ من مشاريعك الغُر — ر امتدادٌ لمجده المترامي
وقوام الشعوب خُلق سليمٌ — مستقيمٌ فكن قويَّ القِوام
وبتقوى الإله تَقْوى فخذْها — لك زادا لعيش دار الدوام
شغلتنا حياتُنا عن مداها — فأمِنَّا مصائرَ الأيَّام
ليس غيرُ المتاب حبلَ نجاة — في حياة لُجيَّة الآثام
رَبِّ فاقبَل متابَنا واعفُ عنَّا — وأثبنا الرضى وحسنَ الختام

(1) هؤلاء أئمة الإسلام وأعلام العلم والعلماء الذين باعوا حياتهم في سبيل الله وسبيل الذود عن دين الله فأبو حنيفة النعمان، سجنه المنصور وأمر بضربه فمات من أثر الضرب والتعذيب. والإمام مالك أهين وسجن وضرب حتى خلعت كتفه. وسعيد بن جبير الذي قتله الحجاج. فلما هم بقتله ضحك. فقال الحجاج مم تضحك؟ فقال أضحك متعجبا. فقال مم تعجب؟ قال عجبت من جرأتك على الله وحلمه عليك. والمنذر بن سعيد البلوطي الأندلسي الذي يجاهر بالإنكار على عبد الرحمن الناصر، بالرغم من إكرامه له. والعز بن عبد السلام. سلطان العلماء كما كان يلقب وهو الذي باع الأمراء في السوق. وقصته مبثوثة في الكتب. ومنها كتاب وحي القلم للرافعي في مقال بعنوان أمراء للبيع... الخ.

يا رائد الشعب

القصيد الخالد الذي ألقاه شاعرنا بنفسه في حفل الذكرى الأولى لوفاة فقيد العلم والعلماء ورائد الثقافة العربية والنهضة الوطنية بالجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مساء يوم السبت 30 محرم 1386هـ 21 ماي 1966م بقاعة ابن خلدون بالعاصمة.

ذكرَىٰ وفاتِك إحياءٌ لأعمال ... من صُنع عزمِكَ أم بعْثٌ لأجيال
أم نشرُ صُحْفِ جِهاد ذُدْتَ عن قيَم ... عُليا به ونِضالٍ منك ذِي بال
أم عرْضُ ثورة شعب كنتَ قائدَها ... بالرأي من قبلِ ان يَصلَىٰ بها صالي
يا رائدَ الشعب للأهْداف سرتَ به ... دينًا ودُنيا بفكْرٍ منك جوَّال
إني دُعيتُ الى الذِّكرَىٰ لأشهَدَها ... وإنَّما تُعرض الذكرَىٰ على السَّالي
تالله ما خطرتْ سَلْواكَ في خلَدِي ... يومًا ولا عبَرَتْ ذِكراك من بالي
كأنَّ موتك ما مرَّت فجيعتُه ... ولا خلَتْ لحظةٌ من عامِهِ الخالي
هُنا بنُوكَ الذين أستمسكوا أبدا ... من رمزكَ الخالِدِ السَّامِي باذيال
لقد تساقَوا شرابَ العهد بينهمُ ... علىٰ أسْم ذِكراك سَلْسالاً بسلسال
وقدَّموا لك أعلاقا منسَّقة ... علىٰ موائدِ تكريم وإجمال
فأتحَفوك عيونًا مِن قَصائدهم ... أقر سامعها بالسِّحر للتَّالي
انت الغنيُّ بما خلَّدت من مُثُل ... عن مدْح قافية أوْ رفْع تِمثال
احيَيْتَ بالعلم شعبًا سِيق مُعظَمهُ ... للقَبْر في كفَنَي جهْلٍ وإهْمال
وجئْتَ بالنُّور في يُمناكَ ترفَعه ... تَجلو الغَياهبَ عن أبصار ضُلال

هل كنتَ عِيسىٰ الذي أحيا الرُّفاةَ بها ... أحيـا وبـدَّل آجـالاً بـآجـال
أم البشير الـذي ألـقىٰ القَميصَ علىٰ ... يعقوب طِبًّا بنُورٍ لـلأَسَىٰ جالـي
أَم البشيـرُ الذي الـقىٰ العِظـاتِ علىٰ ... شعبِ الـجزائر مَرموقًـا بـاجـلال
حريـة الفكـر والتَّعبيـر عشـتَ لـها ... رمـزًا بمـا رُمـتَ من تَـحطيـم أغلال
حـريـةُ الـفِكـر والـتَّعبيـر ظـاهـرةٌ ... فُضلَىٰ لكل شُجـاع القلْب مِفـضـال
وربَّ قـولـةِ صدقٍ مـنـكَ هـادفـةٍ ... أعـلـنـتَـهـا تـتـحدَّىٰ كـلَّ صـوَّال
ونـهـضة كـنـت فـيـهـا شامـخًـا أنفا ... كالـطَّـود عـن كـلِّ تشويش وإخـلال
أَعطيت في الصبر درسًا للدُّعاة سَمَـا ... مـغـزًىٰ فلم تَـجـزِ أنـكـالاً بـأنـكال
وكـان نـصْـرُك يمْنًـا بـعـد مشْـأمَـة ... عـلَـىٰ الـبـلاد وأَمْـنًـا بـعـد أهـوال
يـا شعبُ حفْلُـك فـي يوْم البشيـر بَدا ... غـيـلاً تـلاقـتْ بـه أشبـالُ رِئـبـال
ذكرَىٰ الـرجـال مـنـارٌ للرجـال لَـهمْ ... هَـادٍ وقُـدْوةُ أبـطـال بـأبـطـال
ولا وفـاءَ لـحـيٍّ بـعـد مَـيِّـتِـهِ ... إلا بـحـفـظِ لـمَـا أبـقَـىٰ وإكْـمـال
إن البشيـرَ أديـبُ العصـر عـالِـمُـه ... فَـذُّ الأَسـانـيـد أمْـلَـىٰ فَـذَّ أنـقـال
اذا روَىٰ الـشِّعـر والأَخبار كـانَ بـهـا ... كـ(الأَصمَعي) وإن أمْلَىٰ فـ(ـكَالْقَالي)
جـمعيـةُ العلمـاء اَسْـتـخلَصَـتْه لـها ... فكان فـي كفهـا كـالصَّـارم الـحَالـي
يـرتـاح للمجد لكن ما أزدَىٰ أحـدا ... ولـم يُـصَعـر لـه خـدًّا كـمُـخـتـال
وكـان يـمـزَح احـيـانـا بـمـجـلـسـه ... عـذْب الـحديـث بـأرجَـازٍ وأَزْجـال
لكن اذا جَـدَّ جِـدُّ الشعبِ قـامَ بـه ... يُمْلي العظـات وَقـورا غيـر هـزَّال
سـلِ الـمدينـة عـمَّـا قد رَوَىٰ وحَوَىٰ ... كُـتْـبًـا وَوَاصَـل مـنْ بَـحْـثٍ وَتَـسْآل
سَلِ الريـاضَ وسلْ أم الـقُـرَىٰ فهُمـا ... أدرَىٰ بـمـا نَـال مـن عـزٍّ وإقـبـال
وسـلْ دِمـشـقَ فَـقَـدْمًـا جاد تُربتَهـا ... بـمُـرْجَـحـنٍّ مـن الآدابِ هَـطَّـال

وأمتازَ فيها بحفظ نادِرٍ فروَىٰ — مُطوَّلاتٍ بسَرْدٍ منهُ مُنْهال
سل العراق وباكستانَ عن حِكَم — علىٰ الجَماهير ألقاها وأمثال
سل الكُوَيْتَ فقد أسدىٰ له خطَطًا — مُختارةً في قضايا العلم والمَال
سلِ الكنانةَ عمَّا بثَّ من فكَر — ثوْريةٍ وروَىٰ من صدْق أقوال
وحلَّ للمَجْمَع العِلْميّ من عُقَد — في الكَشْف عن نُكت الفُصْحَىٰ وأقفال
واختار من كَلم كالدُّر في قيم — أثرَىٰ الجديدُ بها مُذْ أفلس البالي
وسل فلسطين كم نادَىٰ لنصرتها — في موقفٍ منه قوَّال وفعَّال
سل الجزائرَ عمَّا سَنَّ من نُظم — مُثلىٰ وضَحَّىٰ لها من عُمْره الغالي
وعن دُروسٍ الىٰ صلاح داعيةٍ — بمحكمةٍ لم تُثرْ إنكارَ عُذَّال
وعن (عُيون) مقالاتٍ له كشفَتْ — هُدَىٰ (البَصائر) تَنفي كلَّ اضلال
وعن مناهجِ تعليم وتربيةٍ — عُليا لتخريجِ أعلام وأبطال
وحِلِّهِ مُشْكلَ التعريب حيث رَاىٰ — تيْسيرَه وتحامَىٰ كُلَّ اشكال
فقال نبْدَؤُهُ مما نُلَقِّنه — في الدرْس من كَلم فُصْحَىٰ لأطفال
وسوف يُنقل من أوساط مَعرفة — بالإِحْتكاك إلىٰ أوساط جُهَّال
قلْ للمُعلم اكثرتَ الحُلول الىٰ — أن صرتَ في حيْرةٍ منها وبَلبال
وكيف تَجْمُلُ بالأُستاذ حيْرتُه — في رد فرْع لأَصْلٍ دونَ إخلال
ما كان شُغْلُك إلاَّ صنْعُ أدمغة — او صَوْغُ ألسنةٍ من معْدنٍ عالي
أراك في حَمْلة التعريب قائدَها — فكيفَ تفشَل من تَثْبيط خُذَّال
أدِّ الرسالةَ ما وَاتَاك حاضرُها — وكنْ بمسْتَقْبَل التَّعريب ذا فال
إنّ الفروعَ به تنمو بفطْرتها — إلىٰ الأُصُول فطَعِّمْهَا بآمال
حافظْ علىٰ الروح فيما تَقتنيه ومِلْ — عن كل مُستَورَدٍ للرُّوح قتَّال

وخُذْ ودَعْ من فُنون العلم مقتنيًا فإنها ذاتُ ألوان وأشكال
ما أحوجَ الشعبَ في العَصْر الجديد الى نَشْء جديدٍ لعلْم العَصْر نخَّال
مُخَضْرَم القَطْف يَذكو من ثقافته عَرْف الوُرود وَريح الشيخ والضَّال
الزهد في الشعر أخفَى كلَّ موهبة وعاقَ عن كل إبداع وافضالي
وأخملَ النابهين السَّابقين بما بَاؤوا به من جُحود أيَّ إخمال
كمْ ناشئ فيه لو يُعْنَى به ادبًا لَذاعَ صيتًا كشوقي أوْ كإقبال
ويْحَ النبوغ بلا راعٍ فغَايتُه إفلاسُ موْهبةٍ أو خوضُ أوْحال
ما للشباب تخلى عن وظائفه وصار مشْتغلاً بالقيل والقال
جاب الشوارعَ بطَّالاً فيا أسَفا على شبابٍ بزهْر العُمْر بطَّال
ارَى العطاشَ بلا حدٌّ فشَوْا وَأرَى أشْقَى العطاش نُفوسًا وَاردي الآل
هيَّا الى العلم نكرَعْ من مَوارده ونعْقب الشُّرْبَ إنهالاً بإعلال
لعلَّنا نقْتفي أثرَ البشير به في كل غرْسٍ له خصْب واغلال
وما لَهُ من يدٍ طُولى وتَوْعيةٍ للشعب في الثَّورة العُظْمَى وأعمال
كم خطَّط الخطَط المُثلَى لها وَجَلاَ أهدافهَا وتحرَّى خيْرَ منوال
وَجَالَ في عاصمات الشرْق مُنتصرًا بالخُمْس من قادةٍ فيها وأقوال
حتى علَتْ جبهةُ التحرير وانتَصَرت وقرَّرتْ وضْعَ أوزارٍ وأثقال
واقبَل الجيشُ مرفوعَ اللواء على أرضِ الجزائر طلْقَ الوَجْه والبَال
وكيف يُهزَمُ أبطالٌ لنا شَفَعوا رَمْيَ الرَّصاص بتَكبير وإهلال!
فأورثوا الشعبَ تحريرَ البلاد كَما باؤوا من الغاصب الجَالي بأنفال
وكيف لا تذعن الدُّنيا لثورتنا وقد بلَت بأسَنا في كل زلزال
وما لنا اليومَ لا نُلقي الرجاءَ على حُكْم لَنا نَاهض عنَّا بأحمال

الـحُكمُ لله ثـم الشـعـب مـرجـعُـه … مَهمـا تـغـيَّـر مـن حــالٍ الـى حـال
نحن الـحَـنائـفُ ماضينـا وحاضـرُنا … صـنْـوان سَـيَّـان فـي حـل وتَـرحـال
نـهوَىٰ الـجميل ونـهوَىٰ من يُمثلـه … لـلـنـاس في حُلَـل أَوْ بيـن أسمـال
ومـا هـدَفُـنـا الـى شخـصٍ نـقدسُـه … لَـكـنّ إلـى حُـسن أَخـلاق وأفـعـال
نـواكـب الـحقَّ مهْمـا سـار موْكـبُـه … سلْـمًـا وحـرْبـا ونـأبىٰ كُـلَّ إذلال
شعـارُنـا أنـنــا نـحْمـي شَعـائـرَنــا … مـن كـل نـاف لـها بالـرِّيْـب عـطـال
نَـرْعَـىٰ العهودَ ونـأبَىٰ ان نَخيسَ بـها … وحـسْبُـنـا اللهُ مـن كافٍ ومـن والـي

الرفات الحي

أهلاً وسهلاً بالأمير

القصيد الرائع الذي نظمه الشاعر بمناسبة نقل رفات رمز الكفاح الجزائري الأمير عبد القادر من سوريا إلى أرض الوطن في جويلية 1966م

تبارَك نصرٌ بالبُطولات شاهدُ … وعيدٌ به عاد الأَمير المجاهد
تبارك عيدُ النصر عاد بآية … كآية (عيسىٰ) ما لها اليومَ جاحد
رفاتٌ كريمٌ للممات مفارق … وميتٌ عظيمٌ للحياة معاود
رفاتٌ علىٰ نعش وإن قلتَ واصفا … مليكٌ علىٰ عرش فما أنت حائد
أرىٰ الطالعَ الميمونَ أَلّف شملنا … بقائدنا الأَعلىٰ وخاب المُباعد
ألا يا عهود الفخر والمجد أقْبلي … وعُودي (فعبد القادر) اليوم عائد
لقد عاد محمولا علىٰ الهام عاليًا … تبايعه الايدي وتحمي السواعد
وترمقه كل العيون فركبُه … تَنافَسَ محسود عليه وحاسد
وحيًّا فحيت دولةٌ عربية … كما كان يرجو بعثها ويناشد
فقائدُها الثوري قائدُ ركبه … ومجلسُها الثوري للامن ماهد
ومن جيشها الشعبي للركب حارسٌ … أمينٌ وحامٍ للنظام مساند
يؤدي التحايا بالسلاح وفوقه … لواءٌ هلاليٌ إلىٰ الجو صاعد
يصفق ترحيبا به وهو راقص … طروبٌ من البشرىٰ به متواجد
وخف إلىٰ استقباله الشعبُ مكبرا … مجلا كما يستقبل البيت عابد
يجلجل بالتكبير من كل جانب … كمَا جلجلت في الأُفق مزنٌ رواعد

فأهلا وسهلا بالأَمير مشرِّفا ... حماه عزيزا والزمان مساعد
وأهلا وسهلا أنت أكرم وافد ... علينا ومن في العصر مثلك وافد؟
وأهلا وسهلا أرضك اليومَ حرةٌ ... وجيشك منصورٌ وشعبك راشد
مضت لك في أرض الجزائر ثورةٌ ... يباهي بها تاريخُنا ويماجد
أغرت على الغازين غارات شدة ... وبأس بحمّلات لها أنت قائد
وخضتَ غمار الحرب للدين ناصرا ... تكابد من ويلاتها ما تكابد
فلقِّيت فيها (ناصر الدين) حلية ... بها في مجال البأس حلاَّك والد
وربَّ مجال للفروسة جُلته ... وتحتك نهد للأوابد صائد
مرقتَ به كالسهم تعلوه واثبا ... فهابك خصم للفروسة ناقد
ورب مقام للتفاوض قمتَه ... وقولك مسموع ورأيك سائد
بلغت به الصلح الذي رمت ورده ... برأيك لكن كدرته المكائد
ثبت ولكن خانك الجدُّ عاثرا ... فعاقك واستعصت عليك المقاصد
اذا طال باستسلامك المرِّ جرحُنا ... فمن جبهة التحرير للجرح ضامد
وكنت لها في ثورة الأَمس قائدا ... وأنت لها في ثورة اليوم رائد!
لواؤك معقود بنفس لوائها ... وليس له الا جهادك عاقد
فحسبك سلطانان ماض وحاضر ... ومجدان في الدنيا طريف وتالد
رعى المجلس الثوري عهدك فاصطفى ... لعودك عيدا يوم ذكراه خالد
الى الوطن المحبوب ردك مكرما ... كما ردَّ صمصاما إلى الغمد غامد
فألفيت في أرض الجزائر أمة ... نمت وبأيديها تساس المقالد
أطاحت بحكم المستبد وحطمت ... سلاسله والظلم لابد نافد
جلا غاصب أجلاك عنها ببغيه ... كما باد طاغ ظن أنك بائد
زرعت بها زرعا تأخر طيبه ... وها أنت في العقبى لزرعك حاصد

سيسعد شعب أنت مهديٌّ عصره ... وأنت عليه اليوم باليمن وافد
ويأسف شعب كان يرعاك رافدا ... نفى كدر المنفى بما هو رافد
أتيح من العاصي حمى لك عاصم ... ومن بردي ماء لسقياك بارد
أرى شهر (يوليو) زادنا بك رفعة ... وعزّ فأغنانا بما هو زائد
له الله من شهر أغرّ محجل ... مصادره ثورية والموارد
تلقتك أرجاء الحمى بأريجها ... وحيتك فيها المنشآت الفرائد
تضمخ أنداء المعارف جوها ... عطورا ودور العلم فيها شواهد
تغذي بألوان العلوم شبابها ... وهل هي الا للشباب موائد؟
وللعرب الأحرار فيها رسالة ... مؤكدة الجدوى لها الشعب حامد
فيالك كنزا غاليا حلّ عاليا ... (بعالية) تعلو عليها المشاهد
لقد زينت زُهرُ النجوم سماءَها ... أشرق فيها البدر والبدر واحد
ضريحك فيها مرقد الفوز والرضى ... وأنت بها في جنة الخلد راقد
أرى سوريا أخت الجزائر محتدا ... وتأبى سوى وصل الفروع المحاتد
رعت لابن محي الدِّين حيا وميتا ... من العهد ما يرعى الكرام الاماجد
فشكرا لأخت واصلتنا ببرها ... وشعب يوالي شعبَنا ويعاضد
وشكرا لصنع الدولتين فإنه ... لمحمدة منها تغادر المحامد
ومن يَحده حادي العلا مترنما ... ولم يتحرك نحوها فهو جامد
وصفنا وصورنا على ضوء حسِّنا ... وقد يسعد الحسَّ الخيال المراود
وما الشعر الا مرصد خارق المدى ... على قمة شماء للغيب راصد
له صور منظومة فاق حسنها ... بها حِكَمٌ منشورة وفوائد
تزول من الارض الزيوف وتنمحي ... وتصمد كالاطواد فيها العقائد
ويقضي بها الأشخاصُ لا ريب نحبهم ... وتبقى عليها الذكريات الخوالد

فابشر يا بن محيْ الدين

قيلت بمناسبة ذكرى الأمير عبد القادر رحمه الله

اميـــرَ الـسيــــفِ والـقـلَـــم الـمـفـدَّىٰ
ذكـــرتُـــــك فـاعـتـرانـــي الـحــزنُ جــدا
ذكـرتــك يــوم قــمــتَ تَـشُــنُّ حـربًــا
لـــردِّ الـمـعــتـــدي وتـشــــدُّ شــــدا
ذكـرتــك يـــوم قــدتَ الـجـيش تـغــزو
ويـــوم جــعــلــتَ الاسـتـســـلامَ حـــدا
ومـــا اسـتـسـلـمـــتَ عــن وهَــن ولـكــن
حُــرمــتَ مـعــونـــةً فـحُـرمـت جَــدا[1]
ومـنـــك بـطــانـــةُ الـســوء اسْـتـفــادتْ
مـصـالـحَـهــا ولــم تَـصـدُقـــك ودًا
مـضــىٰ لـك مـنْـذ وضـعـت الـسـيــفَ قـرنٌ
وســتُّ سـنـيـــنَ مـثـــل الـدَّهــر عـــدًا
تـلـقَّــىٰ الـشـعـــب فـيـهــا مــا تـلـقَّــىٰ
مـــن الإرهـــــاق فـاسـتـخْــذىٰ وكَــدا
ولـــم يَـعـــدِم مــــن الـدنـيــــا رجـــــاء
فـمـــن عـــدمِ الـرجـــاء بـهـــا تـــردَّىٰ

(1) الجد: (بالفتح) الحظ.

ولكن قام فيه شبابُ صدق
يذود عن الجزائر مَن تعدى
كأنّي بالجزائر يوم هبَّت
أرى روحَ الجهاد بها استجَدا
فأبشرْ يا بنَ محي الدين أبشِر
فشعبك في الورى بلغ الأَشُدا
فقدنا المُلك فيه وما محال
لمُلْك ضائع ان يُستردا
ذكرت بني الجزائر يوم قاموا
بها في أوجُه العادين سدا
ويوم جنوا بشدِّ الأزر فخرا
ويوم أتوا بخلف الرأي إدا
وهل يبقى على الأيام حكم
عنيف فيه صاحبه استبدا
عتيق سَنَّه «نيرون» بال
كأنَّ العنكبوت عليه سدا
تجلّى رسمُك الزاهي كبدر
لنا من شمس همتك استمدا
نراه فنقبِس الأنوارَ منه
ومِن توقيره لم نُلف بدا

وفيه نحسُّ ايمانًا ويمنا
ومنه نشم غالية ونِدا
وانك بالذي اسلفتَ أهل
لأَن تجزىٰ نعيما لن يحدا
وتَنزل جنةَ الفردوس دارا
فتحمَد عند خالقك المَردا

متفرقات

5 يولية 1830

نظم الشاعر البيتين في يوم الاحتفال القرني
للاحتلال الفرنسي 1930

فـي مـثـل هـذا الـيـوم ريـعـت أمـتـي
بـالإحـتـلال ونـالـهـا مـا نـالـهـا
ولـعـلَّ مـن جـعـل الـصـلـيـبَ يـظـلـهـا
سـيـنـيـر مـن خـلـف الـغـيـوم هـلالـهـا

الضّيف الثقيل

وقال أيضا في هذه المناسبة

أطلتَ بجانبي يَا ضَيْفُ فَارْحَلْ لَحَاكَ اللهُ مِنْ ضَيْفٍ ثَقِيلِ
مَضَى لَكَ مذ نزلت علَى قَرْنٌ مَتَى يَا ضَيْفُ تُؤْذِنُ بِالرَّحِيلِ؟

كَــدَرْ

خاطب الشاعر بهذين البيتين بعض أصدقائه
منكرا عليه فراقه الطويل
نشرت بجريدة المرصاد الجزائرية سنة 1932م

علىٰ عكْس ما يقضِي به أسْمُك كنتَ لي
فقالي بما يَقْضِي به أسمُك قائِلُ
تكدرتَ بعدَ الصَّفْوِ لي فصرَمْتَني
كمَا صَرَمَ (البَصْريَّ) مِنْ قَبْلُ (وَاصِلُ)[1]

هزات أرضية

وقعت في عاصمة الجزائر حوالي 34 – 1935
هزات أرضية متوالية خلدها الشاعر بهذين
البيتين الذين عبر بهما عن ما كان – آنذاك –
يختلج في خاطر كل جزائري.

هذه الدُّورُ في الجزائر تترىٰ هاويات ترتَجُّ فيها أرتجاجا
كثُرَ العسفُ بالخَليقة فيها فعسَىٰ الإرتجاجُ منها أحتجاجا

(1) البصري هو الإمام الحسن البصري وواصل بن عطاء تلميذه.

تشطير لبيتي الرؤوس

نشرت صحيفة البصائر هاذين البيتين واقترحت على الأدباء تشطيرهما فشطرهما الشاعر بما يلي:

(وقد يُبغض الحيَّات أولادُ آدم) وإنَّ نفوس البعض منهم نفوسُها
فأبغضُ ما فيهم إليـنا رؤوسُهم (وابغضُ ما فيها إليهم رُؤُوسُهَا)
(وما ابْتُليَتْ يومًا بشرٍّ قبيلةٌ) كتَسْويدها في أرضها مَن يَدُوسُها
تقصَّيتُ أضرارَ الشعوب فلم أجدْ (أضرَّ عليها من سَفيه يَسُوسُهَا)

ويح الشيوخ

نشرت في البصائر سنة 1937

أبتِ البلادُ على (الشيوخ) رزوحها
من تحتِ حُكْمهِمُ الثَّقيلِ الباهِض
نهضَ الشباب مطالِبًا بحُقوقه
ويْحَ (الشيوخ) مِن الشَّبابِ النَّاهِض

ويح الشباب

ولما رأى بعض الشباب استخف بالقيم ونبذ التقاليد السماوية ظهريا وعدها من أسباب التخلف وعلائم التعصب ساءه ذلك فقال:

جَارَ الشبابُ على القِيَمْ ... وَرَمَى الشرائعَ بالتُّهَمْ
وَأَبَى النَّصِيحَةَ تَابِعًا ... لِهَوَاهُ يَخْبِطُ فِي الظُّلَمْ
وَيْحَ الشَّبَابِ مِنَ الْهَوَىٰ ... إِنَّ الْهَوَىٰ فِيهِ احْتَكَمْ
هَجَرَ الْهُدَىٰ وَسَبِيلَهُ ... وَعَلَى الْغَوَايَاتِ ازْدَحَمْ
أَيْنَ الشَّبَابُ وَوَعْيُهُ ... وَنَشَاطُهُ مَهْمَا عَزَمْ؟
أَيْنَ الشَّبَابُ الْمُهْتَدِي ... إِنِّي هَتَفْتُ بِهِ فَلَمْ...
تُبْ يَا شَبَابُ إِلَى الْهُدَىٰ ... إِنَّ الضَّلَالَ عَلَيْكَ عَم
الدِّينُ عَاصِمُكَ الَّذِي ... يَنْفِي هَوَاكَ بِمَا عَصَمْ
مِلْ لِلْمَتَابِ مُسَارِعًا ... وَاجْنَحْ لَهُ قَبْلَ النَدَمْ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الدِّينَ مِنْ ... خَوَرِ النُّفُوسِ فَقَدْ وَهَمْ
تَبْكِي السَّعَادَةَ آيِسًا ... وَتَظُنُّ مَعْنَاهَا انْعَدَمْ
إِنَّ السَّعَادَةَ فِي حِمَى الْـ ... إِيمَانِ رَاسِخَةُ الْقَدَمْ
إِنَّ السَّعَادَةَ نِعْمَةُ الْـ ... إِسْلَامِ وَهُوَ أَبُو النِّعَم
أَقْبِلْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ ... دِينٌ بِهِ سَعِدَ الْأُمَمْ

سحر البيان

نشرت بجريدة (البصائر) سنة 1937

هـم الـعَـرَب الـفصـاحُ لـهـمْ بَـيـانٌ　　مُـبـيـنٌ لـيـس فـيـه أقـلُّ وصَـمَـةْ
مـقـيـمُ الـلَّـسْـنِ فَـظَّـلَـهـمْ بَـيَـانًـا　　وشِـعْـرًا، مِـنَّـةً مِـنْـهُ ورحـمـةْ
وإنَّ مِـنَ الـبَـيَـانِ لَـنَـا لَـسِـحْـرًا　　وإنَّ مِـنَ الـقَـرِيـضِ لَـنَـا لَـحِـكْـمَـةْ

احتساب المعلم

سـألـزَمُ بـيـتـي قانعا بـمـعـيـشـتـي　　رفـيـقـا لكُـتْـبي قابسـا بعـض نورهـا
وأخـرج من بـيـتـي لـتعـلـيم فـتـيـة　　بـمـدرسة آوتُـهمُ فـي حـجـورهـا
فـإن أثـمـر الـتـعـلـيـم فـيهم ثـمـاره　　فذاك مُنى نـفسـي وأقصى سـرورها
وإن تـكـن الأخـرى فحسبـي غنيمـةً　　بـراءةُ نـفـسـي واحتسـابُ أجـورهـا

رسم الإمام ابن باديس

(وهو ينظر إلى المصحف الشريف في حالة تدبر واتعاظ)

هـذا ابـنُ باديـس فـي القـرآن مُفْتكر يـجْـلـو مـعانـيَـه كـالـدُّرِّ وَالْـمَـاس
أحيَـا الـجـزائـر بالعرفـان فانتعَشَـتْ وذاد عـن حـقِّهـا بـالـعَـزْم والبـاس
ووَدَّ مـن شـعبه أن يـستَـجـيـب لـه ويـستـنـيـر مـن الـذكـرى بـمقبـاس
فـكـنْ لـه سـامعًـا إن رمـتَ مـنـزلـةً رفـيـعـةَ الـقـدْر عـنـدَ الله والـنـاس

مثال التآخي

(هذه الأبيات ذيلت بها الصورة التي ضمت الشيخ عبد الحميد بن باديس والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي إثر عودته من منفاه، وقد نشرتهما مجلة (الشهاب) ج 7م 13/ رجب 1356 سبتمبر 1937

هـــذا مـثــال الـتـآخــي يــا حُـسـنـه مــن مِـثــال
رسْـمُ الــزعـيـمـيــن فـيــهِ رمْــزُ اتِّـحــاد الـشَّـمـال
كِـلاهــمــا الـيــومَ رُكــنٌ ومَــوْئــلٌ لـلــهــلال
كِــلاهــمــا بــدْرُ تِــمٍّ كِــلاهــمــا نــجــمُ فَــال
عــاش الــزعـيـمـانِ دهْـرًا فِــي ألــفَــةٍ واتِّـصــال
ويــسَّــرَ اللهُ سـعــيًــا قــامَــا بــه لِـلـكـمــال

صُورة شوقي

نظر الشاعر متأملا صورة أمير الشعراء أحمد شوقي وهو مسند رأسه إلى يده في حالة تفكر عميق ففاضت شاعريته بهذه الأبيات:

صورةٌ فذة (لأحمد شوقي) تتجلّى مظاهرُ الشعر فيها
فتأمّلْ تَجِدْ دِمَاغًا كبيرا زاخرًا بالمنى ووجهًا وجيها
وتأمّلْ تَجِدْ شعورًا عميقًا وحِجًى راجحا وفِكرا نبيها
ماله واضعًا على الكفِّ راسًا يا تُرى أيُّ نوْبة يشتكيها
ماله ناظرًا بطَرْف كليل يا ترى أيُّ لوْحة يجتليها
علّه في الحياة ضلّ طريقًا وبصَحْرائها تحيَّر تيها
هكذا تفعل القوافِي، فويحٌ للقوافي وللذي يقْتفيها

صَالح الأعمال

أجعلْ قرينك حُسْنَ خُلْقك تُلْفِهِ لكَ مُسْعِدًا في سائرِ الأَحوال
وبِصالِح الأَعمالِ ما عشتَ اتَّجِرْ رأسُ التِّجارة صالحُ الأَعمال

ضحك الناس

لَوْ يكشفُ الناسُ طرًّا عن بَواطِنِهِمْ   لَمْ تَلْقَ في النَّاس إلاَّ ماكرًا أَفِكا
قد يَضحكونَ ونارُ الحُزن تَلْذَعُهُمْ   فيتْرُكُونَكَ في التَّعْليل مُرْتَبِكا
فلا تُجامل بِضِحْكٍ منهمُ أبدًا   لا سُوقَةً ضاحكًا منهمْ ولا مَلِكا
إِنِّي أرَىٰ الوجْهَ طلْقًا كالغَضَا ضَرِمًا   والثَّغْرَ مُبتَسِمًا كالسِّتْرِ مُنْهَتِكا
لو كُنْتُ ذا سُلطةٍ في الناس قاهِرة   عاقبْتُ بالجَلْدِ والتَّغْريبِ مَنْ ضَحِكا

في حافلة عموميّة

ركب الشاعر مرة في حافلة عمومية، وكان يرتدي ملابسه العربية التقليدية، وفي وسط هذه الحافلة ألفى نفسه الوحيد في ملابسه. إذ كان جميع من في الحافلة يرتدون الزي الافرنجي. وهناك ارتجل هذين البيتين.

ما في الجزائر مجلس ألهي به   نفْسي وأستهْوِي اليه فُؤادي
أمْسَيتُ لا مِنها ولا مِن أهْلها   والقومُ قوْمي والبلادُ بِلادي

أنشودة حلوة الغنة

أعيدُوا حلوة الغُنَّةْ بها اللَّهوات مفْتنَّةْ
اعيدوها مغرِّدة كَساجِعة على قُنه
أعيدوها مجلجلةً تمُد الشعب بالمُنَّه
لنا مستقبلٌ حسَن بإذن الله ذِي المنَّه
فنحن ذَوُو مُحافظة على القرآن والسُّنَّه
ضمائرنا مطهَّرةٌ منزَّهة عن الضنَّه
وعزْمتنا مُثابرة الى الغايات مسْتَنَّه
وعُدَّتنا مذَخَّرة ليوم البأس مكْتَنَّه
اذا خُضنا الحروبَ بها اخفنا الإنسَ والجنَّه
وطاعتُنا لخالقِنا من البَلْوىٰ هيَ الجُنَّه
نريد رِضَى الإلاهِ بها ونَرجو الخُلْد في الجنَّه

الوعدُ المكذوبُ

بيتان فتحت بهما مجلة الشهاب وجريدة البصائر مسابقة لتشطيرهما ووضعت لهذه المسابقة ثلاث جوائز أحرز عليها ثلاثة من شعرائنا. ودام نشر البيتين وتشطيرهما عدة أسابيع تعريضا بحكومات اليسار الفرنسي آنذاك.

أيـا مـن بـالـوعـود أجـبـتـمـونـا
شـفـاهًـا فـي الـمـجـالـس أو كـابـةْ
تـبـيَّـن مـنـكـم إخـلافُ وعْـد
خـجِـلـنـا مـنـه عـنـكـمْ بـالـنِّـيـابـةْ!

وعد تحقق

وقال في عهد الاستقلال تعليقا على البيتين السابقين:

وعـدٌ تـحـقـق بـعـد الـخُـلـف مـنـبـثـقـا
عـن ثـورة فـرّجـت عـن كـلّ مـكـروب
لـقـد تـصـرم عـهـد الـمـخـلـفـيـن لـه
وأصـبـح الـوعـد وعـدًا غـيـر مـكـذوب

يا كامل!

رأى الشاعر في الجزائر العاصمة عجوز أعمى يطوف الشوارع وهو يردد كلمة «يا كامل!» فاستشف من العجوز ومن كلمته التي يرددها معنى من معاني الكشف الروحي، فخلده في هذين البيتين.

أشجاك شيخٌ في الجزائر خاملُ
أعمى يَطوف مناديًا: يا كامِلُ
يا ليتَ شِعْري والمَقاصِدُ تخْتفِي
أمُدَجِّلٌ؟ أمْ واعظٌ؟ أمْ سائلُ؟!

العيدُ

أخِي جاءك العِيد مسْتبشرا — يَبَشُّ إليك بوجهِ حسَنْ
فأهدَىٰ اليك التَّهانيَ مِنْ — فؤادٍ ودادُكَ فيهِ ٱسْتَكَن
وأرجو بَقاءَك في غِبْطَةٍ — سَليمَ الفُؤاد سَلِيمَ ٱلْبَدَنْ
وتحيَا لأَمْثَال أمْثَالِه — رضيًّا هَنيًّا ويَحْيَا ٱلْوَطَنْ

رجاء

هذه القطعة أجراها الشاعر مجرى السؤال والجواب بينه وبين أولاده.

سؤال: بنيَّ ارجو من المولى لكم سلفًا
مستقبلا زاهرا بالسعد مقرونا
يا ليت شعري ووجه الغيب مستترٌ
من بعد عشرين عاما ما تكونونا؟
جواب: نكون جندا بإذن الله منتظما
في سلك جنديَّة الاسلام ميمونا
نحمي البلاد وننفي كل غائلةٍ
عنها وندفع عنها العار والهُونا
سؤال: بني أرجو..................الخ
من بعد خمسين عاما ما تكونونا؟
جواب: نَكُونُ بِنَا باذنِ الله شَيْبَ تُقى
وقَدْ سَلَكْنَا طريقًا فِيه مَسْنُونا
أبناؤنا حَوْلَنا يرعوْن حُرْمَتَنا
ونَحْنُ هَادُون للأَبْنَاءِ رَاعُونا

تعلم...

مَنْ لَمْ يُضِفْ للعلم عِلْمًا زائدًا
فِي كُلِّ يَوْم فهوَ في نُقْصَانِ
من لَمْ يكنْ للإختِبار مُحَضِّرًا
وَمُراجِعًا بَشِّرْهُ بالخُسْرانِ

تفاوت الكتاب

تَفَاوَتَ الكاتِبُونَ رأيًا فاستعرضوا الصُّحُفَ كَالشَّريط
فكاتبٌ يسْتمِد عقْلاً كأنَّه غرْزَةُ المَخيط
وكاتبٌ يستمدُّ عقْلا أبعَدَ غَوْرًا من المُحيط
لله في العَالَمين سِرٌّ ضاقتْ به حيلةُ المُميط

الرحالة المسلم الكبيرُ

"محمود بشير المغربي"

حل الرحالة المذكور بعاصمة الجزائر ولما تعرف إلى الشاعر رغب منه أن يسجل له كلمة في سجل كبير كان يصحبه معه فكتب الشاعر له هذه الأبيات.

رأيتُ الأرض للسّاعين خُلدًا ... لهمْ في ظِلِّها خيرٌ كثير
فباطنُها لهمْ كنزٌ ثمينٌ ... وظاهرُها لهمْ مهْدٌ وثير
بَنُو الاسلام أحرَىٰ أن يَغُوصوا ... بأبحُرِها وأجدَرُ ان يَطيروا
ألمْ يُنزَلْ لهم في الذِّكرِ: (فَامْشُوا) ... ألمْ ينْزل لهم: (أفلَمْ يَسِيرُوا)؟
فَهلْ لَبَّوْا لخالِقهم نداءً؟ ... كما لبَّاه (مَحْمود البشير)
ألا أهلاً بزائِرنَا وسَهْلاً ... فأنتَ بكل إكرام جَدير
لتُهْنِكَ رحلةٌ في الأرض كبرَىٰ ... وعلمٌ عَن مَواطنها غَزير

الرحالة التركي
"مصطفى احسان"

حل بعاصمة الجزائر الرحالة التركي «مصطفى احسان» في رحلة بحرية على زورق مزود بمحركين وشراع وأقيمت له حفلة تكريم بنادي الترقي خطب فيها بعض من حضر من العلماء والأدباء وطلبت الكلمة من الشاعر فقام وارتجل هذين البيتين:

نادي الترقي اليوم زاهٍ زاهر　　بنزيله مستبشرٌ جذلانُ
فليزدهر نادي الترقي وليعشْ　　ضيفُ الترقي «مصطفى إحسان»

قلعتنا

بيتان كتبهما الشاعر بقلمه في رسالة وجهها إلى زميله في التعليم: الشيخ عبد الرحمن الجيلالي. في أكتوبر 1954. إثر صدور كتابه: «تاريخ الجزائر»

نشأنا على حبِّ الجزائر فِتيةً　　وليْسَ لَنَا غيْرُ الصَّلاح بها شُغُلُ
بِلادٌ حَمَاها الأَطْلَسانِ فأصْبَحَتْ　　لَنا قَلْعَةً ما في القِلاع لَهَا مِثْلُ

العَلم المرجّى

مـتى يا أيُّهـا الـعـلَـم الـمرجَّى أراك مـرفـرِفًـا فـوق الـبـلاد؟[1]
وحـولَـك أمّـةٌ تـفـيـدك حبًّـا وعـنـك تَـذودُ غـاراتِ الأعـادي

ابن النار

ارَى أبن الـنـار مـعـتـديًـا عـلـيـنـا فـمـا نـفـعَـلُـهُ مـن خـيْـرِ أبـاه
أبـانـا أن نُـخَـلَّـد حـيـثُ آذى أبـانـا الـبَـرَّ مُـزْدَريًـا أبـاه[2]

(1) البيتان نظما في أيام الاحتلال، وقد من الله علينا بنعمة الاستقلال وحقق رجاء الشاعر فرأى ورأينا معه علم الجزائر مرفرفا فوق البلاد.

وانظر في باب «الثوريات» من هذا الديوان قصيدة: (تهنئة الجيش وتحية العلم) وفيها:

ويا علمي تحيا على رأس أمتي شعار شموخ تسحب الذيل بالفخر
وتاج لجبين شده بزمرد هلال عقيق زانه كوكب دري

(2) مزدريا أباه: يعني الطين الذي هو أصل أبينا آدم عليه السلام.

ومن يخلد إلى العلماء يخلد

ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفلة التكريم التي أقامتها هيئة نادي الترقي بالعاصمة للمجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ونشرت بالعدد 19 السنة الأولى من جريدة المرصاد الجزائرية بتاريخ 12 صفر 1351 هـ الموافق ليوم 17 جوان 1932م.

بَنَيْنَا فارْتضَى الشعبُ البناءَ ... وَعَوَّضَنَا مِنَ الشَّعْبِ الْهَنَاءَ
وأرأسْنا ابنَ باديسٍ ففُزْنا ... وأدركْنا على يدِهِ الرَّجَاءَ
فرعيًا للرئيسِ وألفَ رعْيٍ ... وحَاط بنا حمًى وسَمَا لِوَاء
ودامَ لنا أبًا بَرًّا ودُمْنا ... بَنِينَ له كِراما أوفِياء
وما جمعيَّةُ الْعلماء الا ... مثَابَةُ إخوة صدَقُوا الإخاء
وفِي بَلَد الجزائرِ عائِلاتٌ ... تُبَادلُها المودَّة والوَلاء
وتشْملها بإحسان وعوْن ... لوَجْه العِلم لا تَرْجُو الجَزَاء
فشكرًا فتيةَ النادِي وَحَمْدًا ... لقد كرَّمتم العلْمَ احْتفاء
عرفناكم لأهلِ العلم أهْلاً ... وأسرعَ مت يُجيبُ لهمْ نِدَاء
وأوْفَى النَّاسِ بالْقِيَم اعْتِناقا ... وأوْلَى الناسِ بالأدب اَعْتنَاء
ومن يُخلِدْ إلَى العُلَمَاء يَخْلُدْ ... ويُؤْجرْ مِثلَ أجرِهمُ سَوَاءَ
وأزكَى المُحسنين يدًا وأحْظَى ... بأجْر الله من حَذِرَ الرِّياء
رعاكَ الله من نادٍ كريم ... شهِدتُ به الكرامَ الأَصفياء

وَنَجْوَىٰ أُفْرِغَت نَغمًا فلَوْلاَ ... جلالُ العلْم لابتُكِرت غِناء
جرَتْ فيه علىٰ الآذانِ شعْرًا ... طبيعيًّا وفي الأفواهِ مَاء
كلامٌ لوْ أصاخَ اليهِ مُضْنىٰ ... لأدْركَ من مَعَانِيه الشِّفاء
وَمنْ أعلَىٰ الجِهَادِ كَلامُ حُرٍّ ... يَذُودُ به عَن الشَّعْبِ البَلاء
بَني النَّادِي ارَىٰ الأَبصَار ترْنو ... لِمجْدِكُم الذي بَلغَ السمَاءَ
فسيروا في سبيل المَجْدِ وأمضوا ... ولاَ تقِفُوا بحضِكمُ أكْتِفَاء
ودُمتمْ أنجمًا في الأفق زُهْرًا ... نسيرُ علىٰ أشِعَتها أهتداءَ
وحُزْتم كل ما رُمْتمْ وفُزتُمْ ... بِفضْل الله بَدْءًا وانتهاءَ

مناجاة شعرية

بين الشاعر وأحد الشعراء من تلامذته

بمناسبة حلول عيد الفطر من عام 1952 ميلادي أرسل الشاعر الحساس الأستاذ بن محمد عبد القادر مفتش أكاديمية قسنطينة الآن تهنئة عيدية في قطعة شعرية لطيفة إلى الشاعر فأجابه عنها بهذه القطعة.

(يَـا لَـهَـا مِـنْ تُـحْـفَـةِ)

أيُّها الهاتِفُ سَاجَلْت حَماسا ... قابِعًا في الوكرِ بالْعُزلةِ هامَا
جَاءَهُ مِنكَ كتابٌ فاخرٌ ... وقريضٌ صُفَّ كالعِقد نِظَامَا
يا لهَا من تُحفةٍ عيديَّةٍ ... قدرها عندَ ذوي الذَّوقِ تسامَىٰ
يا كِتَابِي سر إلى باتنةٍ ... واتِ عبدَ القادر الشَّهمَ الهُماما
قُلْ له حُيِّيت مِنِّي بالرِّضَىٰ ... وتبوَّأت مِنَ العِزِّ سناما
بالهُدَىٰ عيَّدت عيدًا زاهرا ... وعلى السُّنَّةِ أتمَمْتَ الصِّياما
آدنا الشَّملُ ألتئاما فاصْطَبِرْ ... وأقتَنِع بالكُتب للشَّمل التئاما
واكْتَفِ اليَومَ بنَجوانا على ... بُعدِنا، وُفِّقتَ بدأً وختامَا

وهذه قطعة الشاعر الأديب ابن محمد:

(عُدْ إلَيْنَا بِصَبَاحٍ مُشْرِقٍ)

إحمَلِي يا نسمةَ العيدِ سلاما	وتحياتٍ وأشواقًا عظاما
إحمِليها لأبِ الرُّوح الذي	دَامَ يسقي بالمنىٰ القلب الحطاما
وإذا أبتِ أتركي في بيته	خير ذكرىٰ لكِ تستهوي الكراما
وأبعثي الآمالَ من مرقدِها	إنَّ في الآمال ما يشفي السَّقاما
عُدْ إلينا أيها العيد بما	يُثلج الصَّدر وما يجلو الغماما
عُدْ الينا بصباح مشرق	قد مللْنا أيها العيدُ الظَّلاما
وابعثِ الرَّحمة في قلب الورىٰ	إنَّ في الرحمةِ بردًا وسلاما

سأمضي... وأترك شعري

سَـامـضـي إِلـى دَار ٱلْـبَـقـاء كَـمَـا مَـضـتْ
خَـلاَئـقُ قَـبْـلـي لاَ تُـعُـدُّ وَلاَ تُـحْـصَـى
وَآوي إِلَـى أَكْـنَـاف أَرْحَـم رَاحِـم
بِـرحْـمَـتـه عَـمَّ ٱلْـوَرَىٰ وَبـهَـا أَوْصَـى
وَأَتْـرُكُ شـعْـري مـنْ وَرَائـيَ خَـلـدًا
عَـزيـزًا علىٰ الأَجـيـال تـأبَـى لَـهُ الـرُّخْصَـا
وَلاَ أَدَّعـي مـنْ كُـلِّ عَـيْـب خُـلُـوَّهُ
فـإن كـمـال ٱلْـعَـبْـد يَـسْتَـصْحبُ ٱلـنَّـقْـصَـا
فَـسَـلْ لـيَ أَنْ أُعْـطَـى مـن ٱلله عَـفْـوَهُ
فَـأَرْضَـى وَأَنْ أُدْنَـى إِلَـيْـه فَـلاَ أُقْـصَـى
وَغـايَـة كُـلِّ ٱلْـخَـلْـق لاَ رَيْـبَ رِجْـعَـةٌ
إِلَـى ٱلله دَاعـيـهَـا يُـجَـابُ وَلاَ يُـعْـصَـى

31 مارس 1960 ببسكرة

يا سامر الأنس

اقترح على الشاعر وصف مجلس أنس في سهرة لطيفة إثر مأدبة عشاء أقامها المحسن السيد الحاج الزبيري لجمع من العلماء والأدباءِ والأعيان بواسطة صهره السيد عبد الحميد مدير مطبعة البعث بقسنطينة فقال:

يا سهرة بهرتنا … بخيرها المتكاثرْ
في مسكن ضمَّ جمعا … من الوجوه الأكابرْ
(عبد الحميد) دعانا … لمأكل فيه فاخرْ
ومجلس مستطاب … مستعذب القول عاطرْ
في سامر متصاف … على الهدى متآزرْ
كنا يسامر بعض … بعضًا به يُذاكرْ
مذاكرات فنون … بها تطيب المشاعرْ
على الأوائل طفنا … في بحثنا والأَواخرْ
جلنا مجالات رأي … فيما لنا من مآثرْ
كان (النعيمي) فيها … يملي عيون النوادرْ
ويسرد القول سردًا … بخاطر منه حاضرْ
فتارة هو راوٍ … وتارة هو شاعرْ
وتارة هو سفر … عن علمه الجمِّ سافرْ
حوى أسانيد شتى … لم تتفق لمعاصرْ

إن النعميَّ بحر	من النوادر زاخرٌ
وفارس لا يجارىٰ	على متون المنابرٌ
يا مجلس الأنس هذا	فضل من الله وَافرٌ
فلنستَبقْ كل خير	شكرا له ونبادرٌ
ولنقترب منه نرجو	غفرانه فهو غافرٌ
وهو (الحميد) دعانا	(عبد) له وهو شاكرٌ
إلىٰ ضِيَّافةِ حُرٍّ	صِهْر لَهُ وَمناصر
إنّ (الزبيري) جواد	في حلبة الجود ظافر
لازال في خير عيش	وبَيته الرحب عامرٌ
يا سامر الأنس شكرا	فأنت بالخير سامرٌ
أراك طالع يمن	علىٰ ربوع الجزائرٌ

حسن الظن بالله

عاد الشاعر صديقه الحميم الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي في مرض وفاته ولما أراد الانصراف من عنده ودعه مرتجلا للبيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة ثم أضاف إليه البيتين التاليين

عليك بحسن الظن بالله انه ... يخصُّ بحسن الاجر من أحسن الظنا
وكم محسنٍ للظن بالله جاءَه ... ففاز بما اضفى عليه وما منا
اذا كان حسن الظن بالخلق نافعًا ... فكيف برحمانٍ رحيم لهُ دِنَّا

هدى وشفاء

كتاب الله كنز ليس يَفنى ... وشمس لا يغيب لها ضياءُ
هدىً للمتقين فكن تقيا ... وسَلْه من الهداية ما تشاءُ
تَداوَ به من الأَسقام تَبْرأ ... ففيه لكل ذي سقَمٍ شفاءُ

الأعمى

نظرت إلى الأعمى وبؤس حياته
فألفيته بالعطف أجدر إنسانِ
فخذ بيد الأعمى وقُدْه وسَلِّهِ
وصِله ولاَ تبخَل عليه بإِحسانِ

قلعة الشبيبة

لقد أصبحتْ دار الشبيبة قلعة … أرى الشعب جُنْدا حارسا بفنائها
وآل دَمَرّجي[1] هم خزائنُ سرها … وعند استراق السّمْع شُهْب سمائها

(1) أسرة جزائرية من أبرز أفرادها السيد محمد علي دمرجي وكان رئيسا لجمعية الشبيبة الإسلامية الجزائرية وأخوه السيد الحاج يوسف وكان أمين مالها.

مراحل ديواني

كان الأخ الأستاذ محمد الطاهر فضلاء يراسل الشاعر بكل ما يتجدد من مراحل طبع ديوانه ليطمئنه عليه فأجابه قائلا:

مـراحـــل ديــوانـــي قـطـعـتُ صـعـابـهـا
يــؤازرنـــي أنـصـــاريَ الـشــرفـــاء
أراك بـهـا تــبـــدي الـنـشـاط مـضـاعـفـا
شـعـــارك فـيــهـــا عــزمـــة ومــضـــاءُ
تـمـثّـل جـمـعـا مـن ذوي الـفـضـل طـاهـرا
وهـــل أنـــت إلا طــاهــر فــضـــلاء

باتنة 6 سبتمبر 1967

هي الهمة القعساء

تقريظ كتاب (القواعد) تأليف الأستاذ أحمد السرحاني مدير (ثانوية عباس لغرور) بباتنة.

أفدتَ بني الفصحى بجم الفوائد ... وعدت على الفصحى بغُرِّ العوائد
وجاهدت فيها دارسا وموجها ... بتوجيهك الأسمى لنشء مجاهد
وألفت سفرا للقواعد نافعا ... حريًّا بأن يدعى (كتاب القواعد)
زرعت به للجيل بذرا مباركا ... بمزرعة يَغْنَى بها كل حاصد
وأودعته ما شئت من كل ضابط ... بأمثلة حررتها وشواهد
تؤدي إلى (أهلية عربية) ... وتُرقي إلى عليائها كالمصاعد
وما ضل من سماك (أحمد) في الورى ... فغرسك حمد مثمر للمحامد
هي الهمة القعساء أفرع دوحة ... على الأرض تؤتي أكلها للمكابد
وشتان منا بين بانٍ وهادم ... وبين مجدٍّ لا يكل وقاعد
فيا نشأنا الشرقي هيا إلى العلى ... كركب له فصحى اللغات كرائد
لسان كتاب الله والمصطفى معا ... ومفخرة العُرب الجدود الأماجد
وكنز علوم الشرق في عصر نهضة ... لنا سادت المعمور من غير جاحد
ولا ينكر الفصحى وحسن مرانها ... ووفرَ غناها غيرُ خصم معاند
وحيَّ على درس اللغات وحفظها ... ففي حفظها قنص العلوم الشوارد
قد استظهرت بعض اللغات ببعضها ... كمثل الزنود استظهرت بالسواعد
فمن نال منها اثنين فاثنان شخصه ... وما كان واعي واحدٍ غيرَ واحد

ويـا داعـيَ الفصحىٰ وراعي فوجهـا وحـارس مـرمـاهـا بـنـاظـر نـاقـد
لـك الله فـاهنـأ بالـذي أنـت أهـلـه مـن الحمد واظفر بالـمنىٰ والـمراشد
بـعـارفـة لـلـضـاد مـنـك رفـعـتـهـا وقـدمـتـهـا لـلـنـاشـئـات الصواعـد
أثـارة علـم فـي الأثـارات سـمـحـة وخـالـدة مـحـمـودة فـي الـخـوالـد

باتنة 3 جمادى الثانية 1387هـ
7 سبتمبر 1967م

عز الأوطان

إذا مـــا رمـــت لـــلأوطـــان عـــزا
فـجـد بـالـنفـس واسـتبـق الـفـداء
وان حـمـل الـخـصـوم عـلـيـك يـومـا
فـقـم لـنـضالـهـم وخـضِ الـدِّمـاء
ألـم تـر (جـعـفـرًا) قـطـعـت يـداه
بـحـرب الـروم فـاحـتـضـن الـلـواء
وقـدم نـفـسـه لـلـمـوت سـمـحـا
فـنـال بـهـا الـشـهـادة والـثـنـاء

رسم تاريخي

اجتمع أعضاء جمعية «الشبيبة الإسلامية» وشيوخ مدرستها وتلامذة صفوفها كلهم في صحن المدرسة الواسع لتؤخذ لهم صورة عامة وقبل التقاطها كتب الشاعر على سبورة نصبت بينهم هذين البيتين.

هنا «الشبيبة» في «دار الفلاح» هنا[1] ... خير الكهول، هنا خير الشباب، هنا
رسم يخلّد للأجيال حامية ... من الشبيبة تحمي الدين والوطنا

قومي بنو الإسلام

كلما سئل الشاعر عن نسبته انتسب إلى المسلمين وإلى العرب عامة تفاديا من الدوائر الضيقة التي تثير الطائفية والعنصرية إلا لضرورة التعارف. وقد ساله بعض الناس من قومك؟ فقال قومي بنو الإسلام ثم ارتجل هذه الأبيات:

يا حاسبا أني أميز مسلما ... عن مسلم أخطأت في الحسبان
إن تعزني فإلى ذويَّ حقيقة ... وهمُ الألى إيمانهم إيماني
قومي بنو الإسلام من حُمْر ومنْ ... صفر ومن بيض ومن سودان

(1) دار الفلاح هي المدرسة التي وهبتها جمعية الفلاح لجمعية الشبيبة وما تزال هذه الدار إلى الآن بعاصمة الجزائر مدرسة للتعليم تحمل اسمها المعروف: الشبيبة الإسلامية الجزائرية.

أمام داع وشباب واع

كان العالم الواعظ الشيخ محمد الصالح النيفر الإمام بجامع سيدي الكتاني في قسنطينة يقوم بتوعية إسلامية في أوساط الشباب الجزائري بقسنطينة وغيرها من المدن الجزائرية بواسطة الخطب الوعظية والدروس الدينية. وقد شكر الشاعر له هذه المواقف المحمودة فحياه بالأبيات التالية:

حَيِّ الإِمَامَ (النَّيْفَرِيَّ) وقُلْ لَهُ ... بُشْرىٰ لنَا بك من إمام دَاعي
إنَّ الجزائر بوَّأتك مكانة ... مرمُوقةً لِندائك السَّمَّاع
لك في مساجدها مجالس دعوةٍ ... كمجالس (الْبصْري) و(الأَوْزاعي)
تدعو لإِحْياء التراث شَبابهَا ... وتدُلُّهُ بأَدلَّة الإِقْناع
لمَ لا يكُونُ من اقتدىٰ بك صالحًا ... وقد استجاب لـ(صالح) نفَّاع
واصلْت توْعيةَ الشباب فحادَ عنْ ... سُبُل الضَّلاَل ومال لِلاقلاع
إنَّ الشَّباب إذَا اهْتدىٰ بلغ الْمَدىٰ ... منْ وعْيهِ وأقرَّ عَيْنَ الرَّاعي
وهل ارتقتْ شتَّىٰ الشعُوب وهل نمت ... إلاَّ علىٰ أيدي الشَّباب الوَاعي

الأقلام أسلاك المناجاة

بهذا العنوان نشر الأديب الأستاذ محمد الهادي السنوسي في كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) هذه المناجاة الشعرية الأدبية التي دارت بين الشاعر في شبابه وداعية الإصلاح الشيخ الطيب العقبي رحمه الله قال الشاعر:

أَدبٌ يروقُ إلىٰ جلال الشانِ ... هذا لعُمرُك مفخر الإنسانِ
لاَ تبكِ حظَّكَ في الحجاز فإنَّما ... لك في الجزائر ميزةُ الرُّجحان
إنِّي عهدتُكَ في صدىٰ أَرْجائها ... شيخَ العلوم ومنبع العرفان
وَلأَنتَ فيها زهرَةٌ فيحاءُ ما ... برحت تروق لزائري البستان(1)
يَا صاحبَ الطَّبع اللَّطيفِ ومُنتجَ الشـ ... ـشعر الظَّريف و«طيب» الأفنان
منذُ استمعتُ رقيقَ شعرك مرةً ... أدركتُ سر تمايل الأغصان
أَوعيتَ أسرار البلاغة كلها ... من قبلُ عنْ قُسِّ وعن سحبان؟
أَمْ نلتها قدَرًا علىٰ عهد الصِّبا ... فسبكتها في قالب الأوزان؟
أسَّست من هذا وذلك مركزًا ... لك في الجوانح ثابت الأركان
عمَّمت بالآداب إخوان الوفا ... وكذاك كلُّ مُهذَّب الوجدان
فكأنَّما سمَّاكَ قومُك (طيِّبا) ... لتطيب منك مجالسُ الاخوان
هذا شعوري نحو شخصك هاكهُ ... طيَ الكتاب ودم مدىٰ الأزمان

(1) يريد بالبستان بستان بسكرة الكبير وقد كان ملتقى لعلمائها وأدبائها في ذلك العهد.

وقد أجابه الشيخ الطيب بقوله:

رَوض الأَديـب وزهـرة الـشُّبَّـان ... وافَـىٰ نـظـامُـكَ بـلْ عُقُودُ جُـمَـانـىٰ
ودُهِشْتُ من تـرصيف مـا أبدعتَه ... لـم أستطـعْ ردًّا عَـلـىٰ سَحبـان
والـيـومَ عيـدُ الفطـر حقًّـا قـدْ أتـىٰ ... فـعـجبْتُ اذْ عـيـدان يَـلْـتـقيـان
ونـطَـقْتُ بـالشعـر الصحيح وزانُه ... لـكـنْ بـشِـعـركَ خفَّ في الـميزان
يـا (عيـدُ) أنـت العيـدُ أنت (خليفـةٌ) ... والـعـيـدُ إن يـأتِ ٱلـتـقىٰ عـيـدان
فـاهْنـأ بذا العيد الـجديد ويَـهْنَـأ الـ ... ـعيـدُ الـسعيـدُ بـمـفـخـرِ الأوطـان
قـلـبـي أُقـدِّمـه إلـيـك هـديَّـةً ... والـشّـعـر فـوق الـقـلـب كالْعُنـوان
بيْـنـي وبـيْـنَـك وُصلـةٌ أدبـيَّـة ... علْمِـيَّـةٌ تَـنـمـو مـدىٰ الأزمـان
إنِّـي أحبُّـك لا لـشـيْء غـيـر مـا ... أُوتـيـت مـن أدب وحُسْـن بـيـان
فـاصْفـحْ فـإنَّ بضاعتي الـمُزْجَـاةَ لاَ ... تـرقَـىٰ مـع الأسـوام فـي الأثـمـان
إلا إذا أغْـمَـضْـتَ فـي اسْتِصْحَابـهـا ... لـتَـدُسَّـهـا إن جـاء يـومُ رهـان
هَـذىٰ حَـقـيـقـةُ مَـنْ أقـرَّ بعَـجْـزِهِ ... وقـصـورِه فـي حـلـبـة ٱلـمـيـدان
ولأنـتَ أولـىٰ بـاقْـتـنَـاء فـضـيـلـة ... فـاحـفَـظْ تـحُـزْ شـرفـا علـىٰ الأقـران
أمّـا أنـا فـالْـحَـادثَـاتُ يَـرُعْـنَـنـي ... وبُـلَـيـتُ بـعـد الـحـظ بـالـنِّـسـيـان
ولَـكَ الـتَّـقَـدُّمُ فاجتَـهـدْ واحْرِصْ علىٰ ... نـيل الـعـلـوم فـتـلْـكَ عـمـرٌ ثـانـي
رَحِـمَ ٱلإِلَـهُ أبـاك إذ ربَّـاكَ بـالـ ... ـعلْـم الصحيـحِ ومُـحْكَـم الـقُـرآن

يسألونني

نشرت في مجلة المعرفة لوزارة الأوقاف الجزائرية.

يسائلُني عنْ نِسْبتي كُلُّ وافدٍ ... عليَّ وعن شعري وعن كنه مطلبي
فقُلتُ لهم أَرض العروبة موطني ... وديني هو الإِسلام والقدوة النبي
ومن مَطْلبي جمع العروبة كلها ... على وحدة عظمى بشرق ومغرب
وتهيئة الجيل الجديد لفوزِه ... من الدِّين والدُّنيا بأشرف مأرَب
ونشرُ الثَّقافات السليمة حرة ... وكسبُ المعالي لاَ لجاه ومنصب
رضعت قريضي في لبان أُمومتي ... ومن منهل الأَحرار واصلت مشربي
تسامحت والإِسلام دين تسامح ... وآمنت بالقرآن دون تعصُّب
إِذا كنت في ديني وفي وطني أَخًا ... فلست أبالي أن تخالفَ مذهبي

كلمة شكر

(إلى هيئة اتحاد الكتاب الجزائريين)

نظم هذا القصيد مجيبا به (اتحاد الكتاب الجزائريين) بعد تسلمه جائزتها الأولى لسنة 1966

هل تبسمتِ عن رباك بزهر ... ام تنسمت عن شذاك بعطرِ
أم ترسمتِ سير رواد جيل ... من ركاب الكتاب إثرا باثر
يا بلادي أكرمت مثواي ردحا ... ليس بدعا ان تكرمي اليوم شعري
إنني صغته لجيدك عقدا ... عبقري السنا بحبكِ يغري
مجلس الثورة أرتضى ان يجازي ... كل واع من قادة الفكر ثوري
انها منة تخلد مجدا ... ويد تثمر الرضى دون نكر
أيها الوفد مرحبا بك فانزل ... بفؤادي قبل الحلول بوكري
حيِّ محروسة الجزائر عني ... إنها للنضال اقدم ثغر
وأباةً بها على الضَّيم ثاروا ... ثورةً تَوَّجت حماها بنَصْر
وجدوا مُشكل الجزائر يَأبى ... ايَّ حل، فعاجَلوه ببَتْر
نحن أبطال فكرة وسلاح ... في الميادين بين بيض وحمر
في سبيل اعتزازنا ما أرقنا ... من دم طيب العبير وحبر
نطلب العلم باللغات جميعا ... لا نبالي منها بسهل ووعر
قد فتحنا لها المجال فسيحا ... ولسان الفصحى أحق بصدر
كيف يقضى بموته وهو حي ... في شرايينا مع الدم يجري

غيرانا لا نكتفي بلسان عن لسان مهما تناهى كبحر
فمن اليعربي نقبس نورا ومن الاعجمي بالكشف ندري
ومن العدل ان يسيرا سواء مستجيبين للجوار بيسر
و(اتحاد الكتاب) دوحة آدا ب إليها تضم اعلام فكر
شع انتاجهم كبدر منير واحاطوا به كهالة بدر
انهم عصبة اليراعة اطروا حكمة القول والجوائز تطري
اخجلوا بالجميل منهم زميلا فانحنى شاكرا ولاذ بستر
عمموا برهم ومن اجل هذا كان شفعا صنيعهم غير وتر
إنهم باعترافهم قلدوني وزميلي (ديب) الاديب بفخر
وأجازوا إنتاجنا باعتبار أدبي ولفتة ذات قدر
طوقوا مهنة الاديب بطوق شرفي ما قوموها بسعر
انما نوهوا بروح كفاح وصمود على الاداء وصبر
ورعوا مبدأ وأرضوا ضميرا وحموا فكرة وبروا بعمر
وسأزداد غبطة ان اجازوا زملائي الكتاب أحرار قطري
إنهم زودوا الجزائر زادا مستفيض الغنى به الفكر يثري
وأجادوا صقل النهى وأشادوا بالحضارات من قديم وعصري
قل لمن توجوا نتاج يراعي باحترام يجل عن كل اجر
انا ان كنت عن حماكم بعيدا فسأرعى صنيعكم طول دهري
قد تخلفت آسفا وكفاني مسليا علمكم بصادق عذري
قعد العجز بي عن الركب سيرا والهوى مصعد مع الركب يسري
واليكم ازف الف سلام مستطاب في طيه الف شكر

الألغاز

لغز أدبي

في عام 1937 كثر الكلام في الصحف عن الحرب العالمية الثانية فنظم الشاعر فيها هذا اللغز فالمراد من الأنثى الحرب ومن النسر ألمانيا لأنه شعارها وكونه منتعلا إشارة إلى حلفه مع إيطاليا التي تمثل على الخريطة صورة الجزمة (النعل) وأشار بالزعفران إلى حلفه مع اليابان لأنه من الجنس الأصفر والمراد من الليث بريطاني لأنه شعارها ومن الوحش أحلافها والمراد من الديك فرنسا ومن الطير أحلافها والمراد من أبي الحرب الظرف الزمني هل يساعد ألمانيا أم يخذلها؟

نشرت في البصائر سنة 1938م

إِلــيــــك تُـســـــاق أبـيــــاتٌ كـلُـغـــزِ
وتــسـلـيــــة بـهـــا يـلْــهــو الأَدِيــــبُ
فـمَـــــا أُنـثَـــى نـبَـتّ عــن كـــلِّ أُنْـثَـــى
بـهَـــا كَـثُـــرَ الـتَّـغــزُّل والـنَّــسـيــب؟
تـجـنَّــتْ فــالـضَّـعـيــف لـهَـــا عَـــدُوٌّ
مُـبـيـــنٌ والـقَــوي لـــهـــا حَـبـيـــب
أتــاهَــــا الـنَّـسْــر مُـنْـتـعـــلاً تُـحـيِّـي
يَــــدٌ بـالـزَّعْـفَـران لــــهُ خَـضِـيــــب
سـمِـعـنــا عـنـهُـمــا نـبَــأً مُـريـبًـــا
ولَـمَّـــا يـثْـبُــتِ الـنَّـبَـــأُ الْـمُـريــب
فـبـعــضٌ قــالَ وَصْـلـهُـمَـــا بَـعـيـــدٌ
وبـعـضٌ قــــال وصْـلـهُـمـــا قَـريـــب

فقام اللَّيْثُ يزْأرُ مِن بعيدٍ
وقام الدِّيكُ مِن قُربٍ يُهيب
فمَن في الوَحش عندَك من يُلَبِّي
ومَن في الطَّيْر عندكَ مَنْ يُجيب
وهل تسْتكْشِفُ الأُنثَى مَرامًا
خفيًّا حوْلَهُ عُكفَ الصَّليب؟
وهلْ يرضَى بخِطْبتها أبُوها
وهلْ يحظَى بها النَّسْرُ الخطيب؟
وهل لَكَ في مواقفها نِصابٌ
وهلْ لك من غنائهما نَصيب؟
وان رمت الجَواب فقلْ مُصيبًا
فأحْرَى النَّاسِ بالقوْل المُصِيب

لا النافية

مــــا كِـلْــمــــــةٌ واحــــــدةٌ لِـكـلْـمَـتَـيْــــنِ تَــجْـمَـــــعُ؟
تــصـــــــلُ هــــــذه لَــنــــا بـتِـيـلــــكَ ثُـــــمَّ تَـقْـطَــــع
تشُــــــلُّ رمْـحيْـــــن مـعًـــا مــنْــهــا عـلـىٰ مـن يـطْـمَــع
فـهْــي ســــلاحُ كـــــلِّ مَــــن يـأبَـىٰ الـسَّـخَـــا ويَـمْـنَــع
لـكـنَّـهـــا فـــي قَــولـنـــا لــهَــــا مـقـــامٌ أرْفَـــــعُ
بـذِكْـرِهـــا فـــي كِـلْـمَـــة[1] بــهـــا الـحَـنِـيـفُ يَـصْـدَع
فَـاكْـشِـفْ لـنــا عـن لُـغْـزِهـا ولا تَــقُـــلْ لا يَــنــفَــعُ

(1) (هي كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله).

اللغزُ

شيءٌ به تُختبر العُقُول
صعبٌ اليه يَعْسُر الْوُصُولُ
يلْهو به السائلُ والمَسْؤول
فحَبْلُه بينَهُما مَوْصُولُ
كأنَّه حَمامةٌ تَجُولُ
يصْطادُها الحُذَّاقُ والفُحُول
فبعضهمْ مخَيَّبٌ مخْذول
وبعضُهم موفَّقٌ مَقْبول
وفكرُك الآنَ به مَشْغُولُ
فَمَا تَرَىٰ فيه وَمَا تَقُول؟؟

لغز في الطربوش

أسـوَدُ الـشَّـعْـر أحـمَـرُ الـذَّات أزهَرْ ... ذُو عُـلُـوٍّ يَـسْـبـي الـعُـيـون ويَـبْـهَـرْ
أجـنـبـيٌّ عـنِ الـعُـروبـة أمْـسَـى ... عـربـيًّـا بـهِ الـعُـروبـةُ تَـظْـهَـرْ
مـلَّـه قـومُـه وسـامُـوهُ هـجْـرًا ... ومـن الـظُّـلـم أن يُـمَـلَّ ويُـهْـجَـر
كـيـفَ يُـقْـلَـى بـعدَ الودَادِ وَيُلْقَى ... وهو بـنـدٌ وجُـنـدُه لـيسَ يُـحْـصَـر؟
وهـو غِـمْـدٌ وسـيـفُـه ضَـمَّ عِـلْـقًـا ... مـعـنـويًّـا لاَ مِـنْ نُـضَـارٍ وجَـوْهَـر
فـاقـبَـلِ الـلُّـغـزَ تـحـفَـةً لـكَ منِّي ... وتـأمَّـلْ فـي حَـلِّـه وتَـفَـكَّـر

لغز في الأذن

مـــا وَرْدَةٌ بـديـعـــةُ الإِحـكـــام
مِـــنْ غـيْـــرِ أوْرَاقٍ ولاَ أَكْـمَـــام؟
شَـجَـرُهَـــا مُـفَـرَّعُ الأَغْـصَـــان
لـكـنَّـــهُ خَـــالٍ مِـــنَ الْـعِـيـــدَان
عـديـمـــةُ الـسَّـقْـــيِ بـــلا ذُبُـــول
مـفْـتـوحَـةٌ فـي سـائِـــرِ الـفُـصـــول
راقـــتْ بـحُـسْـــنِ الـشَّـكْـلِ لـلأَنْـظَـار
واستَـأثَـرَتْ بـســائـــرِ الأَخْـبـــار
قـامَـت تُـبـاهـيـنَـا علَـى سَـفْـحِ جَـبَـلْ
وأَصْـبَـحَـتْ فـي الـوَرْد مَـضْـرِبَ الـمَـثَـل
فـاكْـشـف لَـنـا عـنْـهـا بـلاَ ارْتـيـابِ
وفَّـقـكَ اللهُ إِلَـى الـصَّـواب

لغز في الأسنان

أيُّ جُنْـــدٍ مُـرابــطٍ وكَـمـيــن		مُـسْـتـعــانٍ بـبـعْـضـه مُـسـتَـعـيــن
هـو فـي جِـسـمِهِ الأَصِيـلِ أرُوبِّــ		ــيٌّ وإن طَـال عَـهْدهُ فهْـو صِينِي
لـيـسَ يَـرْبُـو عـلـى ثلاثِيـن واثْـنَــ		ــيْـن ويُـفْـنِـي أعْــدَاءهُ بـالـمِـئِـيـن
فـتَـرَى أرضَــه مــن الــدَّم حَـمْــرَا		ءَ وقَـدْ حـاطَـهَــا كـأسْـــدِ الـعَـريـن
حــارسًــا راصـدًا عـلى بـاب كـهْـفٍ		مُـسْـتَـعِـدًّا لـخَـصْـمِــه كـلَّ حِـيـن
يـتـلـقَّـاهُ بـالـحِـــرابِ فـتُـصْـغِــي		لـصَـلِـيــلٍ فــي سَـلِّـهــا وَرَنِـيـــن
فـاتـكًـــا يُـعـــدم الـمُـغـيـرَ ويُلْقِيــ		ــه دَفِـيـنًــا عـلـى بـقَـايَـا دَفِـيـن
فـتـأمَّـلْ فِـي لُـغْــزِه فـهْــوَ لُـغْـــزٌ		لـيـس يَـدْرِي مَـعْـنـاهُ غـيرُ فَـطِـيـن

لغز في النعلين

عجبتُ مِن فَارِسٍ وحِيدِ
قدِ اعتَلَى فوْقَ مُهْرتَيْن
بغَيْرِ سَرْج ولا رِكَاب
ولا لِجَام مَسُوقَتَيْن
ولا غِذاءٍ ولا شَراب
أقلَّتَاهُ بغيْر ذَيْن
لم تألَمَا تحتَهُ بضَرْبٍ
أو تَشْعُرا مُطْلَقًا بأيْن
في كلِّ يوم تَراهُ يَعْدُو
علَيْهِما سَادِلَ اليَدَيْن
لَو اكْتَفَى منهُما بإِحْدَى
رأتْهُ بالسُّخْر كُلُّ عَيْن
فاكشِف لَنَا ما هُما سَرِيعًا
وقلْ لَنَا الحَقَّ دُون مَيْن

لغز في قريون

جارٌ لكمْ لا يَخون
يرعى الحِمى ويَصُونْ
سمَا عليكمْ جميعًا
فَكُلُّكُمْ منه دُون
حمى (مليلةَ) دَهْرًا
فَلَمْ تُشِنْهُ الظُّنون
فَرْدٌ من الخلْق لكنْ
لم تَخْتَرِمْهُ المَنُون
فَعُمْرُهُ طال حَتَّى
مَرَّتْ عليهِ قُرونُ
أمّا اسْمُه إن تَسَلْنِي
عنْ لَفْظه ما يَكُون؟
فأوّلُ اللفْظِ قافٌ
وآخرُ اللَّفظِ نُون[1]

(1) قريون (بالقاف المعقودة) جبل يشرف على قرية (عين مليلة) قرب مدينة قسنطينة.

الجارية السوداء

نظم الشاعر البيتين الأولين في بداية الحرب العالمية 2 حيث فقدت «القهوة» وهي «الجارية السوداء».

ونظم البيتين الأخيرين بعد الحرب وآلامها.

وجـــارةٍ ســـوداء عَـــزَّ مَـــنَـــالـهـــا
علىٰ البيضِ واستعْصَىٰ عليهمْ وصالـها
تـولّت وصـدّت عنـهـم فتَـعـوّضـوا
جَـوارِيَ أخْـرَىٰ لا يُـطـاقُ آحتِمالُـها

***

وهـا هـيَ قـد عـادتْ وجـادتْ بـوَصْلـها
لـنَـا بـعـدمـا غـابـتْ وطـالَ آرْتحـالُـها
اذا حـضـرت فـي مـجـلـسٍ طـابَ أنـسُـه
وأغْـنـاهُ عـن شـربِ الـحَـرام حَـلالُـها

الأناشيد

نشيد كشافة الرجاء

نشرت في مجلة الشهاب ج: 6م (12) جمادى 1 جمادى 2 1355هـ/ أوت سبتمبر 1936

خُضناكِ للمجد والعَلاءِ ... يا ارضُ تِيهي على السَّماء
فنحن كشَّافة «الرجاءِ» ... ونحنُ جَوَّابة البلاد
إنَّا على ربِّنا اعْتمدنا ... إنا بتاريخنا اعتدَدْنا
إنَّا على الناس قبلُ سُدنا ... وسيِّدُ الناس لا يساد
«سِرْتَا»[1] لنا معقِل حصينُ ... ونحن جندٌ لها أمين
«سرتا» لأبنائها عَرين ... وهم ليوثٌ بها شداد
نَطوف في أرضها الزَّكيةْ ... كالطير في الصُّبح والعشية
لنسعِد الانفس الشقيه ... ونُدْنِيَ الإخوة البعاد
أخْلاقُنا الصدق والأمانه ... والرفقُ والحِذق والفَطانه
والعِلم والحِلْم والرَّزانه ... والعزمُ والحزمُ والرَّشاد
فِي عزمنا اليوم أن نُعيدا ... تاريخَنا الماضيَ المَجيدا
ومن يكن عزمُه شديدا ... لابدَّ أنْ يبلُغ المُراد

---

(1) سرتا: اسم قديم لمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري.

نشيد الشباب

نشر بمجلة الشهاب ج: (1): (13) 1356هـ 1937م

صوتٌ بعيدُ المَدَىٰ   هل يُجابْ
ناداكمُ للنَّدىٰ   بالرقابْ
إلى الفِدَىٰ إلى الفِدَىٰ   يا شَبَابْ!

***

كنتمْ أساطينُ البناء   في الوُجود
بيعُوا حياةَ الفَناء   بالخُلود
من لا يُبالي الرَّدىٰ   لا يَهَاب

***

قُولوا تَقولوا السَّديدْ   في المقَالْ
نحنُ الشبابُ العتيدْ   في النِّضال
سُدْنا وأنفُ العِدىٰ   في التُّراب

***

قُمنا لأخذِ الحقوقْ   مِن جَديد
ما في تمادِي الوثوق   ما يُفيد
ضاعَ التَّشكِّي سُدىٰ   والعِتاب

***

هـيَّـا نُـقـاضِ الـخُـصـوم   لِـلـشَّـمـاء
قـد خَـضَّـبـتـنـا الـكُـلُـوم   بـالـدِّمـاء
وحـنَّ فـيـنـا الـصَّـدىٰ   لـلـشـراب

***

هـيـا الـىٰ الـطـيِّـبـات   فـي الـخِـصـال
سِـيـروا عـلـىٰ الـبيِّـنـات   لِـلـكـمـال
وُفِّـقْـتُـمُ لـلـهُـدىٰ   والـصـواب

***

صـوت بـعـيـد الـمـدىٰ   هـل يـجـاب؟
نـاداكـم لـلـنـدىٰ   بـالـرقـاب
الـىٰ الـفـدىٰ الـىٰ الـفـدىٰ   يـا شـبـاب!

نشيد كشافة الإقبال

نشر في مجلة الشهاب ج: (3) 1356هـ 1937م

نَفديكَ بالرُّوح والبَدنْ يا مَوْطِنَ الأَشبالْ
فنحنُ في السِّر والعَلَن حُماتُكَ الأَبطال
ونحن إن أَعرضَ ٱلزمن «كشَّافةُ الإِقبال»

نَحن السَّخِيُّون كالمَطَر الغُرُّ كالأَنوارْ
نهُبُّ كالطير في البُكر والرِّيح في الأَسحار
لنُسدِيَ النفعَ للبشر في سائر الأَقطار

أدلَّة الخيرِ في الورَىٰ طلائعُ الرُّكْبانْ
نُواصل السَّيْرَ في السُّرىٰ في خدمة الأَوْطَان
ونَعْمُر المُدْنَ والقُرىٰ بالعلم والعِرفان

لبَّيكَ يا موطنَّا هتَفْ بذِكْرِنَا لبَّيْكْ
يا مُشبه الدُّرِّ في الصَّدف والروضِ بين الأَيكْ
أنا بجنبيْكَ لا تخفْ بأَسْنَا علَى جنْبَيْكْ

نشيد كشافة الصّباح

منشور في مجلة الشهاب (1) مجلد (14) 1937م

نحنُ كشافة «الصَّباح» المجلَّى   نحن صُيابة الشباب المُعلى
يا صباحًا لنا أغرَّ تولَّى   قبلُ هلاَّ تعود من بعدُ هلاَّ؟

***

يا صباحًا لنا من الشرق لاَحا   وغزَا الغربُ أفقَه واستباحا
عدْ كما كنتَ مَغنمًا ومَراحا   ومفازًا لنا وأمْنًا وظلا

***

عدْ الينا فقد أطلتَ المَغيبَا   وانفَح الأرضَ من سَناك نصيبا
عدْ الى الشرق عدْ اليه قريبًا   انه قد جفا الرقادَ وملاَّ

***

حي كشَّافَك الذي بك حيًّا   أوجُهًا في الثرَى تُباهِي الثريا
وشبابا للعُقْبَيات تهيَّى   وخلالاً بها الشَّباب تحلَّى

***

يا ثَرَى ضمَّ أعظُم الفاتحينا   ورفاتِ الأيمَّة الصالحينا
كنْ لنا مثلَما لهمْ كنتَ حينا   ساحةً للوغَى وحينًا مُصَلَّى

***

نحن أَبناؤكَ الكرامُ البُنُوَّهْ   نحنُ فِتيانُك العظامُ الفُتُوَّهْ
قد أخذْنا من قوةِ الله قوَّهْ   واْعتصَمْنا بالله عزَّ وجَلاَّ

نشيد الإخوان

نشر بمجلة الشهاب الجزء الأول المجلد
15 محرم 1358 فيفري 1939م

نحنُ الإخوان أهلُ الجنَّهْ
أهل القُرآن أهل السُّنَّه

***

نحن الرُّوادْ للأرواح
ندعو الأشهاد للاصلاح
باسم الإسعاد والإنجاح
نتلو الإنشاد حلوَ الغُنَّه

نحن الإِخوان... الخ

نحن الأَعلامْ في الأَقوام
أهل الإِنعام والإكرام
فلْنُعْلِ الهام بالإسلام
إن الاسلام عالِي القُنَّه

نحن الإخوان... الخ

نُحيي الآثار بالتَّنويهِ
لانُؤذي الجارْ لا نُخزيهِ

لا نَجني العار لا نَبغيهِ
يأبى الأَطهار قُربَ الظنة

نحن الإِخوان... الخ

داعي الإِحسان نادىٰ هَيَّا
نادىٰ مَن كان منكم حيًّا
ارْضوا الإِيمان وأعصُوا الغَيَّا
وارجوا الرحمن ربَّ المِنَّه

نحن الإِخوان... الخ

نشيد نساء الجزائر

نشر في مجلة الشهاب /ج: 9م/ 14/ 1357هـ/ 1937

سِرْنَ سَيْرَ الحَرَائِرْ خلْف ركبِ العَشائر

يا نساء الجزائر

سرنَ نحو الذي دعا للمعالي فأسمَعا

يا نساء الجزائر

قُمن من رقْدة الكسَل وتحرَّكن للعمل

يا نساء الجزائر

قمْن لله بالقُرْب وتحلَّيْن بالأَدب

يا نساء الجزائر

صُنَّ أعراضكنَّ عن كلِّ ريبٍ وكلِّ ظن

يا نساء الجزائر

من رَعتْ واجبَ الشرف فهي كالدُّرِّ في الصَّدف

يا نساء الجزائر

قرْنَ في البيت إنَّه يقتضيكن فنّه

يا نساء الجزائر

كنَّ في البيت للرجل نسوةً فذَّةَ المُثُل

يا نساء الجزائر

كنَّ في البيت للولد هاديات الى الرشَد

يا نساء الجزائر

عـشــنَ لـلـجيـل ألسُنـا مــرشـــدات وأعـيـــنـــا

يا نساء الجزائر

عـشـن كـالزهْر في السَّرىٰ آيــــةَ الله لــــلـــــورىٰ

يا نساء الجزائر

عـشـن للـصَّالح الـحسن فـي حـمـىٰ الله والـوطــنْ

يا نساء الجزائر

نشيد مدرسي

نظم الشاعر هذا النشيد سنة 1950م لتلامذة مدرسة (العرفان) بمدينة عين مليلة.

كلنا كلنا جنودٌ تحت راية النبي
كلنا كلنا أسودٌ في عرينِ المغرِب

نبتغي عزَّ الوطن والفِدىٰ له ثمن
لا نُبالي بالمحن إن نفر بالمأرب

كلنا صادقٌ نزيه مستقيم المذهب
كلنا حاذقٌ نبيه لا يُرىٰ فينا غبي

كلنا تحدَّرا من صناديد الورىٰ
عَرَبًا وبَرْبَرَا طيِّبًا من طيب

إيهِ يا فتيةَ المنىٰ أطلُبي العلمَ أطلبي
واجتني طيبَ الجَنىٰ من رياض المكتب

ها هنا ربة الحنان[1] ها هنا ضئر الصبي
ثديها دافق اللبان كوثريُّ المشرب

كم شدا فيها غلام بأناشيد السلام
مثل تغريد الحمام أو بُغام الربرب

كنْ كأحرار الامم راكبا متن الهمم
كن كـ(قريون)[2] ألأشمّ صامدًا للأجنبي

(1) المراد بربة الحنان المدرسة.

(2) قريون جبل يقع شرق مدينة عين مليلة.

نشيد عقبة

زار الشاعر في أواخر عام 1965 – قرية «سيدي عقبة» لزيارة مسجد الفاتح الإسلامي بها، فاحتفى بمقدمة أهلها، فأراد أن يستفز همم الشباب منهم بهذا النشيد الذي أهداه إليهم.

يا أرضَ عقبة أسلمي ... من الشرور واغْنَمي
فأنت أرضُ المسلم ... ودارُه المفضَّلَهْ
بلغت في المجد المَدىٰ ... وكنتِ مَطلَع الهُدىٰ
وصنت دينَ أحمدا ... من اليدِ المضلِّله
تاريخُك الماضي لنا ... فيه السناءُ والسنا
وفيه تصميمُ البِنا ... للنشأة المستقبَله
عقبة ضِرغام هدَمْ ... بأرضنا كل صنَم
ونحن عُقبان القِمم ... على البُغاة مرسله
ثورتنا فزْنا بها ... لم نَخش من عذابها
فنحن من أقطابها ... وشُهبُها المشتعِله
وديننا دينُ السَّلام ... دينُ الجهاد والنظام
دينُ سعادة الأنام ... والفِطْرة المكتمله
قرءانُنا فيه الدَّوا ... من الضلال والهَوَىٰ
من يسمعْ لِما حوىٰ ... أطاعَ مَنْ قد أنزله
لسانُنا أفصحُ ما ... به فمٌ تكلما

يا فوْزَ من تعلما ... بيانَه وحصَّله

نحنُ شباب فاضلُ ... بكل بِرٍّ حافل

مجاهدٌ مناضل ... مقدَّمٌ للأمثله

نترك أسباب القِلَى ... فلا تباغضَ ولا

سوى شَواهد الولا ... للوحدة المؤمَّله

الطفلُ فينا رَاشِدُ ... شيمتُه المحامد

وشغله المَعاهد ... وكتْبُهَا المؤهِّله

البنتُ فينا مُسلمهْ ... عَنْ عِلمها مسْتفهِمه

لبيتها منظَّمهْ ... وعِرضِها مجمِّله

قريتنا على القُرى ... سَمَت بنا الى الذُّرى

يؤمُّها كلُّ الورى ... لِلْعِظَةِ الممثَّله

قريةُ عُقبةَ البطلْ ... وعصبةُ الفتح الأوَّل

آثارُها تُحيِي الأمل ... بدمِهِمْ مسجَّله

هنا مشاهد السَّلف ... الى الفِدى تَهدى الخلف

الى حماية الشَّرف ... بالأنفس المسبَّله

من زارها كأنما ... بأرض مكةَ احتمَى

طوبَى لمن لها انتمَى ... أو مَن له بها صلةْ

أهلاً بكل زائرِ ... يحُل بالجزائر

بلادِ كلِّ ثائر ... على القُوى المنكِّله

أنا حفيدُ عقبةِ ... أنا حنيف الملَّةِ

أنا مقيمُ السنةِ ... في أرْضِيَ المبجَّله

أحـيـيــتُ سـنــةَ الـنـبـي — فـيـهــا ومـجــدَ الـعــرب
أنــا ابـــن عـقـبــةَ الأبــيِ — عُـقـبـــة لـــي وأنـــا لـــه!
افــريــقـيـــا أنـــارَهـــا — فـبـــوَّأتـــه دارهـــا
لـقـــد غـــزَىٰ أقـطـــارهـــا — مـرحـلـــةً فـمـرْحَـلـــه
أتـــىٰ الـمـحـيـــطَ فـدفـــع — جـــــواده دون هَـلـــع
وقـــال قــولـــةً صـــدَع — بـهـــا مـضـــتْ مُـجَـلـجِـلـه
لـــو خـلـــتُ بَـــرًّا ثـانـيَـــا — خـلـف الـمُـحـيـــط نـائـيَـــا
لَـخُـضْـــتُ فـيـــه مـاضـيَـــا — فـي الـفَـتـــح حـتـــىٰ أُكـمـلَـه

أمير المؤمنين غنمت نصرا

هذا القصيد نظمه الشاعر إثر عودة الملك الزعيم «محمد بن يوسف» من منفاه إلى بلاده مظفرا منصورا باستقلال بلاده وتوجه وفد عن المجلس الإداري لجمعية العلماء إلى الرباط لتهنئته.

ورغم أن القصيد نشر في العدد (246) من جريدة البصائر بتاريخ 9 جمادى الأولى 1375هـ 23 ديسمبر 1955 - إلا أننا غفلنا عن إدراجه في مكانه من الديوان، فاضطررنا إلى وضعه بعد هذا الباب فمعذرة للشاعر وللقراء.

أَطَلَّ البدر وضَّاح الجَبينِ ... فَعمَّ الأُفُقَ بالنُّور المُبينِ
وعاد إلى مَطَالِعِه مشعًّا ... كأن لم ينأ عنها مُنذُ حين
فقل لِقوَافل الأَحزاب سِيري ... على إشعاعِهِ وبهِ اَسْتَعِيني
وقل للمَغرِبِ الأَقصَى هنيئًا ... لقد شُرِّفت بالعِلق الثَّمين
بَدَا اَستقلالُك المَوْعُودُ فاحمِلْ ... وظائفَه وخُذْها باليمين
فإنك في البلادِ به قَمِينٌ ... وحسْبُك بالمناضِل من قَمين[1]
وأسرِعْ بالتَّفاوُض فيه واَصْدَع ... بحقِّك لاَ تكُنْ بالمُستكين
وهل يرْجُو العزيزُ سِوَىٰ عزيز ... وان شدّت عليه يدُ الضنين[2]
أراك بما حويتَ من المزايا ... رفيعَ القدْر عن غُبن الغَبين[3]
تؤلف بين (أبيض) ذي جمال ... أغرّو «أطْلسيٍّ» ذِي رَنين[4]

(1) جدير وحقيق.

(2) بخيل.

(3) المبخوس في حقوقه.

(4) البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي.

الى أشبالك الأحرار أهدي ... تحياتٍ من الأدب الرصين
أحاشي برَّهم بك ان يهمُّوا ... بإِجْهاز على الوطَن الطَّعين
فذكِّرهم بوحدتهم ليحموا ... وشائجَها من الخُلْف المُشين
وكيف يريبهم في النصر ريبٌ ... وهذا الليثُ عادَ الى العَرين
على الملك الزعيم سلامُ شعب ... أخٍ للمغرب الاقصى قَرين
وتهنئةٌ معطرةُ الحواشي ... مُعبِّرةٌ عن الحب الكنين[1]
لقد رجحتْ اماني الشعبِ وزنا ... بعود «محمد» الْملك الرزين
أميرَ المؤمنين غنمت نصرا ... كأنَّك عدتَ من غزوٍ يمين[2]
وما الابعاد للاحرار إلاَّ ... كإِقرار بحجتهم ضمين
وتمهيدٍ لغزوهم المرجَّى ... وكشف عن مكانهم المكين
تركت المغرب الاقصى شجيا ... نجيًّا عنك يهمس بالأنين
يرى – متأسفًا – عرشًا رهينا ... ولا يقوى على فكِّ الرهين
ولما عدتَ عاد العرش حرًا ... وعاد الْبشرُ للشعب الْحزين
صفحت عن «القلاوي» صفح حر ... وملتَ اليه في رفقٍ ولين
وقلتَ له أطمئِنَّ فان شعبي ... وانَّك منه - في حِصْنِي الحَصين
مَضَى الماضي وبالآتِي آشتَغَلْنا ... لعلَّ بغيْبه أزكى حنين
وفَدْتَ على «الرباط» وُفودَ يُمْن ... على الأشرافِ فيها والقَطين[3]
وسرتَ فزُرْتَ أمَّك في ثَراها ... (بفاسٍ) ما هدأتَ من الحَنين
لقد ذاقتْ بنفْيِكَ كلَّ صابٍ ... وتاقتْ منك للوجه الحَسين

---

(1) المستور.

(2) ميمون مبارك.

(3) الخدم والاتباع.

فبعد غيابك اَفتَقَدَتك عشرا طِوالاً من ليالٍ كَالسِّنين[1]
تُحسُّ كأن مُهجتَها تلظَّتْ فتُسْعِفُها بمَدْمَعِها المعين
ولم تَلبَثْ بها ان أسلَمَتْها الى الرَّحمان صادقةَ اليَقين
وضمَّ ضَريحُها كنزًا دفينًا رعاهُ اللهُ من كَنزٍ دَفين
وكان خطابُ عرْشِك مستفيضًا يهزُّ اليكَ إحْسَاسَ الأذين[2]
زأرتَ بِه كمِثْلِ الليْثِ حُرّا فرُعْتَ به فؤادَ المُشْتهين
وأسْفَرَ عن نظامٍ مسْتقلٍّ مُضيءٍ بالمصالح لا دَخين
وجاءتكَ الوفودُ مهنِّئاتٍ بنيْلِ مُناكَ من دُنيا ودين
فآثرت الجزائر باحْتِفاءٍ بمَقْدَمِ وفدِها الحُرِّ الامين
تقدَّمَتِ الجزائرُ بالتَّهاني فأدَّتْ بعضَ حقِّك كالْمَدين
وأدْلَى المغرب الأقصى اليْها ببُرْهَانٍ على الوُدِّ الكَمين
وكيف يصُدُّ عنها وهْيَ أُخْتٌ تمُتُّ اليه بالنَّسب الْمَتين
وقمتَ بواجبِ الشُّورى مُضيفًا لرَأيكَ كلَّ رأيٍ مُسْتَبين
تساندك الشيوخُ بكلِّ نُصْحٍ ويُوليك الشبابُ يَدَ المُعين
ويبْني باسمِكِ (البَكَّايُ) صرْحًا سَميكًا جلَّ عن حَجَر وطِين
فيَسْتَقْصِي دُعاةَ الرَّأي بحْثًا ويُقصي كلَّ ذي رأيٍ مَهين
ومن ساسَ المَصَاعبَ بالتَّروِّي ألآنَ قِيادَها للمُستلين
ورأيُكَ كالمَنَار الضَّخْم يَهْدِي الى شُطْآنِه كلَّ السَّفين
وفَيْتَ فلم تَخُنْ للشَّرق عهْدًا ومِثْلُك من رعَى عَهْدَ الخَدين[3]

(1) تعرب سنين في لغة بالحركات لا بالحروف.
(2) السامع.
(3) الصديق.

فـأكَّـدتَ الـصِّـلاتِ بـهِ لـتَـبْـقَـى ... وحاشيْتَ الصَّريحَ مِنَ الْـهَجِينِ[1]
وكـيـف يُـتـاحُ لـلانسـان وعـيٌ ... بـلاَ قَـلـب لـهُ واعٍ فَـطِـيـن
فـإن مـواطـن الاسـلام جـسـمٌ ... ومـوْطِـنَ شَـرْقـهـا مأوَى الوَتِين[2]
فـشـا الاسـلامُ فـي شـرق وغـرب ... وألَّـفَ بـيْـنَ مِـصْـرِيٍّ وصِـيـنـي
وذَلَّـلـتِ الـمـعـارفُ كـلَّ صـعـب ... بعـصْـر «الـذَّرِّ» عَصْـر الـهيدْ روجينِ
فـلـيـس لأُمَّـة الاسـلام عـذرٌ ... اذا اقْـتَـنَـعَـتْ بـغَـثٍّ عَـن سَـمـين
أدام الله فـوزك فـي اطِّـراد ... وصَـانَ عُـلاك مـن كـيْـدِ الضَّنِين[3]
وأذكـى فـرّ قـديـك سنَى وأزكـى ... سَـنَـاءَهُـمـا بـأفْـقِـكِ كُـلَّ حِـين
وألْـهـمَ سـائـرَ الاحـزاب صـفـحًـا ... يُـبَـرِّئُـهـا مـن الـحِـقـدِ الـلَّـعـين
وصـدقـا يَـغـسـلُ الـنـيـاتِ مـمَّـا ... يُـكـدرِّهـا مـن الـغَـرض الـدَّرين[4]
إذا بُـنـيـتْ علىَ الـصـدْق الـمساعي ... فـقد بُـنـيَـتْ عـلـى الـرُّكْـن الرَّكـين

---

(1) الصريح الخالص في نسبه العربي، والهجين ضده.

(2) عرق منوط بالقلب.

(3) المتهم.

(4) المتسخ من الدرن وهو الوسخ.

المجد للباني

كم في قسنطينةٍ من حسن بنيانِ ومنظر حسن للقلب فتّان
ومن بساتينَ خُضر في جوانبها كالعقد تصطفُّ بستانا لبستان
ومن مبانٍ بها للجوِّ شامخةٍ ومن عيون بها تجري ووديان
مهما نزلت بها ضيفا رأيتُ بها ما سرني من فنون ذات ألوان
قد زرتُ (مطبعة البعث) التي أشتهرت فيها بذوق وإبداع وإتقان
وطاب لي ولإخواني بزورتها أنْ ليس يعمل فيها غيرُ إخواني
مِن سابقينَ بها امتازُوا بتجربة ومن كهول ذوي حزم وشُبّان
مسخّرين لآلات مكهربة كأن اجراءها اعضاءُ إنسان
تسعى كأبرع ساع غيرَ وانية في السّعي مُزرية بالعامل ألواني
ما كانَ يصْنعُه الصُّناعُ في مُدد شتّى تُقدّمُه للنّاس في الآن
قام (الزبيرُ) عليْها حازما يقظا وآفتنَّ فيها يدا خطّاطُها (الهاني)
وزان مكْتبَها (عبدُ الحميد) بما يُرضي الزّبائن من حُسن وإحسان
ولستُ أنسى لهم فضل الصنيع بما أبدوْهُ من حزمهم في طبع ديواني
لقد بنَوْها لبعث الشعب مطبعةً تُحيي مآثره والمجدُ للباني

اعتراف بجميل

سيحمَد ديواني لـ «أحمد طالب»

يدا منه طولي قدَّمتْه ليُنشرا

تحمَّل أعباءَ الوزارة قادرا

فأوْرَد عن رأي سديد وأصدرا

ووكّل بالديوان أكْفأ نُخبة

بتبْصِرَةٍ أعطى بها القَوْسَ مَنْ بَرَى

لقد أدلَجتْ والصِدقُ رائدُ رَكْبها

فلا ريْب عندَ الصُبْح أن تحمَد السُرى

بسكرة في 10 شعبان 1385هـ - 8 ديسمبر 1965م.

محمد العيد محمد

الفهرس



صاحب الديوان

هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من أولاد سوف. ولد في مدينة عين البيضاء بتاريخ 28 أوت 1904م الموافق لـ 27 جمادى الأولى 1323هـ بعد تلقي القرآن والدروس الابتدائية بمدرستها الحرة عن الشيخين محمد الكامل ابن عزوز وأحمد بن ناجي، انتقل مع أسرته إلى بسكرة سنة 1918م وواصل دراسته بها على المشائخ علي بن إبراهيم العقبي الشريف والمختار بن عمر اليعلاوي والجنيدي أحمد مكي.

وفي سنة 1921 غادر الشاعر بسكرة إلى تونس حيث تتلمذ سنتين بجامع الزيتونة ثم رجع سنة 1923 إلى بسكرة وشارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات (صدى الصحراء) للشيخ أحمد بن العابد العقبي و(المنتقد) و(الشهاب) للشيخ عبد الحميد بن باديس و(الإصلاح) للشيخ الطيب العقبي.

وفي سنة 1927 دعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة حيث بقي مدرسا بها ومديرا لها مدة اثني عشر عاما وفي هذه الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من أعضائها العاملين، ونشر الكثير من قصائده في صحف الجمعية (البصائر، السنة، الشريعة، الصراط) وكذا في صحيفتي (المرصاد والثبات) لمحمد عبابسة الأخضري.

وفي سنة 1940م بعد نشوب الحرب العالمية الثانية غادر العاصمة الجزائرية إلى بسكرة ومنها دعي إلى باتنة للإشراف على مدرسة التربية والتعليم إلى سنة 1947م ثم إلى عين مليلة لإدارة مدرسة العرفان إلى سنة 1954م وبعد اندلاع الثورة الكبرى أغلقت المدرسة وألقي القبض عليه وزج به في السجن وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد إطلاق سراحه بمحنة غاشمة وفرضت عليه الإقامة الإجبارية ببسكرة فلبث بها معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة إلى أن فرج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال.